# تـــاريخ حضارة بلاد الفرس
# في عصر الإسلام

إعـــداد
د. محمد رماح عبد السلام مخلص          د. إبراهيم جابر السيد

**دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع**
**دار الجديد للنشر والتوزيع**

٩٠١.٩
م ٠ م

مخلص ، محمد رماح عبد السلام .

سلسلة كنوز الحضارة / محمد رماح عبد السلام مخلص.{واخ}.- ط١.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع.

٣٨٨ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .

تدمك : ٦ - ٦٥٩ – ٣٠٨ – ٩٧٧ – ٩٧٨

١. الحضارة – تاريخ .

أ - مخلص ، محمد رماح عبد السلام (معد مشارك) .

رقم الإيداع : ٢٨٨٣ .

**الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع**
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتف- فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥-٠٠٢٠١٢٨٥٩٣٢٥٥٣
E-mail: elelm_aleman٢٠١٦@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

**الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع**
تجزءة عزوز عبد الله رقم ٧١ زرالدة الجزائر
هاتف : ٢٤٣٠٨٢٧٨ (٠) ٠٠٢٠١٣
محمول ٦٦١٦٢٣٧٩٧ (٠) ٠٠٢٠١٣ & ٧٧٢١٣٦٣٧٧ (٠) ٠٠٢٠١٣
E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

**تنويه:**
**حقوق الطبع والتوزيع بكافة صوره محفوظة للناشر**
ولا يجوز نشر أي جزء من هاذ الكتاب بأي طريقة إلا بإذن خطي من الناشر
كما أن الأفكار والآراء المطروحة في الكتاب لا تعبر إلا عن رأي المؤلف
**٢٠٢٠**

# الفهـرس

# مقدمة

يرجع تاريخ الفرس إلى أكثر من ألفي سنة عندما استقرت قبائل البدو الرحل الآرية الفرس والأكراد في إيران، وفي الحقبة الزمنية التي دخلت فيها جماعات مختلفة من الأصل الآري مثل الماديين (الميديين وهم الأكراد)، والبارسيين (أي الفرس)، والفريتيين (أي الاشكانيين) الأرض التي عرفت في ما بعد باسم إيران. ونلاحظ أن الحكومات التي كانت قبل البارسيين، لم تعرف الوحدة المتكاملة والاستقرار، بل كانت مستغرقة في حروب قبلية، إذ يمكننا أن نعد قيام الدولة الأخمينية) حكم كورش الكبير ٥٠٠ (قبل الميلاد، بداية لتاريخ الحكم الإمبراطوري، الذي يقوم على توارث الحكم في الأسرة الملكية وتشتهر إيران أو بلاد فارس بقدم تاريخها وثقافتها التي تمتد إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.كما أنها تعتبر بلد متعدد الثقافات نظر لتعدد الأعراق وتوالي الحقب التاريخية المختلفة عليها وتعد أكثر الحقب تأثيرا في الثقافة الفارسية هي الإمبراطورية الفارسية (الأخمينية) عهد الإمبراطورية الساسانية والعصر الصفوي وتشتمل الثقافة الإيرانية على ثقافة الدول المحيطة بإيران باعتبارها كانت جزء منها وتقع تحت سيطرتها مثل أوزبكستان وأفغانستان وباكستان وطاجيكستان وأذربيجان وأرمينيا وتركيا وإقليم كردستان العراق.

# الفصل الأول
# الفرس ودولتهم

الفُرس (بالفارسية :فارسى زبانان) هم شعب غرب آسيوي يقطن منطقة فارس التاريخية فيهضبة إيران الآسيوية ويتحدث اللغة الفارسية وهي لغة هندوأوروبية ؛ وينتمي الفرس الأوائل إلى المجموعة الآرية. لكن مع مرور الزمن امتصت المجموعة الفارسية العديد من الشعوب التي كانت تقطن أو قطنت المنطقة واستوعبتها خلال فترات عديدة؛ ومن هذه الشعوب العرب واليونانيين والترك والمغول وغيرهم، فمثلاً الهزارة في أفغانستان يضمون سلالات تنسب لبقايا المغول حيث يشبه الهزارة في بنيتهم العرق الأصفرمن ناحية شكل العيون والوجه في حين أن الفرس في غرب إيران لهم علاقات وترابط مع الأكراد و العرب.

أسس الفرس العديد من الدول والإمبراطوريات على مر التاريخ مثل الأخمينيين والساسانيين في حقبة ما قبل الإسلام، إضافة إلى سلالات حكمت في حقبة بعد الإسلام مثل السامانيين وغيرهم. يدين غالبية الفُرس بالديانة الإسلامية على المذهب الشيعي الاثني عشري في حين أن الفُرس في المناطق الشرقية يتبعون للمذهب السني، هذا أن نسبة قليلة من الفُرس لا زالت تدين بديانات ما قبل الإسلام مثل الزرادشتية.

## النطاق الجغرافي للفرس:

عاش الفرس في قارة آسيا، وكان امتـداد دولـتهم مـن الفـرات إلى الهند، ومن بحـر قـزوين إلى المحـيط الهنـدي، حيـث سـكنوا في مسـاحة متفاوتة من بلاد فارس امتدّت في الجنوب بين الخليج الفارسي، والمحـيط الهندي، وفي الشـرق والشمال الشرقي من نهـري إنـدوس، وأوكسـوس، ومن الشمال بحر قزوين وجبل القوقاز، ومن الغرب نهر الفرات، إضـافةً إلى أنّها سيطرت على مصر، والإغريق الإيوني في وقت الحروب الفارسـية القديمـة، كـما اشـتملت المنطقـة عـلى الصـحراء، والجبـال، والمراعـي، والوديان.

## المجتمع الفارسي قبل الإسلام:

عانى الفرس من النظام المجتمعيّ الطبقـي بسـبب ظلمـه الكبـير، حيث قُسّم المجتمع إلى سبع طبقات أدناها "طبقة عامة الشعب"، والتـي شكّلت غالبية سكان الفـرس، وتمثّلـت بـالعمال، والفلاحـين، والعبيـد، والجنود الـذين لم يمتلكـوا أيـة حقـوق، كـما وُجـدت فجـوة كبـيرة بـين الطبقات، حيث كانت الحكومة تمنع العامة مـن الشـراء مـن الأمـراء، أو الكبار. كان من قواعد السياسـة الساسـانية أن يـرضَ كـل فـرد بمكانـه، ومركزه الذي اكتسبه من نسبه، وألّا ينظر إلى ما فوقـه، وكـانوا يعتقـدون عدم تغيير حـرفتهم؛ بسـبب زعمهـم أن الله خلقهـم عـلى هـذه الحرفـة، وبالتالي فقد تفاوتت طبقات المجتمع الفارسي، مما أدى إلى الامتهان،

والاستخفاف الواضح بالإنسانية، حيث كان عامة الناس يمتثلون كجمادات لا حراك لها عند رؤوس الأمراء والحكام في جلساتهم، ويشار إلى أنّ الصحابي المغيرة بن شعبة ﷺ قد أنكر عليهم ذلك أثناء فتوحاته الإسلامية لبلاد فارس،

كما روى الإمام الطبري عن الخضوع والاستكانة التي عاشها الفرس في أزمنتهم السابقة، والتي اعتادوا عليها.

يطلق لفظ الفرس على من سكن بلاد فارس وهي إيران حاليًا، حيث أنّ الفرس هم سلالة عرقيّة تعود أصولها إلى المجموعة الأريانيّة، وتتكلّم الشّعوب الفارسيّة لغةً تسمّى اللّغة الفارسيّة وهي من اللّغات الهندوأوروبيّة، وقد ساهم اختلاط عددٍ من الشّعوب والعرقيّات في تشكيل هويّة مختلطة للفرس حيث استوعبت عددًا من العرقيّات مثل الترك والعرب واليونانيين وغيرهم، وقد حكمت بلاد فارس عددٌ من الإمبراطوريات عبر التاريخ وكان أوّلها الدّولة الميدية ثمّ الدّولة الإخمينيّة التّي قامت بقيادة كوروش بحملات كبيرة نحو المغرب حيث هاجمت بابل واستولت عليها واتّجهت صوب بلاد الشام لتسيطر عليها ثمّ إلى مصر في أقصى الغرب، وقد وصلت الدّولة الإخمينيّة أيضًا في تمدّدها إلى الشّمال حيث بلاد القوقاز وبحر إيجه ومضيق البسفور، وقد بقيت الدّولة الإخمينيّة في مجدّها وقوّتها حتّى أتى القائد الرّوماني الإسكندر المقدوني ليجتاح أراضي الدّولة ويهزم الإمبراطور الفارسي.

ويتوراث على حكم الدّولة الفارسيّة زعيم وقائد يطلق عليه كسرى، ونظام الحكم في بلاد فارس هو نظام ملكي حيث يتوارث على حكم بلاد فارس عدد من السّلالات التي احتكرت السّلطة فيها.

وتمتّعت بجميع الامتيازات والصّلاحيّات، وقد دانت بلاد فارس بالدّيانة الزّرادشتيّة منذ ما يقارب الألف الرّابعة قبل الميلاد التي كانت ترى أنّ هناك إلهين للكون إله للخير وإله للشّر، ويطلق عليها أيضا الدّيانة المجوسيّة التي

قدّست النّار بشكلٍ كبير وكان رمزًا لها، وإلى الآن يتواجد عدد قليل ممّن يدينون بهذه الدّيانة في إيران.

وفي عهد عمر بن الخطّاب ﷺ تمّ إرسال جيش بقيادة الصّحابي الجليل سعد بن أبي وقاص حيث جرت معركة بين المسلمين والفرس عام ٦٣٦ ميلادي انتهت بهزيمة الفرس ودخول المسلمين إلى إيوان كسرى وتحطيمه مصداقًا لنبوءة النّبي محمّد عليه الصّلاة والسّلام، وقد سمّيت هذه المعركة بمعركة القادسيّة، ومنذ ذلك التّاريخ يدين أهل فارس بالإسلام ومذهب أهل السّنة والجماعة حتّى أتت الدّولة الصّفويّة عام ١٥٠١ ميلادي والتّي عملت بشكلٍ كبير على تشيع أهل إيران وإجبارهم على ترك مذهب أهل السّنة والجماعة ممّا أدى إلى اعتناق عددٍ كبير من النّاس مذهب الشّيعة الاثنى عشرية خوفًا من بطش الحكام الصّفويّين.

وعلى الرّغم من أنّ سياسية إيران تقوم على ادعاء تبنّي شعارات وحدة الأمّة الإسلاميّة ونصرة قضاياها إلا أنّ تمسّك إيران بإرثها المجوسي الفارسي يطرح كثيرًا من التّساؤلات حول حقيقة نواياها وتطلّعاتها.

مساكنهم وسط الْمَعْمُور يُقَال لَهَا أَرض فَارس مِنْهَا كرمان والأهواز وأقاليم يطول ذكرهَا وَجَمِيع مَا دون جيحون من تِلْكَ الْجِهَات يُقَال لَهُ إيران وَهِي أَرض الْفرس وَأما مَا وَرَاء جيحون فَيُقَال لَهُ توران وَهُوَ أَرض التّرْك وَقد اخْتلف فِي نسب الْفرس فَقيل أَنهم من ولد فَارس ابْن أرم بن سَام وَقيل من ولد يافث وهم يَقُولُونَ أَنهم من ولد كيومرت وَهُوَ عِنْدهم الَّذِي ابْتَدَأَ مِنْهُ النَّسْل مثل آدم عندنَا ويذكرون أَن الْملك لم يزل فيهم من كيومرت إِلَى غَلَبَة الْإِسْلَام خلا

تقطع حصل فِي مدد يسيرَة لَا يعْتد بِهِ مثل تغلب الضَّحَّاك وفراسياب التركي وملوك الْفرس عِنْد الْأُمَم أعظم مُلُوك الْعَالم وَكَانَت لَهُم الْعُقُول الوافرة والأحلام الراجحة وَكَانَ لَهُم من تَرْتِيب المملكة مَا لم يلحقهم فِيهِ أحد من الْمُلُوك وهم فرق كَثِيرَة فَمنهمْ الديلم وهم سكان الْجبَال وَمِنْهُم الجيل وأرضهم هِيَ سَاحل بَحر طبرستان وَمِنْهُم الكرد ومنازلهم جبال شهرزور وَقيل أَن الكرد من الْعَرَب ثمَّ تنبطوا وَقيل أَنهم أَعْرَاب الْعَجم وَكَانَ للْفرس مِلَّة قديمَة يُقَال لَهَا الكيومرتية أثبتوا إِلَهًا قَدِيما وسموه يَزْدَان وإلها مخلوقا من الظلمَة وسموه أهرمن وَالْأول عِنْدهم هُوَ الله وَالثَّانِي إِبْلِيس وأصل دينهم تَعْظِيم النُّور والتحرز من الظلمَة وَلِهَذَا

عبدُوا النيرَان حَتَّى ظهر زرادشت مـن قَرْيَـة مـن قـرى أذربيجـان فَصَارَت الْفرس على دينه وَلَهُم فِي خلق زرادشت وولادته كَلَام طَوِيـل لَا فَائِدَة فِيهِ وَقَالَ بآله يُسمى أرمزد بالفارسي وَأَنه خَالق النُّور وَالظُّلـم وَهُـوَ وَاحِد لَا شريك لَهُ وَلَهُم أعياد ورسوم مِنْهَا النوروز والتيركان والمهرجان والفروردجان والكنبهارت زعم زرادشت أَن فِي كل يَـوْم خلـق الله نوعـاً من الخليقة من سَمَاء وَأَرْض وَمَاء ونبات وحيوان وإنس فتم خلـق الْعَـالم فِي سِتَّة أَيَّام.

وحيث أن بلاد فارس هو لفظ أطلق عـلى سـلالة عرقيـة تعـود في الأصل إلى المجموعة الإريانية وهي مجموعة الشعوب التـي تـتكلم اللغـة الفارسية حيث أن تلك الشـعوب والعرقيـات هـي مـن شـكلت هويـة الفرس وهذا هو السبب في التسمية التي أطلقت على منطقة إيـران حاليـاً ببلاد فارس قديماً حيث أن بلاد فارس هـي المنطقـة الواقعـة جغرافيـاً إلى ناحية الشمال الشرقي من شبه الجزيرة العربية حيـث أن بـلاد فـارس قـد تأسست في حوالي القرن الخامس فيما قبل الميلاد

وكان ذلك على يد الملك الفارسي (كورش) حيث أن بلاد فارس من الدول ذات التاريخ الممتد والطويل حيث قامت بها أعظم الدول والإمبراطوريات قديماً والتي سبقت العهود الإسلامية حتى أنها كانت إحدى القوى الكبيرة والعظيمة في ذلك الوقت وكانت تنافس الدولة البيزنطية في القوة والنفوذ.

## شكل الحياة قديماً في بلاد فارس:

كان سيطرة الأقوياء والنبلاء والطبقة الحاكمة والغنية في دولة فارس على ثروات البلاد كبيراً حيث كان تتوافر لديهم كل سبل الغنى والرفاهية حيث كان ذلك على حساب الفقراء والعامة من الشعب الفارسي حيث كان تسخير الفقراء لخدمة طبقة السادة والنبلاء حيث نستطيع القول بأن المجتمع الفارسي كان من المجتمعات الطبقية حيث سيطرة الغني والقوي على الفقير والضعيف وتسخيره لخدمته بل لعبوديته ولعل مما ساهم في ذلك كان عدم إيمان أو اعتناق الشعب الفارسي لأي من الديانات السماوية حيث كان الاعتناق هو الديانة المجوسية أي عبادة النار هي الديانة السائدة وأتت من بعدها الديانة الزرادشتية حيث كانتا هما دين الدولة الرسمي ووصفت الكتب والمراجع شكل الحياة الفارسية القديمة حيث كان الوصف أنها دولة مصابة بالانحطاط والتدني الأخلاقي بشتى صوره حيث الغني والفقير النبيل والعبيد حيث كانت النظرة الطبقية البغيضة ووضع المرأة المأساوي والمتدني حيث كانت المرأة الفارسية هي أقل في المنزلة من الرجل بل كانت تعامل معاملة الرقيق والعبيد حيث كان الزوج يستطيع أن يتنازل عنها في أي وقت لزوج أخر كما أن في تاريخ الدولة الفارسية شديدة الدونية

والانحطاط الثقافي كان السائد تعدد الزوجات بـل زواج المحـارم مما يطرح ويظهـر مـدى الجهـل والتخلـف السـائد في المجتمـع الفـارسي والانحطاط الفكري والثقافي أي أن المجتمع الفارسي هـو مجتمـع جاهـل ومنحط ومتدني فكرياً وثقافياً بل مجتمعيـاً في روابطـه الاجتماعيـة بشـكل كبير.

## التاريخ السياسي لدولة فارس:

كان نظام الحكم السياسي لدولة فارس هو النظام الكسـرى وهـذا نسبة إلى تسمية الملك بلقب كسرـى والـذي كـان انعكـاس أيضـاً لمـدى التخلف و الجهل السائد في ثقافـة المجتمـع الفـارسي حيـث كـان ينسـب للملك الفارسي صفات الألوهية ويعطي الصـلاحيات الواسـعة التـي لا يستطيع أحد الاعتراض عليها أو مراجعته فيها حيث مما سـاهم في ذلـك الوضع أنه طبقاً للمفاهيم المتدنية بالمجتمع الفارسي فهو الإلـه المنـزه عـن الخطأ و من ثم كيـف سـتتم مراجعتـه في قراراتـه حيـث أن مراجعتـه أو معارضته هي امتناع عن تنفيذ أوامر الإله و يأتي من أشهر الملـوك اللـذين تولوا الحكم في دولة فارس الملك (كسـرى أبرويز) والذي أيضـاً وصـف نفسه بالإله الخالد بل زاد في استعباد شعبه وأعتبره خلق من أجل خدمته فقط وتنفيذ أموره حيث وصفته كتب التاريخ بأنه كان ملكـاً جشـعاً محبـاً للثروة ولجمع المال والجواهر الثمينـة ومشـغول بجمعهـا لدرجـة أن خزائنه الشخصية فاضت بما فيها من جواهر ثمينة على الرغم من مستوى الفقر الكبير الذي لحق بشعبه أثناء حكمه.

## نهاية دولة فارس:

توالت الفتن والمؤامرات الداخلية في داخل الدولة الفارسية حيث أشتعل الصراع بين نبلاءها و ازدادت أطماعهم في السلطة حتى أن كتب التاريخ ذكرت أنه في خلال تسعة أعوام فقط تولى أربعة عشر ملكاً الحكم في بلاد فارس حتى ضعفت الدولة الفارسية نتيجة تلك المؤامرات والفتن الداخلية بها وعدم استقرار الحكم إلى أن قامت الدولة الإسلامية بفتح بلاد فارس و قضت على الإمبراطورية الفارسية الكافرة ونشرت دين الله الصحيح ومفاهيم العدالة الاجتماعية التي كان الشعب الفارسي في أشد الحاجة إليها وعملت على إخراج المجتمع الفارسي من الجهل والتدني الأخلاقي والفكري إلى النور والثقافة وإخراجه من العبودية وإنصاف المرأة وإعطائها حقوقها الكاملة و العمل على تكريمها.

# الفصل الثاني
# لمحة عن الإمبراطورية الفارسية

فارس هو الاسم التاريخي للمنطقة التي قامت عليها الإمبراطوريات والدول الفارسية الكردية اللتان كانتا قومية واحدة وانفصلتا عبر الزمن وإن كانت اللغتان ما زالتا متشابهتان إلى حد كبير جداً والتي تشكل اليوم إيران. تقع الإمبراطورية الفارسية شرق و شمال شبه الجزيرة العربية. تأسست الإمبراطورية الفارسية عام ٥٥٩ ق.م. بواسطة كورش.

**إمبراطورية فارسية:**

فارس هو الاسم التاريخي للمنطقة التي قامت عليها الإمبراطوريات والدول الفارسية والتي تشكل اليوم إيران. تقع الإمبراطورية الفارسية شرق شبه الجزيرة العربية. تأسست الإمبراطورية الفارسية عام ٥٥٩ ق.م. بواسطة قورش. وتعتبر الإمبراطورية الفارسية التي تعرف بدولة الفرس أو الدولة الكسورية، من أعظم وأكبر الدول التي سادت المنطقة قبل العصر الإسلامي، حتى إنها فاقت الإمبراطورية البيزنطية في الشهرة والقوة، ولقد مرت هذه الدولة بعدة أطوار قبل البعثة وبعدها، ونقف في هذا المقال على ذكر ما كانت عليه الدولة الفارسية من انحطاط وخلل كبير في الأنظمة السياسية والدينية والاجتماعية التي سادت قبل الإسلام.

**الحالة السياسية والاقتصادية:**

كانت الدولة الساسانية تحكم بلاد إيران في القرن السابع الميلادي ويكوِّن الفرس مادة الإمبراطورية، ولكنها أخضعت الترك في بلاد ما وراء النهر،

والعرب في العراق، وكانت حدودها الغربية غير مستقرة حسب قوتها، فأحياناً تغلب على أطراف بلاد الشام كما حدث سنة ٦١٤م عندما اجتاحت بلاد الشام واستولت على بيت المقدس، ثم استولت على مصر سنة ٦١٦م. ولم يستسلم هرقل إمبراطور الروم بل أعاد تنظيم بلاده وإعداد جيوشه وهزم الفرس في آسيا الصغرى سنة٦٢٢م، ثم استعاد منهم سوريا و مصر سنة ٦٢٥م، ثم هزمهم هزيمة ساحقة سنة ٦٢٧م قرب أطلال نينوى، مما أدى إلى ثورة العاصمة ضد كسرى الثاني ، وعقد خليفته شيرويه الصلح مع هرقل، على أن أحوال الدولة الفارسية لم تستقر بعد ذلك ، إذ تكاثرت الثورات والانقلابات الداخلية، حتى تعاقب على عرش فارس في تسع السنوات التالية أربعة عشر حاكماً، مما مزّق أوصال دولة الفرس، وجعلها مسرحاً للفتن الداخلية، حتى أجهز عليها العرب المسلمون في حركة الفتح. هذا عن الأحداث السياسية والعسكرية التي مرت على بلاد فارس.

**نظام الحكم:**

كان نظام الحكم كسروياً مطلقاً، يقف على رأسه الملك، ولقبه كسرى، وصلاحياته مطلقة، وأحياناً يوصف بصفات الإلوهية، فكسرى

أبرويز وصف نفسه بالرجل الخالد بين الآلهة، والإله العظيم جداً بين الرجال، مما يدل على الغرور والتعاظم، في حين وصفه المؤرخون بالملك الحقود المرائي الجشع الرعديد. وبينوا اهتمامه الكبير بجمع أكوام الذهب والفضة والجواهر التي ملأت خزائنه عن طريق المظالم التي استغل بها بؤس رعيته. وكان يلجأ إلى المنجمين والكهان والسحرة لاستشارتهم في اتخاذ قراراته المهمة.

## الحياة الاقتصادية:

احتكر الأقوياء الثروة ومصادرها، وانهمكوا في مباهج الحياة وملذاتها، وزادوا من ثرائهم بالربا الفاحش والمكوس والضرائب الثقيلة التي فرضوها على الضعفاء من الفلاحين والعامة، فزادوها فقراً وتعاسة، وحرّموا على العامة أن يشتغل الواحد منهم بغير الصناعة التي مارسها أبوه، وكان العامة من سكان المدن يدفعون الجزية كالفلاحين، ويشتغلون بالتجارة والحرف، وهم أحسن حالاً من الفلاحين الذين كانوا تابعين للأرض، ومجبرين على السخرة، ويجرّون إلى الحروب بغير أجر ولا إرادة. وكانت الجباة للضرائب لا يتحرزون من الخيانة واغتصاب الأموال في تقدير الضرائب وجبايتها، وكانت الضرائب تفرض بصورة اعتباطية وخاصة وقت الحروب.

## الحالة الدينية والفكرية

لم يعرف الفرس السماوية التي سبقت ظهور الإسلام إلا بنطاق محدود جداً، وكان أكثرهم على المجوسية، فمنذ القرن الثالث الميلادي

صارت الزرادشتية ديناً للدولة، وقد تدهورت أخلاق رجال الدين الزرادشتي فوصفوا بالارتداد والحرص والاشتغال بحطام الدنيا، وحاول كسرى الثاني تجديد الزرادشتية وإحياء معابد النيران ونشر تفسير جديد لكتابها الآفستا وكانت عقوبة من يخرج عليها الإعدام. وتقوم العقيدة الزرادشتية على الثنوية، أي وجود إلهين في الكون هما إله النور اهورا مزدا وإله الظلام (أهد يمن) وهما يتنازعان السيطرة على الكون، ويقف البشر الأخيار مع إله الخير ، والأشرار مع

إله الظلام، وتقدس الزرادشتية النار، وقد أقيمت معابد النيران في أرجاء الدولة، ويعرف رجال الدين الزرادشتيون بالموابذة وكل منهم يرأس مجموعة يسمون الهرابذة وهم الذين يخدمون نار المعبد في كل قرية.

**الحالة الاجتماعية والأخلاقية:**

كانت الحياة الاجتماعية في إيران تقوم على عمادين: النسب والملكية، فكان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمة، وكان لكل فرد مرتبته ومكانه المحدد في الجماعة ، وكان من قواعد السياسة الساسانية المحكمة ألا يطمع أحد في مرتبة أعلى من المرتبة التي يخولها له مولده. وتقوم الأسرة على أساس تعدد الزوجات، وشاع بينهم الزواج بين المحارم، وكان وضع المرأة يشبه وضع الرقيق حيث بإمكان الزوج أن يتنازل عنها لزوج آخر دون رضاها، كما شاعت عادة التبني للأولاد.

**التاريخ الإيراني القديم:**

حضارة عيلام هي واحدة من أول الحضارات في المنطقة، وينتمي شعبها إلى الشعوب الهندو-أوربية،. وتتواجد في محافظة ايلام وإقليم خوزستان استمرت الحضارة بين عامي ٧٠٠٠ قبل الميلاد و ٥٣٩ قبل الميلاد.

المانيون أحد الشعوب القديمة التي استوطنت الأراضي التي تعرف حالياً بأذربيجان الإيرانية في الفترة ما بين القرن العاشر قبل الميلاد والقرن السابع قبل الميلاد. و كانوا من الشعوب الهندو-أوربية.

حضارة جيرفت حضاة ما تزال مجهولة، تتواجد غالباً في

بلوشستان الديلم أحد الشعوب القديمة التي استوطنت الهضبة الإيرانية.

**جميع هذه الحضارات من أصول آرية:**

الميديون كانوا أحد الأقوام التي استوطنت إيران قديماً حيث عاشوا في الشمال الغربي لما يعرف الآن بإيران وكان موطنهم حسب الجغرافية الحالية تشمل كردستان وأذربيجان و منطقة كاردوخ واستناداً إلى كتابات هيرودوت فإن الميديين كانوا مؤلفين من ٦ قبائل رئيسية وهم الفيلية وباريتاك وستروخات وآريا وبودي وموغي وأطلق هيرودوت اسم الآريين على القبائل الميدية.

لا يعرف الكثير عن أصل الميديين واستناداً على العهد القديم من الكتاب المقدس فإنهم من سلالة يافث ابن نوح وأول ذكر لهم في المخطوطات اليونانية كان في عام ٨٣٦ قبل الميلاد عندما تم ذكر دفع الميديون الجزية للملك الآشوري شلمنصر الثالث وهناك نوع من الإجماع إن الميديين لم يكونوا من الفرس علماً أن لغتهم كانت متقاربة.

واستناداً إلى د.زيار في كتابه "إيران...ثورة في انتعاش" والذي طبع في نوفمبر ٢٠٠٠ في باكستان فإنه بحلول سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد هاجرت قبيلتان رئيسيتان من الآريين من نهر الفولغا شمال بحر قزوين وإستقرا في إيران وكانت القبيلتان هما الفارسيين و ميديون (الميديين) أسس الميديون الذين استقروا في الشمال الغربي مملكة ميديا. وعاشت الأخرى في الجنوب في منطقة أطلق عليها الإغريق فيما بعد اسم بارسيس ومنها اشتق اسم فارس. غير أن الميديين والفرس أطلقوا على بلادهم الجديدة اسم إيران التي تعني "أرض الآريين".

هناك إعتقاد راسخ لدى الأكراد أن ميديونالميديين هم أحد جذور الشعب الكردي و يبرز هذه القناعة في ما يعتبره الأكراد نشيدهم الوطني حيث يوجد في هذا النشيد إشارة واضحة إلى إن الأكراد هم "أبناء الميديين" واستناداً إلى المؤرخ الكردي محمد أمين زكي (١٨٨٠ - ١٩٤٨) في كتابه "خلاصة تاريخ الكرد وكردستان" فإن الميديين وإن لم يكونوا النواة الأساسية للشعب الكردي فإنهم انضموا إلى الأكراد و شكلوا حسب تعبيره "الأمة الكردية".

يستند التيار المقتنع بان جذور الأكراد هي جذور آرية على جذور الميديين حيث إن هناك إجماعاً على إن الميديين هم أقوام آرية. استناداً إلى كتابات هيرودوت فإن أصل الميديين يرجع إلى شخص اسمه دياكو الذي كان زعيم قبائل منطقة جبال زاكروس وفي منتصف القرن السابع قبل الميلاد حصل الميديون على استقلالهم وشكلو إمبراطورية ميديا وكان فرورتيش (٦٦٥ - ٦٣٣) قبل الميلاد أول إمبراطور و جاء بعده ابنه هووخشتره.

بحلول القرن السادس قبل الميلاد تمكنوا من إنشاء إمبراطورية ضخمة امتدت من ما يعرف الآن بأذربيجان إلى أسيا الوسطى وأفغانستان. اندمج الميديون مع الفرس ويعتبر الكثير من القوميات في يومنا هذا أنفسهم كامتداد للميديين كالأكراد واللر و الاصفهانيون و الأزرييون. اعتنق الميديون الديانة الزردشتية وتمكنوا في ٦١٢ قبل الميلاد من تدمير عاصمة الأشوريين في نينوى.

هذا الحدث أوقع خشية في قلوب البابليين الذين بادروا لعقد الصلح مع الميديين حيث قام الملك البابلي نبوخذ نصر بالزواج من ابنة امبراطور الميديين سياخاريس. استمر نفوذ الميديين في المنطقة إلى أن تمرد الملك الفارسي كورش على الميديين وحقق انتصاراً كبيراً عليهم سنة ٥٥٣ قبل الميلاد.

### الإمبراطورية الأخمينية في عام ٤٩٠ قبل الميلاد:

الأخمينيون أو الأخمينيديون (*Achaemenides*) هـم أسرة ملكيـة فارسية كونت لها إمبراطورية في فارس عـام ٥٥٩ ق.م. واسـتولت عـلي ليديا (غرب الأناضول)إيران والهلال الخصيب ومصر، التـي امتـدت في أوجها إلى جميع أرجاء الشرق الأدنى، من وادي السـند إلى ليبيـا، وشـمالاً حتى مقدونيا. وهكذا فقد تمكنوا من السيطرة على جميع الطـرق التجاريـة المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط عبر البر والبحر؛ وقام ملوك الأخمينيـين بإعادة بناء الطريق مـن مدينـة السـوس *Susa* في عربسـتان إلى سـارديز *Sardis*بالقرب من أفسس وسـميرنا. أشـهر ملوكهـا دارا أو داريـوش الأول الذي حاول غزو أثينا باليونان فهـزم. وأسـقط الإسـكندر الأكـبر هـذه الإمبراطوريـة عـام ٣٣١ ق.م. و مـن ملوكهـا قمبيـز وقـورش (سيروس). وتعتبر فـترة حكـم هـذه الإمبراطوريـة هـي فـترة الحضـارة الفارسي.

### التاريخ والحضارة:

استقرت قبائل الفـرس البدويـة في الجنـوب عنـد منطقـة سـموها "فارس" (معناها السائب والغازي) قرب شيراز اليوم. ولا تكـاد توجـد أي نقوش تتكلم عن الفرس قبل قوروش الأكبر (الثاني). تصفهم التوراة بأنهم "أناس برابرة جداً وسفاحون لا يرحمون أحداً". قـد قـام قـوروش باحتلال بابل وتحرير اليهـود والسـماح لهـم بـالرجوع إلي مـوطنهم. قـام قوروش باحتلال مملكة مديا أولاً، عن طريق تأليب المعارضين لها وإثارة

الفتن.وبعدما استولى عليها، قام بالهجوم على بابل.ثم توسع إلى بلاد الشام، وكذلك إلى غرب الأناضول إلى بحر إيجة. وتوسع شمالاً إلى جبال القوقاز. كما توسع شرقاً في آسيا الوسطى إلى أقصى ما

وصلت إليه الحضارة (يعتقد بوصوله إلى حدود قرقيزستان). وقام ابنه من بعده باحتلال مصر، ثم انشغل أحفاده بحروب ضد اليونان وشعوب البحر الأسود.

مات قورش عام ٥٣٠ ق.م. وتولي ابنه قمبيز الثاني الذي استولى علي مصر عام ٥٢٥ ق.م. وأصبحت إمبراطوريته تمتد من نهر السند حتي نهر النيل وفي أوروبا حتي مقدونيا التي كانت تعترف بالسيادة الفارسية. وبعد انتحاره عام ٥٣٣ ق.م. تولي ابنه داريوس (دارا) الأول (الأكبر) وأخمد الحروب وحكم الإمبراطورية الفارسية حكما مطلقاً باعتبار أنه يتمتع بالحق الإلهي وكانت البلدان التابعة له تتمتع بحكم ذاتي وكان الحكام بها أقوياء يتجسسون لحسابه. وأنشأت هذه الإمبراطورية الطرق المتفرعة والتي كانت توصل مدبنة سوس العاصمة بالخليج جنوبا وبالبحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه. وظل داريوس في حرب مع الإغريق حتي وفاته عام ٤٨٦ ق.م. وكان قد أخضع المدن الإغريقية في آسيا الصغرى.

وبعده تولي ابنه إجزركسيس الذي أخمد ثورة المصريين علي حكم الفرس. وأراد أن ينتقم من أثينا واليونانيين بعد تمرد الأيونيين أيام أبيه. فتواصلت مسيرة جيشه حتي بلغت الأكروبول علي مشارف أثينا.لكنه

انهزم أمام صمود الأثينيين عام ٤٩٧ ق.م. وأغرقوا الأسطول الفارسي في مياه ميكال. وفي القرن الرابع ق.م. ضعفت دولة الفرس . وكانت فريسة سهلة للإسكندر الأكبر ودارت بينه وبينها حروب استمرت منذ عام ٣٣٤ ق.م. وحتي ٣٣٠ ق.م..

## الآثار التاريخية للسلالة الأخمينية:

لقد تركت السلالة الأخمينية الكثير من الآثار التاريخية في أنحاء مختلفة من إيران و يمكن مشاهدة تقدم فن العمارة في فترة حكم هذه السلالة من خلال أثار مدينة برس بوليس التي تسمي باللغة الفارسية «تخت جمشيد» وهي تقع بالقرب من مدينة شيراز خالياً وهي تحتوي علي أثار لمدينه كاملة وتشمل القصر الملكي الأخميني ومعابد للديانة الفارسية القديمة ومعسكرات ومخازن للمياه والكثير من الآثار التاريخية وهناك أثار تاريخيه تعود لهذه الحقبة الزمنية يمكن مشاهدتها في مدن إيرانية كثيرة مثل مدينه الري، همدان، كرمانشاه، ملاير، كنكاور، دماوند وغيرها من المدن الإيرانية ويعتقد الكثير بأن اقتراب الملك الفارسي قوروش من الطائفة اليهودية الأسيرة في بابل وتحريرهم من الأسر يعود للنظرة الدينية التي كان يتمتع بها قوروش ولقد جاء ذكر قوروش في التوراة كثيراً وذلك مدحاً به والبعض يعتقد بأن ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم هو قورش أي مؤسس السلالة الأخمينية. قد سمح قورش وأبنائه بدخول بعض أنبياء اليهود إلي داخل الإمبراطورية الفارسية والتبليغ لعبادة الإله الواحد الأحد وهذا هو سبب تواجد قبور بعض هؤلاء الأنبياء مثل دانيال النبي في مدينة شوش في خوزستان والنبي قيدار في مدينه زنجان .

## السلوقيون (٣١٢ ق.م.، ٦٤ ق.م.):

هي سلالة هلنستية ترجع تسميتها إلى مؤسس الأسرة الحاكمة للدولة السلوقية، سلوقس الأول نياكتور أحد قادة جيش الإسكندر الأكبر، شكلت هذه الدولة إحدى دول القادة الخلفاء(*Diadochi*)، التي نشأت بعد موت الإسكندر المقدوني، وخلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد حكمت منطقة

غرب آسيا، وامتدت من سوريا وتراقيا غرباً وحتى الهند شرقاً. كان للسلوقيين الدور الكبير في تفاعل الحضارتين الإغريقية والشرقية. كثيراً ما يرد ذكر السلوقيين لدى المؤرخين الغربيين كأعداء لروما، خلال ما عرف بالحروب الرومية السورية *(Roman-Syrian War)* في الفترة ما بين (١٩٢ – ١٨٨ ق.م.) بقيادة أنطيوخوس الثالث الكبير (*Antiochus III the Great*

غنم الإسكندر المقدوني أراضي الإمبراطورية الأخمينية وكانت حصّة السلوقيين الجزء الأكبر منها، فيما عدا مصر التي نالها البطالمة، **وهكذا كانت حدود الدولة:**

- ✓ **شرقاً**: دولة ماوريا في الهند.
- ✓ **غرباً**: الدولة المقدونية في اليونان.
- ✓ **شمالاً**: المملكة البكترية الإغريقية (*Greco–Bactrian Kingdom*).

- ✓ **جنوباً**: شبه الجزيرة العربية، ومصر البطلمية شاملة بذلك كلاً من أسيا الصغرى والهلال الخصيب وفارس.

كانت عاصمة الدولة السلوقية مدينة سلوقية على نهر دجلة في العراق لكن تم نقل عاصمتهم في ما بعد إلى مدينة أنطاكية في سوريا التي أسسوها. ومع هذا الامتداد الهائل إلا أنه يمكن اعتبار منطقة شمال غرب الهلال الخصيب هي المنطقة النواة للإمبرطورية السلوقية، وذلك من خلال المدن الأربعة تيرابوليس (*Tetrapolis*) **التي أزدهرت في هذه المرحلة وهي**:

- ✓ سلوقية.
- ✓ أنطاكية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.
- ✓ اللاذقية في سورية.
- ✓ أفاميا في سورية .

## تاريخ

كان سلوقس الأول نياكتور أحد القادة الخلفاء (*Diadochi*)الذين اجتمعوا بعد موت الإسكندر المقدوني في اتفاقية تريباراديسوس (*Triparadisus*)عند العاصي في سورية عام ٣٢١ ق.م. لتقاسم الإمبرطورية، وكان أن نال سلوقس الأول ولاية بابل، لكنه ما لبث أن هرب إلى بطليموس الأول إثر الهجوم الذي شنه القائد أنتيغونوس الأول مونوفثالموس (*Antigonus I Monophthalmus*) في العام (٣١٦ ق.م) على شرق الهلال الخصيب، لكنه عاد في العام ٣١٢ ق.م. وأعلن

بداية الحكم السلوقي رسمياً، وتبع ذلك في العام ٣٠٥ ق.م. بتلقيب نفسه ملكا إسوة بباقي القادة الخلفاء، وجعل من سلوقية دجلة عاصمة لحكمه، وتابع سلسلة من المعارك في شرق الإمبرطورية، وكان أن تخلى بعد صلح عن مناطق قريبة من الهند لصالح دولة ماوريا.

شكل أنتيغونوس الأول مونوفثالموس خطراً على بقية القادة الخلفاء بمطالبته لنفسه بخلافة الإسكندر الأكبر، وما كان من سلوقوس الأول إلا أن تحالف مع القائد ليسيماخوس (*Lysimachus*) وهزماه في معركة إبسوس (*Ipsus*) بالعام (٣٠١ ق.م) في فريجيا، وبذلك ضم غرب الهلال الخصيب وطور أنطاكية لتصبح عاصمة ثانية لحكمه، إلا أن ليسيماخوس (*Lysimachus*)الذي سيطر على مقدونيا أصبح مصدر خطر على سلوقس الأول، مما أدى إلى

وقوع معركة بينهما معركة كوروبيديوم (*Corupedium*) في (مانيسا حالياً) بالعام ٢٨١ ق.م. انتصر فيها سلوقس الأول ووضع تحت قيادته الجزء الأكبر من إمبراطورية الإسكندر الأكبر، وفي أثناء تقدمه في مقدونيا اغتاله بطليموس كيراونوس (*Ptolemaios Keraunos*) أحد المطالبين بالعرش المقدوني في نفس العام ٢٨١ ق.م.

## حروب و معارك:

لم يعترف السلوقيون بسيادة البطالمة على القسم الجنوبي الغربي من الهلال الخصيب، المسمى / *Coele-Syria*) كل سورية) وخاضوا ضدهم سلسلة من الحروب عرفت باسم الحروب السورية (٢٧٨ - ١٦٨ ق.م) لم يستطيعوا في الأربعة الأولى منها تثبيت سيادتهم العسكرية

كما حاربت الدويلات الهلنستية بعضها في الأناضول، وحارب السلوقيون مجموعات البدو البارثيين الذين نزلوا منطقة جنوب بحر قزوين وشكلوا ماعرف بدولة الأشكانيان أو الأرشيكون.

ودام أمر الحروب بعد تولي أنطيوخس الأول سوتر (٢٨١- ٢٦١ ق.م)(*Antiochus I Soter*) ابن سلوقس الأول، حيث تحالف مع ماجاس القوريني (*Magas of Cyrene*) ضد بطليموس الثاني في الحرب السورية الأولى وحقق نجاحاً محدوداً ، وبعد ان قتل في إحدى المعارك ضد الكلت، وتولى بعده ابنه أنطيوخس الثاني ثيوس (*Antiochus II Theos*)حكم( ٢٦١- ٢٤٦ ق.م) الذي حصل في الحرب السورية الثانية على أجزاء من ايونيا (*Ionia*)، ثم تولى سلوقس الثاني كالينيكوس (*Seleucus II Callinicus*)حكم (٢٤٦- ٢٢٦ ق.م) والذي حصلت الحرب السورية الثالثة في عهده.

مع أعتلاء أنطيوخس الثالث الكبير الحكم في (٢٢٣- ١٨٧ ق.م) وهو الأخ الأصغر لسلوقس الثالث كيرانو (*Seleucus III Ceraunus*)، عادت الدولة السلوقية لتستعيد قوتها وتبسط سيطرتها على اجزاء واسعة ، فقد أعادت السيطرة على أجزاء من الأنضول وصولاً إلى أرمينيا، و أجزاء من (كل سورية) في الحرب السورية الرابعة في معركة رفح في العام ( ٢١٧ ق.م) الذي واجه بها بطليموس الرابع، إلا أنه استطاع في العام (٢٠٠ ق.م) السيطرة التامة على منطقة جنوب غرب الهلال الخصيب في معركة بانياس الحولة في الجولان جنوب غرب سوريا

كما و عمت سيطرت الدولة السلوقية بـدأ مـن العـام (١٩٦ ق.م) على كل آسيا الصغرى بما في ذلك المناطق الساحلية ، وامتد نفـوذ الدولـة حتة تراقيا، مما أدى إلى المواجهه مع الرومان الذين دخلوا المنطقة اليونانيـة في نفس الفترة بـها عـرف باسـم الحـروب الروميـة السـورية-*Roman)* *Syrian War)* في القـترة مـا بـين( ١٩٢ - ١٨٨ ق.م) والتـي انتهـت بخسارة السلوقيين في معركة ماغنسيا(*Magnesia*) في العام (١٩٠ ق.م) واضطر الدولة السلوقية إلى توقيع معاهـدة صـلح أفاميـا (في فريجيـا) في سوريا عـام (١٨٨ ق.م) مـع الجمهوريـة الروميـة، تراجعـت بموجبهـا الدولة السلوقية حتى كيليكيا.

بعد موت أنطيوخس الثالث (١٨٧ ق.م) اسـتقلت الأقـاليم التـي ضمت للدولة في عهده واقتصرت حدود الدولـة السـلوقية عـلى الهـلال الخصيب وغرب أيران، و بدأت الإمبراطورية الرومانية بفرض سطوتها، وكذلك الإمبراطورية الفارسية، وعـادة الأوضـاع لتتحسـن مـع اعـتلاء أنطيخوس الرابع أبيفانوس العـرش (١٥٧-١٦٤ ق.م) حيـث حـدثت الحرب السورية السادسة (١٧٠ ق.م) واحتـل السـلوقين مصرـ وهـزم البطالمة وتمت سيطرت الدولة السلوقية على

الجزء الأكبر من مصر السفلى، وامتد حكم الدولة السلوقية في مناطق واسعة من مصر، وفي يوم إلفسينا عام (١٦٨ ق.م) ارسل مبعوث الإمبراطورية الرومانية وتم ألأتفاق بين السلوقيين والرومان وتخلى السلوقيين بموجبها عن الجزء الجنوبي، وفي طريق عودته قام بتدمير معبد أورشليم (القدس) في العام (١٦٧ ق.م) لمعاقبة اليهود الذين تحالفوا مع البطالمة ضد الدولة، وعلى أثر ذلك حدثت الثورة الحشمونية (المكابية اليهودية) في جنوب غرب الهلال الخصيب (فلسطين) (١٦٥ ق.م)، كذلك أعاد أنطيخوس الرابع ضم أرمينا للدولة السلوقية، ومات في إحدى المعارك على الجبهة الشرقية.

بين عامي ١٦٢ و ١٥٠ ق.م اعتلا عرش الملكلة السلوقية ديمتريوس الأول سوتر (*Demetrius I Soter*) ابن سلوقس الرابع الذي عاد من أسره في روما، وأعاد شرق الهلال الخصيب من يد السيطرة الفارسية، وكانت هذه الفترة بداية المواعات على الحكم والقلاقل الداخلية في المملكة، و مع العام (١٤٢ ق.م) تسنى لديودوتوس (*Diodotus Tryphon*) الملك ،الأمر الذي أدى إلى ثورات في العديد من المدن واستقلال أو حكم ذاتي لكل من صور وصيدا وطرطوس وطرابلس وعسقلان واللاذقية وأورشليم وبيروت ومحولة منه لتهدئة الأوضاع الداخلية قام بإعفاء مقاطعة يهوذا من الضرائب ومنحها نوع من الحكم الذاتي، كما ازداد نفوذ الأنباط في جنوب غرب الهلال الخصيب وتلقب زعماؤهم بالملوك (منذ أواسط القرن الثاني) ،

ونافسوا دولة يهوذا، وبقيت حال الفوضى وفقدت المملكة جزأها الشرقي للفرس مرة أخرى، إلى أن تولى الحكم أنطيخوس السابع الصيديوني (*Antiochus VII Sidetes*) حكم (١٣٨ – ١٢٩ ق.م) حيث أعاد سيطرة الدولة على كامل الهلال الخصيب.

## نهاية الدولة:

بعد حكم أنطيخوس السابع خضعت الدولة السلوقية لنفوذ وتدخل المملالك المجوارة ، وبدأ من العام (١٢٥ ق.م) تواجد أكثر من ملك في نفس الوقت للدولة، فكان البطالمة يتحالفون مع المطالبين بالعرش في سبيل إضعاف الملوك الموجدين على العرش ،وزادت الصرعات الداخلية في المملكة وفي البيت الملكي بين الأخوة وأبناء العمومة، وبقي الحال على ذلك حتى العام (٨٣ ق.م ) حيث أستغل ملك أرمينيا تيگران (*Tigranes the Great*) حكم (٨٣– ٦٩ ق.م) هذه الفوضى وقام بمهاجمة السلوقيين والسيطرة علة جزء من مملكتهم في سوريا، ولكنه مالبث أن هزم في مواجهته مع الرومان في العام (٦٩ ق.م) ، وعاد الملك السلوقي تحت حكم الملك أنطيخوس الثالث عشر (*Antiochus XIII Asiaticus*)حكم (٦٩– ٦٤ ق.م) ولكنه تابع للقيادة الرومية، وكان أن نافسه ابنه فيبيب الثاني (٦٥– ٦٣ ق.م)، إلا أن القائد الروماني بومبي أنهى الحكم السلوقي في العام (٦٣ ق.م) وجعل من سوريا مركز الامبراطورية الرومانية الشرقية وهو ماعرف بالولاية الرومانية السورية.

**الأشكانيون أو الأشقانيون أو الأرشكيون (بالفارسية الوسطى):**

هم السلالة المؤسسة للإمبراطورية البارثية التي حاربت السلوقيين ثم الرومان وبقى سلطانها خمساً وسبعين وأربعمائة سنة (٢٤٩ ق م- ٢٢٦ م)، ويسمى أول ملوكها أرشك و ينسب، كدأب الفرس في وصل الأسر الحديثة بالقديمة، إلى كيقباد أو كيكاوس.

تختلف الروايات في عدد ملوكهم ومدّة حكمهم بين أحد عشر وعشرين ملكاً، و بين ٢٦٦ و٥٢٣ سنة. و قد ذكر البيروني روايات مختلفة في عددهم و سنيهم ثم انتهى به التحقيق إلى أن أصح الروايات ما في كتاب الشابورقان أن ما بين الاسكندر إلى أردشير ٥٣٧ سنة.

**وذلك قريب جدا من الحقيقة. وقد بين العلامة المسعودى سبب هذا الاختلاف في مدة دولة الأشكانيين فيما يأتى:**

وبين الفرس وغيرهم من الأمم في تاريخ الاسكندر تفاوت عظيم. وقد أغفل ذلك كثير من الناس. وهو سرّ ديانى وملوكى من أسرار الفرس لا يكاد يعرفه إلا الموابذة والهرابذة وغيرهم من ذوى التحصيل منهم والدراية، على ما شاهدناه بأرض فارس وكرمان و غيرهما من أرض الأعاجم.

ويقول مؤرّخو العرب والفرس أن الأشكانيين كانوا أعظم ملوك الطوائف الذين نبغوا في بلاد الفرس بعد الاسكندر، وأن هؤلاء كانوا يقرون بزعامتهم، وأن ملوك الطوائف كانوا زهاء تسعين.

وفي كارنامك أردشير بابكان أنهم كانوا أربعين ومائتين. وكانت إيران إذ ذاك قسمين: أحدهما خاضع للأشكانيين بغير واسطة. وفيه أربع عشرة ولاية. والثانى في سلطان ملوك يقرون بزعامة الأشكانيين. وبعضهم يسيطر على ملوك أصغر منه أيضاً.

والأشكانيون كانوا تورانيين، وكانوا يتأثرون الحضارة اليونانية. وكأنه من أجل هذا لم تعن بهم القصص الفارسية عنايتها بالأسر الفارسية. بل سلبتهم

بعض وقائعهم و أسمائهم لتحلى بها وقائع البيشداديين و الكيانيين فقارن وكوذرز كيو و بيجن ليسوا إلا من أمراء الأشكانيين.ويقول الفردوسى بعد ذكر ملوكهم: "كان قصيرا أصلهم وفرعهم فلم يحدّث أهل التجارب بتاريخهم".

يرجع تسمية الساسانيين إلى الكاهن الزرادشتي ساسان الذي كان جد أول ملوك الساسانيين أردشير الأول وهم أسلاف الأكراد.

**الإمبراطورية الساسانية الاسمُ استعملَ للإمبراطورية الميدية الثانية (٢٣٦ – ٦٥١):**

السلالة الساسانية أُسّستْ مِن قِبل الملك أردشير الأول بعد هَزيمة ملكِ ألبارثيين / ألفرثيين الاشكانيين الأخير أرتبانوس الرابع، وإنتهتْ عندما حاول ملك الدولة الساسانية الأخير يزدجرد الثالث (٦٣٢ – ٦٥١) مكافحة الخلافة الإسلامية المبكرة أوّل الإمبراطوريات الإسلامية لمدة ١٤ سنة.

أرض الإمبراطوريةَ الساسانية أحاطتْ كل إيـران اليـوم، العـراق، وأجزاء من أرمينيا وأفغانستان، والأجزاء الشرقية من تركيا، وأجزاء مـن باكسـتان. سـمى الساسـانيون إمبراطـوريتهم (إيـران شـهر) أي سـيادة الإيرانيين الآريون. جـاء في أطلـس تـاريخ الإسـلام (ص٤٩): "هنـاك مبالغة في نصوص تصوير اتسـاع دولـة فـارس في العصرـ الإيـراني، لأن فارس لم تكن قط في أي عصـر من عصور تاريخها قبل الإسلام دولة ثابتة الحدود. إنما كانت حـدودها تتسـع أحيانـاً في عصـور الملـوك الأقويـاء، وتنقبض في عصور الضعفاء وهم الأكثرون".

العصر الساساني يحيط طول فترة العصر القـديمِ المتـأخّرةِ، ويعتـبر أحد أهم العوامل المؤثرة في تاريخ إيران القديم، شهدت الفترة الساسانية الإنجاز الأعلى للحضارة الفارسية، وشكّلتْ هـذه الفـترة الإمبراطوريـةَ الإيرانيةَ العظيمةَ الأخيرةَ قبل الغزو الإسلاميِ وتبني الإسلامِ.

أَثرت بلاد فارس على الحضارة الرومانية إلى حدٍّ كبير أثنـاء العهـد الساساني، تأثيرهم الثقافي يَمتدُّ أبعد كثيراً إلى ماوراء حدودِ الإمبراطوريةَ الإقليميةَ، يَصِلُ بقدر مـا إلى أوروبـا الغربيـة، أفريقيـا، الصـين، والهنـد، وأيضاً لعب دوراً بارزاً في تشكيلِ أنواع من الفنـون في القـرون الوسـطى الأوروبية والآسيوية.

دخل هذا التأثيرِ إلى العالم الإسلاميِ مبكراً، حوّلتْ ثقافـة السـلالةَ الفريدةَ و الأرستقراطية الغزو الإسلاميَ لإيران إلى عصـر نهضةٍ فـارسي الأصول والتاريخ المبكّر (٢٠٥-٣١٠).

الملـــك أردشـــير الأول (٢٢٦ -٢٤١) هـــو مؤســـس الســـلالة الساسانية،وهو سليل صفّ كهنةِ الإلهة في أنيهتا في إصطخر، بيرسيس في بِداية القرن الثالث كانت تحت حكم بيرسيس بابك بن ساسان أب الملـك أردشير الأول،ومن الواضح أن بابك بن ساسان كان أصـلاً حـاكم بلـدة صغيرة تسـمى كيـر ولكـن قـام بابـك بخلـع جوسـيهر الملـك الأخـير للبازرنجيدزوقام بابك بن ساسان بتعيين نفسه كحـاكمِ جديـد لهـا. أمـه رودهاج كانت بنت حاكمِ إقليم بيريس، المؤسـس الرمـزي للخَـطِّ كَـانَ ساسان بن بابك الكـاهن الأعظـم لأنيهتـا وجـد الملـك أردشـير الأول، جُهود بابك بن ساسان في كَسْب القوَّةِ المحليّةِ في ذلك الوقـت لم تلفـت إنتباهِ الإمبراطور البارثي أرتبانوس الرابع (٢١٦ -٢٢٤) في البداية لأنـه كان

مشغولاً في صراع مع الإمبراطور البارثي فولجاسيس الرابع في بلاد ما بين النهرينِ.

زاد الصراع بين بابك بن ساسان والبـارثيين واسـتطاع ابـن بابـك الأكبر سناً شابور تَوسيع قوَّتِهم بالسيطرة على كل بيرسيس. إنّ الأحداثَ اللاحقةَ مريبة جداً بسبب الطبيعةِ السطحيةِ للمصادرِ وهي على أية حـال مُتَأَكِّدة موتِ بابك بن ساسان بعد ذلك حوالي سنة ٢٢٠م، الملك أردشير الأول مؤسـس الدولـة الساسـانية الـذي كـان في ذلـك الوقـت حـاكمَ بارابجيرد دخل في صراع على سلطة ملكِهِ مَع أخيه الأكبرِ شابور، المصادر

تُخبرُنا أن الأخ الأكبر شابور اجتمع مع أخيه في سنة ٢٢٢ وقُتِلَ عندما أنهار سقف بناية عليه.

بعد ذلك تحرّكَ الملك أردشير إلى جنوب بيرسيس وبنى مدينة أردشير خوارَّاه، وكانت هذه المدينة محمية جيداً بواسطة الجبالِ العاليةِ والحصينةِ. أصبحَت هذه المدينة مركزَ كفاح الملك أردشير لبناء إمبراطوريته لكَسْب قوَّةٍ أكثرِ، المدينة أُحيطتْ بحائط دائري عالٍ، ربما شابهت بذلك مدينة بارابجيرد التي كان يحكمها الملك أردشير، وعلى جانبِ الشمالَ من المدينة تم بناء قصر كبير، بقايا المدينة لازالت موجودة.

بعد أن قام الملك أردشير الأول بتَأسيس قاعدتِه في بيرسيس، توسعت أراضي إمبراطوريته بسرعة، أصبح الملك أردشير يطلب القسم من أمراء فارس المحليين وأصبح يَكْسبُ السيطرةً على المحافظاتِ المجاورةِ لكرمان، أصفهان، سوسينيا، ميسينيا. هذا التوسع السريع لإمبراطورية الملك أردشير بدأ أخيراً

يلفت انتباهِ الملك أرتبانوس الرّابع بأن أردشير أصبح ملكاً عظيماً. الملك أرتبانوس الرّابع أَمرَ حاكمَ خوزستان أولاً للإنقلاب ضدّ الملك أردشير في ٢٢٤م، لكن هذا الانقلاب إنتهى إلى نصر رئيسي للملك أردشير نفسه، وزَحفَ الملك أرتبانوس الرابع ثانية ضدّ الملك أردشير الأول في ٢٢٤ م.

جيوش الملكين أرتبانوس وأردشير إشتبكتْ في هرمزديجان، وقُتِلَ الملك أرتبانوس الرابع، واستمر الملك أردشير في الغَزْو للمحافظاتِ الغربيةِ الفارسيةِ للإمبراطورية الإخمينية. تُوّجَ الملك أردشير الأول في سنة ٢٢٦ م في تسيفون كحاكم وحيد لبلاد فارس، وأخذ لنفسه لقب (شاهنشاه) أَو (ملك الملوكِ)، وتَذْكرُ النقوشَ القديمة أن لقب (أدهور أناهيد) لقب للملكة معناه (ملكة الملكاتِ)، لكن علاقة الملكة مَع الملك أردشير الأول لم تكن أساسية، وبذلك انتهت الإمبراطورية الأخمينية الفارسية التي استمرت لـ ٤٠٠ سنة وبدأت الإمبراطورية الساسانية الفارسية التي استمرت لأربعة قرون.

على مدى السَنَوات القليلة القادمة للإمبراطورية، بعد التمرّداتِ المحليّةِ حول الإمبراطوريةِ، استطاع الملك أردشير الأول تَوسيع إمبراطوريتِه الجديدةِ أبعد إلى الشرقِ والمنطقة الشمالية الغربيةِ، واستطاع أن يفتح محافظاتَ جرجان، سيستان، خراسان، مرجيانا، بلخ، خوارزم. وأضافَ البحرين أيضاً والموصل إلى الإمبراطورية الساسانية.

تدعي النقوش الساسانية القديمة أنه بعد ذلك تم إستسلام ملوكِ كوشان، توران، مكران للملك أردشير الأول بالرغم من أن هذا الإذعان حصل بالأدلة النقدية على الأرجح لابنِ الملك أردشير وهو الملك شابور الأول في الحقيقة، ولكن قامت الإمبراطورية الساسانية بإعتداءات ضدّ مدينة الحضر، أرمينيا، والأديابيين لمحاولة السيطرة عليها ولكن كان النجاح لهذه الاعتداءات والحملات قليلاً .

استمر الملك شابور الأول (٢٤١-٢٧٢) ابن الملك المؤسس أردشير الأول بالتوسّعِ للإمبراطورية الساسانية، واستطاع أن يَفْتحُ باكتريا، كوشان، وقاد الملك شابور الأول عِدّة حملات ضدّ الإمبراطورية الرومانية بالدخول في العُمق الثاقب للأرضِ الرومانية ، الملك شابور الأول فتح وسلب أنتوتشيا في سوريا في سنة ٢٥٣ م أَو ٢٥٦ م.

وفي نهاية الأمر استطاع الملك شابور الأول هزيمة الأباطرةَ الرومانَ جورديان الثّالث (٢٣٨ -٢٤٤)، وفيليب العربي (٢٤٤ - ٢٤٩)، واستطاع هزيمة وأسر الإمبراطور الروماني فاليريون (٢٥٣- ٢٦٠) في سنة ٢٥٩ م ووضعه في السجنِ الفارسيِ بعد معركةِ إيديسا التي أصابت الرومان بخزي كبير.

الملك شابور الأول إحتفل بنصرِه وقام بنحت الصخرةِ الرائعةِ في نقش رستم ويظهر فيها الأباطرة الرومان جورديان الثالث وفيليب العربي وفاليريون، ويظهر النحت فاليريون يركع على ركبة واحدة أمام الملك شابور وتحت حصان

الملك شابور جسد الملك جورديان الثالث، ووقد وضع هذا النحت والنقش تذكاري باللغتين الفارسية واليونانية مع نقش رستم بالقربِ من بيرسيبوليس.

بين عامي ٢٦٠ م و ٢٦٣ م فَقَدَ الملك شابور الأول بعض الأراضي التي احتلها فقد استولى عليها الملك أوديناثوس حاكم مملكة تدمر العربية الحليف للرومان ، واستطاع ملك تدمر استعادة الشرق الروماني الذي احتله الفرس الساسانيين وإعادته للإمبراطورية الرومانية

كانَ عند الملك شابور الأول خططُ تنمية مركّزةُ وأَسّسَ العديد مِنْ المُـدنِ، الـبعض منهـا إسـتقرّ جزئيـاً مِـن قِبَـلِ المهـاجرين مِـنْ الأراضي الرومانيةِ، هؤلاء المهاجرين ومن ضمنهم المسيحيين استطاعوا أن يمارسوا إيمانَهم بحرية تحت حُكُمِ الساسانيين. مدينتان: بيشابور ونيشابور، سـميتا على اسمه. الملك شابور فضّل الديانة المانوية خصوصـاً. وحَمـى المـانويين وأرسلَ الكثيرَ من المانويين مبشّرين في الخارج.

وقد صدرت عملة معدنية تحمل صورة الإمبراطور الساساني هرمز الأول في أفغانستان ، ويتضح فيهـا تـأثير التصـميم ( الكوشـاني )الملـك شابور الأول صادق أيضاً الحبر البابلي اليهودي صموئيل وهذه الصـداقةِ كَانتْ مفيـدةَ للجاليـة اليهوديـةِ وأعطـتْهم المجـال لتأجيـل العديـد مِـنْ القوانينِ الإدارِية المُشَـرَّعةِ المستبدّةِ ضدّهم. انعكس على ذلـك أن الملـوك الساسانيين الذي جاؤوا بعد الملك شـابور الأول كـان عنـدهم التسـامح الديني الملك بهرام الأول (٢٧٣-٢٧٦) اضطهد ماني وأتباعه تحت ضغط من الزرادشتيين المجوس فقام الملك بهرام الأول

بسجن مـاني وطَلَـب قَتلـه ، مـاني مـاتَ - طبقـاً للأسـطورةِ - في السجنِ وهو يَنتظرُ إعدامَه.

الملك بهرام الثاني (٢٧٦-٢٩٣) اتبع سياسةَ أبيه الدينيةِ، وقد كَـانَ حاكماً ضعيفاً وفَقَـدَ عِـدّة محافظـات غربيـة واسـتولى عليهـا الإمبراطـورِ الرومانيِ كاريوس (٢٨٢-٢٨٣) وأثناء حكمِه خسر أغلب أرمينيـا بعـد نِصْفِ قرن مِنْ الحُكُمِ الفارسيِ لها ، واستولى عليها الإمبراطـور الرومـاني دياقلوس (٢٨٤-٣٠٥).

الملك الساساني بهرام الثالث حَكَمَ في سنة ٢٩٣ م وتوفي في نفس السنة وحكم بعده الملك الساساني نيرسيه (٢٩٣-٣٠٢) وبَدأَ حرباً أخرى مَع الرومان، وبعد نجاحٍ مبكّرٍ ضدّ الإمبراطورِ جاليريوس قُرْب كالينيكوم على الفرات في ٢٩٦م، الملك نيرسيه هُزِمَ بشكل حاسم في كمينٍ بينما كَانَ وهو مع حريمِه في أرمينيا في ٢٩٧م.

في المعاهدةِ التي جاءت نتيجة هذه الحربِ، تَركَ الساسانيون كُلّ الأراضي غرب دجلة ووافقتْ الإمبراطورية الساسانية ألا تَتدخّلَ في شؤونِ أرمينيا وجورجيا. بعد هذه الهزيمة الساحقةِ، الملك الساساني نيرسي استقالَ في سنة ٣٠١ م، وماتَ من الحزنِ بَعْدَ سَنَة.

ابن الملك نيرسي الملك هرمز الثاني (٣٠٢-٣٠٩) اعتلى العرش، وبالرغم من قمع الثورات في سيستان وكوشان، إلا أن هرمز الثّاني كَان حاكماً ضعيفاً آخر وغير قادر على السَيْطَرَة على النبلاء في الإمبراطورية وقد قتله البدو بينما هو في رحلة صيد في سنة ٣٠٩ م.

## العصر الذهبي (٣٠٩-٣٧٩):

بعد موت الملك الساساني هرمز الثاني تعرضت الإمبراطورية الساسانية للهجمات الجنوبية من العرب فبدؤوا االهجوم على المدن الجنوبية وسلبها وتدميرها، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك وبدؤوا بالهجوم على محافظة فارس مسقط رأس الملوك الساسانيين وذلك بسبب قيام النبلاء في الدولة بقتل ابن الملك هرمز الثاني، وأعموا ابنه الثاني، وسجنوا ابنه الثالث الذي فر لاحقاً إلى الأراضي الرومانية، وحجز النبلاء عرش

الدولة الساسانية للابن الذي لم يولد بعد من زوجات الملك هرمز الثاني، ويقال أن الملك شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩) هو الملك الوحيد في التاريخ الذي تم تتويجه وهو في رحم أمه، وقد تم وضع تاج الملك على بطن أمه، الطفل شابور وُلِدَ ملكاً، وأثناء شبابه كانت الإمبراطورية الساسانية تحت سيطرة أمه والنبلاء في الدولة، فانتشر بين العرب والرومان والأتراك أن ملك الفرس صغير فطمعوا في المملكة الساسانية، ولكن شابور الثاني أثبت نشاطه وفعاليته في الحكم عند بلوغه سن الرشد .

شابور الثّاني في بداية قيادته كان صغيراً ولكنه قاد جيشه جنوباً ضدّ العرب واستطاع تأمين المناطقَ الجنوبيةَ مِنْ الإمبراطوريةِ، ثـمّ بَدأَ حملتَه الأولى ضدّ الرومان في الغربِ، وحصد نجاحاً مبكّراً بعد حصارِ سنجاره، على أية حال فتوحاته أوقفتها الهجماتِ الأتراك البدائيين على طول الحدودِ الشرقيةِ للإمبراطورية الساسانية وهدّدتْ هذه الهجماتِ ترانسوكسيانا وهي منطقة حرجة بشكل إستراتيجي يكون فيها سيطرةِ الفرس على طريق الحرير، بالإضافة

إلى أن قوات الملك شابور الثاني العسكرية ما كَانتْ كافيةَ للسيطرة على الأراضي الغربية التي احتلها، فاضطر إلى توقيع معاهدة سلام مع الإمبراطور البيزنطي كوستنتيوس الثاني (٣٥٣-٣٦١) والتي فيها وافقَ كلا الجانبينَ أَلا يُهاجمَ أراضي بعضهم البعضِ لفترة زمنية محددة.

الملـك شـابور الثّـاني بعـد ذلـك زَحـفَ بجيوشـه شرقـاً نحـو ترانسوكسيانا لمُقَابَلَة الأتراك الشرقيين البدائيين وسَحقَ القبائلَ الآسـيويةَ المركزيةَ ، وضَمَّ منطقتهم كمحافظة جديدة في إمبراطوريته.

تبع التوسّعُ الثقافيُ هذا النصرِ، وإخـترقَ الفـن الفـارسي تركسـتان ووصل إلى حد ما إلى الصين، الملك شابور الثّاني بـدأ مـع الملـك البـدائي جرمباتيس حملتَه الثانيةَ ضدّ الرومان في ٣٥٩ م، وفي هـذا الوقـتِ بقوتـه العسكريةِ الكاملةِ ودعمِه من القبائل التركية البدائية كانـت الحملـة ضـد الرومان ناجحة بشكل كبير، ما مجموعه خمس محافظـاتِ رومانيـةِ تركهـا الرومان للفُرْس بعد اكتمال حملتهم ضدهم.

اتبع الملك شابور الثّاني سياسـة دينيـة قاسـية وفي عهـدِه اكتملـت مجموعة النصوص المقدّسة للزرادشتية المسماة أفيستا، وتمت معاقبة المبتدع والمرتـد عـن الـدين الزرادشـتي وتـم اضـطهاد المسـيحيين، واضـطهاد المسيحيين كان ردّ فعل ضدّ المسيحية التي اعتنقتها الإمبراطورية الرومانيةِ مِن قِبل قسطنطين الكبير (٣٢٤-٣٣٧)، ولكن الملك شابور الثّـاني كـان مثل الملك شابور الأول، كَانَ وِدِّياً نحـو اليهـود الـذين عاشـوا في حريـة نسبية في عهده، وكَسبَ اليهود العديد مِنْ الفوائدِ في عهـد الملـك شـابور الثاني.

في الوقـت الـذي مـات فيـه الملـك شـابور الثـاني، الإمبراطوريـة الساسانية الفارسية كَانتْ أقوى أكثر من أي وقت مضـى، فمـع أعـدائها في الشـرقِ كانت الأوضاع هادئة، وأرمينيا كانت تحت السيطرةِ الفارسية

**العصر المتوسط (٣٧٩-٤٨٩):**

من موت الملك شابور الثاني حتى تتويج الملك الساساني قباذ الثاني (٤٨٨-٥٣١) بلاد فارس كَانتْ مستقرّةَ بشكل كبير، كانت هناك بعـض الحروب بينها وبين الإمبراطورية البيزنطية، في كافة أنحـاء هـذا العصـرِ اختلفت سياسةِ الإمبراطورية الساسانية الدينية بشكل مثير مِـنْ ملـكِ إلى ملكٍ آخر، ولكن على الرغم مِنْ وجود سلسلة من الزعماءِ الضعفاءِ إلا أن النظام الإداري للإمبراطورية الذي تم تأسيسه في عهد الملك شابور الثاني بَقى قوياً، والإمبراطورية واصلتْ الإشتِغال عملياً.

ترك الملك شابور الثاني بعد موته في سنة ٣٧٩ م إمبراطوريـة قويَّـة لأخيه غير الشّقيقِ الملـك أردشـير الثـاني (٣٧٩-٣٨٣) ابـن فهـرام مـن كوشان، ولكن ابنه الملك شابور الثالث (٣٨٣-٣٨٨) لم يكـن ذا موهبـةٍ مثل أسلافه، الملك أردشير الثاني الـذي تـولى العـرش بصـفته الأخ غـير الشقيق أخفقَ في الوصول لمرتبة أخيه في الحكـم، والملـك شـابور الثالـث سوداوياً في حكمه لإنْجاز أيّ شيء، ولكـن الملـك بهـرام الرّابـع (٣٨٨-٣٩٩)، بالرغم من أنه لم يكن خاملاً كأبيه الملك شابور الثالث ولكنه كان يُخفقُ كثيراً في إنْجاز أيّ شيءٍ مهمٍ للإمبراطوريـةِ، أثنـاء هـذا الوقـتِ تـم تقسـيم أرمينيـا بالمعاهـدةِ بـين الرومـان والإمبراطوريـة الساسـانية، الساسانيون مُؤَسَّسوا الإمبراطورية استردوا مرةً ثانية حُكُمهم على

أرمينيا العظيمة، بينما الإمبراطورية البيزنطية حصلت على جزء صغير غرب أرمينيا.

الملك بهرام الرابع ابن الملك يزدجرد الأول (٣٩٩-٤٢١) كان يُقَارن في أغلب الأحيان بالإمبراطور الروماني قسطنطين الأول، كان مثله، كَانَ كلاهما قوياً جسدياً ودبلوماسياً، كان الملك بهرام الرابع مشابهاً كثيراً لنظيره الروماني، والملك يزدجرد الأول كان انتهازياً مثل قسطنطين الكبير، الملك يزدجرد الأول زاولَ سياسة التسامح الديني وأعطى حريةَ جاهزةَ لارتفاعِ الأقلّياتِ الدينيةِ فأوقفَ الإضطهادَ ضدّ المسيحيين وعاقبَ النبلاء وحتى الكهنة الذي إضطهدوهم. فكان ذلك علامة عهده السلمي تقريباً، وجَعلَ بينه وبين الرومان سلاماً دائماً، بل حتى أَخذَ الإمبراطور البيزنطي الشاب ثيودوسيوس الثاني (٤٠١-٤٥٠) تحت وصايتِه ورعايته، وتَزوّجَ أيضاً من أميرة يهودية أنجبت له ابناً يسمى نيرسيه.

الملك بهرام الخامس (٤٢١-٤٣٨) الوريث للملك يزدجرد الأول هو أحد أكثر الملوكِ الساسانيين المشهورين وبطل العديد مِنْ الأساطيرِ، وهذه الأساطيرِ استمرّتْ حتى بعد دمارِ الإمبراطوريةِ الساسانية مِن قِبَلِ العرب، الملك بهرام الخامس كان معروفاً أكثر باسم (بهرام إي جور)، وقد كَسبَ التاجَ بعد موت الملك يزجرد الأول أو اغتياله رغم معارضةِ النبلاءِ بمساعدة أمير الحيرة العربي المنذر بن النعمان، وأمه كانت يهودية، في سنة ٤٢٧ م سَحقَ الملك يزدجرد الأول الهيفثليتيس البدائيين وهم

المحتلين القادمين من الشـرقِ، وامتد تأثير الملك يزدجـرد إلى آسِـيَا الوسطى، حيث بقيت صورته لقرونِ على عملةِ

بخارى خَلعَ الملك بهرام الخامس ملك أرمينيا التابعة للإمبراطورية الساسانيةِ وجعل أرمينيا مجرد محافظة تابعة للدولة.

كان الملك بهرام الخـامس هـو المفضـل في التقاليـد الفارسـية فهـو يحكون العديد مِنْ قصـصِ شـجاعتِه والجـمالِ، إنتصـاراتِه عـلى الرومـان والأتراك والهنود وأهل أفريقيا، ومغامراتِه في الصيد وحتى العشق، وقـد سمي الملك بهرام الخامس (بهرام إي جور) لحبه للصـيد وبشـكل خـاص يُطاردُ الـ ( أوناجر ) وهو حيوان قريب من الحصان، وكانت فـترة حكـم الملك بهرام الخامي هي العصـر الـذهبي للإمبراطوريـة الساسـانية، فقـد رَبحَ تاج الملك بتَنَافُس مع أَخِّيه، وصَرفَ وقتاً كبيراً وهو يُحاربُ الأعـداء الأجانبَ للإمبراطورية، ولكنه أبقـىَ نفسـه في الغالـب متسـلياً بالصـيد بفرقتِه المشهورةِ بالسـيداتِ والخـدمِ، وقـد جسّـدَ الملـك بهـرام الخـامس ازدهاراً ملكياً وفي عهده كُتِبَت أفضل قِطَعِ الأدبِ الساسـاني وتـم إعـداد قِطَع بارزة مِنْ الموسيقى الساسانية، وكذلك الألعاب الرياضية مثل البولو أصبحتْ من التسالي الملكيةَ وهو التقليد الـذي يَسـتمرُّ إلى هـذا اليـومِ في العديد مِنْ الممالكِ الحديثة.

الملك يزدجرد الثاني (٤٣٨-٤٥٧) ابن الملك بهرام الخـامس كـان حاكماً معتدلاً بالمقارنة مع الملـك يزدجـرد الأول، ولكنـه مـارس سياسـةً قاسية تجاه الأقليات الدينية خصوصاً المسيحية.

في بدايـة عهـدِ الملـك يزدجـرد الثّـاني كـان جـيش الإمبراطوريـة الساسانية تَجمّعاً خَلطَ الأمم المُخْتَلِفةِ، فقد كان الجيش يَتضمّنُ حلفـاءهم الهنودَ، وهاجمَ الجيش الساساني الإمبراطورية الرومانيـة الشرـقيةَ، التـي كَانتْ تَبْني التحصيناتَ

التي كان الرومان يستخدمون فيهـا خـدعاً للحمـلات العسـكرية التي ينوون إرسالها لـلأرضِ الفارسـيةِ في مكـان قريـب مـن كرراهـائي، ولكن الفرس فاجأوا الرومان، وكـان بإمكـان الملـك يزدجـرد الثـاني أنْ يَتقــدّمَ كثــيراً في الأرضِ الرومانيــةِ، ولكــن الإمبراطــور البيزنطــي ثيودوسيوس الثّاني طلب معاهدة سلام وأرسلُ قائدَه إلى معسـكرِ الملـك يزدجـرد الثـاني، وفي المفاوضـاتِ بيـنهما في سـنة ٤٤١ م، وَعـدتْ كلتـا الإمبراطوريتان الساسانية والبيزنطية أَلا تَبْني أيّ تحصينات جديـدة عـلى الحدود، وعلى كل حال، الملـك يزدجـرد الثـاني إمتلـكَ اليـد الطـولى ولَمْ يَطْلـبْ أكثـر مـن الرومـان بسـبب هجـماتِ الكيـدارتيين عـلى أراضي الإمبراطورية في بارثيا وخوارزم، فجَمعَ الملـك يزدجـرد الثـاني قواتـه في نيشاهبور في سنة ٤٤٣ م وإنطلقتْ قوته في حملةً ضدّ الكيدارتيين، وأخيراً بعد عدد مِنْ المعاركِ سَحقَ الكيدارتيين وأبعدَهم إلى ما بعد نهرِ أوكسوس في سنة ٤٥٠ م.

أثناء حملة الملك يزجرد الثاني الشرقيةِ ارتـاب الملـك يزدجـرد مـن المسيحيين في الجيشِ وطَردَهم من الجيش وقياداته، ثمّ اضطهدَ بعد ذلـك المسيحيين، واضطهد اليهود ولكن بشكل أقل، وكان هذا الاضطهاد لكي يعيد تأسيس الديانة الزرادشتيةً في أرمينيـا، وسَـحقَ إنتفاضـة المسـيحيين الأرمنِ في معركةِ فارتانانتز في سنة ٤٥١ م، ولكن عـلى كـل حـال، بقـي الأرمن على الديانة المسيحية، وفي سَنَواتِه التاليةِ ، انشُغِلَ الملك يزدرجـرد ثانيةً مَع الكيدارتيين حتى موتِه في سنة ٤٥٧ م.

اعتلى العرش الملك هرمز الثّالث (٤٥٧-٤٥٩) وهو الابن أصـغر للملك يزدجرد الثّاني ، وأثناء عهده القصير ، قاتلَ بشـكل مسـتمر أخـاه الأكبرِ فيروز الذي كَـانَ مـدعوماً مـن طبقـة النـبلاءِ، وفي أثنـاء هجـمات الكيدارتيين على أراضي الإمبراطورية في باكتريا، الملك هرمز الثالث قُتِـلَ مِن قِبل أَخِّيه فيروز في سنة ٤٥٩ م.

وفي بِداية القرن الخامسِ قامـت الهيفثليتـيس (الهـون البـيض) مـع المجموعات التركية البدائية الأخـرى بمهاجمـة بـلاد فـارس، وفي بـاديء الأمر كان بهرام الخامس ويزدجرد الثاني يوقعان هـزائمَ حاسـمةَ ضـدّهم وأرجعوهم شرقاً، ولكن الهون عـادوا في نهايـةِ القـرن الخـامسِ وهَزمـوا الملك فيروز الأول (٤٥٧-٤٨٤) في سنة ٤٨٣ م، بعد هـذا النصر، قـام الهون بغزو وسيطرت على أجزاءَ من شرق بلاد فارس لسـنتينِ ، وأصـبح يحسب حسابهم لبضع سَنَوات فيما بعد.

جَلبتْ هذه الهجماتِ عدمَ الإستقرار والفوضى للمملكةِ، الملك فيروز حاول ثانيةً أَنْ يطْردَ الهيفثليتيس، ولكن في طّريقه إلى هراة هو وجيشه حُوصِرَوا مِن قِبل الهون في الصحراءِ، وقُتِلَ الملك فيروز وأُبيدَ جيشه، بعد هذا النصرِ للهيفثليتيس تَقدّمَوا للأمام إلى مدينةِ هراة، وأصبحت الإمبراطورية في فوضى كبيرة، ولكن في النهاية، أحد الفرس النبلاء مِنْ العائلةِ القديمة كارين، زارميهر أو سوخرا أعادَ الأمور إلى نصابها في الإمبراطورية ورَفعَ بالاش أحد إخوة فيروز إلى العرشِ، ولكن بالرغم من أن تهديدِ الهون استمرَّ حتى عهدِ الملك كسرى الأول، الملك بالاش (٤٨٤-٤٨٨) كَانَ ملكاً معتدلاً وكريماً، وهذا ما

جعله يقدم بعض التنازلاتَ للمسيحيين، على كل حال، الملك بالاش لم يتخذ أي إجراء ضدّ أعداء الإمبراطوريةَ، خصوصاً الهون الأبيض، بعد أربع سَنَواتِ من عهد الملك بالاش، أُعْمِيَ الملك وخُلِعَ ورفع النبلاء ابن أخيه قباذ الأول إلى العرشِ .

الملك قباذ الأول (٤٨٨-٥٣١) كان حاكماً نشيطاً وإصلاحياً، قام الملك قباذ الأول بدعم الطائفةِ الشيوعيةِ المزدكية التي أَسّسها مزدك بن بامداد، ومزدك هو الذي طالب بأنه يجب على الأغنياءَ أن يُقسّموا زوجاتَهم وثروتَهم مع الفقراء. وكانت نية الملك قباذ بتبني مذهب المزدكية واضحة، وذلك لكَسْر تأثيرِ الأقطابِ والأرستقراطية المُتزايدةِ، وهذه الإصلاحاتِ أدّتْ إلى توديعِه وسجنِه في قلعة النسيانِ (نهر النسيان) في شوش، ورفعوا أَخاه الأصغر جماسب إلى العرشِ في سنة ٤٩٦ م، ولكن

على كل حال الملك قباذ الأول هَـربَ في سـنة ٤٩٨ م وقـام ملـك الهون البيض بتوفير المأوى له.

ضد الملك جماسب (٤٩٦-٤٩٨) على العـرش بمسـاعدة النـبلاء مودعاً بذلك حكم أخيه الأكبر الملك قبـاذ الأول، وكَـانَ الملـك جماسـب ملكاً جيـداً ورحـيماً ، وهـو الـذي خفّـضَ الضرـائب لكـي تُخَفّـفَ عـلى الفلاحـين والفقـراء، وهـو كَـانَ أيضـاً تابعـاً للطائفـة المزدكيـة، وقـام بالإنحرافات التي كلّفتْ الملك قباذ الأول عرشه وحريتـه، ولكـن انتهـى عهد الملك جماسب عندما جاءه الملك قباذ عَلى رَأسِ جيش كبير مَنحه إياه ملكِ الهيفثليتيس وعادَ الملك قباذ الأول إلى عاصمةِ الإمبراطوريةَ وتَنازلَ له الملك جماسب عن العرش بكل اخلاص وأعادَ العرشَ إلى أَخّيه الملـك قباذ لم يُذكر في التاريخ ماذا حصل لجماسب بعد إعادة العرش لأخيه قباذ، ولَكنَّه يُعتَقدُ على نحو واسع بأنّه حوسب إيجابياً في محكمةِ أَخّيه.

## العصر الذهبي الثانـي (٤٩٨-٦٢٢):

العصـر الذهبي الثاني بَدأَ بعد الملك قباذ الثاني لعرشه، وبدعمٍ من الهيفثليتيس إنطلقتُ حملة الملك قباذالأول ضـدّ الرومـان سـنة في ٥٠٢ م واحتل مدينة ثيودوثيوبليس في أرمينيا للأمبراطورية الساسانية، وفي سـنة ٥٠٣ م احتل أميدا (ديار بكر) الواقعة على ضفاف نهـر دجلـة، وفي سـنة ٥٠٥ م تم غزو بواسطة الهون الغربيين القادمين مـن القوقـاز ممـا أدّى إلى هدنةٍ دفع خلالها الرومان الإعانات الماليـةَ للفُـرْس لصـيانةِ التحصـيناتِ على القوقاز، وفي سَنَةِ ٥٢٥م قَمعَ الملك قباذ الأول الثوراتَ في لازيسا

واستطاع استرداد جورجيـا، واسـتطاع جـيش الملـك قبـاذ الأول هزيمة الجيش البيزنطي بقيادة بيليساريوس المشهور مـرّتين، مـرة في سـنة ٥٣٠ م في معركــةِ نيبــيس، والمــرة الثانيــة في سَــنَةِ ٥٣١ م في معركــةِ كالينيكوم، وبالرغم من أن الملك قباذ الأول لم يستطع أن يُحرّرَ نفسـه مِـنْ سيطرةِالهيفثليتيس إلا أنه نَجحَ في إعادة مقاتلـةِ الرومـان بنجـاح، أَسّـسَ الملك قباذ الأول عِدّة مُدن، البعض مِنها سُمّى على اسـمه، وبَـدأَ بتَنظـيم النظام الضريبي.

بعـد الملـك قبـاذ الأول جـاء اعـتلى العـرش ابنـه كســرى الأول (٥٣٢-٥٧٩) المعروف بأنوشِروان ( الـروحِ الخالـدة )، والملـك كسرـى الأول هو الأكثر شهرةً بين الملوك الساسانيين بسبب إصلاحاتِه في السلطة الساسانية الحاكمة،وفي إصلاحاتِه قـدّمَ نظـام بطاقـات تموينيـة في النظـام الضـريبي، مستنداً في ذلك على مسح أملاكِ النبلاءالتي هبطت أسـعارها نتيجة حجز المزدكية الشيوعية وتأميمها لها ، ومع النظام الضرـيبي الـذي بدأه أبوه الملك قباذ بَدأَ الملك كسـرى الأول بتجربـة كـل الطـرق لزيَـاْدَة الرفاهيةِ والعائداتِ لإمبراطوريتِه، وأعاد جميع النبلاء

الإقطاعيين العظماء السابقين إلى أجهزتِهم العسكريةِ الخاصةِ وأعاد لهم أتباعِهم وخدمِهم، وطوّر الملك كسـرى الأول قوة جديـدة للدهاقنـة (نبلاء القرى) والفرسان فقد جعل مصـروفاتهم وتجهيزاتهم على الحكومةِ المركزيةِ للدولة، فقد كـان تجهيـز الجـيش الساسـاني مسـؤولية النـبلاء في الدولة وكانوا في فترة السلم يستخدمون الجنود في حقولهم ويلزمونهم

بالعمل كخدم، ولكن الملـك كسرـى الأول ربـط الجـيشَ مبـاشرةً بالحكومةِ المركزيةِ مِنْ أكثر من ارتباطهم بالسابق بالنبلاء المحليّينِ.

وبالرغم من أن الإمبراطورِ البيزنطـي جوسـتينيان الأول (٥٢٧-٥٦٥) دَفعَ ٤٤٠ ألف قِطَعِـة مـن الـذهبِ للمُحَافَظَـة عـلى السـلام مـع الفرس، ولكن في سنة ٥٤٠ م كسر الملك كسرى الأول معاهـدة السـلام الأبدي مع الرومان التي حصلت في ٥٣٢ م، وغَزا الملـك كسرـى الأول سوريا، حيث حاصر بشكل مؤقت مدينةَ أنطاكيـة، وجمـع الملـك كسرـى أموالاً من المدن البيزنطية المختلفة في طريق عودته.

وفي سنة ٥٦٥ م، مات الملك البيزنطـي جوسـتينيان الأول وَخَلَفَـهُ الملك جستين الثّاني (٥٦٥-٥٧٨) الـذي صـمّمَ عـلى إيقـاف الإعانـات الماليةِ للزعماءِ العربِ لإعاقتهم عن مُهَاجَمَة الأرضِ البيزنطيةِ في سوريا، في السنوات السابقة كان الساسانيون يحكمون أرمينيا بعائلـةِ سـورين وبَنـوا معبد نارٍ في مدينة ديفين قُرْب مدينة يريفان حديثة عاصمة أرمينيا، ولكـن بموت العضو المـؤثرَ لعائلـةِ ماميكونيـان، قامـت ثـورة أدّتْ إلى مذبحـةِ الحاكمِ الفارسِي وحارسِـه في سـنة ٥٧١م، الإمبراطـور جوسـتين الثّـاني إستغلَّ الثورةِ الأرمينيةِ لإيقاْف دُفْعاتِه

السنويةِ للملك كسرى الأول وقام بالتحالف مع الأرمن، الأرمـن رحبوا به كحلفاء، وأرسل جيشه إلى الأراضي الساسانية، فحاصر جيشـه مدينة نيبيس في سنة ٥٧٢م، على كل حال، حصل خلاف بين الجنـرالاتِ البيزنطيينِ الذي أدى ليس فقط إلى ترك الحصار على نيبيس ، ولَكنَّهم بعد ذلك حوصروا في مدينةِ دارا التي احتلها الفُرْس ثم بعد ذلك قام الفرس بتدمير سوريا، مما اضطر الإمبراطور جوستين الثّاني لطلـب السـلامِ، أمـا الثورة الأرمنية فقد انتهتْ بعفو عام مِنْ الملك كسـرى الأول الـذي أعـادَ أرمينيا إلى الإمبراطورية الساسانية.

حوالي سـنة ٥٧٠ م، معـد يكـرب سـيف بـن ذي يـزن الأخ غـير الشّقيق لملكِ اليمن الذي خلعه الملـك الحبشي- أبرهـة طَلَـبَ مـن الملـك كسـرى الأول المساعدة لخلع ملك الحبشة الذي يحكم اليمن مسروق بـن أبرهة وتولي العرش مكانه، فأرسـل الملـك كسـرى الأول بسرعة جيشـاً صغيراً تحت بقيادة فاهريز إلى اليمن قُرْب مدينة عدن الحالية، ورافق معـد يكرب الحملة الفارسية، وانتهت المعركة وأصبحَ ملكـاً في وقـت مـا بـين سنتي ٥٧٥ م و ٥٧٧ م . وهكذا كسب الساسانيون حليفاً لهم في اليمن ما جعلهم قادرين على تَأسيس قاعدة في جنوب بلاد العـرب للسَـيْطَرَة عـلى التجارةِ البحرية في الشرقِ، وتَـركَ الساسـانيون لاحقـاً المملكـةُ العربيـةُ الجنوبيةُ ثم أرسلوا لها بعثة فارسـية أخـرى في سـنة ٥٩٨ م التـي انتهـت بنجاح بحيث جعلت جنوب بلاد العرب محافظة تابعة للدولة الساسانية

واستمرت كذلك حتى ظهرت المشاكلِ بعد الملك كسرى الثاني.

عهد الملك كسرى الأول شـهد ازديـاد قـوة الدهاقنـة وهـم نـبلاء القرى، طبقة النبلاء التافهة التي كانت تحوز العقارات التي كَانتْ العمود الفقري مِنْ

لإدارة الساسانيين الإقليمية وكذلك النظام الضـريبي الذي أسسه الملك كسرى الأول، الملك كسرى الأول كَانَ بنّـاء عظـيم، قـام بتحسـين رأس مال الدولة بتأسـيس البلـداتَ جديـدةَ، وبنـاء البنايـاتَ الجديـدةَ، وإعادة بناء القنواتَ وتجهيز المزارع مجدّداً التـي حطمتهـا الحـروب، بَنـى تحصيناتَ قويةَ في الترخيصاتِ، وقام الملك كسرى الأول بوضـع القبائـل في البلداتِ المُختَارَةِ بعناية على الحدودِ ليجعل هذه القبائل موالية للفـرس وتصد المحتلين، الملك كسـرى الأول كَانَ متسامحاً مع كُلّ الأديـان، ومـع ذلك أَمرَ بـأنّ الزرادشـتية يَجِـبُ أَنْ تَكُـونَ الـدين الرسـميَ للدولـة ، ولَمْ ينزعج كثيراً عندما اعتنق أحد أبنائِه المسيحية.

بعد الملك كسرى الأول تولى العرش الملك هرمـز الرابـع (٥٧٩-٥٩٠) وكَانَ أيضاً حاكماً نشيطاً وقد واصـلَ النجـاحَ والازدهـارَ اللـذَيْن أُسّسا مِن قِبَـلِ أسـلافِه، وأثنـاء عهـدِ كسـرى الثـاني (٥٩٠-٦٢٨) ثـار الجنرال برهام تشوبين (الملك برهـام الخـامس) المنـافس للملـك كسـرى الثاني عليه ودخلت الإمبراطوريةَ سريعاً في أزمـة، ولكـن الأزمـةَ لم تـدم طويلاً، وكسرى الثاني أسس قوته مسيطراً بذلك على الإمبراطوريةِ، وقام بِإسْتِغْلال الحرب الأهلية في الإمبراطوريةِ البيزنطية وانطلق مع جيوشه

باحتلال شامل للأراضي البيزنطية، فقد كاد حلم كسرى الثاني بإعادة حدود الإمبراطورية الأخمينية السابقة يتحقق وكاد أن يكتمل بسقوط القدس ودمشق في يده، وكذلك مصر سَقطتْ مباشرة بعد ذلك، وفي سنة ٦٢٦ م أصبحت مدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية تحت حصار السلافيين والأوراسيين المتحالفين مع الفرس، هذه القمة في التوسع الساساني كان يرادفها في نفس الوقت قمة تَفَتُّح الفن الفارسيِ

والموسيقى والهندسة المعمارية في بلاد فارس و بحلول سنة ٦٢٢ م كانت الإمبراطورية البيزنطية على حافة الإنهيارِ وحدودِ الإمبراطوريةِ الأخميدية السابقة على كُلّ الجبهات احتلها الساسانيون ما عدا أجزاءِ من الأناضول.

## عصر الهبوط والسقوط (٦٢٢-٦٥١):

بالرغم من النجاح الضخم لحملة الملك كسرى الثاني، إلا أنها أرهقت الناس بالضرائب، واستطاع الإمبراطور البيزنطي هرقل (٦١٠-٦٤١) أن ينتقمَ من الساسانيين بتحرك تكتيكي وذلك بأن ترك العاصمة المحاصرة القسطنطينية وهاجم بلاد فارس مِنْ المؤخّرةِ عن طريق الإبحار من البحر الأسود، وفي هذه الأثناء ظَهَرَ شكٌّ متبادلَ بين الملك كسرى الثاني وجنرال جيشه شهرباراز، وقام الوكلاءُ البيزنطيون بتسريب رسائل مزيفة للجنرال شهراباراز تظهر بأنّ الملك كسرى الثاني كَانَ يُخطّطُ لإعدامه، فخاف الجنرالَ شهرباراز على حياته وبَقى محايداً

أثناء هذه الفترةِ الحرجةِ، وخسرت بلاد فارس بذلك خدماتَ إحدى أكبر جيوشِها وإحدى أفضل جنرالاتِها، إضافةً إلى ذلك توفي بشكل مفاجئ شاهين وسباهبود العظيم قادة الجيش الساساني والذي كان تحت سيطرته بلاد القوقاز وبلاد الأناضول، وهذا ما رَجَّحَ كفّة الميزان لمصلحة البيزنطيين وأوصل الملك كسرى الثاني إلى حالةِ الكآبةِ.

وبمساعدةِ الخزر وقوَّات تركية أخرى استغل الإمبراطور البيزنطي هرقل غياب قادة الجيش الساساني شاهين ورِبح عِدّة إنتصارات مُدَمّرة للساسانيين وأضعفتْ جوهرياً الساسانيين بعد ١٥ عاماً على حربهم للبيزنطيين، حملة الملك

هرقل تَتوّجتْ في معركةِ نينوى، حيث انتصر الملك هرقل (بدون مساعدة الخزر الذي تَركوه) على الجيش الساساني بقيادة راهزاد، وزحف الملك هرقل خلال بلاد ما بين النهرينِ غربِ بلاد فارس وعرش سليمان وقصر داستوجيرد حيث وصلته أخبارَ إغتيالِ الملك كسرى الثاني.

بعد إغتيالِ الملك كسرى الثّاني انتشرت الفوضى في الدولة الساسانية على مدى أربع عشْرة سنة وجاء بعد كسرى الثاني إثنا عشرَ ملك متعاقبون من ضمنهم اثنتان مِنْ بناتِ كسرى الثاني سباهبود وشهرباراز، وضعفت الإمبراطوريةَ الساسانية إلى حدٍّ كبير، وتغيرت قوَّة السلطة المركزية على أيدي جنرالاتِ الجيش، واستغرقت هذه الفوضى عِدّة سَنَوات لظهر ملك قوي بعد سلسلة من الانقلابات العسكرية.

وفي ربيع سنة ٦٣٢ م، يزدجرد الثالث حفيد الملك كسـرى الأول الذي عاشَ في مغموراً اعتلى العرش الساسـاني، وفي تلـك السَـنَةِ نفسـهاِ بدأت الفتوحات الإسلامية العربية الأولى لبلاد الفرس. جـاء في أطلـس تاريخ الإسلام (ص٤٩): "هناك مبالغة في نصوص تصوير اتسـاع دولـة فارس في العصـر الإيراني، لأن فارس لم تكن قط في أي عصر من عصـور تاريخها قبل الإسلام دولة ثابتة الحدود. إنما كانت حدودها تتسع أحياناً في عصور الملوك الأقوياء، وتنقـبض في عصـور الضـعفاء وهـم الأكثـرون. وعماد القوة العسكرية الإيرانية كان جماعات مرتزقة مـن قبائـل تركيـة إلى جانب قبائل الهضـبة الإيرانيـة نفسـها. وكـان الأكـاسرة يسـلطون هـذه الجماعات المقاتلة على عـلى الـبلاد لإرهـاب أهلهـا وإرغـامهم عـلى دفـع الجزية والإتوات كما ترى في الولايات الشرقية."

وفي الحقيقــة أن الساســانيين قــاوموا في البدايــة مقاومــة فعّآلــة استطاعت أن تضغط على الجيوشِ الإسلامية الأوليةِ وتمنعهـا في البدايـة، ولكن كان الملك يزدجـرد الثالـث تحـت رحمـة مُستشـاريه وكـان هـؤلاء المستشارون عاجزون عن الاتحاد فيما بينهم أمام الإنهيـار الواسـع للـبلادِ بسـبب الممالـكِ الإقطاعيـةِ الصـغيرةِ، وكـذلك كـان البيزنطيـون كـانوا يواجهون ضغوطات مماثلة بسـبب الغـزوات الإسـلامية العربيـة، إلا أن الفرس لم يعودوا مهـددون بعـد اللقـاء الأول بـين الساسـانيين والعـرب المسلمين الذي كَانَ في معركةِ الجسرِ سنة ٦٣٤ م والـذي أدّى إلى انتصـار الساسانيين، على كل حال الغزو الإسلامي لبلاد الفرس لَمْ يُتوقّفْ هناك

وظَهرَ ثانية بسبب الجيوشِ الإسلامية المنضبطةِ تحـت قيـادة القائـد العربي المسلم سعد بن أبي وقاص أحد الصحابة والـذي اختـاره الخليفـة الراشد عمر بن الخطاب لقيادة الجيش العربي المسلم وهـزم سـعد بـن أبي وقاص الجيش الساساني الكبير الذي كان بقيادة الجنرالِ الساساني رسـتم فروخزاد في معركة القادسـية في سـنة ٦٣٧ م وأصـبحت مدينـة المـدائن محاصرة وسقطت بعد الحصار، بعد هذه الهزيمة الكبيرة للفرس في معركة القادسية هَربَ الملك يزدجرد الثالث شرقاً مِنْ المدائن، وترك خلفه أغلب الخزانةِ الإمبراطوريةَ الواسعةَ، وفتح المسلمون العرب المدائن بعد ذلـك، وتركت الدولة الساسانية مصدراً مالياً قوياً لهم استطاعوا الاستفادة منها، وكَانت الإمبراطوريةُ الساسانية في ذلك مستنزفة ومقسّمة وبدون حكومةِ قوية مركزية فعّآلةِ، في وقت الغزوات العربيةِ، وتطورت الأحـداثَ بعـد ذلك بسـرعة، فبسبب الفراغ النسبي مِنْ السلطةِ في الإمبراطوريـةِ كانـت النتيجة هي الغزو الإسلامي لباقي أراضي الإمبراطورية في بـلاد فـارس، وحاول عدد مِنْ حكام بلاد فارس الساسانيين دَمْج قواتهم لإيقاف

الغزوات الإسلامية، ولكن هذه الجهود كانـت بـلا فائـدة بسـبب انعدام السلطة المركزية القويـة، وتمـت هزيمـة هـؤلاء الحكـام في معركـةِ نهاوند، وكان الأمـل الوحيـد للإمبراطوريـة الساسـانية لهزيمـة العـرب المسلمين هو طائفة فروسية هم (طبقة النـبلاء الأحـرار)، وتـم اسـتدعاء هذه الفرقة العسكرية التي لم تكن جاهزة في كل وقـت وحـاولوا تكـوين جيش وحيد للدفاع الأخير عن الإمبراطورية الساسانية، ولكن أيضاً بلا

فائدة بسبب عدم وجود التركيبة العسكرية المنضبطة وعدم وجـود الدعم المالي للقوات العسكرية، وتحطمت هذه الطائفة الفروسية تـدريجياً بسبب الفـوضى في الإمبراطوريـة، فأصـبحت الإمبراطوريـة الساسـانية عاجزةَ جداً الآن الغزوات الإسلامية.

مع انتشار أخبار الهزائم المتتالية للجيـوش الفارسـية أمـام العـرب المسلمين هرب الملك يزدجـرد الثالـث مـع نـبلاء الدولـة الفارسـية مـن عاصمة الإمبراطورية نهاوند إلى المحافظة الشمالية خوزستان، وبعد ذلـك بسنوات تم اغتيال الملك يزدجرد الثالث على يد طحان في مرو سنة ٦٥١ م، بينما بقية النبلاء استقروا في وسط آسيا حيث سـاهموا كثـيراً في الثقافـة واللغة الفارسيةِ ونشـروها في تلـك المنـاطقِ وأسسـوا السـلالةِ الإيرانيـةِ المحلية الأولى سلالة السامنيين تلك السلالة التي أرادتْ إنْعـاش التقاليـد الساسانية التي قيدها المسلمون بعد فتح بلاد فارس.

الشلل الغير متوقـع للإمبراطوريـةِ الساسـانية اكتمـلَ بعـد خمـس سَـنَوات، وأغلـب أراضي الدولـة الساسـانية أصـبحت ضـمن أراضي الخلافةِ الإسلامية الجديدة، وعلى كل حـال العديـد مِـنْ المُـدنِ الفارسـية قاومتْ وقاتلتْ ضدّ العرب

المسلمين عدّة مرات، مُدن مثل أصفهان والري وهمدان قام العديد من الخلفاء المسلمين بقمع الثورات فيها ثلاث مرات ولكن السكان المحليين في بلاد دخلوا في الإسلام برغبتهم، وأما من لم يدخل الإسلام منهم فقد تم فرض الجزية عليه، وهو مبلغ مالي أو عيني رمزي يؤخذ من أهل الكتاب والمجوس مرة كل عام.

وبعد ذلك قام العرب المسلمون بفتح بلاد فارس كلها، وبفتح بلاد فارس على يد المسلمين وبمقتل الملك يزدجرد الثالث سنة ٦٥١ م كانت نهاية الإمبراطورية الساسانية.

## الحكومة:

الملك الساساني الخيالي شهريار تخبره شهرزاد بالقصص، كما هو موجود في قصص ألف ليلة وليلة. أَسّسَ الساسانيون إمبراطوريةً حدودها مقاربة لحدود الإمبراطورية الأخمينية، وجعلوا إدارة هذه الإمبراطوريةِ من عاصمتهم تسيفون التابعة لمحافظة خفارفاران، وقد أطلق الملوك الساسانيون على أنفسهم لقب شاهنشاه ( ملك الملوكِ )، وأما الملكات الساسانيات فقد كَانَ عِنْدَهُن لقب بينيبشينان بانيبشين (ملكة الملكاتِ)، فأصبح الملوك الساسانيون هم السادة الكبار المركزيون لهذه الإمبراطورية وجعلوا النارِ المقدسةِ هي رمز الدين الوطني، وهذا الرمزِ واضح على عملات الساسانيين المعدنية حيث الملك السائد بتاجِه وملابسه الفخمةِ يَظْهرُ على وجهِ العملة، والنارِ المقدّسةِ رمز الدينِ الوطني على عكسِ العملة المعدنيةَ.

ربما تكون الأراضي الساسانية يحكمها عدد مِنْ الحُكَّامِ التافهينِ مِنْ العائلة الساسانية المالكةِ المعروفة بــ (شــهردار) ولكــن الإشراف المبــاشر على الحكم هو للملك (شاهنشاه)، وقد تميز حكــم الساســانيين بالمركزيــةِ الكبيرةِ والتخطيط الحضريــي الطمــوح والتنميــة الزراعيــة والتحســينات التقنية، ولكن كان تحت الملك الساساني بيروقراطيــة قويَّــة نفّــذتْ مُعظــم شؤونِ الحكم، وضمن هذه البيروقراطيةِ كانت هناك الكهانة الزرادشــتية وكَانتْ قويَّةَ جدّاً، والكاهن الأكــبر للديانــة المجوســية (الزرادشــتية ) في الإمبراطورية الساسانية يعتبر مساوياً للقائد الأعلى للجيوش الساسانية ( إيران سپاهبود )، وكان رئيس نقابة التجار والتُجّارَ ( هو توخشــان بــود ) وكــذلك وزيــر الزراعــة (واستريوشانســالار) الــذي كَــانَ أيضــاً رئــيسَ المزارعين كَانوا جميعاً تحت الإمبراطورِ الساساني، وهــم الرجــال الأقــوى والأعلى مرتبة بعد الإمبراطور في الدولة الساسانية.

تم إعداد مجلس الدولــة في الإمبراطوريــة الساســانية وهــو يضــم الإمبراطور الساساني ووزراءه، يتَصرّفَ الملكُ الساســاني عــادةً بنصــيحةِ وزرائه الذين يكونون في مجلس الدولة، المسعودي المــؤرخ المســلم مَــدحَ الإدارة الممتازة للملــوك الساســانيين وسياســتهم المنظمــة بشــكل جيــد، وعنايتهم بشؤون الإمبراطورية، وازدهار مملكتهم في جميع المجالات.

**الحكم في الإمبراطورية الساسانية وراثي في الأوضاع الطبيعية ولكن قد يجعل الملك الحكم من بعد للابن الأصغر في حالتين:**

١. عندما لا يكون الوريثَ المباشرَ موجوداً.

٢. إذا اختار النبلاء والأساقفة في الدولة هذا الابن الأصغر، ولكن يُحدد اختيارهم في أعضاء العائلة المالكة.

طبقة النبلاء في الإمبراطورية الساسانية هي عبارة عن خَلِيْط من العشائرِ الفارسية القديمة وعوائل أرستقراطية فارسية وعوائل نبيلة مِنْ الأراضي الخاضعة للإمبراطورية، وقد إرتفعت العديد مِنْ العوائلِ النبيلةِ الجديدةِ بعد حلول السلالةِ الساسانية وسيطرتها على الحكم في بلاد فارس، بينما العديد مِنْ العشائرِ الفارسيةِ المهيمنةِ سابقاً في الإمبراطورية بارثيون البارثية وهي سبع عشائر فارسية بقيت وكانت لها الأهميةِ الكبيرة في الإمبراطورية الساسانية، في عهد الملك المؤسس للإمبراطورية أردشير الأول كانت العوائل البارثية القديمة (سورين باهلاف) و(كارين باهلاف) مع عِدّة عوائل فارسية (فارازيس) و(أنديجانز) كنات لهم مرتبة شريفة وعظيمة في الإمبراطورية الساسانية، وريث الملك أردشير الأول وهو الملك شابور الأول كانت له علاقة وطيدة ببيت عائلة (سورين باهلاف) بسبب أمه، وهذا واضح في الرمز الذي استعمله قمة جوندوفر ودائرة أحاطت بالهلال، وأيضاً إضافة إلى العوائلِ غيرِ الإيرانية النبيلةَ والإيرانيةَ هناك أيضاً ملوك مرو وسيستان وأبارشهر وكرمان وإيبريا وأديابين كانت لهم منزلة كبيرة بين النبلاء في الإمبراطورية، وفي حقيقة

الأمـر أن بعـض العوائـل النبيلـة في الإمبراطوريـة مثـل سـورين وكارينز وفارازيس قد تمتعت بحكم

شبه مستقل في بعض الولايات الساسانية، وأبقت عائلة سورين باهلاف قاعدتهم في سيستان وحَكمَت إحدى فروع العائلة المنطقةَ التي حول نيشابور، وهكذا فإن العوائل النبيلة التي ظهرت في الإمبراطوريةِ الساسانية استمرّتْ في حكمها لهذه الولايات بحكم حقها الشخصي بالرغم من تبعيتها للإمبراطورية الساسانية.

عُموماً، فإن عائلـة بوزرجـان تعتـبر مِـنْ العوائـلِ الفارسـيةِ التـي حصلت المواقعَ الأقوى في الإدارةِ للإمبراطوريةِ، إضـافة إلى ذلـك القادة العسكريين الذين كانوا يحكمون محافظاتِ الحدودِ (مرزبان)، وكان القادة العسكريون يتفاوتون في المنزلة عند الملوك الساسنيون فمثلاً حكـام محافظات الحدود الأكثر إستراتيجيةً مثل: محافظةِ القوقاز كـانوا في منزلـة أعلى من غيرهم حكام محافظات الحدود الآخرين من الناحية الثقافية طبق الساسانيون نظام التقسيم الطبقي الاجتماعي، وهذا النظامِ كَانَت تدعمـه الديانة الزرادشتية التي أصبحت الدين الرسمي للإمبراطورية الساسانية، والزرادشتية أظهرت الأديانُ الأخرى بأنها كَانتْ قَدْ تُحمّلتْ بشكل كبـير في الإمبراطورية، ولكن أرادَ الأبـاطرة الساسـانيون شـعورياً أَنْ يُنعشـوا التقاليـد الفارسـية وإزالـة التـأثير الثقـافِي اليونـاني عـلى الإمبراطوريـة وأراضيها.

## الجيش الساساني:

العمود الفقري مِنْ الجيش الفارسي (سباه) في العصرِ الساساني كَانَ متكوّناً من اثنين مِنْ أنواعِ وحداتِ سلاح الفرسان الثقيلةِ: كليباناري وكاتفراكس، هذه قوة سلاح الفرسان، وهي متكوّنة من النبلاء الذين يتَدربون في شبابهم على الخدمة العسكرية، ويدعمهم سلاحِ الفرسان الخفيفِ: مشاة

ونّبّالون (الذين يرمون السهام)، وتَركّزتْ وسائلُ الساسانين في عَرْقَلَة العدو في النّبّالين، وفيلة الحربِ، وقوَّات أخرى، وهكذا يمكن في المعارك أن يفتح ذلك ثغرات في العدو يمكن لقوات سلاح الفرسان أن يستغلها.

وعلى خلاف أسلافِهم البارثيين، فإنه قد طوّرَ الساسانيون أساليب الحصارِ وأصبحت متقدّمةِ، وخَدمَ هذا التطويرِ الإمبراطوريةَ الساسانية جيداً في النزاعاتِ مَع الرومان، التي يتمحور فيها النجاح في القدرةِ على الاستيلاء على المُدنِ والنقاطِ المُحَصَّنةِ الأخرى، بالمقابل طوّرَ الساسانيون أيضاً عدد مِنْ التقنياتِ للدفاع عن مُدنِهم مِنْ الهجومِ، الجيش الساساني كَانَ مشهوراً بسلاح فرسانه الثقيلِ الذي كَانَ يماثل كثيراً جيشِ سلفِه الفارسي ولكنه كان أكثر تقدّماً وفتكاً منه، المؤرخ اليوناني أميانوس ماركيلينوس وصف سلاح الفرسان الثاني (كليباناري) الذي قام بتجهيزه وتنظيمه الملك شابور الثاني. وفي الحقيقة أن سلاح الفرسان الثقيل الإسلامي المخيف كَان مماثلاً بشكل حرفي للعرب الذين تَبنّوا أسلحةَ

ووسائلَ سلاحِ الفرسان (كليبانـاري)، وسـلاح الفرسـان الثقيـلِ العربي الإسلامي الـذي اجتـاح بقيّـةَ الإمبراطوريـة الرومانيـة، طـورت الإمبراطورية الساسانية في الجيش الفارسي طبقة النبلاء ( أزادان ) كطائفة فروسية ، وطورت أسلحة سـلاح الفرسـان (كليبانـاري) وقـام العـرب بتبني هذه الفرق العسكرية التي استغلها فيما بعد للغزو الإسلامي والذي تباعاً أعطاها للغرب، الإنفاق المـالي عـلى الطائفـة الفروسـية (أزادان) إلى جانب أنهم ظهروا بمظهر المدافع عن العرش الساساني كل هذه العوامـل اشتركت في بقاء هذه الطائفة الفروسية واستمرارها، وكذلك كانوا الأكثر بروزاً في الحروب باعتبار

أنهم هم المدافعين عن العرش الساساني، وكَانَـت الإمبراطوريـة في ذلك الوقت غير مستنزفة ولا مقسّـمة وليسـت بـدون حكومـةٍ فعّآلـةٍ في وقت الغزوات العربيةِ الإسلامية، الطائفة الفروسية (أزادان) قوات حماية الحدود أن تهزمهم، ولَكنَّهم ما كَانَوا أبداً يُسْتَدْعون ولكن بمرور الوقت، تَجلّـتْ الأحـداث بسـرعة، وظهـر الفـراغ النسـبي في السـلطةِ في الإمبراطوريةِ، وكانت النتيجة الغـزو الإسـلامي، والعجيـب أن الطائفـة الفروسية (أزادان) لا تزال تَبْقى في الروح، ليس من الناحيـة الشخصـية، ولكن في أوروبا الغربية التي أسست هذا الفرقة العسكرية تباعـاً للعـرب فجعلت لها عقارات إقطاعية في القرون الوسـطى لتمويلهـا، وأصـبحت هي رمز الشـرف الفروسي وإلتزاماً نبيلاً بالدفاع عن العـرش في القـرون الوسطى في أوروبا.

## النزاعات:

إن الساسانيين ورثوا دولة البارثيين واستمروا في حروبهم مع الإمبراطورية الرومانية فقد استمرت الصراعات والعمليات الحربية مع الإمبراطورية الرومانية حتى بعد انقسامها في ٣٩٥ م إلى: الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)، وعاصمتها القسطنطينية، التي حلت محل الإمبراطورية الرومانية، وقد استمر وصف الفرس الساسانيين لها بـ (العدو الغربي) كما وصفت الإمبراطورية الرومانية قبل انقسامها، والأعمال العداءية بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية أصبحت أكثر توتراً، وقد كانت الإمبراطورية الساسانية على غرار الإمبراطورية الرومانية في صراع دائم مع

الممالك المجاورة والبدو الرحل، وبالرغم من أن الساسانيين لم يستطيعوا القضاء بشكل تام على غارات البدو الرحل، إلا أنهم نجحوا بشكل كبير في التعامل معها أكثر من الرومان، وذلك بسبب استعمالهم لسياسة منظمة وحملات تهديد رادعة للبدو الرحل.

أما في الغرب، فقد كانت حدود الإمبراطورية الساسانية مناخمة لإقليم كبير للإمبراطورية البيزنطية، وكان إقليماً مستقراً وهادئاً، ولكن في الشرق كان أقرب جيران الإمبراطورية هما: الإمبراطورية الكاشانية، وقبائل البدو الرحل مثل: الهون البيض، وقد قامت الإمبراطورية الساسانية ببناء بعض التحصينات مثل: قلعة طوس ومدينة نيسابور التي تحولت فيما بعد إلى مركز للتعلم والتجارة، كما ساعد في الدفاع عن المقاطعات الشرقية للإمبراطورية من الهجوم.

في جنوب ووسط الإمبراطورية: القبائل العربية البدوية حين أغارت على الإمبراطورية الساسانية، قام الساسانيون بتأسيس مملكة المناذرة العربية وعاصمتها (الحيرة)، لكي تفصل بين البر الرئيسي للإمبراطورية وبين القبائل العربية الغازية.

بسبب الصراع بين الإمبراطور الساساني كسرى الثاني (أبرويز) وملك المناذرة النعمان بن المنذر سنة ٦٠٢ م والذي أدى فيما بعد إلى معركة ذي قار سنة ٦٠٩ م وبسبب الحروب الطاحنة بين الإمبراطورية البيزنطية بقيادة الإمبراطور البيزنطي هرقل، أضعف ذلك الإمبراطورية الساسانية سياسياً وعسكرياً، فلم تستقر الإمبراطورية بعد مقتل كسرى الثاني (أبرويز) بل قام الفرس بقتل من بعده من الملوك حتى انتهت دولتهم على يد العرب المسلمين، وكذلك ضعفت

الإمبراطورية عسكرياً بسبب إرهاق الجيش الساساني بالحروب مع البيزنطيين والقبائل العربية في الجاهلية والإسلام.

وفي الشمال ، كانت قبائل الخزر التركية وغيرها من البدو الرحل في كثير من الأحيان تقوم بالاعتداء على المقاطعات الشمالية من الامبراطوريه، وبعد ذلك بوقت قصير قام الميديون بنهب الأراضي الساسانية في سنة ٦٣٤ م، ولكن قام الجيش الفارسي بهزيمة الميديين وطردهم، وقام الساسانيون بعدها ببناء العديد من التحصينات في منطقة القوقاز لوقف هذه الهجمات.

## نشاطات الولايات الشرقية للإمبراطورية:

### ✓ العلاقات مع الصين:

قامت الإمبراطورية الساسانية بإقامة علاقات خارجية قوية ونشطة مع الصين، وأصبح في الصين سفراء من فارس وكثيراً ما يسافر إليها، وقد ورد في الوثائق الصينية القديمة تقرير عن ثلاثة عشر سفيراً تجارياً ساسانياً جاءوا إلى الصين، وكانت النشاطات التجارية البرية والبحرية مع الصين نشطة، وكان ذلك مهماً على حد سواء عند الامبراطورية الساسانية والإمبراطوريات الصينية، وقد تم العثور على أعداد كبيرة من القطع النقدية الساسانية في جنوب الصين مما يؤكد وجود التجارة البحرية بين الساسانيين والصينيين.

وقد أرسل الملوك الساسانيون في مناسبات مختلفة أكثر الراقصين والموسيقيين الفرس موهبة إلى الإمبراطورية الصينية في فترة حكم ليويانغ في عصر (أسرة جين) (٢٦٥ م – ٤٢٠ م ) وأسرة (وي الشمالية) وسلالة (تشانجان) – وهي سلالة فريدة من نوعها حكمت الصين – وسلالة تانغ وغيرها، والسلالات الحاكمة في الإمبراطوريات الصينية وكذلك الإمبراطورية

الساسانية على حد سواء استفادوا من التجارة على طول طريق الحرير، والمصلحة مشتركة بين الطرفين في صون وحماية تلك التجارة، وكان هناك تعاون في حراسة طرق التجارة عبر آسيا الوسطى، وقاموا ببناء الآبار في مناطق الحدود الآمنة لإبقاء القوافل بعيدة من قطاع الطرق والقبائل الرحل.

**سياسياً:** بذل الساسانيون والصينينون جهوداً عديدة لعقد التحالفات بينهما ضد العدو المشترك (الهفتاليون) وهم قبائل الهون البيض، وفي الوقت الذي نمت فيه قوة إحدى القبائل التركية (كوكتلر) في آسيا الوسطى تعاون الصينيون والساسانيون في محاربة هذه الإمبراطورية الوليدة التي تعتبر خطراً مشتركاً عليهما.

هرب فيروز – ابن الإمبراطور الساساني يزدجرد الثالث – وابنه نيرسي مع عدد قليل من النبلاء الفرس إلى الصين ولجؤوا إليها بعد الفتح الإسلامي للإمبراطورية الساسانية والقضاء عليها، ومن المحتمل أنه في سنة ٦٧٠ م تم إرسال قوات صينية مع فيروز من أجل استعادة الحكم الساساني واسترجاعه لعرشه وقد كانت نتائج المعارك مع المسلمين متفاوتة، وربما استطاع أن يسترجع (سيستان) (سكستان) واستطاع فيروز حكمها في فترة قصيرة، وهذه المعلومة التاريخية ظهرت من خلال بعض الآثار والأدلة من بعض النقود القليلة المتبقية، ولكن بعد ذلك عاش نيرسي بن فيروز وذريته في الصين وتمت معاملتهم كأمراء بكل احترام.

### ✓ التوسع نحو الهند:

بعد سيطرة الساسانيين على إيران والمناطق المجاورة لها في عهد أول أباطرة الساسانيين أردشير الأول وكذلك الإمبراطور الثاني شابور الثاني (٢٤٠م – ٢٧٠ م) واستطاع توسيع سلطتهم شرقاً إلى ما يسمى اليوم بـ (باكستان) وشمال غرب (الهند) اللتان كانتا تتمتعان بالحكم الذاتي تحت الإمبراطورية الكاشانية ، ولكن الكاشانيين اضطروا في النهاية الخضوع للساسانيين، ورغم ضعف الإمبراطورية الكاشانية في مناطق شمال الهند في القرن الثالث الميلادي إلا أنه نمت قوة وسيطرة إمبراطورية غوبتا عليها في القرن الرابع الميلادي، ولكن من الواضح أنه كان للإمبراطورية الساسانية سيطرة وقوة وتأثير على مناطق شمال غرب الهند طوال هذه المدة.

وكان هناك اتصال ثقافي وسياسي بين بلاد فارس وشمال غرب الهند خلال هذه الفترة بسبب بعض انتشار الثقافة الساسانية في مناطق كوشان المحتلة، وتأثر الكوشانيون بالساسانيين في تصور مفهوم (الملكية)، وانتشرت التقاليد الساسانية في تجارة المنسوجات والأواني الفضية.

ولكن هذا الاتصال الثقافي بين الكوشانيين والساسانيين لم يستطع أن يغير من الممارسات الدينية للساسانيين أو مواقفهم من الكوشانيين، لأن الساسانيين كانوا يقومون بالدعوة للزرادشتية الديانة الرسمية للدولة، بل ويقومون في بعض الأحيان على اضطهاد الأقليات الدينية في

الإمبراطورية وإجبارهم على اعتناق الديانة الزرادشتية، بينما يفضّل الكاشانيون أسلوب (التسامح الديني).

وانحدر الاتصال الثقافي بين بلاد فارس والهند إلى أدنى مستوى خلال تلك الفترة، ولكن بقي هناك اتصال ثقافي بينهما، فعلى سبيل المثال: استورد الفرس من الهند لعبة (الشطرنج) وغيّروا اسم اللعبة من (شطرنجاً) إلى (شطرنج)، وفي المقابل: أخذ الهنود من الفرس لعبة (الطاولة).

وخلال فترة حكم الإمبراطور الساساني كسرى الأول تم استيراد العديد من الكتب من الهند وترجمتها إلى (البهلوية) اللغة الرسمية للإمبراطورية الساسانية، ومن الأمثلة البارزة لذلك: ترجمة قصص (دليلة ودمنة) الهندية على يد (برزويه) أحد وزراء كسرى الأول بناءً على أمره، وهذه الترجمة الفارسية لهذه القصص الهندية عرفت طريقها فيما بعد إلى اللغة العربية واللغات الأوروبية، وقد ذكر الفردوسي في كتابه (شاهنامه) التفاصيل الكاملة للقصة الأسطورية لرحلة الوزير (برزويه) إلى الهند للحصول على كتاب ( دليلة ودمنة).

**المجتمع الإيراني تحت الحكم الساساني:**

للموسيقى والشعر أهمية كبيرة في إيران القديمة كما هو الحال اليوم، صورة القرن السابع لعصر الموسيقيين الساسانيينكانت الحضارة الساسانية وكان المجتمع الساساني مزدهرين، ولم يكن ينافسهم في هذا

الازدهار إلا الحضارة البيزنطية، وكان التبادل الثقافي والعلمي بين الإمبراطوريتين شاهداً على التنافس والتعاون بينهما.

من أبرز الفروق بين الإمبراطوريتين البارثية والساسانية هو الحكومة المركزية، فالساسانيون من الناحية النظرية كانوا يعتبرون مجتمعاً مثالياً يمكن فيه الحفاظ على الاستقرار والعدالة، وقد توفر لذلك العامل القوي وهو الحكومة

المركزية الساسانية، ولكن كان نسيج المجتمع الساساني شديد التعقيد مع وجود نظم مستقلة للتنظيم الاجتماعي الذي يتحكم في العديد من المجموعات الاجتماعية المختلفة داخل الإمبراطورية، يعتقد المؤرخون أن المجتمع الساساني كان ينقسم إلى أربع فئات: الكهنة (في الفارسية: آتروبان)، المقاتلون (في الفارسية: أرتشتاران)، الأمناء (في الفارسية: دبيران) ، والعامة (في الفارسية: هوتخشان - واستريوشان)، ولكن الطبقة المتميزة في المجتمع الساساني هم: شاهنشاه ومعناه: ملك الأملاك (الإمبراطور الساساني) وهو الذي يحكم على جميع الأمراء وطبقة النبلاء (في الفارسية: بزركان) والحكام للولايات الساسانية، وكان (شاهنشاه) والكهنة وطبقة النبلاء يشكلون طبقة متميزة في المجتمع الساساني، وكان هذا النظام الاجتماعي صارماً - إلى حد ما - في الإمبراطورية الساسانية.

الانتماء إلى طبقة معينة كان يقوم على أساس الوراثة أو ( الولادة )، ولا يوجد استثناء في ذلك للانتقال من رتبة إلى أخرى إلا على أساس الجدارة والكفاءة، وكان من وظائف الملك الساساني هو الضمان لاستقرار

هذه الفئات وعدم تداخلها، وكان هـذا النظـام الاجتماعـي يكفـل عدم قمع القوي للضعيف في الدولة، وفي نفس الوقت: يبقـي الضـعيف على ضعفه، وكان الحفاظ على هذا التوازن الاجتماعي هو جـوهر العدالـة الملكية في الإمبراطورية الساسـانية، وكانـت فعاليـة أداء هـذه الفئـات في المقابل يقوم على أساس تمجيد النظام الملكي قبل كل شيء.

**وكان المجتمع الساساني ينقسم إلى**: أزادان أو أزاتـان (الأحـرار) ، وكذلك غيرهم من حراسهم، وهؤلاء الحراس كانوا متحدرين من الغزاة الآريين القدماء ومجموعات من الفلاحين غير الآريين، وقـد تشـكل مـن هذه الطبقة الارستقراطية الكبـيرة (أزاتـان) عـدد قليـل مـن المسـؤوليين الإداريين، ومعظمهم كانوا يعيشون على تجارة العقـارات الصـغيرة، وقـد كانـت هـذه الطبقـة هـي العمـود الفقـري لسـلاح الفرسـان في الجـيش الساساني.

# الفصل الثالث
## تاريخ بلاد فارس حروب وصراعات

فارس كلمة مشتقة من اليونانية/ الرومانية ((برساى)) أي الفُرس، ومستخدمة فى الغرب منذ القرون الوسطى للدلالة على مجموعة مناطق شرقية تمّت أسلمتها، وهى تعرف، اليوم، باسم إيران الذي ظهر من جديد في القرن التاسع عشر. وقد اعتُمدت كلمة ((فارس)) طويلاً تسميةً للممالك الإسلامية القروسطية والحديثة التي تعاقبت فى الهضبة الإيرانية. واستُبدلت بها. فى الأيام المعاصرة، كلمة إيران التي اعتمدت رسمياً سنة ١٩٣٤، لتدلّ على الدولة التي تشكل حالياً الجمهورية الإسلامية الإيرانية". وإيران هى بلا ريب من البلدان العريقة، وحضارتها من أقدم الحضارات على وجه الأرض، بل أن الفرس ينسبون أول نسلهم إلى آدم، عليه السلام، وقد ذكر المسعودى: "ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه فى (أخبار الفرس) الذى رواه عن عمر كسرى أن الفرس طبقات أربع ممن سلف وخلف: فالطبقة الأولى: من كيومرث إلى كرساب، والطبقة الثانية: من كيان بن كيقباذ إلى الإسكندر، وآخرهم دارا، والطبقة الثالثة: وهم الأشغانية ملوك الطوائف، والطبقة الرابعة: سماهم ملوك الاجتماع، وهم الساسانية".

**ويقول المسعودى أن الناس قد تنازعوا في ملوك الطوائف**: أمن الفرس كانوا أم من النبيط أم من العرب؟وهو يرى أن ملوك الطوائف هم بين الفرس الأولى والثانية، ونجد أن المسعودي لا يميل إلى اعتبار الإسكندر من ملوك الفرس، على عكس الكثير من المؤرخين، إذ أن المشهور ما ذكره ابن الأثير:"وقد

زعم بعض العلماء بأخبار الأولين أن الإسكندر الذي حارب دارا بن دارا هو أخو دارا الأصغر الذي حاربه، وأن أباه دارا الأكبر كان تزوج أم الإسكندر وهى ابنة ملك الروم، فلما حملت إليه وجد نت ريحها وسهلها فأمر أن يحتال لذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية سندر، فغسلت بمائها فأذهب ذلك كثير من نتنها ولم يذهب كله، وانتهت نفسه عنها فردها إلى أهلها وقد علقت منه، فولدت في أهلها غلاماً، فسمته باسم الشجرة التي غسلت بمائها مضافاً إلى اسمها، وقد هلك أبوها، وملك الإسكندر بعده فمنع الخراج الذي كان يؤديه جده إلى دارا، فأرسل يطلبه، وكان بيضاً من ذهب، فاجابه: إني قد ذبحت الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها، فإن أحببت وادعناك، وإن أحببت ناجزناك..."... أما الدينورى، فيثبت عكس ذلك، ويقول:"وأما علماء الروم فيأبون هذا، ويزعمون أنه ابن اليلفوس لصلبه، وأنه لما مات الفيلفوس وأفضى الملك إلى الإسكندر امتنع على دارا بن دارا بتلك الضريبة التي كان يؤديها أبوه إليه".

**ويذكر الفردوسى في الشهنامة**:"أول من مَلك العـالم جيـومرت، وكان الله قد سخر له جميع الجن والإنس، وخصه مـن عنايتـه بمزيـد مـن القوة والشهامة، وروعة الجلالة وبهاء المنظر، وهو أول مـن لـبس جلـود السباع، وكان كل يوم يحضر الجن والإنس ببابه ويصـطفون صـفوفاً عـلى رسم الخدمة له"، ويذكر ابن النديم: "يقال أن أول مَـن تكلـم بالفارسـية جيومرت ويسميه الفرس: الكل شاه، ومعناه ملك الطين، وهـو عنـدهم آدم أبو البشـر".

**ولدى ابن خلدون فى تاريخه**: "أن علماء الفرس يرون أول النسب هو كيومرث (الـذي هـو أدم أول الخليقـة) وأن طبقـات الفـرس أربـع: الأولى: البشدانية، والثانية: الكينية: لأن اسم كل واحد مضـاف إلى كـى، والمضاف عند العجـم متـأخر عـن المضـاف إليـه. والثالثـة: الاشـكانية: يعرفون بالاشكانية، وكافها أقرب إلى الغـين، مـن ولـد اشـكان بـن دارا الأكبر، كانوا من أعظم ملوك الطوائف. ويحكى ابن خلدون قصة ما أشار به أرسطوطاليس على الإسكندر من تشتيت طوائف الفرس. أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، ويقول القرمانى بشأن طبقة الأشغانية، وما أشـار بـه أرسطوطاليس على الإسكندر:" وهم ملوك الطوايف، وكان مـن أمـرهم أن الإسكندر، لما غلب على الفرس وأسر ملوكهم وعضماءهم، قتل مـنهم جماعة وأراد قتل الباقين عن آخرهم، فمنعه أرستطاليس، وقال له:"الرأي أن تملك عدة منهم على الفرس، فيقـع بيـنهم التشـاجر والتبـاغض، فـلا يجتمعون، فتأمن اليونان غيلتهم" فمال الإسكندر إلى ذلك، وملك من

كبار الفرس عشرين ملكاً على الفرس، وهم المسمون بملوك الطوايف، واستمر بهم الحال على ذلك نحو خمسماية واثنتى عشرة سنة حتى قام أزدشير بن بابك وجمع ملك الفرس، ولم يكن منهم ملك غيره". أما الطبقة الرابعة، فهى: الساسانية. ويذكر أبو بكر الدواداری أول طبقة من ملوك الفرس هم الفيشدادية، وأولهم كيومرث. والطبقة الثانية: الكيسانية، وأولهم كيقباد. والطبقة الثالثة: وأول ملوكها الإسكندر ذو القرنين والطبقة الرابعة الساسانية: وأولهم أردشير بن بابك. والقلقشندى يُلخص تاريخ الفرس، قبل الإسلام وبعده، ويذكر طبقاتهم وفقاً لما أستقر لدى المؤرخين، فيذهب إلى أن طبقات

الفرس قبل الإسلام كانت على النحو التالى: الطبقة الأولى: الفيشدادية: سموا بذلك لأنه كان يقال لكل ملك منهم فيشداد، ومعناه سيرة العدل، أولهم أوشهنج، وآخرهم كرشاسف. والطبقة الثانية: الكيانية: سُموا بذلك لأن فى أول اسم كل واحد منهم لفظة كى، ومعناه الروحانى وقيل الجبار، أولهم كيقباذ. والطبقة الثالثة: الاشغانية: أولهم اشغان بن اشغان، وآخرهم اردوان الأصغر. والطبقة الرابعة: الأكاسرة، أولهم أردشير بن بابك وآخرهم يزدجرد، أما بعد الإسلام فكانت طبقاتهم كالأتي: الطبقة الأولى: عملاء الخلفاء، الطبقة الثانية: خلفاء بنى العباس، الطبقة الثالثة: ملوكهم من بنى جنكيز خان، أولهم هولاكو، وآخرهم أبو سعيد بن خدابندا. معنى ذلك أن أي محاولة لتلخيص تاريخ إيران، وتجريده منهجياً، لن تكون علمية، مهما ادعت لنفسها تلك الصفة،

إلا أن تكون واعية بأن البحث في التكوين الاجتماعي الإيراني يبدأ من حيث عصور سحيقة موغلة في القدم، على أقل تقدير ٢٠٠٠سنة قبل ميلاد المسيح، عليه السلام، إذ نشأ في تلك الحقبة، في العالم القديم، شعب لم يعره، آنذاك، أحد قبلاً كبير اهتمام، وينتمي هذا الشعب إلى الأرومة الهندو-أوروبية، وكان قد استقر في الألف الثاني قبل الميلاد في جهات هضبة إيران الغربية، وجاوره جنوباً السوزيون الذين كانوا قد اقتبسوا حياة سكان بلاد الرافدين منذ زمن قديم، ولكن فصلت سلسلة جبال زاجروس بين هذا الشعب وبلاد ما بين النهرين، وحالف هؤلاء البابليين وأسهموا، بقيادة الماديين، بالاستيلاء على نينوى وتدميرها، وقد نالوا مناطق بلاد الرافدين العليا عندما قسمت الإمبراطورية الأشورية. ولم يكفهم هذا. وكان عليهم أن ينتظروا أكثر من ستين عاماً ليظهروا قوتهم الحقيقية دون

حاجة إلى حلفاء. وفى هذه الأثناء انتقلت القيادة إلى الفرس الذين حققوا غرباً فتوحات ساحقة: فاستولى كوروش أول ملك من السلالة الأخمينية، على إقليم ليديا ثم بابل، واخضع ابنه قمبيز مصر والقيروان، وغدا الملك الثالث داريوس الأول سيد الجزر فى بحر إيجه، وأثر غزوة بعد أخرى دانت لهم هضبة إيران حتى تركستان ونهر الهندوس. ولقد تأثرت الحضارة الفارسية بالحضارات الشرقية العظيمة، ونهلت منها الكثير، وجعلت الفتوحات الكبرى من الفرس ورثة أعظم الإمبراطوريات القديمة، ومع أن هذه الحضارات كانت أشرفت على

المغيب فإنها تركت تقاليد ونظم وشرائع باهرة حقاً. فلقد رأى الفرس أن مدينة بابل كانت مدينة عظيمة مهيبة حولها أسوارها الضخمة التي أقامها نبوخذ نصر، والتي كانت تمتد من النهر إلى النهر. كما شاهدوا مبانيها الهائلة التي يراها الناس من مسافة بعيدة في السهل البابلى. وكانت هذه المدينة المركز التجاري الأول في غرب آسيا، وكانت أعظم سوق عرفه الشرق القديم.

أما على ضفاف النيل فقد حكم الأباطرة الفرس المدن الرائعة التي تزخر بالآثار العظيمة ، ولا شك في أن تلك الحياة المتحضرة التي رآها الفرس على ضفاف النيل وما رأوه على ضفاف الفرات كان لها أثر كبير عليهم فيما بعد، حينما شرعوا فى تأسيس إمبراطوريتهم.

فلم يتوقف الأمر عند حد التأثر بشرائع الشرق ومعماره وتحضره، وإنما كانت اللغة الأرامية، وهى اللغة التي كان يتكلم بها التجار الأراميون الذين كانوا يملأون الأسواق البابلية، قد أصبحت في ذلك الوقت لغة الهلال الخصيب بأسره.وكانت الوثائق التجارية تكتب بالأرامية بالقلم والمداد على أوراق من

البردى ولهذا رأى الموظفون الفرس أنهم مضطرون لتأدية أعمالهم الحكومية، مثل جمع الضرائب، باللغة الأرامية في جميع أنحاء النصف الغربى للإمبراطورية الفارسية، وكانوا يبعثون برسائلهم الحكومية إلى بلاد النيل وغرب آسيا الصغرى باللغة الأرامية، لأنها كانت اللغة العالمية في جميع الأعمال الخاصة بالتجارة والإدارة. وإذ يظل هذا التفاعل

الحضاري في إطار من حروب مستعرة وفتوحات لا حد لها، يأتي الإسلام برسالته العالمية، ولم يكن العرب والفرس، قبل الإسلام، غرباء عن بعضهم البعض، وإنما عرف الفرس العرب عن طريق العلاقات التجارية تارة، وعن طريق رد غارات العرب عن أرضهم تارات أخرى، إذ يقول أبو جعفر بن جرير الطبرى:" وكانت بلاد العرب أدنى من البلاد إلى فارس، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شيء من معايشهم وبلادهم، لسوء حالهم وشظف عيشهم، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة، حتى أناخوا على أرشهر وسواحل أردشير وأسياف فارس، وغلبوا أهلها على مواشيهم وحروثهم ومعايشهم، وأكثروا الفساد في تلك البلاد..." ولكن، بعد الإسلام، لم يكن مبتغى العرب النهب أو السرقة هذه المرة، كما لم يكن هجومهم موزعاً بين الإقدام والإحجام، الإقدام يؤججه العوز، والإحجام تقويه الرهبة من هذه الحضارة المهابة، التى تتنافس على بسط الهيمنة على العالم القديم بأسره مع قوة لا تقل قوة ونفوذا ومَهابة. إنها حضارة الروم.

نقول أن هذه المرة كان الهدف هو نشر الإسلام وتوصيل دين الله إلى العالم القديم وبسط سلطان العقيدة الإسلامية العالمية على جميع ممالك وإمبراطوريات العالم الضال أو المشرك أو الكافر. ولم تكن الرهبة من تلك الإمبراطورية تُذكر بجوار التطلع إلى نشر دين الله أو الشهادة في سبيل رفعة هذا الدين. ومن هنا انطلق المسلمون الأوائل بحماس شديد إلى جميع الاتجاهات شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، هدفهم نشر الإسلام والتمكين لدين الله في الأرض. فوصل نفوذ الخلافة الراشدة إلى أقاصي الصين شرقاً، وشمال أفريقية غرباً. وفى تلك الحقبة التاريخية اختفى اسم إيران، كي يحل محله دار الإسلام، وكان للفرس مكانة لا تقل عن مكانة العرب أو الروم ممن أسلموا، وعلى سبيل المثال نجد سلمان الفارسي، والذي كان صاحب مكانة لدى النبي محمد ﷺ. وعاش الفرس في كنف الدولة الإسلامية الأولى، واندمجوا في النسيج الاجتماعي الذي أعاد صوغه دين سماوي عالمي يسوى بين الناس أجمعين. ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى. وكان للرقيق والموالى الدور الكبير في عملية المزج بين العرب والفرس، فالكثير من أسرى الفرس، نساء ورجالاً، وزعوا غنائمهم على المجاهدين العرب وغيرهم. وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية. وهكذا انتشر الرقيق والموالى في المجتمع العربي، بحيث لم يعد بيت من بيوت العرب يخلو من بعضهم. وكان أن شهد الجيل الأول، في صدر الإسلام، إنجاب أبناء يجمعون بين الدماء العربية من جهة الأب والدماء العجمية، ومنها الفارسية، من جهة الأم، ولسوف يقوم هذا الجيل بدور خطير في

عملية المزج بين العرب وغيرهم، ومهما يكن من أمر، فإنه منذ فجر الدولة الإسلامية غدت بلاد الحجاز ملتقى

المسلمين الوافدين من قريب أو بعيد إما لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم والتفقه في الدين بعد أن أمست المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، مركز الخلافة. وأدى هذا الاختلاط بين مختلف الأجناس والقوميات واللغات تحت مظلة الإسلام، إلى تداخل العادات والتقاليد والتيارات الحضارية، أحكام الفرس بأحكام الشريعة الإسلامية، التي هي في مرحلة التكون، ببعض عادات وتقاليد العرب التي لا تتعارض مع روح الدين. وتأثرت نظم الحكم والإدارة في الدولة العربية الوليدة بما كان سائداً عند الفرس من أوضاع. ولذا فإن الوضع في هذه الحالة، كما يقول د. سعيد عاشور، لم يكن تأثر المغلوب بحضارة الغالب، وإنما محاكاة المتخلف لمن هو أرقى منه في المستوى الحضاري، ولكنه يقول أيضاً أن التاريخ لا يُنظر إليه من وجه واحد. ولذا تنبغي الإشارة إلى أنه إذا كان الفرس قد انتصروا في مجال الحضارة ونظم الإدارة والحكم. ومجال العلوم والفنون. فإن العرب انتصروا في مجالين عظيمين هما اللغة والدين. ذلك أن اللغة العربية صمدت لتصبح أداة الحضارة الإسلامية الجديدة في شتى ميادينها.في حين اكتسح تيار الإسلام الديانات التي كانت سائدة في بلاد فارس، كالزارادشتية والمانوية والمزدكية.

# الفصل الرابع
# الإمبراطوريات الفارسية القديمة

فارس هو الاسم التاريخي للمنطقة التي قامت عليها الإمبراطوريات والدول الفارسية والتي تشكل اليوم إيران. تقع الإمبراطورية الفارسية شرق شبه الجزيرة العربية. تأسست الإمبراطورية الفارسية عام ٥٥٩ ق.م. بواسطة قورش.

وتعتبر الإمبراطورية الفارسية التي تعرف بدولة الفرس أو الدولة الكسورية، من أعظم وأكبر الدول التي سادت المنطقة قبل العصر الإسلامي، حتى إنها فاقت الإمبراطورية البيزنطية في الشهرة والقوة، ولقد مرت هذه الدولة بعدة أطوار قبل البعثة وبعدها، ونقف في هذا الفصل على ذكر ما كانت عليه الدولة الفارسية من انحطاط وخلل كبير في الأنظمة السياسية والدينية والاجتماعية التي سادت قبل الإسلام.

**الحالة السياسية والاقتصادية:**

كانت الدولة الساسانية تحكم بلاد إيران في القرن السابع الميلادي ويكوِّن الفرس مادة الإمبراطورية، ولكنها أخضعت الترك في بلاد ما وراء النهر، والعرب في العراق، وكانت حدودها الغربية غير مستقرة حسب قوتها، فأحياناً تغلب على أطراف بلاد الشام كما حدث سنة٦١٤ م عندما اجتاحت بلاد الشام واستولت على بيت المقدس، ثم استولت على مصر سنة٦١٦م .

ولم يستسلم هرقل إمبراطور الروم بل أعاد تنظيم بلاده وإعداد جيوشه وهزم الفرس في آسيا الصغرى سنة٦٢٢م، ثم استعاد منهم سوريا ومصر سنة٦٢٥ م ثم هزمهم هزيمة ساحقة سنة٦٢٧ م قرب أطلال نينوى مما أدى إلى ثورة العاصمة ضد كسرى الثاني، وعقد خليفته شيرويه الصلح مع هرقل، على أن أحوال الدولة الفارسية لم تستقر بعد ذلك، إذ تكاثرت الثورات والانقلابات الداخلية، حتى تعاقب على عرش فارس في تسع السنوات التالية أربعة عشر حاكماً، مما مزّق أوصال دولة الفرس، وجعلها مسرحاً للفتن الداخلية، حتى أجهز عليها العرب المسلمون في حركة الفتح. هذا عن الأحداث السياسية والعسكرية التي مرت على بلاد فارس.

## نظام الحكم:

كان نظام الحكم كسروياً مطلقاً، يقف على رأسه الملك، ولقبه كسرى، وصلاحياته مطلقة، وأحياناً يوصف بصفات الإلوهية، فكسرى أبرويز وصف نفسه بالرجل الخالد بين الآلهة، والإله العظيم جداً بين الرجال، مما يدل على الغرور والتعاظم، في حين وصفه المؤرخون بالملك الحقود المرائي الجشع الرعديد وبينوا اهتمامه الكبير بجمع أكوام الذهب و الفضة والجواهر التي ملأت خزائنه عن طريق المظالم التي استغل بها بؤس رعيته. وكان يلجأ إلى المنجمين والكهان والسحرة لاستشارتهم في اتخاذ قراراته المهمة.

## الحياة الاقتصادية:

احتكر الأقوياء الثروة ومصادرها، وانهمكوا في مباهج الحياة وملذاتها، وزادوا من ثرائهم بالربا الفاحش والمكوس والضرائب الثقيلة التي فرضوها على الضعفاء من الفلاحين والعامة فزادوها فقراً وتعاسة، وحرّموا على العامة أن يشتغل الواحد منهم بغير الصناعة التي مارسها أبوه، وكان العامة من سكان المدن يدفعون الجزية كالفلاحين، ويشتغلون بالتجارة والحرف. وهم أحسن حالاً من الفلاحين الذين كانوا تابعين للأرض، ومجبرين على السخرة، ويجرّون إلى الحروب بغير أجر ولا إرادة. وكانت الجباة للضرائب لا يتحرزون من الخيانة واغتصاب الأموال في تقدير الضرائب وجبايتها، وكانت الضرائب تفرض بصورة اعتباطية وخاصة وقت الحروب.

## الحالة الدينية والفكرية:

لم يعرف الفرس السماوية التي سبقت ظهور الإسلام إلا بنطاق محدود جداً، وكان أكثرهم على المجوسية، فمنذ القرن الثالث الميلادي صارت الزرادشتية ديناً للدولة، وقد تدهورت أخلاق رجال الدين الزرادشتي فوصفوا بالارتداد والحرص والاشتغال بحطام الدنيا، وحاول كسرى الثاني تجديد الزرادشتية وإحياء معابد النيران ونشر تفسير جديد لكتابها الآفستا وكانت عقوبة من يخرج عليها الإعدام. وتقوم العقيدة الزرادشتية على الثنوية، أي وجود إلهين في الكون هما إله النوراهورا مزدا وإله الظلام (أهد يمن) وهما يتنازعان السيطرة على الكون، ويقف البشر الأخيار

مع إله الخير، والأشرار مع إله الظلام ، وتقدس الزرادشـتية النـار، وقـد أقيمـت معابـد النـيران في أرجـاء الدولـة، ويعـرف رجـال الـدين الزرادشتيون بالموابذة وكل منهم يرأس مجموعـة يسـمون الهرابـذة وهـم الذين يخدمون نار المعبد في كل قرية.

## الحالة الاجتماعية والأخلاقية:

**كانت الحياة الاجتماعية في إيران تقوم على عمادين**: النسب والملكية، فكان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمـة، وكـان لكـل فـرد مرتبتـه ومكانه المحدد في الجماعة، وكان من قواعد السياسة الساسـانية المحكمـة ألا يطمع أحد في مرتبة أعلى من المرتبة التي يخولها له مولده.

وتقوم الأسرة على أساس تعدد الزوجـات، وشـاع بيـنهم الـزواج بين المحارم وكان وضع المرأة يشبه وضع الرقيق حيث بإمكـان الـزوج أن يتنازل عنها لزوج آخر دون رضاها ، كما شاعت عادة التبني للأولاد.

حضارة عيلام:

حضارة إيلام هي واحدة من أول الحضـارات الواقعـة في أقصـى غرب وجنوب غرب ما يطلق عليه حالياً إيران في الأراضي المنخفضة من محافظتي إيلام و خوزستان وجنوب العراق. استمرت الحضارة بين عامي ٢٧٠٠ ق.م. و ٥٣٩٩ ق.م.

وحاضرتها كانت مدينة السوس القديمة (مدينة شوشان الحديثة) كانت فيما مضى مركز إقليم يسميه اليهود بلاد عيلام -أي الأرض العالية. في هذا الصقع الضيق الذي تحميه من غربه المستنقعات ومن شرقه الجبال الحافة

بهضبة إيران العظيمة، أنشأ شعب من الشعوب لا نعرف أصله ولا الجنس الذي ينتمي إليه إحدى المدنيات الأولى المعروفة في تاريخ العالم. وقد وجد علماء الآثار الفرنسيون في هذا الإقليم منذ جيل مضى آثاراً بشرية يرجع عهدها إلى عشرين ألف عام، كما وجدوا شواهد تدل على قيام ثقافة راقية يرجع عهدها إلى عام ٤٥٠٠ ق.م. ويبدو أن أهل عيلام كانوا في ذلك الوقت قد خرجوا من الحياة البدوية، حياة صيد الحيوان والسمك، ولكنهم كانت لهم وقتئذٍ أسلحة وأدوات من النحاس، وكانوا يزرعون الحبوب ويؤنسون الحيوان، وكانت لهم كتابة مقدسة ووثائق تجارية، ومرايا وحلي، وتجارة تمتد من مصر إلى الهند.

ونجد بين أدوات الظران المسواة التي ترجع بنا إلى العصر الحجري الجديد مزهريات كاملة الصنع رشيقة مستديرة عليها رسوم أنيقة من أشكال هندسية أو صور جميلة تمثل الحيوان والنبات، تعد بعضها ما صنعه الإنسان في عهود التاريخ كله.

ولسنا نجد في تلك البلاد أقدم ما عرف من عجلات الخزاف وحسب بل نجد فيها أيضاً أقدم ما عرف من عجلات المركبات، ذلك أنا

لا نعثر مرة أخرى على هذه المركبة التـي كـان لهـا شـأن متواضـع، ولكنه شأن حيوي، في نقل المدينة من مكان إلى مكان، إلا بعد هذا الوقت في بلاد بابل، ثم بعد ذلك أيضاً في مصر.

انتقل العيلاميون مـن هـذه البـدايات المعقـدة إلى حيـاة السـلطان والغزو ذات الأعباء الثقـال، فـامتلكوا سـومر وبابـل ثـم دارت علـيهم الدائرة فاستولت

عليهم هاتـان الـدولتان كلتاهمـا بعـد الأخـرى. وعاشـت مدينـة السوس ستة آلاف من السنين، شهدت في خلالها عظمـة إمبراطوريـات سومر، وبابل، ومصـر، و أشور، و فارس، واليونـان، وروما؛ وظلـت بإسم شوشان، مدينة مزدهرة حتى القرن الرابع عشر الميلادي. ومرت بها في خلال تاريخها الطويل فترات مختلفة نمـت فيهـا ثـروات نمـواً عظـيماً. وحسبنا شاهداً على هذا وصف المؤرخين لما عثر عليه فيها أشـور بانيبـال حين استولى عليها ونهبها في عام ٦٤٦ ق.م من ذهـب وفضـة، وحجـارة كريمة، وجواهر ملكية، وثياب ثمينـة، وأثـاث فخـم، ومركبـات سـاقها الفاتحون وراءهم إلى نينوي. ذكر المؤرخون هذه المغانم كلهـا ولم يحـاولوا الانتقاص من شأنها أو الاستخفاف بها. وهكذا بدأ التاريخ دورته المحزنة فبدلها في وقت قصير من فنها المزدهر حربـاً وخرابـاً. واسـتمرت حضـار عيلام بين عامي ٢٧٠٠ ق.م. و ٥٣٩ ق.م.

## التاريخ:

في ما يقارب ٢٧٧٦ قبل الميلاد ظهر على الساحة حضارة أون تاش في غرب من إيران بمحاذاة جبال زاكروس اي في شرق بـلاد السـومر، لم تكون ظهور هذه الحضارة محض صدفة، بل كانت الأرضية جـاهزة لبنـاء هذه الحضارة، لأن أهل هذه الحضارة لهم صلة الدم مـع الأبنـاء السـومر ومن المحتمل انشق أبناء ملك اون تاش عن الإمـارات السـومرية ولهـذا أطلق السومرين اسم ايلم أو ايلام على جماعة الملك اون تاش تقع حضارة اون تاش ايلام في منطقة المحاذية لجبال زاغـروس وكانـت عاصـمتهم في إوان آوان في البداية وبعد الفترة من الزمن انتقلـت عاصـمتهم إلى مدينـة سوسة كانت هذه

الدولة تتكون من عشـرة عشائر وكل عشيرة كانت لهـا أمـير وكـل هذه الأمراء متوحدة في ظل الملك اون تاش. هـؤلاء بنـوا لهـم حصـن أو قلعة سمية قلعة بإسـم مؤسسـهم ملـك اون تـاش أي قلعـة أون تـاش، ولكثرت غاراتهم على مدن سومر اطلـق علـيهم اسـم ايلم.ايـلام والتـي تعني المرعب أو المرهب . الإرهاب كلمة ايلم كلمة سومرية بالتأكيد.أمـا ثقافة الايلاميـين فكانـت متـؤثرة بثقافـة السـومرية بالإضـافة إلى بعـض الخصوصيات تخص المجتمـع الايلامـي تقاليـد عشـائر أون تـاش .. أي كانت لهم عدة آلهة تختلف أسمائهم اختلافاً تاماً عن الأسماء آلهـة السـومر فمثلاً: الٰه الأم كانت ترمز إلى القمر عند السومر وتسمى الٰه ننه، اما الٰه

الأم عنـــد ايلاميـــين اســـمها غرورجـــةأو قررجـــة *Kiririscha* وبالإضـــافة إلى هـــذه الالهـــة هنـــاك إلٰهـــين آخـــرين بهـــذين الاســـمين *Inschuchinn Ak*و *Hum Ban* .

علماء الاثـار والمؤرخـون يقولـون أنهـم لم يثبتـوا لحـد الآن أصـل الايلاميـــين .. اونتـــاش بـــالرغم أنهـــم يقولـــون أن الألـــواح الطينيـــة والفخاريات والأدوات المنزلية والأسلحة والأدوات الزراعية والدفاعيـة والتي عثرت عليهم في الحفريات مدينة سوسة منقوشة بالنقش الحضـارة الآنو (*Annau*) التركستانية طبق الأصل أي نفس الأدوات ولا يوجد أي فرق بين الأدوات والنقوش حضارة الآنو والحضارة الايـلام والحضـارة السومر.. الكلام لمـؤرخين وعلـماء الآثـار ولا زال يقولـون أنهـم ليسـوا متأكدين من أصول الايلاميين بالرغم أن العلماء الآثار والمـؤرخين الـترك والأذربيجانيين والأونكارون يؤكدون أن

الأصـــول الســـومرية والايلاميـــة والآنـــو مـــن الأصـــول الآلتائيـــة الالطائية ودليل على ذلك هـو أن الأسـماء كلهـا أسـماء الطائيـة المنغوليـة التركية التتارية الياقوتية وفي هذا الكتاب يؤكد المؤرخون انـه لم يكـون أي وجـود لعنصرـ الآري في هـذه المنطقـة قبـل ١٩٠٠ قبـل المـيلاد سـيدنا المسيح[١].

١- متى وأين حدث باللغة الدانماركية لمؤلف*KAI PETERSEN* ص ٢٤ ٢٧٧٦ قبل الميلاد سيدنا المسيح. بحث وترجمة . ديار الهرمزي.

**مانيون:**

**مانيون**: أحد الشعوب القديمة التي استوطنت الأراضي التي تعرف حالياً بآذربيجان الإيرانية في الفترة مابين القرن العاشر قبل الميلاد و القرن السابع قبل الميلاد وقد ذكر اسمهم في العهد القديم من الكتاب المقدس كان المانييون مجاورين للآشوريين و دولة أرارات .

النقطة الرئيسية في هذه الأقوام إنهم لم يكونوا من الشعوب الهندو -أوربية ولم يكونوا خاضعين لسيطرة الإمبراطوريات المجاورة وتأتي أهمية هذه النقطة في تركيز المؤرخ الكردي محمد أمين زكي - ١٨٨٠) (١٩٤٨في كتابه "خلاصة تاريخ الكرد وكردستان" على إن الشعب الكردي يتألف من طبقتين من الشعوب، الطبقة الأولى التي كانت تقطن كردستان منذ فجر التاريخ ويسميها محمد أمين زكي"شعوب جبال زاكروس"، وهذه الشعوب لم تكن هندو - أوروبية ولكنها امتزجت مع الشعوب الهندو- أوربية مثل الميديين التي هاجرت إلى كردستان في القرن العاشر قبل الميلاد،

واستوطنت كردستان مع شعوبها الأصلية. وكان هذا الشعب غير متنقل بل ثابتاً في بقعته الجغرافية وكانوا يعتمدون على الزراعة و تربية المواشي

يرى المؤرخ الكردي محمد أمين زكـي (١٨٨٠ - ١٩٤٨) في كتابـه **"خلاصة تاريخ الكرد وكردسـتان"** بـإن هنـاك احـتمالاً كبـيراً بـأن هـذه المجموعة تشكلت من عدة قبائـل مثـل "لولـو، كـوتي، كـورتي، جـوتي، جودي، كاساي، سوباري،خالدي، ميتاني، هوري، نايري" .

في القرن الثامن قبل الميلاد إتخذوا من مدينة زرتا عاصمة لهم ووصلوا إلى أوج قوتهم بين عامي ٧٢٥ و ٧٢٠ قبل الميلاد ولكن الصـراع بدأ بالظهور بينهم وبين الآشوريين واستطاع الملك الآشوري سرجون الثالث بالقضاء على حكمهم في عام ٧١٦ قبل الميلاد.

أصول هذه الأقوام غير معروفة على وجه الدقة ولكن هناك إجماعاًعلى إنهم أقوام غير هندو – أوروبية وهذه الصفة حدى بالكثير من المؤرخيين الأكراد إلى طرح فرضية أن هذه الأقوام قد يكونون أحد الأصول القديمة للشعب الكردي ولكن لا يتوفر أي إثبات أكاديمي على هذه الفرضية لحد هذا اليوم.

## الإمبراطورية الأخمينية:

الأخمينيـون أو الأخمينيـديون*Achaemenides* ، هـم أسرة ملكيـة فارسـية كونـت لهـا إمبراطوريـة في فـارس عـام ٥٥٩ ق.م. واسـتولت علي ليديا) غرب الأناضول (وبابل وإيران وفلسطين ومصر، التي امتدت في أوجها إلى جميع أرجاء الشرق الأدنى، من وادي السند إلى ليبيا، وشمالاً حتى مقدونيا.

وهكذا فقد تمكنوا من السيطرة على جميع الطـرق التجاريـة المؤديـة إلى البحر الأبيض المتوسط عبر البر والبحر؛ وقام ملوك الأخمينيين بإعـادة بنـاء الطريـق مـن منطقـة السـوس في عربسـتان إلى سـارديز بـالقرب مـن أفسـس وسـميرنا .أشـهر ملوكهـا دارا) داريـوس) الـذي حـاول غزو أثينا باليونان فهزم. وأسـقط الإسـكندر الأكـبر هـذه الإمبراطوريـة عام٣٣١ق.م. ومن ملوكها قمبيز وقورش (سيروس)، وتعتبر فترة حكم هذه الإمبراطوررية هي فترة الحضارة الفارسية.

**التاريخ:**

**النشأة:**

استقرت قبائل الفـرس البدويـة في الجنـوب عنـد منطقـة سـموها "فارس" معناها السائب والغازي قرب شيراز اليوم. ولا تكاد توجـد أي نقوش تتكلم عن الفرس قبل قوروش الأكبر الثاني. تصفهم التوراة بأنهم "أناس برابرة جداً وسفاحون لا يرحمون أحداً".

جاء اليهود المنفيين ببابل بقورش الأخمنـي ونصـبوه عـلى شـعوب المنطقة عنوة حيث دمر حضارتهم واستعبدهم وأزالهم عـن الوجـود عـن بكرة أبيهم. قام قوروش بـاحتلال مملكـة مـديا أولاً، عـن طريـق تأليـب المعارضـين لهـا وإثـارة الفـتن. وبعـدما اسـتولى عليهـا، قـام بـالهجوم على بابل مركز حضارة العالم القديم. ثم توسع إلى بلاد الشام، وكذلك إلى غرب الأناضول إلى بحر إيجة. وتوسع شمالاً إلى جبال القوقاز. كما توسـع شرقاً في آسيا الوسطى إلى أقصـى ما وصلت إليه الحضارة يعتقد بوصوله إلى حدود قرقيزستان. وقام ابنه من بعده

باحتلال مصر، ثم انشغل أحفاده بحروب ضد اليونـان وشـعوب البحر الأسود.

مات قورش عام ٥٣٠ ق.م. وتولي ابنه قمبيز الثاني الـذي اسـتولي علي مصـر عام ٥٢٥ق.م. وأصبحت إمبراطوريته تمتد من نهر السند حتي نهر النيل وفي أوربا حتى مقدونيا التي كانت تعـترف بالسـيادة الفارسـية. وبعد انتحاره عام ٥٣٣ ق.م.تـولي ابنـه داريـوس (دارا) الأول (الأكـبر) وأخمد الحروب وحكم الإمبراطورية الفارسية حكـماً مطلقـاً لأنـه يتمتـع بالحق الإلهي وكانت البلدان التابعة له تتمتع بحكم ذاتي وكان الحكام بهـا أقوياء يتجسسون لحسابه.

وأنشأت هذه الإمبراطورية الطرق المتفرعـة والتـي كانـت توصـل مدينة سوس العاصمة بالخليج جنوباً وبـالبحر الأبـيض المتوسـط وبحـر إيجـه. وظـل داريـوس في حـرب مـع الإغريـق حتـي وفاتـه عـام ٤٨٦ ق.م. وكان قد أخضع المدن الإغريقية في آسيا الصغرى.

وبعده تولي ابنه إجزركسيس الذي أخمد ثورة المصريين عـلي حكـم الفرس. وأراد أن ينتقم من أثينا واليونانيين بعد تمرد الأيـونيين أيـام أبيـه. فتواصلت مسيرة جيشه حتى بلغت الأكروبول علي مشارف أثينـا. لكنـه انهزم أمام صمود الأثينيين عام ٤٩٧ ق.م.وأغرقوا الأسطول الفارسي في مياه ميكال. وفي القرن الرابع ق.م. ضعفت دولة الفرس. وكانت فريسـة سـهلة للإسـكندر الأكـبر ودارت بينـه وبينهـا حـروب اسـتمرت منـذ عام ٣٣٤ ق.م. وحتى ٣٣٠ ق.م..

يـرى الباحـث الفـارسي نـاصر بـوربيرار في كتابـه ١٢ قرنـاً مـن السـكوت، أن تلـك السـلالات الثلاثـة (الأخمينيـين والاشـكانيين والساسانيين): غريبة عن محيطها الجغـرافي وعـن السكان الأصـليين في هضبة إيران، إذ لم يبق لهم أثر في هذه الأرض بعد هزائمهم النهائية.

**ويقول**: "لم يبق من هذه السلالات الثلاث التـي حكمـت بـالقوة والسـيف والاسـتبداد عـلى الشـعوب القاطنـة في نجـد إيـران (الهضـبة الإيرانية)، لم يبـق منهـا أي أثـر حضـاري هـام يُـذكَر قياسـاً باليونـانيين والرومان وحتى العرب الجاهليين. مـا عـدا أنهـا كانـت تـتقن اسـتخدام الرمح الفارسي لمحو الشعوب التي سبقتها في نجـد إيـران وفـتح أراضي الغير وإغراق الشعوب الأخرى -ومنهم اليونانيون والمصريون والهنود- ببحور من الدم". وأنهم جاءوا متأخرين قياسـاً لشـعوب عاشـت قـبلهم بآلاف السنين. وقد قام علماء الآثار والمستشرقون اليهود بتهويل منـزلتهم وسمعتهم خلافاً لحقيقتهم في التاريخ. ويرى كذلك "أنهـم لم يتمتعـوا لا بثقافة ولا بفن ولا باقتصاد ولا بسياسة" حيث عاشت المنطقة بفترة ظلام إلى مجيء الفتح الإسلامي.

ويتحدث پورپيرار عن دور إسرائيل في إعـلاء الحضـارة الإيرانيـة الساطعة قبل الإسلام لتعميق الهـوة بـين الإيـرانيين والعـرب، فالتـاريخ الإيراني يستندفي كتابته إلي بحوث قام بها اليهود. إذ بذلوا جهـدا لإعـلاء شأن الأخمينيين كمحررين لهم وكمدمرين لحضارة بين النهـرين. فـاليهود يسعون أن يقدموا الاخمينيين كمبدعين للثقافة والحضارة أو أي شيء

يرغبونه وذلك بسبب الخدمة التي قدمها لهم الاخمينيون بتحريرهم من سبي نبوخذ نصر ملك بابل.

فخذ علي سبيل المثال علماء الآثار والمؤرخون اليهود كـ غيريشمن و داريشتيد و اشكولر، كما ان ٩٠٠٪ من مؤرخي التاريخ الايراني هم من اليهود. أي أن اليهود قاموا بتهويل تاريخ الأخمينيين، فهؤلاء حاولوا خلال المائة سنة الماضية أن يصوروا قورش في التاريخ الإيراني بشكل يتطابق وصورته في التورات حيث تقدمه كصورة نبي، وقد نجحوا في ذلك. إذ لم يُعرف قورش في إيران حتى قبل ١٠٠عام.

**تأسيس المملكة الأخمينية:**

تنتمي الأسرة الأخمينية إلى الفرس، أحد الشعوب الإيرانية القديمة، الذي كان الموجة الأخيرة من موجات الشعوب الهندية - الأوربية (الآرية) التي اجتاحت أراضي إيران في مطلع الألف الأول ق.م.ظهرت الأسرة الأخمينية، التي لا يعرف أصلها، في مطلع القرن السابع ق.م.وبدأ نفوذ الأسرة يقوى بعد أن تخلصت تدريجياً من تبعيتها للعيلاميين واستقلت بإمارة أنشان التي كشفت آثارها في تل مليان والممتدة إلى الجنوب الشرقي من سوسة، ثم استولى أمير أنشان المدعو تشاهبيش (٦٧٥-٦٤٥ق.م) على بلاد بارسا في إقليم شيراز اليوم، وانقسمت الأسرة على نفسها بعد ذلك فكان لفرع منها حكم فارس ولفرع ثان حكم أنشان. وكانت الغلبة لهذا الفرع بعد أن تزوج قمبير الأول (٦٠٠-٥٥٦ق.م) الأميرة ماندان ابنة أَستياج ملك الميديين، وكان

من ثمار هذا الزواج قوروش (الثاني) الذي كان حكمه انعطافاً وتحولاً حاسماً في دور الأسرة الأخمينية في تاريخ إيران القديم .

**التوسع شرقاً وغرباً:**

استطاع قوروش إعادة وحدة الأسرة الأخمينية وتطلع إلى السيطرة على ميدية وتمكن بذلك من توحيد البلاد الإيرانية ثم انتقل إلى بسط سيطرته المطلقة على عواصم الشرق مستفيداً من الأوضاع الدولية واضطراب الأحوال الداخلية في الدول القديمة.

في ٥٣٨ ق.م. دخل قوروش بابل فكان ذلك مؤشراً على تغير كبيرفي «عالم بلغ الشيخوخة، والأهم من ذلك أن العالم القديم كان مدركاً لشيخوخته» كما قال أولمستد.وكان يُظن لفداحة الأحداث والتغيرات المتلاحقة، بعد اجتياح الفرس مملكة ليديا في غربي آسيا الصغرى على بحر إيجه وبعد توغلهم في بلاد الشرق، أن تاريخ الشرق القديم كان يتجه إلى نهايته، لكن المفارقة كانت في تجديد العالم القديم ضمن وحدة سياسية - اقتصادية امتدت من بلاد الهند إلى ليبية وحوض بحر إيجه. وهكذا قامت إمبراطورية جديدة في المشرق على أنقاض الإمبراطوريات والممالك القديمة، اجتمعت فيها شعوب وتلاقت ثقافات ولغات وصنائع وعقائد وعادات. ولكن قوروش سقط في ميدان القتال بعد أن توغل في أعماق السهوب الشمالية الشرقية من آسيا الوسطى. ثم خلفه بعد مرحلة انتقالية مضطربة ابنه قمبير الثاني (٥٢٩-٥٢٢ ق.م.) الذي قاد حملة على مصر (٥٢٥ق.م) وأسقط عرش الفراعنة ولكنه أثار المصريين بتصرفاته

وبفـرض ضرائـب مرهقـة وبـالتعرض للتقاليـد الدينيـة.ثم عمل داريوس الأول ٤٨٦٦-٥٢٢) ق.م.) على التوسع باتجاه الـشرق إلى حوض نهر السند وغرباً إلى ضفاف نهر الدانوب. وتمكن من

وضـع حـد للمنازعـات الداخليـة التـي أثارهـا الأرسـتقراطيون والكهان المجوس. أما أكبر منجزاته فهـو اسـتكمال بنـاء الجهـاز الإداري للدولة.

**الحروب اليونانية الفارسية:**

لكن المبالغة في فرض الضرـائب والتـدابير القاسـية عـلى السـكان الإغريق المقيمين على الساحل الإيوني، في غربي آسـيا الصـغرى، أدت إلى اندلاع ثورة لاهبة بين ٤٩٩-٤٩٣ق.م كانت الشرارة التي أوقـدت نـار الحروب الميدية التي اجتاحت العالم الهليني بين الفرس مـن جهـة والمـدن الإغريقية من جهة أخرى.

كانت هذه الحرب عند الهلينيين مسألة حياة أو موت، فقـد سـجل المؤرخـون (هيرودوتوتوقيديـدس وكزينوفـون) دفـاعهم عـن بلادهـم وانتصاراتهم على جيوش الإمبراطورية الفارسية عند ماراثون ٤٩٠ ق.م. ثم في معركة سلاميس *Salamis* البحريـة ((٤٨٠ ق.م.). وبعـدها بعـام واحد في معركة پلاتايا٤٧٩ ق.م. وفيها استطاع الهلينيون أن يقيموا بينهم بزعامة أثينة تحالفاً قاد الحرب إلى السـاحل الأيـوني الآسـيوي اشـتد أوار الأزمات الطاحنة في داخل الإمبراطورية الفارسية. فاندلعت الثـورات في مصر (٤٨٦-٤٨٥ق.م) وفي بابل (٤٨٢-٤٧٩ق.م) وتوالت تحركات

الأمراء الإقطاعيين الساعين إلى الانفصال والاستقلال والمؤامرات والاغتيالات في داخل القصر الإمبراطوري.

**المرحلة الثقافية:**

لم تتوقف الأسرة الأخمينية في مرحلة تأسيسها وفي أوج قوتها عند توحيد العالم الإيراني بل إنها عملت عندما سنحت لها الظروف المناسبة من أجل التوسع في بلاد الشرق القديم للسيطرة على طرق مواصلاته وأسواقه. وهكذا ورث قوروش وخلفاؤه عروش بابل وساردیس ومنفيس المتداعية التي سرعان ما انهارت أمام القوة الناشئة الجديدة.

ولكن الدولة الأخمينية لم تتردد، للمحافظة على كيانها السياسي، في نقل السكان وفي نزع ملكية بعضهم لإقامة جاليات فارسية على الأراضي المصادرة أو المتملكة في آسيا الصغرى أو في بابل. أما التعذيب والبطش بالثائرين فكانا من الأمور الشائعة والمعروفة وابتدعت لها أساليب فاقت في فظاعتها ما عرف عند السابقين. أما التسامح الديني الذي عُزي إلى قوروش وبعض الملوك الأخمينيين فلم يكن سياسة فريدة في بابها في دول الشرق القديم، فقد عرفت حضارات الشرق القديم غالباً التعايش بين العقائد الدينية المحلية فلم يكن للعامل الديني الدور الأول في توسع الدول وفي إنشاء الإمبراطوريات عند الفراعنة أو ملوك الرافدين والأناضول. ولكن الحكام كانوا يتخلون عن تسامحهم الظاهري كلما تطلبت مصلحة الحكم ذلك للقضاء على الثائرين.

ومما لا شك فيه أن الإنجاز الذي حققه قوروش الثاني، ملك أنشان، ملك الفرس، ملك الملوك، كان كبيراً في عصره. ولكن ملوك الفرس الأخمينيين لم يكن باستطاعتهم أن يقبضوا بسهولة على زمام الأمور في دولة امتدت على

نحو خمسة ملايين كم٢. وكان الإخفاق واضحاً في قدرة الفرس على الاندماج سريعاً في المجتمعات الشرقية التي اختلطوا بها بعد انحدارهم من جبالهم إلى السهول التي استقرت فيها المجتمعات الريفية في القرى والحضرية في المدن، كما أنهم لم ينجحوا في تأسيس مجتمعات مدنية مميزة كما فعل الهلينيون بعدهم عند نزولهم في بلاد الشرق.

ومع هذا فلقد مثلت الإمبراطورية الفارسية الأخمينية بالفعل «مملكة عالمية» ورثت المثل الأعلى القديم للمملكة التي كانت تضم «جهات العالم الأربع»، وهو المثل الأعلى الذي كان يتطلع إليه ملك سومر وأكّد وبابل وآشور. وقد جعله الملوك الأخمينيون واقعاً ملموساً بتوحيد معظم الشرق القديم تحت سلطانهم، إلا أن الغرب الناشئ على أطراف المتوسط بقي خارج هذه المحصلة، بل إنه قاوم الدخول فيها، كما حدث في الحروب الميدية التي نشبت بين الفرس والهلينيين، وهو ما ترتب عليه صراع حاسم حمل نتائج خطيرة للعالم القديم كله.

ولم يأت توحيد الشرق القديم على أيدي الأخمينيين فجأة إذ كان الكيان السياسي لدول الشرق القديم قد تضخم واتسع حتى بلغ مرحلة المملكة المركزية الكبرى، وعندما وصل إلى درجة عجز فيها عن المحافظة على ما بلغه من تماسك تغلبت الأطراف على المركز، فالدول القديمة التي كانت لها الغلبة والسيادة في السابق أصابها الضعف والوهن على مر السنين نتيجة للحروب والصراعات والأزمات المتلاحقة والعنف والكوارث مما أدى إلى تقويض

أسس النظم التي كانت قائمة وإلى إتاحة الفرصة لدخول عوامل تاريخية فعّالة حملتها دائماً شعوب الجبال والسهوب والبوادي المحيطة بالسهول وأحواض الأنهار حيث كانت تقوم دول الشرق القديم وترتفع مدنه وتشمخ حضاراته الأولى.

ولقد نجم عن انتقال مركز الثقل السياسي من العواصم التاريخية المعروفة على الفرات ودجلة إلى سوسة ومدن أخرى وراء جبال زاغروس، توسيع حدود المشرق القديم لتتصل بالعالم الهندي من جهة وبالغرب الأوربي عند المضايق الواصلة بين البحرين الأسود وإيجه من جهة أخرى. وأطال قيام الإمبراطورية الأخمينية عمر الشرق قرنين آخرين في وحدة سياسية – اقتصادية هشّة تفككت أجزاؤها المكونة بعد ذلك تباعاً قبل أن يقع الصدام العسكري الذي قاد الهلّينيين إلى بلاد الشرق الضعيف والمنهار.

لقد بدأ تضعضع أسس الحضارات الشرقية القديمة ونظمها فكرياً وروحياً قبل هزيمتها الحاسمة عسكرياً، فقد اهتزت العقائد الدينية القديمة مع تنامي فكرة التوحيد في المجتمعات الشرقية القديمة كما في تراتيل أخناتون في مصر ونابونيد في بابل ثم مع ارتفاع هذه الفكرة إلى مستوى التوحيد التجريدي كما في بعض أسفار التوراة التي أعيدت كتابتها أو كتبت في العصر الأخميني كسفر عزرا الذي يتحدث عن رب السماوات والأراضي (عزرا: ١٩-٢٠)، وهكذا أخذت تتطور الفكرة التي تتحدث عن الإله المنزه الذي يمكن أن يكون منفصلاً عن مظاهر الطبيعة التي قدستها العقائد القديمة وعن الإنسان،

كما تتحدث عن الإلهي الذي يمكن أن يمثل قوة روحية مستقلة تتجاوز المناحرات السياسية.

وفي سياق هذا التطور الروحي - الفكري ظهرت تجربة روحية أخرى في إيران تختلف في بنيتها عما سبقها من تجارب دينية، وهي تؤكد الطبيعة الأخلاقية للإلهي وتجعله يتجاوز الحدود السياسية للدولة وكذلك الحدود الإثنية. فالديانة الزرادشتية تبدّت بصورة مستقلة تماماً عن الصورة التي تبدّت فيها الدولة. وإذا كانت محاولة التوفيق بين الدولة والعقيدة الزرادشتية مصدراً لمشكلات خطيرة في تاريخ الفرس القديم فإن خطورة هذه التجربة نفسها تكمن في أن هذه النظرية الكونية قد ظهرت في الشرق أيضاً ولم تكن صادرة عن الدولة ولا مرتبطة،

بالضـرورة، بشعب بعينه.ويعد هذا الإنجاز، عـلى حـد قـول س. موسكاتي: "أعظم منجزات حضارات الشرق القديم، إنه الانتصار عـلى الذات، لكنه في الوقت نفسه نقطة النهاية في تاريخ هذا الشرق، لأنه كـان بداية لعصر جديد."

عـلى أن أهـم مظـاهر الضـعف في كيـان الإمبراطوريـة الأخمينيـة عجزهـاعن احتـواء الثـورة الإيونيـة ومقاومـة المـدن اليونانيـة. فبعـد حشـويرش الأول (٤٨٥/ ٤٨٦-٤٦٥ق.م) تسـارع التـدهور ولم يكـن لعواهل فارس من هدف سوى مقاومة الدول الصغيرة في العالم الهلّينـي، التي أرادت أن تفيد من الصراع الداخلي في الإمبراطوريـة، كـما في مصرـ، للحد من وطأة ضغط الجيوش الفارسية الكثيفة عليهـا. وقـد رد الفـرس بنثر الدنانير لزرع الشـقاق في صـفوف الهلّينيـين وإيقـاف هجماتهـم عـلى الحدود الغربية للإمبراطورية ثم أخذوا

بمصالحة بعض المدن على حساب مدن أخرى، ومهما يكن فإنه كان من المستحيل على أية دولة من دول المدن الإغريقيـة أن تتوسـع في أراضي الإمبراطورية الفارسية القوية المترامية الأطراف والتي امتدت حياتها بعـد ذلك قرناً ونصف القرن.

وكان موت حشويرش مأساة كبيرة في داخل القصر، وربما تم عـلى أيدي الحريم، وهو ما صار من المألوف تكراره بعد ذلك عند كـل تبـديل للحاكم عندما لا يكون بفعل الحاشية.

وخلف الملك الصريع ابنه أرتا حشويرش (٤٦٥-٤٢٤ق.م) الذي كان له ضلع في الجريمة بوساطة قائد حرسه الذي قتل أيضاً. وقبل هذا الملك آخر الأمر بالتخلي عن الساحل الغربي لآسيا الصغرى ومجموعة من الجزر على أن تتعهد أثينة بألا تمضي في مساعدة ثورة مصر. ثم جاءت الحروب البلوبونيزية (٤٣١-٤٠٤ق.م) التي عمّقت انقسام العالم الهلّيني فتمكن حاكم الأناضول الفارسي من استرداد مواقعه على الساحل الغربي الذي اندلعت فيه الثورة على الأثينيين.

**مستعمرات الأخمينيون:**

احتل قمبيز الثاني مصر، والمؤرخون لحكام مصر يعدون الأخمينيين الأسرة السابعة والعشرون من حكام مصر القديمة.

**سقوط الإمبراطورية:**

يتألف تاريخ الأسرة المالكة الأخمينية من سلسلة من الصراعات الدامية التي عجلت بتدهور الإمبراطورية وحفرت طريق نهايتها. فعندما مات أرتا

حشويرش الأول (٤٢٤ق.م) خلّف ثمانية عشر ولداً، وورث العرش حشويرش الثاني لمدة خمسة وأربعين يوماً وانتهت حياته مسموماً على يد مغتصب لم يحتفظ بالعرش أكثر من ستة أشهر إذ قتل على يدي داريوس الثاني (٤٢٣-٤٠٤ق.م) الذي ضمن العرش لنفسه بعد أن تخلّص من إخوته وجعل أخته تحكم معه وتزوج باريزاتيس التي كانت

امـرأة شرسـة صـعبة المـراس. وكـان التنـافس شـديد في القصرـ الإمبراطوري على قيادة الجيوش وعلى طريقة إدارة الصراع مع الهلِّينيين.

وعندما مات داريوس الثاني ورثه ابنه البكر أرتا حشـويرش الثـاني (٤٠٤-٣٥٨ق.م) وكان لا يملك إلا مؤهلات ضعيفة. وقد وفـر حيـاة أخيه قوروش الذي تآمر عليه مع زوجة أبيـه بـاريزاتيس، ولكـن الأمـير الفتي حشد جيشاً في آسيا الصغرى وعاد للإطاحة بأخيه ولكنـه قتـل في عام ٤٠١ق.م في معركة قرب بابل. وقد تبـددت قواتـه ولكـن عشرـة آلاف مـن المرتزقـة اليونـانيين الـذين كـانوا مهـددين بالإبـادة والفنـاء استطاعوا الانسحاب في ظروف صعبة ووصلوا إلى شاطئ البحر الأسود بعد مسيرة سبعة أشهر.

وقد وصف المؤرخ كزينوفون (٤٣٠-٣٥٥ق.م) هذا الانسـحاب الملحمي في كتابه "الصعود*Anabasis*"، ولقد تسبب هذا الإنجاز الـذي حققه الهلّينييون في تبديد رصـيد الإمبراطوريـة الفارسـية لـدى حلفائهـا وشجع الإغريق وحلفـاءهم عـلى المضـــي في تحـدّيها. فهاجمـت اسـبرطة ممتلكات فارس في آسيا الصغرى، ووجـد الملـك الفـارسي صـعوبات في إخماد الاضطرابات العنيفة في مصر وقبرص.

ومـن الأمثلـة الفاضـحة عـلى التـدهور في آخـر الإمبراطوريـات الشـرقية القديمة أنه كان لأرتا حشويرش مئـة وخمسـة عشـر ولـداً مـن ثلاثمئة وستين جارية. وقد حاول بعـض أفـراد أسرتـه اقتنـاص الحكـم واختصار مدة ملكه، فحصلت فواجع من جرّاء ذلك فقتـل ابنـه البكـر، وتمكّن ولد آخر من اعتلاء العـرش بعـد قتـل اثنـين مـن إخوتـه ودعـي باسم أرتا حشويرش الثالث ٣٣٨٨-٣٥٨) ق.م.). واشتهر هـذا الملـك بقسوته وفظاظته ولكنه نجح لأمد في ترميم كيـان المملكـة فضربـ عـلى أيدي الأمراء والولاة المتطلعين إلى الاستقلال وقمع ثـورة أخـرى قامـت في مصر (٣٤٦-٣٤٣٣ق.م). ولكنه كان قلقاً من صعود مقدونية وتقدم نفوذها في العالم الهلّيني فأخـذ يسـاعد خصـوم الملـك فيليـب الثـاني سراً وعلانية. ولكنه مات آخر الأمر مسموماً على أيدي أحـد رجـال القصـر الخصي باجواس الذي قتل خلفه أوراسيس(أرسيس) بالسم أيضاً بعد أن حكـم مـدة قصـيرة (٣٣٨-٣ ٣٦٦ق.م.) وسـاعد بـاجواس عـلى اختيارداريوس الثالث من أحفاد داريوس الثاني لوراثـة العـرش (٣٣٦-٣٣٠٠ ق.م.).

استطاع داريوس (دارا) أن يجعل الخصي المتآمر يتجرع السم الذي أعده لقتل ملكه. وتحرك فيليب الثاني المقدوني بإرسـال جـيش لتخلـيص آسيا الصغرى من حكم الفرس ولكن الجيش أوقف تقدمـه بعـد اغتيـال العاهل المقدوني (٣٣٦ق.م). إلا أن وراثة الاسكندر عرش أبيه القتيل

دفع الأحداث إلى منعطف جديد فاستؤنفت الحرب باندفاع جديد لم يسبق له مثيل لتحقيق أهداف إستراتيجية لم يعلن عنها من قبل هي إيقاع هزيمة حاسمة بالإمبراطورية الفارسية. وهكذا توالت المجابهات بين الملك المقدوني الشاب

وجيوش الإمبراطورية الفارسية الأخمينية وتوالت الهزائم في كيليكية وفي خليج الاسكندرونة عند أبواب سورية وفي أربيل في بلاد آشور. وبعد أن دخل الاسكندر بابل وسوسة وپرسپوليس انسحب آخر الملوك الأخمينيين شرقاً إلى هركانية حيث قتل (٣٣٠٠ ق.م.) على يد أحد الولاة المحليين الذي كان يأمل في مكافأة الاسكندر له لكنه لقي ما يستحق من جزاء على غدره وفعلته الشنعاء. وهكذا انهارت الإمبراطورية الشرقية الشاملة لتحل محلها الإمبراطورية العالمية التي جمعت لأول مرة بلاداً من الشرق والغرب.

**الحكومة:**

كان قيام الإمبراطورية الفارسية حدثاً مثيراً، فهي من صنع شعب لم يكن له ماض عريق كالعيلاميين، ولم تكن له حتى ذلك الحين ثقافة مميزة كالثقافات البابلية والمصرية والإغريقية والسورية. ولكن هذه الإمبراطورية ورثت تراث كل الدول القديمة التي قامت على أرض إيران، فقد قامت إمارة أنشان على أرض مملكة عيلام. وورثت أيضاً تقاليد دول الرافدين في الإستراتيجية وفي الإدارة ومنها فكرة الدولة العالمية. وحلّت المملكة الفارسية محل الميدية وورثت منها مطامعها

التوسعية في بلاد الشرق القديم.وكان نظام الحكم ملكياً مطلقاً، ويستند الملك، لفرض سلطانه، إلى حاشية مميزة. وقد أعفي الفرس في هذه الدولة من دفع الضرائب لقاء الخدمة العسكرية. وكان لهم المقام الأول ويأتي بعدهم الميديون. ويساعد الملك حكام إقطاعيون كانوا يملكون الأراضي ويجندون الجيوش ويؤلفون طبقة أرستقراطية شغل كبارها

الوظائف في قيادة الجيش والوزارة والقضاء والإدارة والولاية. وحصل زعماء القبائل الرئيسية على امتيازات أضحت لها مع مرور الزمن صفة وراثية. وقد تلقى أبناء الأرستقراطيين تعليماً ممتازاً تضمّن الرماية والفروسية وقول الحق وهي المؤهلات اللازمة للعمل في خدمة الملك.

أما الجيش فكان يؤلف من مجنّدين من الشعوب المغلوبة. وأما القادة والفرسان فكانوا يختارون من بين الفرس أو الإيرانيين. وأهم الفرق العسكرية «الخالدون»، وهم عشرة آلاف من حملة الأقواس والقنّاصين في الحرس الملكي الذين لا ينقص عددهم. وفي كل ولاية يعيّن والٍ، ساتراب، وكان مكلفاً قيادة الجيش في ولايته والمحافظة على النظام والأمن وجمع الضرائب والهبات والغنائم. ولما كان الفرس غير قادرين على إدارة الإمبراطورية الأخمينية الواسعة الأرجاء إدارة مباشرة فإنهم اكتفوا بالقضاء على الدول الكبرى وتركت الممالك الصغيرة التابعة مثل قبرص وكيليكية وممالك المدن الفينيقية على الساحل السوري وترك الزعماء المحليون الدينيون وأمراء القبائل كالعرب والسكيذيين. ولم يكن

ثمة حرج في تأسيس دول داخل الإمبراطورية كمملكة بيتينيا في الأناضول إذا ما ارتضت التبعية لملك الملوك.

وقد عُني ملوك الفرس بتنظيم جهاز الأمن، الذي كان يتولاه موظفون عرفوا باسم عيون الملك وآذانه، وكانت مهمته المراقبة والتفتيش في الولايات وإطلاع الملك على أحوالها. ولتنظيم الاتصال بين العواصم والولايات شقت الطرق وطُوّر البريد وأُصلحت الطرق القديمة المعروفة قبل قرون. ونفذت مشروعات كبيرة لتشجيع المواصلات البحرية فشُقت قناة تصل بين النيل

والبحر الأحمر عند خليج السويس. ونظمت الرحلات البحرية الاستكشافية لتعرف خطوط جديدة للاتصال بين مصب نهر السند في الهند ودلتا النيل في مصر عن طريق محطات على الساحل الإيراني وعلى السواحل العربية. وتراكمت، نتيجة لذلك النشاط، ثروات كبيرة بلغت أطناناً كبيرة من الفضة والذهب. وقد ضُربت النقود، وأرفعها الدنانير الذهبية وعليها صورة رامي القوس المتوّج، وكانت هذه الدنانير تنفق في تجنيد الجنود المرتزقة وشراء ضمائر العملاء قبل تحريك الجيوش.ولقلة النقد من المعادن الثمينة لجأ ملوك فارس إلى الاستقراض والاستدانة بالفائدة. وفي القرن الرابع ق.م لجأت الدولة إلى فرض تصنيع ما كانت تحتاج إليه من الفخار والزيت والخمور على الولايات الغربية في آسيا الصغرى وسورية ومصر. ولكن فرض الضرائب كان يؤدي إلى

انتفاضات محلية وإقليمية، كما وقع في مصر التي قاومت الاحتلال الفارسي واستردت استقلالها مرتين (٤٦٠-٤٥٦ق.م) و(٤٠٥-٣٤٣ق.م).

أما العالم الهليني فقد قاوم الغزو الفارسي منذ بدايته في مطلع القرن الخامس ق.م حتى النهاية في أواخر القرن الرابع ق.م. وقدّم المؤرخون اليونانيون المعاصرون صورة أسطورية عن الإمبراطورية الفارسية بعد احتكاكهم بها في بلاد الشرق ومقابلتها وجهاً لوجه.

**سلوقيون:**

السلوقيون (٣١٢ ق.م.، ٦٤ ق.م.) هي سلالة هلنستية ترجع تسميتها إلى مؤسس الأسرة الحاكمة للدولة السلوقية، سلوقس الأول نيكاتور أحد قادة جيش الإسكندر، شكلت هذه الدولة إحدى دول القادة الخلفاء(*Diadochii*)، التي نشأت بعد موت الإسكندر المقدوني، وخلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد حكمت منطقة غرب آسيا، ومتدت من تراقيا غرباً وحتى الهند شرقاً. كان للسلوقيين الدور الكبير في تفاعل الحضارتين الإغريقية والشرقية.

كثيراً ما يرد ذكر السلوقيين لدى المؤرخين الغربيين كأعداء لروما، خلال ما عرف بالحروب الرومانية السورية (*Roman-Syrian War*) في الفترة مابين ( ١٩٢٢ – ١٨٨ ق.م) بقيادة أنطيوخس الثالث الكبير (*Antiochus III the Greatt*)

**الامتداد:**

غنم الإسكندر المقدوني أراضي الإمبراطورية الأخمينية وكانت حصة السلوقيين الجزء الأكبر منها، فيما عدا مصر- التي نالها البطالمة، وهكذا كانت حدود الدولة:

- ✓ **شرقاً**: دولة ماوريا في الهند.
- ✓ **غرباً**: الدولة المقدونية في اليونان.
- ✓ **شمالاً**: المملكة الباكترية اليونانية.
- ✓ **جنوباً**: شبه الجزيرة العربية، ومصر البطلمية.

شاملة بذلك كلاً من أسيا الصغرى والهلال الخصيب وفارس.

كانت عاصمة الدولة سلوقية دجلة في العراق لكن تم نقل عاصمتهم في ما بعد إلى مدينة أنطاكية في سوريا التي أسسوها.

ومع هذا الامتداد الهائل إلا أنه يمكن اعتبار منطقة شمال غرب الهلال الخصيب هي المنطقة النواة للإمبرطورية السلوقية، وذلك كم خلال المدن الأربعة (*Tetrapolis*) التي ازدهرت في هذه المرحلة وهي: أنطاكية وسلوقية على شاطيء البحر الأبيض المتوسط التي اعتبرت الميناء الهام لأنطاكية على بعد ٣٢ كم منها عند مصب نهر العاصي، واللاذقية، وأفاميا.

**التاريخ:**

كان سلوقس الأول نيكاتور أحد القادة الخلفاء( *Diadochi*) الذين اجتمعوا بعد موت الإسكندر المقدوني في مؤتمر تريپاراديسوس عند نهر العاصي عام (٣٢١ ق.م) لتقاسم الإمبرطورية، وكان أن نال سلوقس الأول ولاية بابل، لكنه ما لبث أن هرب إلى بطليموس الأول إثر الهجوم الذي شنه القائد أنتيگونوس الأول مونوفثالموس ( *Antigonus I Monophthalmus*) في العام (٣١٦٦ ق.م) على شرق الهلال الخصيب، لكنه عاد في العام (٣١٢ ق.م) وأعلن بداية الحكم السلوقي رسمياً، وتبع ذلك في العام (٣٠٥ ق.م) بتلقيب نفسه ملكً أسوة بباقي القادة الخلفاء، وجعل من سلوقية دجلة عاصمة لحكمه، وتابع سلسلة من المعارك في شرق الإمبراطورية، وكان أن تخلى بعد صلح عن مناطق قريبة من الهند لصالح دولة ماوريا.

شكل أنتيگونوس الأول خطراً على بقية القادة الخلفاء بمطالبته لنفسه بخلافة الإسكندر،و ما كان من سلوقوس الأول إلا أن تحالف مع القائد ليسيماخوس (*Lysimachus*) وهزماه في معركة إبسوس (*Ipsus*) بالعام (٣٠١١ ق.م) فيفريجيا، وبذلك ضم غرب الهلال الخصيب وطور

أنطاكية لتصبح عاصمة ثانية لحكمه، إلا أن ليسيماخوس (*Lysimachuss*) الذي سيطر على مقدونيا أصبح مصدر خطر على سلوقس الأول، مما أدى إلى وقوع معركة بينهما في كوروبديون(*Corupedium*) (مانيسا حالياً) بالعام (٢٨١١ ق.م) أنتصر فيها سلوقس الأول ويضع تحت قيادته الجزء الأكبر من أمبرطورية الإسكندر، وفي أثناء تقدمه في مقدونيا اغتاله بطليموس كراونوس أحد المطالبين بالعرش المقدوني في نفس العام ٢٨١ ق.م.

**حروب و معارك:**

لم يعترف السلوقيون بسيادة البطالمة على القسم الجنوبي الغربي من الهلال الخصيب، المسمى (*Coele-Syria* / ربما كل سورية) وخاضوا ضدهم سلسلة من الحروب عرفت باسم الحروب السورية (٢٧٨-١٦٨٨ ق.م) لم يستطيعوا في الأربعة الأولى منها تثبيت سيادتهم العسكرية، كما حاربت الدويلات الهلنستية بعضها في الأنضول، وحارب السلوقيون مجموعات البدو البرثين الذين نزلوا منطقة جنوب بحر قزوين وشكلوا ماعرف بدولة الأشكانيان أو الأرشيكون.

ودام أمر الحروب بعد تولي أنطيوخس الأول سوتر (٢٨١- ٢٦١ ق.م)*(Antiochus I Soter)* ابن سلوقس الأول، حيث تحالف مع ماجاسالقوريني (*Magas of Cyrene*) ضد بطليموس الثاني في الحرب السورية الأولى، لكنه لم يحقق نجاحاً يذكر، وأتت نهايته في إحدى المعارك ضدالكلت، وتولى بعده ابنه أنطيوخس الثاني ثيوس ( *Antiochus II Theos*) حكم( ٢٦١- ٢٤٦ ق.م) الذي حصل في الحرب السورية الثانية على أجزاء من ايونيا (*Ionia*)، ثم تولى سلوقس الثاني كالينيكوس (*Seleucus II Callinicus*) حكم (٢٤٦- ٢٢٦ ق.م) والذي حصلت الحرب السورية الثالثة في عهده، حيث تقدمت الجيوش البطلمية بقيادة لبطليموس الثالث حتى الفرات، إلا أنه سرعان ما عاد إلى مصر بسبب نزاع في البيت الملكي، مما سهل على سلوقس الثاني استعادة مناطق نفوذه.

مع أعتلاء أنطيوخس الثالث الكبير الحكم في (١٢٣- ١٨٧ ق.م) وهو الأخ الأصغر لسلوقس الثالث كيرانوس ( *Seleucus III Ceraunus*)، عادت الدولة السلوقية لتستعيد بعض قوتها، فقد أعادت السيطرة على أجزاء من الأنضول وصولاً إلى أرمينيا، و أجزاء من (كل سورية) في الحرب السورية الرابعة في معركة رفح في العام ( ٢١٧ ق.م) الذي واجه بها بطليموس الرابع، إلا أنه استطاع في العام (٢٠٠٠ ق.م) السيطرة التامة على منطقة جنوب غرب الهال الخصيب في معركة بانياس الحولة، كما و عمت سيطرت الدولة السلوقية بدأ من العام (١٩٦ ق.م)

على كل أسيا الصغرى بما في ذلك المناطق الساحلية التـي خضـعت سابقاً للسيطرة البطلمية، ومتد نفوذ الدولة حتة تراقيا، مما أدى

إلى المواجهه مع الرومان الـذين دخلـوا المنطقـة اليونانيـة في نفـس الفترة بما عرف باسم الحروب الرومية السورية *(Roman-Syrian War)* في القترة ما بين (١٩٢ – ١٨٨ ق.م) والتي انتهت بخسـارة السـلوقيين في معركـة ماغنسـيا (*Magnesia*)في العـام (١٩٠٠ ق.م) واضـطر الدولـة السلوقية إلى توقيع معاهدة صلح أفاميا( في فريجيا) عام (١٨٨ ق.م) مـع الجمهورية الرومية، تراجعت بموجبها الدولة السلوقية حتى كيليكيا.

بعد موت أنطيوخس الثالث (١٨٧ ق.م) اسـتقلت الأقلـيم التـي ضملت لدولة في عهده واقتصرت حدود الدولـة السـلوقية عـلى الهـلال الخصيب وغرب أيران،و بدأت الإمبراطورية الرومانية بفرض سـطوتها، وكــذلك الإمبراطوريــة الفارسـية، وعــادة الأوضــاع لتتحســن مــع اعتلاء أنطيخوس الرابـع أبيفـانوس العـرش (١٥٧-١٦٤ ق.م) حيـث حدثت الحرب السورية السادسة (١٧٠٠ ق.م) والتي سيطرت بموجبها الدولـة السـلوقية عـلى الجـزء الأكـبر مـن مصـــر السـفلى، إلا أنــه في يــوم إلفســينا عــام (١٦٨ ق.م) طلــب منــه مبعــوث الإمبراطوريــة الرومانية التراجـع مـن مصرـ، وفعـل، و في طريـق عودتـه قـام بتـدمير معبد أورشـليم (القـدس) في العـام (١٦٧ ق.م) لمعاقبـة اليهـود الـذين تحالفوا مع البطالمة ضد الدولة، وعلى أثر ذلك حدثت الثـورة الحشـمونية (المكابية اليهودية) في جنوب غرب الهلال الخصـيب (فلسـطين) (١٦٥٥ ق.م)، كذلك أعاد أنطيخوس الرابع ضم أرمينا للدولة السلوقية، ومات

في إحدى المعارك على الجبهة الشرقية.

بين عامي ١٦٢ و ١٥٠ ق.م اعتلا عرش الملكلة السلوقية ديمتريوس الأول سوتر (*Demetrius I Soter*) ابن سلوقس الرابع الذي عاد من أسره في روما، وأعاد شرق الهلال الخصيب من يد السيطرة الفارسية، وكانت هذه الفترة بداية المواعات على الحكم والقلاقل الداخلية في المملكة، و مع العام (١٤٢ ق.م) تسنى لديودوتوس (*Diodotus Tryphon*) الملك ،الأمر الذي أدى إلى ثورات في العديد من المدن واستقلال أو حكم ذاتي لكل من صور و صيدا وطرابلس وعسقلان واللاذقية وأورشليم و بير وت ومحولة منه لتهدئة الأوضاع الداخلية قام بإعفاء مقاطعة يهوذا من الضـرائب و منحها نوع من الحكم الذاتي ، كما ازداد نفوذ الأنباط في جنوب غرب الهلال الخصيب وتلقب زعماؤهم بالملوك (منذ أواسط القرن الثاني) ، ونافسوا دولة يهوذا، وبقيت حال الفوضى وفقدت المملكة جزأها الشرقي للفرس مرة أخرى، إلى أن تولى الحكم أنطيخوس السابع الصيديوني ( *Antiochus VII Sidetes*) حكم (١٣٨- ١٢٩ ق.م) حيث أعاد سيطرة الدولة على كامل الهلال الخصيب

**الحضارة السلوقية:**

لقد كانت مهمة الدول السلوقية في التاريخ أن تهب الشـرق الأدنى الاستقرار الاقتصادي والنظام السياسي، اللذين وهبتهما إياه فارس قبل

الإسكندر، واللذين أعادتهما إليه رومة بعد قيصر. ولقد أدت في واقع الأمر هذه المهمة رغم ما ينتاب أحوال البشر من حروب وثورات ونهب وفساد ذلك أن الفتوح المقدونية قد حطمت ما أقامته الحكومات واللغات من حواجز

بين الأمم، ودعت الشرق والغرب إلى تبادل المصالح التجارية تبادلاً أتم مما كان بينهما من قبل؛ وكانت نتيجة هذا أن بُعثت الحياة في بلاد آسية اليونانية بعثاً باهراً جديداً. فبينما كان الانقسام والنزاع وجدب التربة وتحول الطرق التجارية يقضي على بلاد اليونان الأصلية، كانت الوحدة والسلم اللتان احتفظ بهما الأباطرة السلوقيون ذواتي أثر عظيم في تشجيع الزراعة والتجارة والصناعة. ولم تعد مدن آسية اليونانية حرة في إشعال نار الثورات أو التجارب في أساليب الحكم؛ بل أرغمها الملوك على أن تأتلف، حتى أصبح الائتلاف إلهاً يعبد في هذه المدن، وكانت نتيجة هذا أن ازدهرت من جديد مدن قديمة مثل ميليطس، وإفسوس، وأزمير.

وكانت أودية دجلة والفرات، والأردن، والعاصي، وميندر، وهاليس، وجيحون خصبة إلى حد لا يستطيع خيالنا أن يتصوره الآن لما يثقله من مناظر الصحارى، والقفار الصخرية التي تغطي أصقاع واسعة من بلاد الشرق الأدنى بعد أن ظلت ألفي عام كاملة معرضة لعوامل التعرية، ولتقطيع الغابات وإهمال الأهلين حرثها وزرعها. وكانت الأرض في أيام تلك الإمبراطورية ترويها شبكة من القنوات تشرف عليها الدولة وتُعنى بأمرها. وكانت وقتئذ ملكاً للملوك والنبلاء من رجال حاشيته، أو للمدن، أو الهياكل، أو الأفراد. وكان الأقنان هم الذين

يزرعونها في جميع هذه الأحوال وينتقلـون معهـا إذا مـا أورثـت أو بيعت. وكانت الحكومة تعد كل ما تحتويه الأرض من ثروة ملكـاً قوميـاً، ولكنها قلما كانت تُعنى باستغلالها. وقـد بلغـت الحـرف وقتئـذ، والمـدن نفسها، درجة عظيمة من التخصص؛ فكانت مليطس مثلاً مركزاً هاماً

لصناعة النسيج، وكانت أنطاكية تستورد المواد الغفـل وتحيلهـا إلى بضائع مصنوعة، وبلغت بعض المصـانع الكـبرى التـي تسـتخدم العبيـد درجة لا بأس بها مـن الإنتـاج الكبـير ترسـله للأسـواق العامـة ولكـن الاستهلاك المحلي لم يجارِ الإنتاج، لأن فقـر الأهلـين لم يسـاعد عـلى قيـام أسواق محلية كبيرة تشجع الصناعات الكبرى.

وكانت التجـارة حيـاة الاقتصـاد الهلنسـتي، فهـي التـي أوجـدت الثروات الكبرى، وشادت المدن العظيمة، واستخدمت نسبة متزايدة مـن السكان الآخذين في الازدياد. وحل التعامل بالنقد في ذلك الوقـت محـل المقايضة التي ظلت أربعـة قـرون وسـيلة للتعامـل لم تقـضِ عليهـا نقـود كروسس. لكنها وقتئذ كادت تختفي اختفاءً تامـاً مـن تلـك الـبلاد، فقـد أصدرت مصر، ورودس، وسلوقية، وبرجموم، وغيرهـا مـن الحكومـات نقوداً بلغت من الاستقرار والتشابه حداً يكفي لتيسـير التجـارة الدوليـة. وكانت المصارف تيسـر وسائل الائتمان الفردي والعـام، وكانـت السـفن كبيرة تتراوح سرعتها بين أربعة أميال بحرية وستة أميال في الساعة، وكان لها فضل تقصير المسافات بعد أن استطاعت السير في عرض البحـار. وفي البر عنى السلوقيون بالطرق الكبرى التي ورثتها بلاد الشرق عن فارس،

وأكثروا منها، وزادوا في أطوالها. وكانت طرق القوافل الممتدة من أطراف آسية الصغرى تلتقي في سلوقية ثم تتفرع منها إلى دمشق، وبريتس (بيروت) وأنطاكية. وأثرت سلوقية من هذه التجارة الواسعة، وعملت على إنمائها، فقامت أحياء غاصة بالسكان فيها وفي بابل، وصور، وطرسوس، وزانثوس، ورودس، وهليكرنسس، وميليطس

وإفسوس، وأزمير، وبرجموم، وبيزنطية، وسزيكوس *Cyzicus*، وأباميا *Apamea*، وهرقلية، وأمسوس *Amisus*، وسينوب، وبنتيكبيوم *Banticapaeum*، وألبيا *Albia*، ولسماكيا *Lysimacheia*، وأبيدوس، وثسلونيكا (سلونيكا)، وخلقيس، وديلوس، وكورنثة، وأمبراشيا *Ambracia*، وإبدامنوس *Epidamnus* (درازو الحالية)، وتراس، ونيبوليس *Neapolis* (نابلي) وروما، ومساليا، وإمبوريوم *Emporium*، وبنورموس *Banormus* (بالرمو)، وسرقوسة، ويوتيكا *Utica*، وقرطاجة، وقوريني *Cyrene* والإسكندرية. وكانت شبكة ناشطة من طرق التجارة تربط أسبانيا في عهد قرطاجة بروما؛ وقرطاجة في أيام هملكار وسرقوسة في عهد هيرون الثاني بروما أيام آل سبيو؛ ومقدونية في عهدالأنتجونيين، وبلاد اليونان في عهد العصب المتحالفة، ومصر في عهد البطالمة، والشرق الأدنى في عهد السلوقيين، والهند في عهد آل موريا *Maurya* والصين في عهد أسرة هان. وكانت الطرق الآتية من بلاد الصين تخترق التركستان، وبكتريا، وفارس، أو تجتاز بحر أرال والبحر الأسود وبحر قزوين. أما الطرق الآتية من الهند فكانت تجتاز أفغانستان

وفارس إلى سلوقية أو تخترق بلاد العرب والبتراء إلى أورشليم ودمشق، أو تعبر المحيط الهندي إلى أدانا (عدن) ثم تجتاز البحر الأحمر إلى أرستوي (السويس الحالية)، ومنها إلى الإسكندرية. ومن أجل الإشراف على هذين الطريقين الآخرين اشتبك السلوقيون والبطالمة في "الحروب السورية" التي أضعفتهما جميعاً آخر الأمر ضعفاً أخضعهما إلى رومة.

وورثت الملكية السلوقية التقاليد الآسيوية فكانت ملكية مطلقة، لا تحد من سلطتها جمعية شعبية. وقد نظم بلاط الملك على الطراز الشرقي فكان فيه رجال التشريفات ذوو الملابس المزركشة، والحلل الرسمية، والبخور والموسيقى؛ ولم يبقَ فيهِ شيء يوناني عدا الكلام والملابس الداخلية. ولم يكن الأشراف فيها زعماء شبه مستقلين كما كانت الحال في مقدونية وفي أوربا في العصور الوسطى، بل كانوا موظفين إداريين أو عسكريين يعينهم الملوك. وهذا النظام الملكي هو الذي انتقل من بلاد الفرس عن طريق السلوقيين والساسانيين إلى رومة في عهد دقلديانوس، وبيزنطية في عهد قسطنطين. وكان السلوقيون يعرفون أن سلطانهم في هذا المحيط الأجنبي إنما يعتمد على ولاء السكان اليونان، ولهذا بذلوا كل ما يستطيعون من جهد لإعادة المدن اليونانية القديمة وإنشاء مدن أخرى جديدة؛ فأنشأ سلوقس الأول تسع مدن باسم سلوقية وستاً باسم أنطاكية وخمساً باسم لأوديسيا، وثلاثاً باسم أباميا، وواحدة باسم أسترتونيس *Stratonice*، وحذا خلفاؤه حذوه بقدر ما وسعته جهودهم التي كانت أقل من جهوده. ونمت هذه المدن وتضاعف عددها كما حدث في أمريكا في القرن التاسع عشر.

وعن طريقهم أخذ غربي آسية يصطبغ بالصبغة اليونانية بخطى سريعة في ظاهر الأمر. ولا حاجة إلى القول بأن هذه العملية كانت قديمة العهد، فقد بدأت في أيام الهجرة الكبرى، وكان الانتشار الهلنستي من بعض نواحيهِ هو نهضة أيونيا من جديد وعودة الحضارة اليونانية إلى مواطنها الآسيوية القديمة، ولقد كان اليونان حتى قبل الإسكندر يشغلون مناصب رفيعة في الإمبراطورية الفارسية، كما كان التجار اليونان يسيطرون على المسالك التجارية في الشرق

الأدنى القريب.أما الآن فإن الفرص السياسية والتجارية والفنية قد اجتذبت سيلاً جارفاً من المهاجرين المغامرين، والمستعمرين والكتبة، والجند والتجار، والأطباء، والعلماء، والسراري. وكان المثّالون والحفارون اليونان ينحتون التماثيل وينقشون النقود لملوك فينيقية، وليشيا، وكاريا، وصقلية، وبكتريا.

وهرعت الراقصات اليونانيات إلى الثغور الآسيوية، وغشى الفساد الخلقي الجنسي ستار يوناني ظريف، وأثارت مدارس الألعاب الرياضية اليونانية وساحاتها في بعض الشرقيين شغفاً لم يألفوه من قبل بالألعاب والحمامات. فأنشأت المدن طرقاً جديدة تمدها بالماء ونظماً جديدة لصرف الأقذار، ورصفت الطرق ونظفت. ونشطت المدارس، ودور الكتب، والتمثيل والقراءة والأدب؛ وكان طلاب العلم في الكليات والجامعات يطوفون بشوارع المدن يحاجج بعضهم بعضاً، أو يحاجون الناس كما كانوا يفعلون في العهد القديم؛ ولم يكن أحد يحسب من المثقفين إلا إذا كان

يفهم اللغة اليونانية، ويستطيع الاستمتاع بمسرحيات منانـدر، ويوربديز. وكانت سيطرة الحضارة اليونانية على بلاد الشرق الأدنى من أغرب الظواهر في التاريخ القديم؛ ولم ترَ آسية من قبل مثل هذا التبدل السريع الواسع المدى. غير أننا لا نعرف من تفاصيله وآثاره إلا النزر اليسير؛ ذلك أن ما وصلنا من المعلومات عن آداب آسية السلوقية، وفلسفتها، وعلومها جد ضئيل، وإذا لم نجد فيه إلا عدداً قليلاً من الشخصيات الجبارة أمثال زينون الرواقي، وسلوقس الفلكي، وفي العهد الروماني مليجر الشاعر، وبسيدبس الذي كان يلم بكثير من العلوم المختلفة

إذا لم نجد إلا هذا العدد القليل فإنا لا نستطيع أن نجزم أنه لم يكن هناك كثيرون غيرهم. والحق أن هذه الثقافة كانت ثقافة مزدهرة، ذات ألوان متعددة، رقيقة مهذبة، متحمسة، لا تقل خصباً في الفنون عن أية ثقافة سبقتها. ومبلغ علمنا أنه لم توجد قبلها ثقافة تضارعها في سعة انتشارها وفي وحدتها المعقدة بين ما كان يحيط بها من بيئات متباينة. وقصارى القول أن غرب آسية ظل مدى قرن من الزمان تابعاً لأوربا، وأن السبيل قد مُهد للسلام الروماني والتآلف المسيحي الجامع الشامل.

ولكن هذا لا يعني أن الشرق قد غلب على أمره، فلقد كانت خصائصه متأصلة فيه قديمة العهد، ولم يكن من اليسير أن يسلم روحه إلى الغرب أياً كانت قوته. لهذا ظلت جمهرة الناس تتخاطب بلغاتها الوطنية، وتجري على سننها وأساليبها المألوفة من قديم الزمان، وتعبد

الآلهة التي كان يعبدها آباؤها وأجدادها؛ وكان الغشاء اليوناني الذي يغشى البلاد البعيدة عن شواطئ البحر الأبيض المتوسط رقيقاً، وكانت المراكز الهلينية القائمة في هذه الأصقاع أمثال سلوقية على نهر دجلة جزائر يونانية في البحر الشرقي. ولم تمتزج في هذه الأصقاع الأجناس والثقافات الامتزاج الذي كان يحلم بهِ الإسكندر؛ بل كان من فوق سطحه يونان وحضارة يونانية، ومن تحتها خليط من الشعوب والثقافات الشرقية، ولم تدخل الصفات الذهنية اليونانية في العقل الشرقي، ولم تُحدث ما امتاز بهِ اليونان من نشاط وحب للجديد، وحرص على الشؤون الدنيوية، ورغبة شديدة في الكمال، والتعبير عن الذات والنزعة الفردية القوية، لم يُحدث هذا كله تغييراً ما في أخلاق الشرقين. بل حدث عكس هذا، حدث

على مر الأيام أن جاشت أساليب التفكير والإحساس الشرقية من أسفل وغمرت الطبقة اليونانية الحاكمة، ثم نقلها هؤلاء إلى الغرب فكانت هي التي بدلت العالم "الوثني". ففي بابل استعاد التاجر السامي ومَصْرَفِيُّ الهيكل الصابران سيطرتهما على الهلني المتقلب الفَرَّار، فاحتفظا بالكتابة المسمارية، وأنزلت اللغة اليونانية إلى المكانة الثانية في عالم الأعمال؛ وأفسد التنجيم، والكيمياء الكاذبة، فلك اليونان وعلومهم الطبيعية، وأثبتت الملكية المطلقة الشرقية أنها أقوى من الديمقراطية اليونانية، وانتهى الأمر بأن فرضت صورتها على الغرب نفسه، فأصبح الملوك اليونان والأباطرة الرومان آلهة كما كانوا في بلاد الشرق، وانتقلت نظرية

حق الملوك المقدس التي كانت تسود بلاد الشرق إلى أوربا الحديثة عن طريق رومة والقسطنطينية.

وبث الشرق عن طريق زينون نزعته التجريبية والجبرية في الفلسفة اليونانية، كما سرى تصوفه وتقواه من مئات السبل إلى الفراغ الذي تركه تدهور الدين اليوناني السليم. وسرعان ما قبل اليونان آلهة الشرق ورأوا أنهم في جوهرهم آلهتهم هم؛ ولكن اليوناني لم يكن في واقع الأمر يؤمن بالآلهة كما كان يؤمن بها الشرقي، ولهذا بقي الإله الشرقي ومات الإله اليوناني، فعادت أرتميس الإفيزية كما كانت إلهة شرقية للأمومة، ذات اثنتي عشر ثدياً، واستسلم عدد عظيم من غزاة اليونان للطقوس الدينية البابلية، والفينيقية، والسورية. وقصارى القول أن اليونان عرضوا على الشرق الفلسفة، وأن الشرق عرض على اليونان الدين، كانت الغلبة للدين، لأن الفلسفة كانت ترفاً يقدم للأقلية الضئيلة، أما الدين فكان سلوى للكثيرين. واستعاد الدين سلطانه في هذا

التبادل التاريخي المضطرب بين الإيمان والكفر؛ والنزعة التصوفية والنزعة الطبيعية؛ والدين والعلم؛ وذلك لأن الدين أدرك ما ينطوي عليه الإنسان من ضعف وعزلة، وبعث فيه الإلهام والشعر. وقد سَرَّ العالم الذي زالت عن أعينه غشاوة الخداع، العالم المستقل، الذي سئم الحروب، وسر هذا العالم أن يعود إليه الإيمان والأمل. وكان أعمق فتوح الإسكندر أثراً نتيجة أبعد ما تكون عن العقل، ألا وهي اصطباغ الروح الأوربية بالصبغة الشرقية.

**نهاية الدولة:**

بعد حكم أنطيخوس السابع خضعت الدولة السلقية لنفوذ وتدخل المملالك المجوارة وخصوصاً المملكة البطلمية، وبدأ من العام (١٢٥ ق.م) تواجد أكثر من ملك في نفس الوقت لدولة، فكان البطالمة يتحالفون مع المكلبين بالعرش في سبيل إضعاف الملوك الموجدين،وزدادت الصرعات الداخلية في المملكة وفي البيت الملكي بين الأخوة وأبناء العمومة، وبقي الحال على ذلك حتى العام (٨٣ ق.م ) حيث أستغل ملكأرمينيا تيگران (*Tigranes the Great*) حكم (٨٣- ٦٩٩ ق.م) هذه الفوضى وقام بحتلال سوريا، ولكنه مالبث أن هزم في مواجهته مع الرومان في العام (٦٩٩ ق.م) ، وعاد الملك السلوقي تحت حكم الملك أنطيخوس الثالث عشر (*Antiochus XIII Asiaticus*) حكم (٦٩- ٦٤ ق.م) ولكنه تابع للقيادة الرومية، وكان أن نافسه ابنه فيليب الثاني (٦٥- ٦٣ ق.م)، إلا أن القائد الروماني بومبي أنها الحكم السلوقي في العام (٦٣ ق.م) وذلك بتأسيسه ماعرف بالولاية الرومانية السورية.

**پارثيون:**

پارثيا *Parthia* فارسية وسيطة :اشكانيان كانت حضارة إيرانية متواجدة في الجزء الشمالي الشرقي من إيران المعاصرة، ولكن في أوج عظمتها، الأسرة البارثية حكمت كل إيران، بالإضافة لمناطق من الدول

المعاصرة التالية: العراق، أرمنيا، جورجيا، شرق تركيا، شرق سوريا، تركمنستان، أفغاستان، طاجيكستان، باكستان، الكويت، الخليج العربي، والساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية، البحرين، قطر، لبنان، فلسطين والإمارات العربية المتحدة.

البارثيون أو الفرثيون *Parthians* شعب من الشعوب الإيرانية القديمة (عرفوا في البداية باسم برني *Parni* ) استقر بعد ترحال في منطقة بارثية( *Parthia* خراسان) التي تؤلف الجزء الشرقي من إيران، وتمكن من التخلص من السيطرة السلوقية خلال القرن الثالث قبل الميلاد، وإقامة حكم أرستقراطي إقطاعي بزعامة أرشاك أو أرشاق *Arsakes* زعيم إحدى قبائلهم الذي أسس سلالة ملكية حاكمة عرفت باسمه (الأرشاقيون)، دامت ما يقرب من خمسة قرون. وقد عُرف ملوكها في المصادر التاريخية العربية باسم "ملوك الطوائف".

**أصل البارثيون:**

إن بدايات تاريخ البارثيين غامضة بسبب قلة المصادر. ولكنها بدأت تزداد مع ارتفاع شأنهم بعد قيام ميتراداتس الأول (١٧١-١٣٨ق.م) بحملة نحو الغرب احتل إبانها مقاطعة ميدية وأجزاء من بلاد الرافدين، واحتل عام ١٤١ق.م مدينة سلوقية دجلة.

تعزّزت السيادة البارثية على بلاد بابل خلفاً للسلوقيين في عهد أرطبان الثاني «أرتبانوس» عند اليونان (١٢٨-١٢٤ق.م)، وشهدت مملكتهم ازدهاراً واتساعاً في عهد ميتراداتس الثاني (١٢٣-٨٨ق.م)، وصار الفرات منذ عام ٦٦ق.م حدّها الغربي مع الامبراطورية الرومانية.

شهدت المملكة مرحلة ضعف في أواخر عهد ميتراداتس الثاني، فاستغل ذلك ديكران ملك أرمينية (٩٥-٥٥ق.م) وسيطر على مناطق لهم. ولكنهم استعادوا قوتهم في عهد أفراط الثالث «فرآتس» (٧٠-٥٨ق.م)، وتحالفوا مع الرومان على ديكران وهزموه. ولكن تحالفهم مع الرومان لم يدم طويلاً بسبب الخلاف حول مناطق النفوذ، ودارت رحى معركة بين الطرفين قرب حرّان (الرها *Edessa* ) انتهت بإبادة الجيش الروماني والاتفاق على جعل الفرات حدّاً بينهما.

مرت المملكة البارثية في المرحلة التالية بحالة اضطراب وضعف، سببها الصراع داخل السلالة الحاكمة وظهور تيارات معارضة لها. وقد انعكس ذلك في كثرة تبدّل الملوك واستقلال سلوقية دجلة سبع سنوات (٣٦-٤٢) وتعرض الحدود الشرقية إلى اعتداءات، واستقلال بعض المناطق.

استمر ذلك في القرن الثاني الميلادي، واستفاد الرومان منه. فقد انتزع تراجان مدينة دورا ــ أوروبوس (الصالحية) منهم عام ١١٣، وسيطر على بابل وسلوقية دجلة وطيسفون (١١٥/ ١١٦)، لكن خليفته هادريان تخلّى عنها في مطلع حكمه ١١٧.

قاد الرومان إبان حكم ماركوس أوريليوس *Marcus Aurelius* حملةً على البارثيين في أرمينية (١٦٢/ ١٦٣ق.م)، وأوصلوا إلى الحكم أسرة موالية لهم، ثم ساروا مع الفرات إلى بلاد بابل واحتلوا سلوقية دجلة في أواخر عام ١٦٥ وخربوها ثم انسحبوا منها.

وفي عام ١٩٨ دمّر سبتيموس سيفيروس *Septimius Severus* مدينة طيسفون، وتوزعت قواته في بلاد بابل. وفي العام التالي عقدت بين الطرفين معاهدة سلام.

ظهرت بوادر نهاية المملكة البارثية في الجانب الآخر (الشرقي) منها، ففي إقليم فارس ـ الذي كان يتمتع منذ قرون بحالة شبه مستقلة عن المملكة البارثية ـ نهضت أسرة من سلالة ساسان، وتمردت منذ نحو ٢٢٠، ووجهت حملات مؤثّرة إلى مناطق المملكة المركزية، وكانت خاتمتها الفاصلة في تاريخ إيران حملة خريف ٢٢٤. وفي ٢٢٦ توّج الساساني أردشير نفسه على العرش في طيسفون وأنهى السيادة البارثية في بلاد بابل.

امتدت المملكة الپبارثية من الفرات غرباً حتى الهند شرقاً، إذ تمكنت من بسط نفوذها على الممالك الهندية ـ السكيثية. ولكنها كانت تواجه تهديداً مستمراً من قبل شعوب السهوب الشرقية في آسيا الوسطى وخاصة من قبل الساكا السكيثية والقبائل التوخارية (الطخارية)، وقد سقط بعض الملوك الفرثيين قتلى إبان المعارك معها.

عدّ الپارثيون أنفسهم ورثة الأخمينيين وادعوا الانتساب إليهم، واتبعوا في مملكتهم نظاماً مزيجاً من التقاليد الإيرانية والهلنستية، لكن السلطة المركزية كانت ضعيفة ومهلهلة، وذلك أن الأسر الأرستقراطية الإقطاعية الكبيرة كانت تتحكم باختيار الملك وتتوارث أهم الوظائف والقيادات. قُسمت المملكة إلى مقاطعات كبيرة يحكمها قواد عسكريون وولايات يحكمها ولاة (ستاربة). بينما كانت المدن الإغريقية تتمتع بحكم ذاتي يحد منه وجود ضابط وقاض ملكي. أما عن عواصم البارثيين فكانت أولاها هيكاتومبيلوس الواقعة في خراسان، ثم انتقلت إلى اقباتان (همذان) في ميدية، وصارت منذ القرن الأول ق.م طيسفون الواقعة على نهر دجلة.

كان البارثيون يتكلمون اللغة البهلوية (البارثية) وهي إحدى اللهجات الإيرانية الشمالية.ولكنهم استعملوا اللغة الإغريقية في مراسلاتهم مع المدن الإغريقية. واستخدموا علوم الإغريق وأساليبهم الإدارية كما استخدموا التقويم السلوقي إلى جانب تقويمهم البارثي، الذي يبتدئ من تأسيس السلالة الأرشاقية في عام ٢٤٧ق.م.

اعتنق الپارثيون الديانة المزدكية الإيرانية الشعبية، لكنهم كانوا متسامحين مع الديانات الأخرى.

**پارثيا كتابع:**

وكان الباثيون قد ظلوا عدة قرون يحتلون الإقليم الواقع جنوب بحر الخزر بوصفهم رعايا الملوك الأخمينيين ثم الملوك السلوقيين. وكان هؤلاء البارثيون من العنصر السكوذي- التوراني أي أنهم من جنس الشعوب الضاربة في الجنوب الشرقي من روسيا وفي بلاد التركستان.

**الامبراطورية الپارثية:**

وفي عام ٢٤٨ ق.م. خرج زعيم سكوذي يدعى أرساسيس على حكم السلوقيين، وجعل بارثيا دولة مستقلّة ذات سيادة، وأنشأ فيها أسرة أرساسية مالكة. ولما ضعف الملوك السلوقيون على أثر هزيمة رومة لأنتيخوس الثالث (١٨٩ ق.م) عجزوا عن حماية بلادهم من البارثيين الهمج المتهورين، فلم يَكَد يختتم القرن الثاني قبل الميلاد حتى كانت أرض الجزيرة وفارس بأكملها قد ضمت إلى الإمبراطوريّة البارثية الجديدة. وكان للملوك البارثيين الجدد ثلاث عواصم يقيمون فيها في فصول السنة المختلفة: هكتومبيلس *Hecatompylus* في بارثيا، وإكبتانا) محل همذان) في ميديا، وقطشفونة *Ctesiphon* على المجرى الأدنى لنهر دجلة. وعلى الضفة الأخرى للنهر المقابل لطشقونة كانت تقوم العاصمة السلوقية القديمة وهي مدينة سلوقيا التي ظلّت عدة قرون مدينة يونانية في مملكة بارثية: وقد احتفظ الحكام الأرساسيون بالنظام الإداري الذي أقامه السلوقيون، ولكنهم غشوه بنظام إقطاعي أخذوه عن الملوك الأخمينيين. وكانت جمهرة الشعب تتألف من أقنان الأرض والرقيق؛ وكانت الصناعة

متأخرة وإن كان صاهرو الحديد البارثيون قد استطاعوا أن يخرجوا منه نوعاً جيداً، وكانت "صناعة عصر الخمر تدر أرباحاً طائلة". وكان جزء من ثروة البلاد يأتي عن التجارة التي تُنقل في الأنهار الكبرى، ويُنقل بعضها في طرق القوافل التي تجتاز بارثيا في طريقها بين أقاصي آسية وبلاد الغرب. واشتبكت روما مع بارثيا في حرب بعد حرب من سنة ٥٣ ق.م حين هزم البارثيون كراسس *Crassuss* في كاري *Carrhae* إلى سنة ٢١٧م حين ابتاع مكرينس *Macrinus* الصلح من أرتبانس*Artabanuss* ، بغية السيطرة على هذه الطرق وعلى البحر الأحمر.

وكان البارثيون أعنى أو أفقر من أن يهتموا بالأدب؛ فقد كان الأشراف، يفضلون فن الحياة على حياة الفن كشأنهم في كل العصور؛ وكان أقنان الأرض أميين لا يعرفون للآداب معنى، وكان الصنّاع منهمكين في عملهم لا يجدون متّسعاً من الوقت للاهتمام بالأدب، وكان التجّار مشغولين بتجارتهم عن إنتاج فن عظيم أو كتب قيمة. وكان الأهلون يتكلمون اللغة الفهلوية، ويكتبون بالآرامية على الجلود، وكانت الآرامية قد حلّت وقتئذ محل الكتابة المسمارية. ولم تبقِ لنا الأيام سطراً واحداً من الآداب البارثية، لكننا نعلم أن المسرحيات اليونانية كانت تُمثل في طشقونة كما كانت تُمثل في سلوقيا، وذلك لأن رأس كراسس قد ظهر في أحد أدوار الباحيين ليوربديز. أما الصور والتماثيل التي كُشفت في

تدمر، ودور- أوربس، وأشـور فكانـت في أكـبر الظـن مـن صـنع الفنـانين الإيـرانيين؛ وكـان امتـزاج الطـرازين اليونـاني والشرـقي ذلـك الامتزاج الساذج ذا أثر في فن العصور التي تلت ذلـك العصــر في جميـع بلاد آسية من

الصين إلى القسطنطينية. وقد بقـي لنـا نقـش واضـح يُمثـل راميـاً بالسهام على ظهر جواد، ويوحى بأنه لو بقي لنا من فن البارثيين أكثـر ممـا عثرنا عليه منه لكان تقديرنا لهذا الفن أعلى من تقديرنا الحـالي. وقـد شـاد أمير إقطاعي عربي من أتباع ملك بارثيا قصراً مـن حجـر الجـير في حـترا *Hatra*القريبة من الموصل (٨٨ ق.م) يحتوي على سبعة أبهاء ذات عقـود وقباب، وشاده على طراز قوي ولكنه همجي. غير أن أعمالاً فنية بارثية من طراز حسن قد بقيت لنا في الأدوات الفضية وفي الحلي.

ولكن البارثيين نبغوا في الفن المحبب إلى فن الإنسـان- ونعنـي بـه زينـة الأجسـام. لقـد كـان رجـالهم ونسـاؤهم عـلى السـواء يعقصـون شعورهم، وكان الرجال يطيلـون لحـاهم المجعّـدة وشـواربهم المتهدّلـة، ويرتدي الواحد منهم قميصاً وسروالاً منتفخـاً يعلوهمـا في العـادة ثـوب متعدد الألوان. وأما النساء فكنّ يرتدين أثواباً مطرّزة تطريزاً دقيقاً جميلاً، ويزين شعرهنّ بالأزهار. وكان أحرار البارثيين يسلون أنفسهم بالصـيد، ويكثرون من الطعام والشراب، ولا يمشون على أقـدامهم إذا اسـتطاعوا الركـون. وكـانوا محـاربين شـجعاناً، وأعـداء شرفـاء، يحسـنون معاملـة الأسرى، ويقبلون الأجانب في المناصب الكبرى، ويحمون اللاجئين، غير

أنهم كانوا في بعض الأحيان يبترون أعضاء المدني من الأعداء، ويُعذبون الشهود، ويُعاقبوا على الذنوب الصغيرة بضرب السياط. وكان من عادتهم تعدد الزوجات إذا أمكنتهم مواردهم من ذلك التعدد، وكانت نساؤهم محجبات معزولات عن الرجال، وكانوا يعاقبون نساءهم على

الخيانة الزوجية بأقصى العقوبات، ولكنهم يبيحون الطلاق للرجال والنساء على السواء لا يكادون يقيمون في سبيله عقبة ما ولما أن زحف سرينا *Surena* القائد البارثي بجيشه على كراسس اصطحب معه مائتي حظية وألف بعير محملة بلوازمه. والصورة التي تنطبع في أذهاننا عن البارثيين في جملتهم هي أنهم كانوا أقل حضارة من الفرس الأكيمينيين، وأشرف وأكرم أخلاقاً من الرومان. فقد كانوا متسامحين مع مَن يخالفونهم في الدين، يُجيزون لليونان واليهود، والمسيحيين المُقيمين بين ظهرانيهم أن يقيموا شعائر دينهم دون أن يتدخّلوا في شئونهم. أما هُم أنفسهم فقد انحرفوا بعض الانحراف عن الزرادشتية الصحيحة، فكانوا يعبدون الشمس والقمر، ويُفضلون مثراس عن أهورا- مزدا فكانوا من هذه الناحية كثيري الشبه بالمسيحيين إذ يُفضلون المسيح على يهوه. وقد كان لكهنة المجوس يَد في القضاء على الأسرة الأرساسية لأنهم لم يلقوا من ملوكها المتأخرين ما كانوا يتطلّعون إليه من الرعاية.

### الانحطاط والسقوط:

لما توفي ملكهم فلوجاسس الرابع (٢٠٩م) تنازع ولداه فلوجاسس الخامس وأرتبانس الرابع على عرش المملكة. وانتصر أرتبانس في هذا النزاع ثم هزم الرومان في نزيب *Nisibis.* ودامت الحرب بين الإمبراطوريتين ثلاثة قرون ثم انتهت بانتصار البارثيين نصراً غير حاسم لأن سهول أرض الجزيرة كانت توائم خيّالة البارثيين أكثر مما توائم فيالق الرومان.ثم تورّط أرتبانس بعدئذ في حرب داخلية لقي فيها حتفه وأعلن أرتحشتر الشريف الإقطاعي في

بلاد الفرس والذي غلبه على أمره ملك الملوك (١٢٧م) وأسس الأسرة الساسانية.وعاد الدين الزرادشتي إلى سابق عهده، وبدأ في بلاد الفرس عهد من أعظم العهود التي مرّت بها في تاريخها الطويل.

### الآثار:

إن الآثار الپارثية التي عثر عليها في إيران قليلة، أبرزها هياكل النار الحجرية في پرسپوليسونورآباد ومشاهد منقوشة على صخور "صخرة تانجي سرواك."

**✍ أما في بلاد الرافدين فقد كشف عنها في مواقع عدة أبرزها:**

١. أوروك (الوركاء): كشف فيها عن مبانٍ سكنية وثلاثة معابد بارثية هي:

- ✓ معبد صغير في الساحة الجنوبية للمبنى "بيت ريش."

- ✓ معبد الإله ميثرا (المخلّص*Mithreum*)، وهو عبارة عن مبنى نصف دائري.
- ✓ معبد جاريوس *Gareus* في جنوبي المدينة.

٢. نيبّور (نُفَّر): ضمت ثلاث سويّات من العصر البارثي، من آثارها:

- ✓ معبد صغير في القسم الشرقي من المدينة.
- ✓ "القصر الصغير" في وسط القسم الغربي. تتوسطه ساحة ذات أعمدة من الآجر المشوي. ويختلف الباحثون في تأريخه بالعصر السلوقي المتأخر أو البارثي المبكر.

٣. بابل: ظهرت فيها سويّات بارثية ضمن الشواهد المعمارية القديمة، كما كُشف عن:

- ✓ قلعة بارثية في أقصى الشمال.
- ✓ مبنى شمال معبد عشتار يشبه معبد جاريوس في أوروك.
- ✓ آثار ميناء بارثي متأخر كان يستخدم عند جزر مياه الفرات.
- ✓ قبور متفرقة ومقبرة كبيرة في شرقي المدينة (تل حُميره) وبيوت سكنية كثيرة.

٤. سلوقية دجلة (تل عمر): كُشف فيها عن معبدين بارثيين يتصل بهما مسرح، وعن أبنية ودمى طينية وقطع فخارية.اتسعت هذه المدينة خلال العصر البارثي في الضفة اليسرى لدجلة، حيث نشأت مدينة طيسفون (المدائن).

٥. حطـرا (الحضرـ): ابتكـر البـارثيون أسـلوباً جديـداً في تصـميم مخططها على شكل دائـرة يحـيط بهـا سـوران في كـل مـنهما أربـع بوابات. كُشف فيها عن عدة معابد أهمهـا معبـد الشـمس وعـن قصـر ذي سقف مقبّب زُيّنت جدرانـه الخارجيـة بوجـوه بشرـية منحوتة نافرة.

٦. دورا ـ أوروبوس (الصالحية): أُعيد فيها بناء معبد أرتميس، وبني معبد للإلهة أترجاتيس (٣١م) وآخر للإلهـة أزّانـا ثكونـا وسـبعة معابد أخرى. وكُشف فيها عن عدد من المنحوتات الطقسية التي يظهر فيها تأثير الفن التدمري بوضوح.

تأثر البارثيون بادئ الأمر بالحضارة الهلنستية تأثراً كبـيراً، ثـم بـرز بيـنهم تيـار مشـبع بـالروح الإيرانيـة الشرـقية دعـا إلى نبـذها. وبقيـت حضارتهم ممتزجة بملامح هلنستية وبابلية آشورية قديمة. يتمثـل الطـابع الفني البارثي الخالص في خصوصية أشكال الأشخاص المصورين، وتميّز أزيائهم وزيادة الاهتمام بجماليتها. كما تظهر في شواهدهم المعمارية عناصر وأساليب فنية متميزة.

تركت أعمالهم الفنية تأثيراً واضحاً في الفـن الساسـاني، وهـي تعـدّ مرحلة أساسية من تاريخ الحضارة الإيرانية.

# الفصل الخامس
# اختلاط الحضارة الفارسية بالحضارات الأخرى

التواصل الثقافي بين الحضارات له عدة أشكال وطرق، والترجمة تعد أرقى هذه الطرق إذ من خلال ترجمة ثقافة الآخر تنساب أفكاره ومعتقداته وتجاربه بسهولة ويسر. والحضارة العربية الإسلامية وبالتحديد في العصر العباسي المبكر لعبت الترجمة دور في تشكيل الثقافة العربية الإسلامية من خلال انفتاح الدولة العباسية على تراث الأمم السابقة سواء تراث الشعوب التي خضعت تحت سيطرة الدولة العباسية كالفارسية أو الشعوب المجاورة كاليونانية والهندية والصينية وكان أهم أسباب انطلاق حركة الترجمة تبني النخب السياسية في الدولة العباسية ممثلة بالخلفاء لهذه الحركة مما أدى إلى إطلاق قوى المجتمع بحيث أصبحت ثقافة عامة للمجتمع شارك فيها جميع النخب الإجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. فكان تأثر وتأثير الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى واضحاً سواء التأثيرات العلمية واللغوية والاقتصادية والإدارية وغيرها.

تعد الترجمة من أوضح الصور والأمثلة على التواصل الثقافي مع الآخر سواء كان هذا الآخر ثقافة منافسة أو مغايرة أو معادية فهو تواصل وعليه نستطيع القول بأن هناك تواصل إيجابي وآخر سلبي[1].

---

١. خير مثال على التواصل السلبي حركة الاستشراف التي قادها المفكرون الغربيون الذين وظفوا معارفهم عن الشرق للسيطرة عليه والذي توج بحركة الاستعمار الحديثة وهذا ما تقوم عليه فكرة كتابي ادوارد سعيد الاستشراف والثقافة والامبريالية.

وفي حالة الحضارة العربية الإسلامية، فالتواصل مع الآخر كان تواصلاً ايجابياً، ارتبطت فيه ظروف ذاتية وأخرى موضوعية. فأما الظروف الذاتية فجاءت من القيم التي جاء بها الإسلام والتي شجع فيها العلم والعلماء وحض أتباعه على ملاحقة الحكمة على اعتبار أنه الأولى بها، حتى وأن كانت في الصين[1].

أما الظروف الموضوعية فقد ارتبطت بحركة الفتوح الاسلامية وما استقرت عليه هذه الفتوح، إذ دخلت في كنف الدولة الإسلامية حضارات وشعوب مختلفة، كالفارسية والهندية واليونانية وغيرها، ومراكز حضارية متنوعة ذات ارث ثقافي كبير كالاسكندرية، وحران، ومرو، وجنديسابور، وغيرها والتي أصبحت المادة الغنية لحركة الترجمة في العصر العباسي وتعود أهمية الفتوحات الإسلامية، كما يرى غوتاس إلى : " أن مصر والهلال الخصيب وحدت مع فارس والهند سياسياً وادراياً والأبلغ في الأهمية كان التوحيد الاقتصادي إذ أنه حدث لأول مرة منذ الاسكندر الكبير ولمدة قيض لها أن تمتد أطول بما هو واضح من حياته القصيرة. إن الحاجز الاقتصادي والثقافي الكبيرة الذي يفصل العالم المتمدن لألف سنة خلت قبل ظهور الاسلامم والحد بين الشرق والغرب الذي أقامه النهران الكبيران والذي خلق قوات متنافرة في كل من جهتيهما انتهى إلى غير رجعة. وهذا أتاح الفرصة للمواد الخام والمصنوعات والمنتجات الزراعية وعناصر الرفاهية والناس

---

١ـ الإشارة هنا للحديث النبوي الشريف "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها"، والحديث "اطلبوا العلم ولو بالصين".

والخدمات والتقنيات والمهـارات والأسـاليب وطـرق التفكـير أو تنتقل بحرية"[1]. وكان من نتائج الفتوحات الإسلامية الهامة أيضاً إدخال صناعة الورق للعالم الإسلامي عن طريق الأسرى الصينيين[2].

وعليه نستطيع القـول بـأن التطـور الثقـافي والالتقـاء بـين الشرـق والغرب كان من نتائج الفتوحات الإسلامية التـي أزالـت الحـواجز بـين الشـرق والغرب ووحـدت منـاطق وشـعوباً كانـت قبـل ذلـك في حالـة حراب وتنافر.

ومن الأسباب المهمة في انطلاق حركة الترجمـة وصـول العباسـيين في السلطة وبناءهم لمدينة بغداد، اذ قام في بغداد مجتمـع متعـدد الثقافـات أساسه المزيج السكاني المختلف ديموغرافيا في العـراق الـذي تـألف مـن مسـيحيين ويهـود نـاطقين بالآراميـة، وكـانوا يشـكلون أكثـر السـكان المستقرين ومنهم ناطقين بالفارسية الـذين وكـانوا يتمركـزون في المـدن، وكذلك العرب المسحيين الذي كانوا مستقرين مثـل سـكان الحـيرة عـلى الفرات، وغيرها من الأثنيات.

وقد مزج هذا الخليط الثقافي والاثني في بوتقة واحدة رعتها النخبة السياسية العباسية وقدمت لها الحماية، مما أدى الى خلق ثقافة جديدة.

١- غوتاس، ديمتري الفكر اليوناني والثقافة العربية، ترجمة ونقل نقولا زيادة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٤٤.

٢- أنظر مادة كاغد، الموسوعة الإسلامية.

نظـرت إلى الـتراث الضـخم للحضـارات السـابقة نظـرة ايجابيـة فاخذت تنهل من هذا الارث الضخم في أكبر وأطول حركة ترجمة عرفهـا التاريخ[1]. وإذا كان للخلفاء العباسيين كما يرى كثير من البـاحثين الـدور الرئيسـي في اطلاق حركة الترجمة

وبخاصة الخليفة أبو جعفر المنصور والتي تتحدث كتب التاريخ أنه أمر باحضار بعض كتب الطب لترجمتها مع استدعاء بعـض الأطبـاء مـن جند يسابور لمداويته من علة أصابته، ومع اتفاقنا من أن الخليفـة المنصـور كان له قصب السبق في إطلاق هذه الحركـة إلا أننـا لا نتفـق مـع السـبب الذي جعل الخليفة يتبنى هذه الحركة فحركة بهذا الشمول والتي امتـدت بعده أكثر من قرنين لا يعقل أن تكون حركتها حاجة محددة لدى الخليفـة، أضف إلى ذلك أن المنصور أمر بترجمة بعض الكتب في المجالات الأخرى غير الطب.

إن هذا الأمر يتفق وفلسفة المنصور في إدراة الدولة فمـن المعـروف أن المنصور كان يهتم بدقائق الأمور في إدارة الدولة وعـرف عنـه متابعتـه الحثيثة وبشكل سخصـي لكل شاردة وواردة في الدول، ويتفق كثـير ممـن الباحثين أن المنصور رجل دولة من الطراز الأول ويعد المؤسس الحقيقـي للدولة العباسية فقد رأى أن الانفتاح عـلى تـراث الأمـم السـابقة والتـي ورثتها الدولة العباسية ضرورة للدولة الناشئة، ولدينا نص في غاية

١- غوتاس، الفكر اليوناني والثقافة الاعربية، ص ٥٥-٥٦.

الأهمية يقدمه لنا الإخباري محمد بن علي العبدي الخراساني يؤكد ما ذهبنا اليه.

**يقول الإخباري:** "وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها: كتاب كليلية ودمنه وكتاب السندهند وترجمت له كتب ارسططاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الارثماطيقي كتاب اقليدس، وسائر الكتب القديمة من

اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وأخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى عملها[1]." هذا النص قدمه الإخباري للخليفة القاهر ٣٢٠-٣٢٢ هـ عندما طلب الأخير منه أن يقدمم له أخبار خلفاء بني العباس من السفاح حتى عهده. من هذا النص يتبن أمرين مهمين الأول فعلى الرغم من أن عصر الخليفة المنصور قد طغى عليه اهتمام المنصور بتوطيد أركان الدولة وتخليصها من أعدائها إلى جانب بناء مدينة بغداد إلا أن الإخباري يضيف تدشينه لحركة الترجمة، وهذا ما جعل الاخباري السالف الذكر أن يجعل من هذا الأمر عنوان حديثه عن المنصور للخليفة القاهر.

١- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به الدكتور يوسف البقاعي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٢٠٠٢، ج٤، ص ٥٢١.

أما الأمر الثاني تنوع الكتب المترجمة بين الأدب (كليلة ودمنة) والفلك (السندهند) والفلسفة المتمثلة في الكتب اليونانية الى جانب تنوع مصادر هذه الكتب (يونانية ورومية وفارسية وسريانية .. إلخ) مما يدل على أن المنصور كان مدركا لأهمية ترجمة تراث الأمم السابقة كما أن استمرار خلفاء المنصور في عملية الترجمة تدل على سياسة دولة وليس سياسة شخص تنتهي بوفاته، ثم أصبحت حركة الترجمة ثقافة عامة للمجتمع تبنتها إلى جانب النخبة السياسية ممثلة بالأسرة العباسية ووزارئهم والنخب الأخرى من اجتماعية وثقافية واقتصادية، بل رأينا عائلات بأكملها ساهمت في حركة الترجمة ودفعت أموالاً طائلة من مالها الخاص للحصول على علوم الأوائل وترجمتها كأسرة بختيشوع

وأسرة موسى بن شاكر "ويذلوا فيها الرغائب وأتعبوا نفوسهم فيها ونفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها اليهم، فأحضروا النقلة (المترجمون) من الأصقاع والأماكن بالبذل السني فأظهروا عجائب الحكمة"[1].

ومن هؤلاء المترجمين أيضاً ابن المدبر وإبراهيم بن محمد بن موسى الذي كان حريصاً على نقل كتب اليونانيين إلى لغة العرب مشتملاً على أهل العلم والفضل وعلى النقلة خاصة"[2].

١- القفطي، جمال الدين أبو الحسن أخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة مصر،١٣٢٦هـ ص ٢٠٨، زرمان، محمد، الترجمة وفعل المثاقفة، ص ١٥.

٢- ابن أبي اصيبيعة، موفق الدين أبي العباس أحمد ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق وشرح نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٢٨٤، زرمان، الترجمة وفعل المثاقفة ،ص ١٥.

نخلص إلى القول أن نقل تراث الأوائل كان قراراً من أعلى سلطة في الدولة العباسية وهم الخلفاء معتبرين دولتهم ورثة هذا التراث. وهذا الأمر أدى إلى تحرير القوى الفاعلة في المجتمع لتبدأ هذه الحركة وبهذه الضخامة، وكما ذكرنا آنفاً أن الأسباب لحركة الترجمة لم تكن أسباباً شخصية وإنما ارتبطت بظروف تطور الدولة وكان من أهم هذه الأسباب، أسباب فرضتها حاجة الدولة من أجل إعداد كوادر الدولة من موظفين إداريين لديهم معرفة بأمور المحاسبة ومسح الأرض والهندسة، وهذا ما جعل الإقبال المبكر على ترجمة العلوم الرياضية كالحساب والهندية وحساب المثلثات والفلك، فكتاب الأصول لاقليدس ترجم لأول مرة أيام الخليفة المنصور[1].

وهناك حاجة أخرى بدأت تظهر في العصر العباسي وهي الانفتاح على مواطني الدولة المختلفين في العقيدة من خلال مجالس المناظرات والجدل والتي

رأى بعض الخلفاء الحاجة إلى ترجمة بعض كتب الفلسفة اليونانية لصقل قدراتهم بفن المناظرة والمجادلة والحوار والتي بدأت تظهر في عهد الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) ومن هذه الكتب كتاب المقولات لأرسطو وعلى ما يبدو أن المهدي اهتم اهتماماً خاصاً بهذا الأمر فقد قرأ هذا الكتاب ودخل في حوار مع بعض رجال الدين المسيحي من باب الدفاع عن الإسلام ومعرفة عقيدة وفكر الآخر الذين يعيشون في

١- غوتاس، الفكر اليوناني، ص ١٩٠.

كنف الدولة وينتمـون بالمواطنـة اليهـا. فقـد دخـل في حـوار مـن الجاثلين مستخدماً أدوات وفن الحوار الذي تعلمها من كتـاب المقـولات لأرسطو، وبعيداً عن مادة الحوار[1]؛ فإن اللافت للنظر أن المهدي تعامـل مع الآخر في الدولة عليم بدأ الحوار والتواصل على اعتبار أنهـم مـواطني الدولة وإن اختلفوا في الدين فكان مثالاً رائعاً عـلى التواصـل مـع الآخـر الذي يعيش في كنف الدولى ويشكل جزء لا يتجـزأ منهـا وأن اختلـف في العقيدة[2].

ونجد التواصل الثقافي في أبهى صورة قد تمثـل في التقـاء الحضـارة الإسلامية بالحضارة الفارسية، فبعد انتقال الخلافـة العباسـية إلى العـراق وقبل ذلك الدور إلي لعبه الفرس في قيام الدولـة العباسـية حـدث التقـاء وامتزاج بين هاتين الحضارتين تجلى في أكثر من صعيد كان من أهمها الأثـر الكبير الذي أحدثته اللغة العربية باللغـة الفارسـية، فعـلى الـرغم مـن أن اللغتـين لا ينتميـان إلى أصـل واحـد فاللغـة الفارسـية تعـود أصـولها الى مجموعة اللغات الآرية أو الهندية- أوروبية، أما اللغة العربية فهي إحـدى اللغات السامية[3].

١- غوتاس، الفكر اليوناني، ص١٣٠.
٢- المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٥٢١-٥٢٢، عوتاس، الفكر اليوناني، ١٢٨-١٢٩.
٣- زرماس، الترجمة وفعل المثاقفة، ص ١٨.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف الجوهري بين اللغتين إلا أنه لم يحل دون تأثر احداهما بالأخرى، وان كان أثر اللغة العربية في اللغة الفارسية أكثر وذاك كونها لغة الدين الذي أقبل عليه أهل فارس واعتنقته أعداد كبيرة منهم، كما أصبحت العربية لغة الثقافة والفكر والمتتبع لأثر اللغة العربية في اللغةالفارسية يجد أعداداً لا تحصى من المفردات العربية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من اللغة الفارسية وخاصة منها المتصل بالإسلام والحياة الإسلامية مثل صلاة، زكاة، حج، مسلم، جهاد . إلخ وبعد أن دخلت المناطق الفارسية في كنف الدولة الإسلامية دخلت ألفاظ ومفردات ارتبطت بالحياة السياسة والإدارية، فمن المعروف أن المسلمين أبقوا على النظم المالية والإدارية في المناطق المفتوحة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل نجد التأثير يصل إلى قواعد الفارسية نفسها كالروابط مثل حروف الجر وأسماء الإشارة وحروف النداء والتنبيه واستعمال المفعول المطلق في مجال التأكيد، وتقيد الجمل العربية في التقديم والتأخير وغيرها[1].

كما أخذت الفارسية من العلوم العربية أوزان الشعر وعلم القوافي، كما وضعت المعاجم الفارسية على أسلوب المعاجم العربية[2].

---

١- الكك،فكتور، اللغة العربية في إيران منذ الإسلام حتى اليوم، مجلة عالم الفكر، م ٣٧، ٢٠٠٨، ص ٨.

٢- الكك، فكتور، اللغة العربية في إيران منذ الإسلام حتى اليوم، ص٨-٩.

إلا أن أهم مظهر من مظاهر تأثر اللغة الفارسية باللغة العربية وهو مثال واضح على التواصل الثقافي بين الحضارتين واللغتين اتخاذ اللغة الفارسية للأحرف العربي أداة للكتابة، وكان من أهم الأسباب التي دفعتهم لاتخاذ مثل هذه الخطوة الأعداد الكبيرة التي دخلت منهم في الإسلام مما دفعهم لتعلم

اللغة العربية لفهم أمور دينهم وأخذوا تدريجياً التخلي عن لغتهم الأم، فطيلة القرنين الأول والثاني الهجريين أصبحت اللغة العربية هي اللغة المستخدمة في بلاد فارس[1]. وبعد أن ضعفت الخلافة العباسية وتراجع نفوذها في الأقاليم البعيدة عن العاصمة بغداد قامت بعض الدول التي انفصلت سياسياً عن الخلافة ودخلت في حالة شد وجذب مع الخلافة في كالدولتين الصفارية والسامانية[2].

فأخذت هذه الدويلات بإحياء اللغة الفارسية إلا أنها اتخذت الأحرف العربية[3]. كما أن اللغة العربية أصبحت لغة الثقافة والفكر فكان معظم المفكرين الفرس يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية وهذا أمر طبيعي فمظم المثقفين وحتى العوام يتقنون هذه اللغة فكانت كتابات ابن سينا والبيروني والغزالي والرازي والبيضاري والطوسي والطبري وهم من أصول فارسية كانت كتاباتهم باللغة العربية على اعتبار أنها لغة العلم والثقافة.

١- الكك، فكتور، اللغة العربية في إيران، ص ٩.
٢- عن هاتين الدولتين انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٦,٧.
٣- الكك، فكتور، اللغة العربية، ص ٩.

ولكن في الاتجاه الآخر هـل أثـرت الحضـارة الفارسـية بالحضـارة العربية والجواب بالتأكيد نعم فالحضارة الفارسية ذات تراث ثقافي عريـق سواء في الإدارة أو الطب والرياضيات ويكفي أن نعلم بأن أول ما تـرجم من اليونانية إلى العربية كان عبر اللغة الفارسية مـن خـلال الكتـب التـي جلبت من جنديسابور. إلى جانـب المـؤثرات الإداريـة التـي اسـتخدمها العرب عند فتح بلاد

فارس.وكما هو معلوم فإن بعض الترجمات من الفهلوية إلى العربية كانت تتعلق بتسيير الحياة الإدارية[1]، ثم أخـذت حركـة الترجمـة للـتراث الفارسي تنتشـر بشكل كبير على يـد مجموعـة مـن العلـماء مـن أمثـال آل نوبخت وعلى رأسهم الفضل بن نوبخـت الـذي أكثـر مـن ترجمـة كتـب الفلـك وآل سـهل وعـلى رأسـهم الفضـل بـن سـهل ومحمـد بـن جهـم البرمكي، وزادويه ين شاهويه وغيرهم[2].

كما لعبت الترجمة دوراً أساسياً في التواصـل الثقـافي بـين الحضـارة العربية والحضارتين الهندية والصينية ، فالهند كانت مهـد حضـارة عريقـة وغنية وعلى ما يبدو أن المادة العلمية المترجمة الى اللغة العربيـة في مجـالات الفلك والتنجـيم والرياضـيات والطـب جـاء بوسـاطة اللغـة الفارسـية (الفهلوية) فالترجمات المباشرة من السنسكريتية كانت نادرة، عـلى الـرغم من ذلك فالتواصل العربي الهندي كان عميقاً ومؤثراً فقد أخذ العرب عن هذه الترجمات الرياضيات من خلال (السدهانات) وهو مقاله في الفلك

---

١- ابن الندبم، الفهرست، ص٢٤٤.
٢- ابن الندبم، الفهرست، ص٢٤٤.

عرف عند العرب بـ (السندهند) وهـو مـن تـأليف براهماجويـت، يتحدث جزءه الأول عن الأزياح أي سـير حركـة الكواكـب. أمـا الجـزء الآخر فيتحدث عن حساب هذه الجداول وهذا الأمر أسس لدى العرب لعلوم الحساب وحساب المثلثات ويعد ترجمة السندهند المفتاح الذي أدى إلى نشأة علم الرياضيات العربية عن طريق العالمين الكبـيرين الخـوارزمي والبيروني واللذان كانا يتقنان اللغة السنسكريتية[1].

كما أخذ العرب عن الهنود نظامهم العشري في الترقـيم وقـد كـون العرب من الأرقام التي أخذوها عـن الهنـود سلسـلتين عرفـت احـداهما بالأرقام الهندية والتي تستخدم اليوم في معظم البلدان العربية، أما الثانيـة فقد عرفت بالأرقام الغبارية أوالعربية وهي المسـتخدمة في بـلاد المغـرب وأوروبا[2].

وأخذ العرب عن الهنود فكرة الصفر، فقد كان الهنود يطلقون عليه اسم سونيا اي الفراغ والذي أدى الى ثورة في علـم الرياضـيات إذ سـهل عملية الترقيم وأعمال الحساب[3].

ونتيجة ترجمة السند هند، أخذ العرب عن الهنـود أساسـيات علـم الفلك إلا أنهم ميزوا بين التنجيم القائم عـلى الخرافـات والأوهـام وبـين علم الفلك القائم على الاستقراء والملاحظة ومبنياً على الرصد

١- منتصر، عبد الحليم، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ص٦١.
٢- منتصر، تاريخ العلم، ص٦١.
٣- منتصر، تاريخ العلم، ص٦٣.

والحسابات الفلكية المستندة على الرياضيات وأدى ذلك إلى اختراع الأجهزة المختلفة كالاسطرلاب والأزياج[1].

أما في مجال الطب فقد شهد العصر العباسي قدوم أكثر مـن طبيـب هندي الى العاصمة بغداد واستقروا فيها إما بطلب من الخلفاء العباسـيين أو بمبادرة ذاتية من هؤلاءالأطباء وقد اسلم بعضهم واستقر في بغداد من امثال الطبيب بهله الـذي عمـل عنـد الخليفـة هـارون الرشـيد ووزارائـه البرامكة، كما نقل بعض الكتب الى العربية، ومن عهـؤلاء الأطبـاء أيضـا الطبيب منكه الذي استدعاه

الخليفة هارون الرشيد لمداواته من علـة إصـابته فاسـتقر في بغـداد يمارس هذه المهنة وقام بترجمة العديد من الكتـب إلى العربيـة مـن الهنديـة والفارسية مما أدى الى ثراء المكتبة الطبية في بغداد وبيمارستاناتها[2].

وعلى الرغم من أن العرب لم يفتحو الصين، إلا أن هـذا لم يمنـع أن تتأثر الحضارتين فيما بينهما عن طريق التجارة وخاصة طريـق الحريـر منـذ أخذ العرب عن الصين صناعة الـورق والبـارود واختراعـات كالسـاعة المائية[3].

١- زرماس، الترجمة وفعل المثاقفة، ص٢٥/ منتصر، تاريخ العلم،ص٥٣.
٢- منتصر، تاريخ العلم، ص٦٣/ زرماس، الترجمة وفعل المثاقفة،ص٢٥.
٣- زرماس، الترجمة وفعل المثاقفة، ص٢.

**من هو كسرى؟**

كسرى هو ملك الفرس، لقب كسرى أنـوشروان. سـاعد في طـرد الأحباش من اليمن عندما توجه إليه سيف بن ذي يـزن. ولكـن الفـرس أستولوا على اليمن وظلو فيها حتى مجيء الاسلام.

وكان للملك كسرى دورًا في معركة ذي قار التي حدثت عام ٦٠٩ م بين العرب والفرس بعد أن رفض النعمان بن المنذر ملك الحيرة تـزويج بنايه لأولاد كسرى، الذي ثار وغضب وأرسل جيشًا إلى ذي قـار لمقاتلـة ملك الحيرة. ولكن قيادة هانيء بن مسعود لجيـوش العـرب وتشـجيعهم على الدفاع عن أرضهم وكرامتهم، كان سببًا في هزيمـة الفـرس وانتصـار العرب.

ذي قار هي معركة شهيرة قامت عام ٦٠٩م في جنوب العراق بـين العرب والفرس انتصر فيها العرب.

كان من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أمر الأعاجم وهو يوم لبني شيبان وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم وخبره كالتالي:

ذكر كسرى بن هرمز يوماً الجمال العربي وكان في مجلسه رجل عربي يقال له: زيد بن عدي وكان النعمان قد غدر بأبيه وحبسه ثم قتله فقال له: أيها الملك العزيز إن النعمان بن المنذر عنده من بناته وأخواته وبنـات عمـه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة.

وأرسل كسرى زيداً هذا إلى النعمان ومعه مرافق لهـذه المهمـة، فلـما دخلا على النعمان قالا له: إن كسرى أراد لنفسه ولبعض أولاده نساءاً مـن العرب فأراد كرامتك وهذه هي الصفات التي يشـترطها في الزوجـات. فقال له النعمان: أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟ يا زيد سلّم على كسـرى وقل له: إن الـنعمان لم يجـد فـيمن يعـرفهن هـذه الصفات وبلغه عذري. ووصل زيد إلى كسرى فأوغر صدره وقال له: إن النعمان يقول لك ستجد في بقر العراق من يكفينك.

فطار صواب كسـرى وسكت لكي يأمن النعمان بوائقه، ثم أرسـل إلى النعمان يستقدمه، فعرف النعمان أنه مقتـول لا محالـة فحمـل أسـلحته وذهب إلى بادية بنـي شـيبان حيـث لجـأ إلى سـيدهم هـانئ بـن مسـعود الشيباني وأودع عنده نسوته ودروعه وسلاحه وذهـب إلى كسـرى فمنعـه من الدخول إليه وأهانه وأرسل إليه من ألقى القبض عليـه وبعـث بـه إلى سجن كان له فلم يزل به حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه.

وأقام كسرى على الحيرة ملكاً جديداً هو إياس بـن قبيصـة الطـائي وكلفه أن يتصل بهانئ بن مسـعود ويحضرـ مـا عنـده مـن نسـاء الـنعمان وسلاحه وعتاده، فلما تلقى هانئ خطاب كسرى رفض تسليم الأمانـات، فخيره كـسرى إما أن يعطي ما بيده أو أن يرحل عن ديـاره أو أن يحـارب فاختار الحرب وبدأ يعد جيشاً من بكر بن وائـل ومـن بنـي شـيبان ومـن عجل ويشكر والنمر بن قاسط وبني ذهل.

وفي أثناء ذلك جمع كسرى نخبة من قيادات الفرس ومن قبائل العرب التي كانت موالية له وخصوصاً قبيلة إياد ووجههم ليجتاحوا هانئاً ويحضروه صاغراً إلى كسرى.

فلما وصل جيش كسرى وحلفاؤهم من العرب أرسلت قبيلة إياد إلى هانئ: نحن قدمنا إلى قتالك مرغمين فهل نحضر إليك ونفرّ من جيش كسرى؟ فقال لهم: بل قاتلوا مع جنود كسرى واصمدوا إلينا أولاً ثم انهزموا في الصحراء وإذ ذاك ننقض على جيش كسرى ونمزقهم.

وقدم الجيش الفارسي وحلفاؤهم من إياد فوجدوا جيش هانئ قد اعتصم بصحراء لا ماء فيها ولا شجر وقد استقى هانئ لجيشه من الماء ما يكفيهم، فبدأ الفرس يموتون من العطش ثم انقضوا على جيش هانئ كالصواعق وبينما هم في جحيم المعركة انهزمت قبيلة إياد أمام هانئ وانقضت على الفرس الذين حولها فضربت فيهم ومزقتهم وقتل كل قيادات فارس الذين أرسلهم كسرى لإحضار هانئ حياً، فلما رجعت بعض فلول الفرس إلى كسرى إذا هم كالفئران الغارقة في الزيت.

وكانت ساحة ذي قار أرضاً يغطي الزفت والقطران كثيراً من أرضها فلما رآهم كسرى على ذلك الشكل قال لهم: أين هانئ ؟ وأين قياداتكم الذين لا يعرفون الفرار فسكتوا فصاح بهم فقالوا: لقد استقبلنا العرب في صحرائهم فتهنا فيها ومات جميع القادة وخانتنا قبيلة إياد حين رأوا بني جنسهم، فكاد كسرى يفقد عقله ولم يمضي عليه وقت قصير حتى مات حسرة فتولى مكانه ابنه شيرويه.

وقد حدث بعض من حضر يوم ذي قار أن قبائل بكر استصحبوا من خلفهم نساءهم وانقضوا على الجيش الفارسي فبرز أحد العلوج وطلب المبارزة فانقض عليه عربي من بني يشكر اسمه برد بن حارثة اليشكري فقتله، وكان هانئ قد نصب كميناً من وراء الجيش الفارسي فانقض الكمين على الملك الجديد الذي كان كسرى عينه خلفاً للنعمان بن المنذر، وفي أثناء ذلك أحس العرب روابط الأخوة التي تنتظمهم فانسحب من جيش فارس كثير من العرب الذين كانوا يعطون ولاءهم لفارس من قبائل تميم وقيس عيلان فانقضوا على الفرس الذين يلونهم بعد أن كانوا يدينون بالولاء لهم، وعرف العرب أنهم كانوا مخدوعين بملك رخيص كان كسرى يضحك به على بعض أذنابه منهم.

وروي عن محمد بن عبدالله رسول الإسلام أنه لما بلغه انتصار قبائل بكر بقيادة هانئ بن مسعود الشيباني على عساكر الفرس قال: هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا (ضعفه الألباني).

والحق أن انتصار العرب على العجم في ذي قار كان نواة لمعركة القادسية التي أعز الله فيها قبائل العرب بنور الإسلام ونبوة محمد ف.

## تولي العرش:

وصل كسرى الثاني إلى العرش بمساعدة الأقطاب الذين ثاروا على هرمز الرابع حتى عام ٥٩٠، مباشرة بعدما أعمي أبيه وقتل. وفي الوقت ذاته أعلن بهرام تشوبين نفسه ملكاً أيضاً تحت لقب الملك بهرام السادس، ولم يقدر كسرى على الإبقاء بنفسه. لم تصل الحروب ضد الإمبراطورية البيزنطية التي بدأت عام ٥٧١ إلى النهاية بعد. هرب كسرى الثاني إلى سوريا، وأقنع الإمبراطور البيزنطي موريس ليرسل مساعدة معه.

بمساعدة موريس رجع كسرى الثاني في عام ٥٩١ إلى تيسفون، حيث هُزِم بهرام السادس، ونفى إلى الأتراك.

## كسرى الثاني والنبي محمد ﷺ:

كسرى الثاني هو ملك الفرس الذي مزق الكتاب الذي بعثه النبي عليه ف إليه ليدعوه وقومه إلى الإسلام ، وقد قال النبي ف بعد تمزيق كسرى لكتابه: (مزق الله ملكه) .

## مقتله:

قُتِلَ كسرى الثاني في فبراير عام ٦٢٨ م.

# الفصل السادس
# بلاد الفرس في عصر الإسلام

يدور البحث الموسوم"السفارات بين العرب والأمم الأخرى في القرن الأول الهجري/ القرنيين السابع والثامن الميلاديين"، وهو موضوع مهم يعكس التواصل الفكري أو المعرفي بين العرب المسلمين والأمم الأخرى، إذ إن تلك السفارات كانت لسان حال السلطة العربية الإسلامية وما يناظرها من سفارات لملوك وأمراء أمم اتصلت بالعرب عن طريق التجارة والحروب، لذلك مثلت تلك السفارات صورة مشرقة من الحوار السياسي والدبلوماسي، للتوصل إلى أسس المشتركات الدينية والثقافية بين الشعوب، ولذلك أسست تلك السفارات في القرن الأول الهجري أسس و قواعد دبلوماسية لكل سفارات الخلفاء المسلمين في العصور الإسلامية الوسطى.

البحث يقسم إلى محورين أساسيين، الأول يتناول "السفارات في عصر الرسالة والراشدين(٦-٤٠هجرية/ ٦٢٨-٦٦١م)، ففي عصر الرسالة أوفد النبي ﷺ سفارات إلى ملوك الأمم المجاورة لدولة الإسلام، عندما أوفد حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، ودحيه بن خليفة الكلبي إلى هرقل قيصر الروم وعمرو بن أمية الضمري إلى نجاشي الحبشة، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى الفرس. وفى العهد الراشدي استمر الخلفاء والأمراء في إيفاد السفارات إلى الأمم الأخرى للتواصل معها في حالات السلم أو الحرب، فهذه السفارات في هذا العصر لاتقتصر على الخلفاء

وإنما شملت قادة الجند، بدليل أن القائد خالد بن الوليد أرسل سنة ١٢هجرية/ ٦٣٣م) عدة سفارات إلى كبار رجالات الفرس يدعوهم فيها إلى الإسلام، ونجد ذلك أيضاً في خلافة عمر ﷺ عندما أوكل قائده عمرو بن العاص بإرسال سفارات إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، وأرسل الأخير عدة سفارات إلى عمرو بن العاص، وفى عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ تبودلت سفارات بين وإلى الشام معاوية بن أبي سفيان وأهل قبرص(٢٨هجرية/ ) نتج عنها خضوعهم لدولة الإسلام،وهناك عدة سفارات جرت بين قادة مسلمين وأمم، كسفارات بين أهل تفليس والجراح بن عبد الله سنة٢٤هجرية)، وفى المغرب للدولة العربية الإسلامية أرسل عبد الله بن أبي سرح سفارة إلى جرجيس يحثه فيها إلى الدخول إلى الإسلام سنة ٢٧هجرية)، وفى المشرق تبودلت السفارات بين الأحنف بن قيس وبين اهالى (مرو الروذ سنة٣٢هجرية)وأهالى بلخ في السنة ذاتها أيضاً.

أما المحور الثاني فهو مكرس عن"السفارات في العصر الأموي (٤٠-١٣٥هجرية)" ففي سنة ٤٤هـ أوفد ملك بيزنطة سفارة إلى دمشق جرت محاورة أدبية علمية بين رجالات السفارة وبين رجالات بلاط معاوية،وفى سنة ٤٨هجرية / ٦٦٨م أرسل سابور ملك أرمينيا سفارة إليمعاوية يطلب من خلالها العون من معاوية للاستقلال بأرمينيا، وفى خلافة عبد الملك بن مروان تبودلت السفارات بين الخليفة المسلم

وبين جستنيان سنة ٧٠هـ / ٦٨٩م كذلك عندما أوفد عبـد الملـك (عـــامر بـــن شرا حيـــل الشـــعبي إليإمبراطوربيزنطـــة ســـنة ٧٤ هــــ ٦٩٣م،وأرسل الإمبراطور البيزنطى سـفارة إلى عبـد الملـك بـن مـروان تحمل كتاباً يشير إلى امتعاض بيزنطة من سك النقود الإسلامية. كذلك

تبادل محمد بن القاسم الثقفي السفارات مع أهـالي السـند والهنـد، ولعل أبرز سفارات العصر الأموي سفارة هبيرة بن المشمرج الكلابي إلى ملك الصين سنة ٩٦هـ/ ٧١٤ فيخلافة الوليد بن عبـد الملـك وفى السـنة ذاتها أرسلإمبراطور بيزنطة سفارة بقيادة دانيال حاكم سينوب إلى دمشق، وفى خلافة عمر بن عبد العزيـز(٩٩-١٠١هجرية)أوفدإمبراطوربيزنطـة سفارة وصلت إليدمشق استقبلهم عمروأمـر عشـــرة مترجمينبمـرافقتهم وقد وصفوا الجامع الأمويالأخرى وعمران مدينة دمشق في مدوناتهم.

يوجد بحث مزود بملاحق لنصوص مكاتبـات الرسـول ﷺ إلى ملوك الأمم.ناهيك لنصوص تلك المكاتبات التـي حملهـا سـفراء وممـثلي الدولة العربية الإسلامية إلى الأمم الأخرى.

**السفارات في عصر الرسالة والراشدين(٦-٤٠هجرية/٦٢٨-٦٦١م):**

- **السفارة فى عصر الرسالة (٦- ١١هجرية/٦٢٧- ٦٣٢م):**

هذا النوع من السفارات السياسية النبوية امتازت بوضوح أهدافها السياسية في هذا العصر، إلا هـو الاعـتراف بسـلطة النبـي ﷺ في شـبه الجزيرة وعاصمتها المدينة (يثرب)؛ إذ أن الملـوك الأجانـب أو الأعـاجم التي وجهه لهم الرسول ﷺ وفوده كانوا ملوك وحكام دول كبرى

مجاورة لدولة الإسلام وقتذاك؛ كما دعاهم ﷺ إلى الـدين الجديـد أو الاعتراف به بالنسبة للذميين؛ وقد حفظـت المتـاحف العالميـة صـوراً ونسخاً أصلية من هذه المكاتبـات كـما هـو موضـح في الملاحـق في نهايـة الدراسة.

واتسمت هذه المكاتبات باستخدام الختم النبوي وظهر في أسـفلها جلياً؛ بيضوي الشكل يحمل عبارة (محمد رسول الله )؛ وقـد أعطـى هـذا الختم لتلك المكاتبات صفة المكاتبات الرسمية الصادرة من سلطة تنفيذية إسلامية واضحة المعالم؛ وموجهة إلى حكام أو ملوك أو من يمثلهم .

## سفارة الرسول محمد ﷺ إلى هرقل عظيم الروم [٦هـ/ ٦٢٧م]:

روت المصادر العربية الإسلامية سفارة الرسول ﷺ حملت كتـاب النبيﷺ إلى هرقل عظيم الروم؛ أي إمبراطور بيزنطـة؛ وكـان حينهـا في بلاد الشام بسـوريه؛ وتـاريخ هـذه السـفارة سـنة (٦هــ/ ٦٢٧م) بعـد منصـرف النبي ﷺ من الحديبية ؛ وكان دحيه بن خليفـة الكلبـي سـفير النبي ﷺ إلى هرقل قيصـر الروم؛ **ونسخة الكتاب**:-

"بسم الله الرحمن الرحيم، من مُحمـد عبـد الله ورسـوله إلى هِرقَـل عظيم الروم، سلامٌ على من أَتبع الهُدى، أَمَّاً بعدُ:- فأني أدعوك بدعاية[1]

١-مرتين: أي الأجر مرتين.في الدنيا والآخرة.

الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَم، أسلم يُؤْتك الله أجرَك مرتين[١]، فإن توليت فإنَّما عَلَيْك إثم الأريسين[٢]، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦٤][٣].

✍ وورد نص هذا الكتاب في كتاب صبح الأعشى نصه:-

(من محمَّدٍ رسَولُ الله إلى الإسلام، فإن أَسلمَتَ فَلْكَ ماللْمسلمينَ، وعليك ما عَليهَم، وإن لم تَدخَل في الإسلام، فأَعْط الجزْيَة[٤]، فأن الله تعالى يقـول:- ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٢٩]

---

١- بدعية: المقصود بدعاية الإسلام.
٢- الأرسين: يقصد رعية الإمبراطور البيزنطي.
٣-البخاري، محمد بن إسماعيل(٢٥٦هجرية) الجامع الصحيح، ط٣، (بيروت، ١٩٨٧ ،جـ٢، ص٥. الطبري، محمد بن جرير(٣١٠هجلرية) تاريخ للرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط١، دار المعارف، (القاهرة ، بلا ).، جـ ٣، ص٨٧. أبن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري(ت٦٣٠هـ) ـالكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٦٧). جـ ٢، ص٨١.كذلك ينظر:-. الحلبي،علي برهان(ت١٠٤٤هـ) السيرة الحلبية من السيرة الأمين والمأمون، دار المعرفة(بيروت ١٤٠٠هـ)، ج٢، ص٣٦٦.. ألزرعي محمد بن أبي أيوب أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدىخير العباد،تحقيق شعيب الارناؤط مؤسسة الرسالة ، (بيروت، ١٩٨٦، جـ ١، ص ١١٩ كذلك ينظر:- ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله بن يحي (ت ٧٣٤هـ)ـ السيرة النبوية ،(عيون الاثر )، ط ١، (بلا ،بلا )ج٢وص٣٢٣..الكلاعي، أبو ربيع سليمان بن موسى الأندلسي (ت ٦٣٤هـ)ـ الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين، ط١، (بيروت، ١٩٩٧)، جـ٢، ص٣٧٩كذلك ينظر:- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)، السيرة النبوية، دار المعرفة (بيروت، بلا) جـ٢،ص٤٩٨.
٤-الجزية: ضريبة قديمه شاعت بين الفرس والبيزنطيين: وكانت نقوداً تفرض بدل الخدمة العسكرية؛ وفي عصر الرسول فرضت على غير المسلمين من أهل الذمة الرجال القادرين على حمل السلاح حصراً، مقدارها دينار واحد سنوياً. ينظر: ترتون. الجزية في الإسلام، ط١، (بلا و بلا).

وإلاَّ فلا تَحُلْ بين الفلاحين وبين الإسلام إن يَدخلوا فيه أو يُعْطوا الجزية)[1].

وبعد قراءة النصين لكتاب الرسول ﷺ إلى ملك أو إمبراطور الروم؛ نفهم من مضمون الكتاب عدة حقائق سياسية ودينيه؛ أولها اعتراف النبي ﷺ بسلطة إمبراطور الروم. ودعوة الأخير للاعتراف بالإسلام ديناً ودولةً. ووسمه بتحية الإسلام؛ واستشهد نبي الرحمة بالآية القرآنية التي تدعو أهل الذمة من اليهود والنصارى للتقارب مع المسلمين الموحدين فالرابط المشترك بين هذه الأديان وحدانية الله والإخلاص في عبادته؛ وحمل النبي ﷺ الإمبراطور هرقل الإثم في حالة عدم الإيمان والاعتراف بالرسالة الإسلامية؛ وعلى عكس ذلك كسب الأجر مرتين.

ونحن لا نتفق مع مضمون نص الكتاب الذي ورد في كتاب صبح الأعشى للقلقشندى السابق الذكر[2]؛ إذ إن الرسول ﷺ لايُعقل أن يطالب إمبراطور بيزنطة هرقل بالجزية؛ لأن نصارى بلاد الشام وبيزنطة لم يكونوا في حكم دولة الإسلام في عهد النبوة؛ ولم تسجل كتب السير والمغازي وصول أموال الجزية من نصارى بلاد الشام في عصر الرسالة.

---

١- القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٦، ص٣٧.

٢-المصدر نفسه، جـ٦،ص٣٧٦.

## سفارة النبي ﷺ إلى كسرى[1] أبرويز [٦هـ/٦٢٧م]:

في السنة السادسة من الهجرة النبوية الشريف؛ أرسل نبي الرحمة محمد سفيراً له عبد الله ابن حذافة السهمي[2]، إلى كسرى أبْرَويز ملك الفُرس، **وبَعث مَعهُ كتاباً جاء فيه:**-

(بسم الله الرحمن الرحيم، من مُحمد رَسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سَلام على من اَتبع الهُدَى، وآمن بالله ورسوله؛ وَشَهَدَ أَن لا إلهَ إلا الله وحْده لاشَريكَ لَهَ، وأن محمداً عبدَهُ ورسوله، أدعوك بدعاية الله عزوجل، فإني أنا رَسول الله إلى النَاس كَاَفةً لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً، ويَحقَّ الْقَوْلُ عَلى الكافرين، أَسَلَمْ، فإن أَبَيْتَ فَعَليك إِثم المجوس)[3].

قراءة أولية لمحتوى كتاب الرسول ﷺ إلى ملك فارس أبرويز يظهر الدعوة للاعتراف بالإسلام ديناً ودولة ؛ وبداية الكتاب استهلها ﷺ بالدعوة إلى السلام بين الطرفين ما دام ملك فارس يُقر بالإسلام ووحدانية الله تعالى؛ وحملَهُ النبي ﷺ مسئولية عدم الأيمان بالرسالة السماوية أثم أمةُ الفرس جمعاء.

---

١- كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان ملك فارس كان سنه ٦هـ/٦٢٧م) وصل إليه مبعوث الرسول ﷺ عبد الله بن حُذافه السهمي. الطبري، تاريخ، جـ٣، ص٨٩. اليعقوبي، تاريخ، جـ٢، ص٨٣.محمود، ليث شاكر، محاضرات في التاريخ الساساني، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ،( بغداد، ٢٠٠٦م)، ص ٣٥.كرستنسن، آرثر ،ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحي الخشاب، (القاهرة،١٩٥٧م).

٢--"عبد الله بن حذافة السهمي: من رسل النبي ﷺ إلى كسرى، ابن حبيب، المقتفى، جـ١، ص١١٢. ابن إسحاق، السيرة النبوية، مج٢، ج٨، ص٣٤٥ الكلاعي، الاكتفاء، جـ ٢، ص٣٨٦.

٣-الطبري، تاريخ، جـ ٣، ص٩٠. ابن الاثير، الكامل، جـ ٢، ص٨١. ابن كثير ، السيرة النبوية، جـ ٢ ، ص٥٠٧، البداية والنهاية جـ٢، ص ٢٦٩.الحلبي، السيرة الحلبية، جـ ٢، ص ٣٦٨. الزرعي، زاد المعاد، جـ ١، ص١١٩.الكلاعي، الاكتفاء، جـ ٢، ص٣٨٦.

ويبدو كان استقبال كسرى أُبرويز لمبعوث النبي ﷺ سلبياً عندما لاسيما حينما قرأ الكتاب غضب ومزَقّه وقال: (يَكتبُ إليّ هذا[1] وهو عبدي)[2]،

فلما عَلِمَ الرسول ﷺ حين بَلغُه ذلك قال: (مزق ملكه)[3].

وفي رواية أخرى رويت عن أبي هريرة وغيره أن كسرى بينما هو في بيتٍ كان يخلو فيه إذا رجل خرج اليه وفي يده عصا فقال ياكسرى أن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً مفاده أسلم تسلم واتبعه يبق لك ملكك ثم دعا كسرى حجابه وبوابيه فتواعدهم وقال من هذا الذي دخل عليَّ قالو والله مادخل أحد وما ضعنا لك باباً؛ ومكث حتى كان العام المقبل أتاه فقال له مثل ذلك)[4].

وفي رواية ثانية إن عبد الله بن حذافة السهمي دفع كتاب الرسول ﷺ فدفعه إلى عظيم البحرين؛ ودفعه الأخير إلى كسرى ؛ فلما قرأه مزقه[5]. فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزقوا كل ممزق[6]. وفي رواية ثالثة قال رسول الله ﷺ: (أما هؤلاء فيمزقون)[7].

---

١-هذا: يقصد النبي ﷺ.

٢-الطبري ،تاريخ ، جـ٣، ص٩٠، ابن كثير، السيرة النبوية ، جـ٢، ص٥٠٧، البداية والنهاية، جـ١، ص٢٦٩-٢٧٩.

٣-المصدر نفسه، جـ٣، ص٩٠. ابن الأثير، الكامل، جـ٢، ص٨١، ابن سيد الناس (عيون الأثر)، جـ٢، ص٣٢٨. الكلاعي، الاكتفاء، جـ ١، ص ٣٨٦.

٤-ابن سيد الناس، السيرة النبوية ، جـ٢، ص٣٢٨.ابن كثير ، السيرة النبوية ، جـ٢، ص٥٠٧.ينظر: ماكتبه حمد،احمد،الجانب السياسي في حياة الرسول، ط١، دار العلم، (الكويت،١٩٨٢م).ص.١١٢

٥-العسقلاني، (ت٩٢٣هـ)، المعروف بابن حجرالعسقلانى، أحمد بن محمد ، المواهب أللدنية بالمنح المحمدية ؛تحقيق صالح احمد الشامي ،ط١ ، (بيروت ،١٩٩١)، جـ٢، ص١٣٩-١٤٠.

٦-المصدر نفسه، جـ٢، ص١٤٠.

٧-المصدر نفسه ، جـ٢،ص١٤٠.

مما تقدم نفهم أن موقف كسرى فارس كان سلبياً من سفارة وكتاب الرسول ﷺ على عكس إمبراطور بيزنطة هرقل الذي كان استقباله لمبعوث النبي ﷺ؛ ولذلك روت مصادرنا التاريخية أحاديث للنبي ﷺ تجاه كسرى وتمزيق ملكه.

### ا. سفارة النبي محمد ﷺ إلى نجاشي الحبشة[1] [٦هـ/٦٢٧م]:

**أرسل ﷺ عمرو بن أُمية الضمري[2] إلى نجاشي الحبشة في السنة السادسة من الهجرة النبوية؛ وبعث معه كتاباً جاء فيه:-**

(بسم الله الرحمن الرحيم، من مُحمد رَسولُ الله إلى النجاشي الاصحم[3]. ملك الحبشة، سلْمٌ[4] أنت، فإني أحمدُ[5] إليك الله الذي لا إله إلا هو اَلِملكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤمِنُ المُهيْمنُ، وأشَهَدُ أن عيسى بن مَريْمَ روحُ الله، وكَلِمتهُ أَلقاها إلى مَرْيَمَ البتول[6] الطيبة الحصينة فحملت بعيسى، حَمَلَتهْ من روحه ونَفْخهِ، كما خَلَقّ آدم بيده ونفخه. وإني أدعوك إلى الله وحَدْه لأشريك له، والمولاةِ على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليكَ

-١نجاشي الحبشة: لقب ملوك الحبشة من النصارى .ينظر:- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستى،السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق سعد كريم الفقى، (بلا ، بلا)ص١٦٩.الأنصاري، المصباح المضيء، ج١،ص٢٠٩.حمد،الجانب السياسي فى حياة الرسول، ص١١٣.
٢-عمرو بن أُمية الضمري: سفير النبي ﷺ إلى نجاشي الحبشة سنة ٦هجرية/٦٢٧م ينظر ماذكره ابن إسحاق،السيرة النبوية، مج٢، ج٨، ص٣٤٥.ابن حبان، السيرة النبوية، ص١٧٠. الأنصاري،المصباح المضيء،ج١،ص٢٠٩.
٣-الاصحم بن ابجر: هو نجاشي الحبشة في عصر الرسول ﷺ.ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص٣٤٥ ابن حبان، السيرة النبوية، ص١٧٠.
٤-سلْمٌ :يعنى سلام لك من محمد رسول الله ﷺ.
٥-أي احمده معك، أو أحمد إليك نعمة الله بتحديثها إياك.
٦-البتول: أي المنقطعة عن الرجال التي لاشهوة لها فيهم، أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها إلى الله تعالى؛ واصله من بتل أي الطاهرة.

ابن عمي جعفر[1] ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم[2]).[3]

لقد ذكر الرسول ﷺ نجاشي الحبشة بالله الواحد الأحد ؛ وموقف الإسلام من النبي عيسى وأمه مريم العذراء؛ وعَـرَّف بالوفـد الإسـلامي وكيفية استقبالهم وإكرامهم؛ ولذلك كـان رد النجـاشي ايجابيـاً إذ أرسـل كتاباً إلى النبي محمـد ﷺ يقـر فيهـا بإسـلامه واعترافـه ماجـاء بكتـاب الرسول؛ وأخبره أنه قرب جعفراً وأصحابه؛ وشَهد بوحدانية الله وبرسالة محمد ﷺ وبعث ابنه (أرها) إلى الرسول ﷺ؛ وختم الكتاب بالسلام.

وهكـذا نفهـم أن موقـف نجـاشي الحبشـة ايجابيـاً مـن الـدعوة الإسلامية؛ مع موقف إمبراطور بيزنطة هرقل بالمقارنة مع موقف كسرى ملك فَارس.

---

١-هو جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكان ممن هاجر إلى الحبشة اشتد إيذاء كفار قريش للمسلمين.وهو علم معروف ابن عم النبي ﷺ. ابن حجر العسقلاني، الإبابة، ج١،ص٢٣٧تسلسل١١٦٥.

٢-فأقرهم: أي أكرمهم؛ أي أحسن إليهم والمراد هنا ابقاهم على مكانتهم.

ودع التجَبرَ، واني ادعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بَلَّغْتُ ونَصَحْتُ، فأقبلوا نُصْحي، والسلام على من أتبع الهدى.

٣-الطبري، تاريخ ، جـ٣، ص٨٩. ابن الاثير، أسُد الغابة ، جـ١ ، ص٦٢.

القلقشندي، صبحي الأعشى، جـ ٦، ص٤٦٦. الزرعي، زاد المعاد، جـ١، ص ١١٩. الكلاعي، الاكتفاء، جـ٢، ص٣٩٠.

### وفادة الرسول ﷺ إلى المقوقس[1] عظيم القبط [٦هـ/٦٧٢م]:

في السنة السادسة مـن الهجـرة النبويـة الشريـفة إلى المدينـة؛ بعـث رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة[2] إلى المقوقس عظيم القبط؛ وحمله كتاباً مختوماً بختم الرسول جاء فيه:-

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من مُحمدٍ رَسوَلُ الله إلى المُقَـوقس عظـيم القِبط، سلامٌ على من اتَّبع الهُدَى. أما بعد: فإني أدعُوك بدعاية الإسـلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يؤتكَ الله أجْرَك مرتين، فإن تَوَلَّيْتَ فإنما عليك إثـمُ القـبط. و﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦٤][3].

قراءة بسيطة لمحتوى الكتاب تظهر دعوة النبي محمـد ﷺ لعظـيم القبط إلى الاعتراف بالإسلام؛ وأن عدم ذلك معناه تحمله أثم قومه القبط إضافة إلى إثمه؛ ولعل نص الآية الكريمة يُفصح عن دعوة للتقارب بـين الأديان السماوية الإسلام والمسيحية لمجابهة الوثنية والطوطمية السـائدة وقتذاك في بلاد العرب.

---

١-المقوقس :لقب عرف به ملوك مصر قبل الإسلام من المسيحيين المصرين الأقباط.ابن إسحاق، السيرة النبوية، مج٢وج٨، ص٣٤٥. ابن حبان، السيرة النبوية، ص١٧٧.).

٢- حاطب بن ابي بلتعة:- هو مبعوث الرسول ﷺ الى المقوقس اكرمه الامير بـ هدايا وارسل معه ١٠٠ مثقال ذهب وجاريتين للرسول وبغلة وعسل وطيبا.ابن إسحاق، السيرة النبوية، مج٢ج٨ص٣٤٥;كذلك ينظر:ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج١،ص٣٠٠تسلسل١٥٣٨ ابن شاهين غاية السؤال في سيرة الرسول ﷺ، تحقيق محمد كمال الدين، ط١، عالم الكتب، (بيروت ، ١٩٨٨، غاية السؤال، جـ١، ص٤٩. الخطيب،محمد عجاج، أضواء على الإعلام فى صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة ط٢، (بيروت،١٩٨٧م)، ص٥٤.

٣-ابن كثير، السيرة النبوية، جـ ٢، ص٥١٤. العسقلاني، المواهب اللدنيه، ص١٣٤ ـ ١٤٥. الحلبي، السيرة الحلبية، جـ ٢، ص٣١٧ . القلقشندي ، صبح الأعشى، جـ ٦ ، ص٣٧٨ . الزرعي، زاد المعاد، جـ١، ص١١٩. الكلاعي، الاكتفاء، جـ ٢، ٣٩٣. كذلك ينظر ابن شاهين،غاية السؤال في سيرة الرسول ﷺ، جـ ١،ص٤٩.

**ويروى إن ذلك الكتاب كان بخط أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ وجاء في صيغة ثانية وردت في صبح الأعشى نصه:-**

(من مُحمدٍ رسول الله إلى صاحب مصر. أما بعد : فإن الله أرسلني رسولاً، وأنزل عليّ قُرْأناً، وأمرني بالاعتذار والإنذار، ومُقاتلة الكفار، حتى يدينوا بديني ويَدْخُل الناسُ في مِلّتي، وقد دعَوتُك إلى الإقرار بوحدانيته، فإن فعلْت سَعِدْت، وإنْ ابيَيْتَ شقِيتَ، والسلام).[1]

وقد رد المقوقس عظيم القبط بكتاب وجههُ للنبي ﷺ أخبرهُ فيه بالاعتراف بالإسلام؛ وأكرم سفير النبي ﷺ؛ إذ دفع له مائة دينار ذهب وأهداه خمسة أثواب؛ وأرسل للنبي جاريتين هما مارية التي تسرى بها الرسول؛ وسيرين التي تزوجها حسان بن ثابت؛ ومن بين الهدية المرسلة للنبي عشرون ثوباً من قباطي مصر وبغلة.

مما تقدم نخلص إلى أن كتاب الرسول ﷺ إلى المقوقس جاء نتيجة إيجابية فحواها اعتراف عظيم القبط بالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، فضلاً عن إكرام سفير الرسول وهدايا ثمينة وجواري اختلفت المصادر التاريخية في عددهن؛ إلا أنها اتفقت على زواج الرسول ﷺ من مارية القبطية.

وبالإجمال اتسمت السفارات النبوية السياسية إلى الملوك العرب وشيوخ القبائل العربية كونها خاطبت عقولهم وضمائرهم من عاصمة الإسلام المدينة المنورة. للانضواء تحت راية الإسلام الحنيف والاعتراف

١-ابن الأثير، أسد الغابة، جـ١، ص٣٨. الحلبي، السيرة الحلبية، جـ٢، ص٣٧٢.

بسلطة الرسول ﷺ في المدينة وبـذلك تكـون السـلطتين الدنيويـة والدينية قد أُنيطتا بشخص النبي؛

لذا فمن يعترف في هذه المكاتبـات يعنـي ظاهريـاً عـلى الاعـتراف بالإسلام وبسلطة الرسول على مناطق واسعة من شـبه الجزيـرة العربيـة؛ وهكذا فإن هذهِ المكاتبات حملت رغبات حقيقية في إشاعة الأمن والسلام تحت راية الإسلام وبزعامة الرسول القائد؛ لِتوحد منـاطق شـبه الجزيـرة العربية. .

ولذلك سـنتناول أيضـاً المكاتبـات النبويـة السياسـية إلى الملـوك العرب سواء أكانوا في غرب أو جنوب أو شمال شبه الجزيـرة ممـن عرفـوا بمنصب الملك؛ لاسيما أن مناطق نفوذهم أي ممالكهم فيها رعايـا يـدينون بأديان مختلفة كاليهودية والنصرانية والطوطمية.

### ٦. مبعوث الرسول ﷺ إلى الملك الحارث بن أبي شمر الغساني[1] ملك دمشق[2] [٦هـ/٦٢٧م]

أرسَلَ النبـي محمـد ﷺ شـجاع بـن وهـب الاسـدي[3] سـفيراً إلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق وذلك سنة (٦هـ / ٦٢٧م)؛ **وبعث معه كتاباً جاء فيه:-**

١-الحارث بن أبى شمر الغَسان:ـ هو الحارث السابع شرحبيل بن عمرو الرابع المعروف بأبي شمر الأصغر والذي تولى ملكه سنه٦٢٥مالى سنه ٦٣٠ميلادية وقد ورد بعدة صيغ لدى الطبري، تاريخ جـ٣، ص٨٤. كذلك ٨٨. كذلك:ـ ابن إسحاق، السيرة النبوية، مج٢،ج٨ص٣٤٥ابن هشام ، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣هـ) السيرة النبوية، ط ١، تحقيق طه عبد الرؤوف، دار الجيل، (بيروت ، ١٤١١هـ). السيرة النبوية، جـ٢،ص٣٩٢. الحلبي، السيرة الحلبية، جـ٢، ص٣٧٦. ابن شاهين،غاية السؤال، جـ١، ص٤٩.

٢-دمشق:ـ من أهم المدن العربية الشامية ،كانت حاضرة من حواضر مملكة الغساسنة قبل الاسلام وعاصمة الدولة العربية الاسلامية فى العصر الأموي. بنظر. الحموي. ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت٦٢٦هـ)معجم البلدان ، طـ١، دار صادر، ( بيروت، ١٩٥٧). جـ٢،ص .(مادة دمشق).

(بسم الله الرحمن الرحيم، من مُحَمدٍ رَسُول الله إلى الحارث بن أبي شمر. سلامٌ على من أتبع الهُدى وآمن بالله وصَدَّقَ، وإني أدعوك أن تُؤمن بالله وحده لاشَرَيكَ له يَبقى لك مُلكُك[1]).

وكانت رد فعل الحارث بن أبي شمر الغساني أزاء ذلك الكتاب والسفارة حسب ماروت لنا المصادر التاريخية سلبيا أنه رمى الكتاب وقال:- (مَنَ يَنزعُ مني مُلكي؟ أنا سائر إليه)[2].

يبدو أن حفيظة الملك الغساني ثارت عندما قرأ مضمون الكتاب النبوي؛ ويظهر أن هذا الكتاب جاء معاصراً للكتاب النبوي الموجه إلى هرقل؛ بدليل أن الأخير وبخ وثنا الحارث عن عزمه[3].

والواقع إن الحارث بن أبي شمر الغساني لم يكن قادراً للسير بجحافله إلى مدينة الرسول ﷺ؛ فالسرايا والجيوش العربية الإسلامية وصلت طلائعها منذ سنه (٦هـ/ ٦٢٧م) إلى شمال الحجاز إلى مدن دومة الجندل وفدك وغيرها[4]. فضلاً عن عدم قدرة الحارث المادية والعسكرية للوصول إلى قلب الحجاز .

١- الطبري، تاريخ، جـ٣، ص٨٨. الكلاعي، الاكتفاء، جـ٢، ص٤٠٦. الحلبي، السيرة الحلبية، جـ٢، ص٣٧٦. الزرعي، زاد المعاد ، جـ٣، ص٦٩٧.

٢- الطبري، تاريخ، جـ٣، ص٨٨. الحلبي ، السيرة الحلبية، جـ٢، ص٣٧٦.

٣- الطبري ، تاريخ، جـ٣، ص٨٨.

٤- ابن هشام، السيرة النبوية، جـ١، ص٩٩، جـ١، ص٩٧. جـ٥، ص١٥٣،١٩٥؛ جـ٤، ص٣٢٨، جـ٥، ص٢٠٧.

**لما بلغ النبي ﷺ بموقف الحارث بن أبي شمر الغساني قال عنه:-** (بَادَ مُلْكُه)[1]. وهذا يعني زوال ملك غسان من بلاد الشام؛ وهذا ماتحقق بالفعل بعيد التحرير العربي الإسلامي لبلاد الشام في العصر الراشدي؛ وتحديداً بُعيد معركة اليرموك[2].

وقراءة أولية لمحتوى الكتاب النبوي إلى الملك الحارث بن أبي شمر الغساني يُبين الدعوة إلى الاعتراف بالإسلام دينا ودولة؛ لكون مملكة الغساسنة من الممالك العربية المنتصرة أي ؛ بدليل تذكير النبي ﷺ للحارث بالدعوة إلى التوحيد ليدوم ملكه ؛ لأنا لأرض وما عليها هي مُلك لله وحَدهُ ؛ وبالرغم من ذلك لم يعترف الحارث الغساني بمحتوى هذا الكتاب لالشئ ؛ ألا لكونه لايريد الاعتراف بنبوءة الرسول محمد ﷺ وسلطته الفعلية على وسط وجنوب وشمال الحجاز وقتذاك.

### ٣. وفادة النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين:

أوردت المصادر التاريخية في السنة السادسة للهجرة إلى أن النبي محمدﷺ بعث الصحابي العلاء بن الحضرمي[3]إلى ملك البحرين المُنذر بن ساوى ألعبدي؛ **وحمل إليه كتاباً جاء فيه:-**

١- المنذر بن ساوى العبدي: من ملوك البحرين ممن عاصروا النبي ﷺ الخطيب، أضواء على الإعلام في صدر الإسلام، ص٥١.

٢-البحرين:ـ حددها البلدانيون من خليج البصرة إلى عُمان وقتذاك؛ مملكة عربية قبيل الإسلام، البلاذري احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، مطبعة لجنة البيان. (مصر ، ١٩٣٧). ص٨٥. الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٧٤.

٣-العلاء بن الحضرمي:ـ هو ممثل الرسول ﷺ أو عامله في البحرين سنه (٦هـ/٦٥٧م). ينظر:الكلاعي، الاكتفاء، جـ٢، ص٣٩٦.الأنصاري، المصباح و ج١،ص ١١٧٢.الخطيب، أضواء، ص٥١

(بسم الله الرحمن الرحيم: من مُحَمد رَسولُ الله إلى المُنذر بِن سَاوى سَلِمٌ أَنت، فإني أحْمَدُ إليك الله الَذّي لاإله َ إلا هوَ ، أما بَعدُ: فإنَّ من صَلَّى صَلاتَنا، وأستَقبَل قِبْلَتنا، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المُسْلِمُ، له ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله، فَمنَ أحبَّ ذلك مَن المجوس، فإنه آمنٌ، ومن أَبى فإن عليه الجزية)(١).

نَفهَم من مضمون كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى ملك البَحرَين أن عَدداً من المسلمين الجدد وجدوا في البحرين؛ أو ربما هي دعوة إلى الدين الحنيف بدليل قوله ﷺ (من صَلى صلاتنا واستقبل قبلتنا) هذا يعني أن سفير الرسول ﷺ العلاء بن الحضرمي كان مبشراً بالإسلام ومعلماً لشرائعه؛ ففي هذا الكتاب تعريف واف للمسلم من منظور النبي ﷺ مَنْ يصلي صلاة المسلمين ويستقبل قبلتهم ويأكل ذبيحتهم؛ وفي هذا الخطاب أيضاً دعوة للمجوس إلى اعتناق الإسلام أو دفع الجزية لِمن يأبى ذلك.

وقد رَدَّ المنذر بن ساوى بكتابٍ وجهه إلى الرسول ﷺ أخبره فيه أن الكتاب النبوي قرأه على أهل البحرين فمنهم من آمن بألا سلام؛ ومنهم من أبى؛ وأعطى المنذر بن ساوى صورة عن أديان مجتمع البحرين من اليهودِ والنصارى والمجوس.

---

١-أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ) كتاب الخراج، المطبعة، (القاهرة، بلا)، ص١٥٦. البلاذري ، فتوح البلدان ،ص٨٨.

**وسرعان ماوجه النبي ﷺ كتاباً آخر رداً على ذلك الكتاب ومما جاء فيه:-**

(بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى: سَلاٌم عَليكَ، فإني أحْمَد إليك الله الذي لا إله الاإهو، وأشهَد أن لا إلـه إلا الله،

وأن محمداً عبده ورسوله.أما بعدُ: فإني أذكَّرك اللهَ عز وجـل، فإنـه من يَنْصَحْ فإنما يَنصحُ لنفسه، وإنـه مـن يَطـع رُسـلي ويتبـع أمـرهم فقـد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نَصحَ لي، وإن رُسلي قد اثنـوا عَليـكَ خـيراً، وإني قد شَفعتُك فلي قومك، فأترك المسلمين ما اسـلموا عليـه؛ وعَفـوتُ عن أهل الذنوب فأقبل منهم وإنك مهما تُصْلِح فلن نَعْزلك عن عملـك، ومن أقام على يهوديته، أو مجوسيته فعليه الجزية))[1].

ونتيجـة لـذلك صـالح المجـوس واليهـود والنصـارى مـن أهـل البحرين العلاء بن الحضرمي على أداء الجزية على كـل حـالم مـن الرجـال دينار واحد سنوياً ؛ وأن يدفعوا نصف منتوج التمر سنوياً للمسلمين[2].

---

١-الحلبي، السيرة الحلبية، جـ٢، ص٣٧٤.

٢-البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٦.الحموي، معجم البلدان، جـ٢،ص٧٤.

## ٤. سفارة الرسول ﷺ إلى هوذة بن علي[1] صاحب اليمامة[٢] سنه [٦هـ/٦٢٧م]:

أرسل النبي محمد ﷺ الصحابي سَليطَ بن عَمروَ العـامري[3]موفـداً إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وحمل إليه كتاب الرسول ﷺ **ومما جاء فيه:-**

"بسم الله الرحمن الرحيم، من مُحمدٍ رسول الله إلى هـوذة بـن عـلي، سَلامٌ على من أتبع الهُـدى، واعْلَـم إن دينـي سَـيظهَرُ إلى مُنتهـى الخِـفَّ[4] والحافِر[5]؛ فأَسْلِمْ تَسْلَم وأجْعَل لك ماتَحتَ يديك"[6].

أن سنة بعث السفارة هي سنة(٦هـ/ ٦٢٧م) وهـي مزامنـة لتلـك السفارات النبوية السياسية إلى الملوك خارج وداخل شبه الجزيرة العربية.

ونفهم مما جاء في المصـادر التاريخيـة أن الرسـول ﷺ أراد برؤيتـه الثاقبة احتواء هوذه بن علي وأهل اليمامة في الاسلام ؛ لاسيما وان البحرين وملكها قد انضويا تحت لـواء الاسـلام سـواء كـانوا مجوسـاً أو يهـوداً أو نصارى؛ لذلك دخول اليمامة أمرٌ بديهي حسب ماجاء في نص الكتاب

١-هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة. ينظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، مج٢وج٨.ص٣٤٥. الأنصاري،المصباح المضيء،ج١، ص١٥٩-١٦٠.

٢- اليمامة:ـ تقع غرب البحرين؛ شرقي الحجاز الحموي، معجم البلدان، جـ٥، ص. مادة يمامة

٣- سليط بن عمرو العامري:هو سفير الرسول ﷺ إلى هوذة بن على كان يحمل كتاب الرسول للملك المذكور ينظر: ابن إسحاق، السيرة النبوية، مج٢و ج٨وص٣٤٥.ا.

٤- الخفَّ: يراد به المداس إي المقاتل الراجل .ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خف).

٥-الحافِر: الخيول والبغال والجمال وهنا كناية عن الفرسان المقاتلين.المصدر نفسه مادة (حفر).

٦-الأنصاري، المصباح المضي، جـ١، ص ١٥٩ــ١٦٠. ابن كثير، السيرة، جـ٢،ص٥٠٦، العسقلاني، المواهب، ص١٤٨.
الحلبي، السيرة الحلبية، جـ٢، ص٣٧٦. القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٦، ص٣٧٩. الكلاعي، الاكتفاء، جـ٢، ص٤٠٢. ابن شاهين، غاية السؤال، جـ١،ص٥٠.

النبوي إلى هوذه بن علي (واعلم إن ديني سيظهر إلى مُنتهى الخف والحافر[1])؛ وعليه فإن على ذلك الأمير الخضوع إلى دولة الاسلام؛ الا أن رده كان حيادياً بعيداً عن الإسلام وتهديداً لسلطة الرسول ﷺ في المدينة بدليل قوله للرسول ﷺ:- (وأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعَرب تهابُ مكاني ، فأجعَل إلى بعض الأمر اتبعك)[2]؛ وهذا يعني تهديد ووعيد لدولة الإسلام؛ وليس إيماناً كاملاً، الأمر الذي دفع الرسول ﷺ لان يقول عنه (لو سألني سبابة مافعلت بَادَ وبَاد مافي يديه)[3].

## ٥. سفارة النبي ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي[4] ملكي عمُان[5] [٨هـ/ ٦٢٩م]

في السنة للهجرة بعث ﷺ عمرو بن العاص[6] سفيراً له إلى جيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين ملكي عُمان؛ وحمله كتاباً نصه (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد عبد الله ورسوله إلى الجيفر وعبد ابني الجُلُندي. سَلامٌ على من اتبع الهُدى، أما بَعْدُ:- فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أَسْلِما تَسْلماَ، فإني رسول الله إلى الناس كافَّةً. لأُنْذر مَنْ كان حياً، ويُحَقَّ القَوْلُ

١-الحلبي، السيرة الحلبية، جـ٢،ص٣٧٦

٢-المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٧٦ .

٣-المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٧٦.

٤- جيفر وعبد ابني الجلندي الازديان: كان ملكي عمان ينسبان إلى قبيلة الازد اليمانية ينظر: ابن هشام، السيرة، جـ٥،ص٢٢٢. جـ٥، ص١٣. الأنصاري،المصباح المضيء،ج١، ص.١٧٢الخطيب، أضواء على الإعلام، ص٥٢.

٥- عُمان: بلاد تقع جنوب شرق شبه جزيرة العرب على الخليج المعروف بخليج عُمان: وعُمان بضم الميم .ينظر: الحموي، معجم البلدان، جـ ٤، ص (عمان).

٦-عمرو بن العاص: من أعلام بني أمية أرسله النبي ﷺ سفيراً إلى ملكي الازد بعمان سنة ٨هجرية/٦٢٩م ابن إسحاق، السيرة النبوية، مج٢وج٨،ص٣٤٥ ينظر ابن شاهين، غاية السؤال، جـ١، ص٥٠.الخطيب، أضواء، ص٥٢.

على الكافرينَ، وإنكما إن أقررَتُما بالإسلام وليتُكما وإن أبيتما أن تُقِرَّا بالإسلام، فإن مُلْكُماَ زائِلٌ عنكما، وخيلي تَحُلُّ بساحَتِكما، وتظهر[1] نبوّتي على ملككما)[2].

أن المطلع على الكتاب النبوي إلى ملكي عمان من أبناء الأزد القبيلة العربية يقف على عدة حقائق؛ أولها أن الخطاب السياسي النبوي موجه منه كونه أعلى سلطة روحية ودنيوية للعرب المسلمين إلى سلطة زمنية دنيوية في عُمان متمثلة بجيفر وعبد الازديان؛ كما أن لغة السلام هي سباقه في بدء الحوار داخل الكتاب؛ وقد أردف السلام بميزة أوصفة الهُدى الاوهي عبادة التوحيد من خلال إعلانها الاسلام؛ سيما وأن رسول الرحمة ﷺ عرفها بنفسه

وبرسالته بكلماتٍ بسيطة وقليلة؛ وأعطاهما خياراً واحداً أما الاسلام والبقاء على ملكيتهما؛ وإلا فإن ملكهما زائل بقوة خيول المسلمين.

وهكذا تخلص إلى حقيقة مفادها :ـ أن الرسول ﷺ كان حازماً في خطابه مع ملكي عمان لاسيما وأن قوة دولة الاسلام تعاظمت في السنة الثامنة من الهجرة؛ ونحن نرجح أن يكون تاريخ تلك السفارة بُعيد فتح مكة والطائف ؛ لأن دولة الإسلام بقيادة الرسول ﷺ امتدت إلى جنوب الحجاز وأمن أبناء العرب وقبائلهم بلاسلام ودخلت مناطقهم الشاسعة

---

١- تظهر: ظهر علي أي غلبه. الرازي، الصحاح، (مادة ظهر).
٢- العسقلاني، المواهب، ص١٤٦.

إلى دولة الاسلام؛ ومن هنا نفهم أسباب الحزم في الخطاب النبوي مع ملكي عُمان .

كما أن اختيار شخصية عمرو بن العاص كسفير للرسول ﷺ له دلالته لاسيما وان دخول مكة تحت لواء الإسلام؛ ومن بين الداخلين في الاسلام بني أمية؛ ولكون عمرو بن العاص قائداً أموياً قرشياً يتمتع بقوة المفاوضة وقوة الخطاب؛ لذلك اختاره ﷺ لأداء تلك المهمة .

- **السفارة في عصر الراشدين (١١- ٤٠هـ/٦٣٢- ٦٥١م):**

أ. **صفات السفراء في العصر الراشدي:**

أوردت المصادر العربية الإسلامية شروطاً عديدة لاختيار السفراء، وبهذا الصدد ذكر ابن الفراء (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) بأن السفير يتمتع بصفات بدنية متمثلة كعبالة الجسم وتمام العقل وامتداد الطول وان لا يكون قميئا ولا ضئيلاً، وأن يكون حسن الوجه جهور الصوت والرواء والمنظر وحسن الاسم والكنية واللقب[1].

**٢. السفارة في خلافتي الصديق والفاروق رضي الله عنهما:**

ففي خلافة أبي بكر رضي الله عنه رغب في مهادنة الروم ومصالحتهم فأرسل سفارة إلى بلاد الشام، وكان فيها هشام بن العاص الأموي وعبادة بن الصامت الأنصاري ويعلم بن عبد الله[2]، فاستقبلهم إمبراطور الروم،

١-ابن الفراء، الحسين بن علي (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة- تحقيق صلاح الدين المنجد( القاهرة،١٩٤٧). ص ٢١.

٢ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، وفاء الوفاء بأخيار دار المصطفى، (القاهرة، ١٩٦٣).

وسلموه رسالة الخليفة(1) ولا نعرف على وجه الدقة ردة فعل الإمبراطور إزاء رسالة الخليفة.

وفى خلافة الصديق رضي الله عنه أيضاً لم تقتصر السفارات على الخليفة نفسه فقد تمتع القادة بصلاحيات إرسال المبعوثين، وبهذا الصدد يروى أن خالد بن الوليد أرسل سفارة إلى صاحب ثغر فارس سنة (١٢هـ/ ٦٣٣م)، **وكتب إلى هرمز قبل خروجه مع قومه:-**

"أما بعد: فاسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر الجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئت بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة"(2).

وبالرغم من ورود كلمة سفارة لدى الطبري الا إننا نجهل اسم سفير خالد إلى الفرس، واغلب الظن أن الفرس قتلوا السفير المسلم، بدليل إن المعارك قامت على أشدها بين جيوش العرب المسلمين والفرس بعد هذا التاريخ (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٣م).

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نقرأ العديد من النصوص في مصادرنا التاريخية عن سفارات عربية إلى الأمم الأخرى إلى الفرس والبيزنطيين وغيرهم.

---

١-الذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز (ت ٧٤٤هـ - ١٣٤٣م)، تاريخ الاسلام في (القاهرة، ١٣٢٥هـ) ص٩٠.
٢-الطبري، جـ ٥، ص ٢١٣.

فقد ذكر الطبري أن القائد عمرو بن العاص استقبل سفارة من صاحب الإسكندرية لمفاوضة المسلمين قبل دخولهم لها، وأرسل الفاروق عمر رضي الله عنه كتاباً إلى عمرو يوصيه بالتزام الحذر في المفاوضات قائلاً:

"أما بعد، فإنه جاء في كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية، على أن ترد له ما أصيب حتى سبايا أرضه، ولعمري جزية قائمة، تكون لن ولبعدنا من المسلمين، أحب إلي من فىء يقسم، ثم كأنه لم يكن فأعرض على صاحب الإسكندرية، أن يعطيك الجزية، على أن يخيروا من في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومهم، فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين. ومن اختار دين قومه وضع عليه الجزية"[1].

وأوردت المصادر التاريخية سفارات بين عمرو بن العاص والمقوقس زعيم القبط سنة (٢٠هـ/ ٦٤٠م) فأرسل المقوقس إلى عمر قائلاً: "..فابعثوا ألينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم، فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب، وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن يغشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام، ولا نقدر عليه)[2].

١-المصدر نفسه، جـ ٤، ص ١٠٦.

٢-ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ) فتوح مصر وأخبارها، (القاهرة، ١٩١٤)، ص ٥٩، الطبري، التاريخ، جـ ٤، ص ٤٠٧.

وقد وصل سفراء المقوقس إلى عمرو بن العاص، وحسبهم الأخير يومين وليلتين ليروا حال المسلمين من قوة وإيمان، فلما رجعوا إلى المقوقس قالوا له: "رأينا قوماً الموت أحب إليهم من الحياة . ولو نغتنم صلحهم اليوم، وهم محصورون بهذا النيل، لم يجيبونا بعد اليوم".[1]

**فلما سمع المقوقس ما قاله له وفده بعث إلى المسلمين:-** "ابعثوا لنا رسلاً منكم نعاملهم، ولانتداعى نحن وهم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاح لنا ولكم"[2].

فاستجاب عمرو بن العاص لهذه الدعوة فأرسل سفارة تضم عشرة رجاله برئاسة الصحابي عبادة بن الصامت الأنصاري، ووصل الوفد إلى المقوقس فقام عبادة واصفاً حال المسلمين وما هم عليه من الإيمان وعدم الخوف من الموت في سبيل الله، فأجاب المقوقس: "أيها الرجل الصالح، قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضوها وتنصرفون إلى بلادكم.فقال عبارة: لا تغرن نفسك ولا أصحابك". ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث خصال: أما أجبتم إلى الإسلام وان أبيتم فادوا الجزية إلينا عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف"[3].

١-المصدر نفسه، جـ ٤، ص ٤٠٧.
٢-ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٦٠.
٣- المصدر نفسه، ص ٦١.

وبالرغم من قبول المقوقس شرط الجزية إلا أن قومه رفضوا تلك الشروط لذلك الوفد، فقامت الحرب بين الطرفين، وعاودت المفاوضات بينهم فأرسلوا وفداً منهم إلى عمرو بن العاص انتهت بتوقيع صلح مقابل دفع الجزية(١).

لقد كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يؤكدعلى الصفات الجسدية والعقلية التي ينبغي أن يتحلى بها السفير، بدليل لما كاتب القائد سعد بن أبي وقاص قبل المفاوضات بين المسلمين والفرس في معركة القادسية سنة (١٤هـ/ ٦٣٥م) حينما طلب رستم قائد جيش الفرس رجالاً من العرب لمفاوضتهم، أرسل الخليفة عمر بن الخطاب إلى سعد قائلاً: "وابعث إليه رجالا من أهل المنظرة والرأي والجلد يدعونه، فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم، وملجأ عليهم"(٢).

ولذلك جمع سعد بن أبي وقاص رجالاً لهم وقار وآراء ومنظر وعليهم مهابة(٣).

**ولما سمع بذلك عمر ﷺ قال:** "يؤذن لكم فيقدم أحسنكم اسما، فإذا دخلتم قدموا أحسنكم وجها، فإذا نطقتم ميزتكم ألسنتكم"(٤).

---

١-اليعقوبي، أحمد ة بن يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ)ـ تاريخ اليعقوبي، المكتبة المرتضوية، (النجف، ١٣٥٨هـ)، جـ٢، ص ١٠٣.
٢- ابن الفراء، رسل الملوك، ص ٢٢.
٣- الطبري تاريخ، جـ ٣، ص ٤٩٥.
٤- ابن الفراء، رسل الملوك، ص ٢٠، ابن الأثير، الكامل، جـ٢، ص ٢٨٤.

## ٣. السفارات في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ٢٣-٣٥هـ:

تسجل سنة ٢٨هـ / ٦٤٤م حدثاً كبيراً للسفراء العرب والمسلمين الذين أجروا مفاوضات مع أهالي قبرص يطلب من الآخرين من وإلي الشام

معاوية بن أبي سفيان، ونتج عن جهود السفراء مفاوضات نتج عنها حصول للمسلمين على الجزية من دون قتال ومقدارها (٧ آلاف دينار) سنوياً، والسماح للمسلمين بالمرور وقتال الروم، وأن يعين أهل قبرص بطريقاً منهم[١].

### أ. السفارات مع أهالي المشرق:

وفي سنة (٢٢هـ / ٦٤٢م) أجرى سفراء أهل أذربيجان وبين سفراءالوالي الوليد بن عقبة، نجح الطرفان في إعادة الصلح بينهما بعد اقتناع أهل أذربيجان بدفع الجزية للمسلمين بعيد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢].

وأجرى سفراء حبيب بن مسلمة مفاوضات مع أهالي تفليس[٣]. ووصف الوفد على لسان حبيب في كتاب بعثه إلى أهالي تفليس قائلاً: "وقد بعثت إليكم عبد الرحمن بن جزء السلمي، وهو من علمنا، ومن أهل العلم بالله وأهل القرآن، وبعثت معه بكتابي بأمانكم، فإن رضيتم

١- الطبري، تاريخ، جـ ٤، ص ٢١٦، جـ ٢، ص ٢٦٢.
٢-المصدر نفسه، جـ ٤، ص ٢٤٦، كذلك ابن الأثير، الكامل، جـ ٣، ص ٨٣.
٣-تفليس: بلد بأرمينية، الحموي، معجم البلدان، جـ ٢، ص ٣٦.

دفعه إليكم وإن كرهتم آذنتكم بحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين.(1)

وقد وافق أهالي تفليس على شروط السفير عبد الله بن جزء وأدوا الجزية وسرعان ما جددوا نصوص الاتفاقية مع الجراح بن عبد الله قائد المسلمين هناك، على أن يؤدوا الجزية والولاء للمسلمين، فضلا عن تسهيلات للجيوش العربية الإسلامية لمحاربة الكفار(2).

وأرسل الوالي عبد الله بن عامر سفيراً له الأحنف بن قيس التميمي إلى أهالي مرو الروذ سنة (٣٢هـ/ ٦٥٢م)، فقال: إني رسول فأمنوني، فأمنوه فإذا رسول من مرزبان مرو هو ابن أخيه وترجمانه يحمل كتاباً للأحنف **نصه**:

"إنا بحمد الله الذي بيده الدول، يغير ما شاء من الملوك، ويرفع ما شاء من الذلة ويضيع من شاء بعد الرفعة، إنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدي وما كان رأى من صاحبكم من الكرامة والمنزلة، فمرحبا بكم وابشروا وأنا ادعوكم إلى الصلح على أن أؤدي إليكم خراجا ستين إلف درهم وان تقروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى من الارضين والقرى".(3)

---

١-الطبري، تاريخ، جـ ٤، ص ١٦٢.

٢-أبو عبيد، ابن سلام، (ت٢٢٣هـ) الأموال(،بلا .بلا )، ص ٥٢٢، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٢، الطبري، تاريخ ، جـ ٤، ص ١٢٥.

٣-الطبري، تاريخ ، جـ ٤، ص ٣١٠.

ونتج عن هذه المفاوضات قبول صاحب مرو الروذ بشروط سفراء المسلمين، واقروه على مابيده من الأراضي، واشترطوا عليه مساعدة العرب والمسلمين لمقاتلة كسرى، وذلك بتحالف صاحب مرو ومن معه من الاساورة مع العرب المسلمين[1].

وفي السنة ذاتها أي (٣٢هـ/ ٦٥٢م)، أرسل أهل بلخ[2] سفارة إلى الأحنف بن قيس، وجرت مفاوضات بين الطرفين على دفع أربعمائة إلف درهم كجزية للمسلمين، ونتيجة لنجاح المفاوضات، قدم أهالي بلخ إلى سفير المسلمين هو أسيد بن المتشمس هدايا عبارة عن ابنه، ذهب وفضة ودنانير متاع.[3]

## ب. سفارات العرب المسلمين في المغرب:

تبودلت السفارات بين قسطنطين بن هرقل ملك الروم (إمبراطور بيزنطة) مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر في معركة ذات الصواري سنة (٣١هـ/ ٦٥١م)، وتمخضت المفاوضات عن إيقاف القتال ليلة واحدة اتفق الطرفان على أن تكون الحرب داخل المياه –البحر، وحينها قرأ المسلمون القرآن الكريم وبات الروم يضربون بالنواقيس[4]، وانتهت المعركة بانتصار العرب والمسلمين[5].

١-المصدر نفسه، جـ ٤، ص ٣١١.
٢-بلخ من مدن خراسان، الحموي، معجم البلدان، جـ ١، ص ٤٨٠.
٣-الطبري، تاريخ، جـ ٤، ص ٣١٢.
٤-اليعقوبي، تاريخ، جـ ٢، ص ١١٥.
٥-الطبري، تاريخ، جـ ٤، ص ٢٩٢.

وفي سنة (٢٧هـ/ ٦٤٧م) التقى سفراء القائد عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر مع سفراء جرجيس المعروف بجرجير في المصادر العربية الإسلامية وهو حاكم شمال إفريقيا، وبعد حرب وصدامات بين الطرفين وافق جرجير على شروط الوفد العربي بدفع الجزية[1].

## السفارات بين العرب والأمم الاخرى في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٥١م):

امتاز العصر الأموي بتعدد السفارات العربية الموفدة من الخلافة الأموية في دمشق إلى بيزنطة، وسفارات بيزنطية إلى العاصمة دمشق، فضلاً عن سفارات أوفدها الأمراء والقادة العرب المسلمين في المشرق والمغرب على حد سواء، إذ أن الأمير والقائد العسكري والوالي الإقليم أو المصر كان موكلاً من الخليفة الأموي في التفاوض السياسي والعسكري مع الأمم التي حاربت العرب المسلمين، وهذا متأت من بعد المسافة في العاصمة وأصقاع الدولة المترامية الأطراف.

- **السفارات العربية إلى الأمم الأخرى:**

✓ **أولاً: سفارات دار الخلافة إلى أباطرة بيزنطة:**

في سنة (٤٨هـ/ ٦٦٨م) أرسل الخليفة معاوية بن أبي سفيان سفارة إلى أهل أرمينية، يطلب منهم الاعتراف بسلطانه، والدخول في حماية المسلمين واستجابوا له، لذلك نصب معاوية على أرمينية والياً مسلماً عليها[2].

---

١-اليعقوبي، تاريخ، جـ٢، ص ١٥٤.

٢-الطبري، تاريخ، جـ ٦، ص ٢٥١، ابن الأثير، الكامل، جـ ٣، ص ٤٥٨.

ويبدو أن الخليفة معاوية استفاد من الظروف الدولية وقتذاك متمثلة بسوء علاقة صاحب الأرمن (سابور) مع قسطنطين الرابع، إذ التقى السفيران الموفدان من الأخيرين إلى الخليفة معاوية في دمشق، ولذلك نجحت سفارة معاوية في احتواء الأرمن.

وفي سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م) أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان سفارة إلى بيزنطة[1]، فاجري الوفد العربي مفاوضات توصل إلى عقد هدنة، وبموجبها تدفع الدولة العربية الإسلامية مبلغا من المال كل أسبوع إلى بيزنطة، بهدف الحفاظ على دماء المسلمين[2]. والهدف من هذه التنازلات السياسية والسيادية كانت بهدف القضاء على الفتن الداخلية والاضطرابات التي جابهت الخليفة عبد الملك أبان توليه سدة الخلافة[3].

وفي سنة(٧٠هـ/ ص ٦٨٩م) تجدد لقاء سفراء العرب المسلمين، متمثلة بخلافة عبد الملك، والبيزنطيين متمثلة بسلطة الإمبراطور جستنيان، واتفق الوفدان على مبادئ بموجبها تجديد مبادئ المعاهدة السابقة، مقابل تعهد جستيان أبعاد الجراجمة عن الحدود العربية الإسلامية مقابل دفع مبلغ ألف دينار ذهب من قبل المسلمين إلى بيزنطة[4].

١-ابن الفراء، رسل الملوك، ص ١٩.
٢-المصدر نفسه، ص ١٢.
٣-الطبري، تاريخ، جـ ٦ ، ص ٢٥٤.
٤-المصدر نفسه، جـ ٦، ص ٢٥٥.

وفي سنة (٧٤هـ/ ٦٩٣م) أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان الفقيه عامر بن شراحيل الشعبي[1] موفداً له إلى إمبراطور بيزنطةجستنيان، اثبت السفير الشعبي مهارة فائقة في إيصال رسالة الخليفة إلى جستيان الإمبراطور البيزنطي، ويروى أن الأخير أراد قتل السفير العربي الشعبي فتمكن الأخير من الإفلات.[2]

### ✓ ثانياً: سفارات القادة والأمراء العرب إلى الأمم الأخرى:

في سنة ( ٨٧هـ/ ٧٠٥م) أرسل قتيبة بن مسلم الباهلي، سفيره (سليم الناصح) مولى عبيد الله بن أبي بكر إلى نيزك طرخان يدعوه إلى الصلح، وإطلاق سراح أسرى العرب والمسلمين عنده، و كان مع سليم الناصح كتاب موجه إلى الملك نيزك من قتيبة حلف الأخير فيه بالله لئن لم يقدم عليه لطلبه حيث كان وبعد أن قرأ نيزك كتاب قتيبة، أعرب عن استنكاره، لما فيه من غلظة، وأوضح سليم لنيزك: أن قتيبة إذا سوهل صعب وإذا عوسر، فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك. فاقتنع نيزك بكلام السفير العربي، فقدم مع السفير سليم إلى قتيبة فصالحه وأهل باذغيس على أن لا يدخلها قتيبة[3].

وفي سنة ٩٣هـ/ ٧١١م، أرسل قتيبة بن مسلم الباهلي سفارة إلى ملك خوارزم وأرسل الأخير سفارات إلى قتبية توصل السفراء إلى اتفاق

١-عامر بن شراحيل الشعبي، وقبيلته من اقبال اليمن، وهو كوفي تابعي، وافر العلم كان من اعلم العلماء الكوفة، توفي سنة (١٠٤هـ)، في الكوفة، ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)ن وفيات الأعيان (بيروت، ١٩٦٨)، جـ ٣، ص ١٢.

٢-ابن الفراء، رسل الملوك، ص ١٣.

٣-الطبري، تاريخ، جـ ٦، ص ٤٢٩، ابن الأثير، الكامل، مجـ ٤، ص ٥٢٠.

مبدأي على أن يسلم ملك خوارزم بلاده على أن يسلم قتيبه الخارجين عن ذلك الملك من أهالي خوارزم شاه – منهم أخ الملك خرزاد[1].

وقد أرسل قتيبة بن مسلم الباهلي سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م) سفارة ضخمة إلى ملك الصين بطلب من الأخير، إذا انتخب قتيبة من عسكره اثني عشرة رجلاً – ويقال عشرة – من أمناء القبائل لهم جمال وأجسام والسن وشعور وبأس، وبعدما سأل عنهم قتيبة فوجدهم من صالح من هم معه فلما كلمهم قتيبة فرأى عقولاً وجمالاً، فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من

الخز والوشي والنعال والعطر وحملهم على خيل و ودواب يركبونها، وكان هبيرة بن المشمرج ألكلابي رئيس الوفد".[2]

**فالتقى قتيبة بالسفراء ووصاهم قائلاً:-** "لا تضعوا العمائم عنكم، حتى تقدموا البلاد، فإذا دخلتهم عليه فاعلموه أني قد حلفت إلا انصرف حتى أطأ بلادهم، وأختم ملوكهم، وأجبي خراجهم".[3]

وصل سفراء قتيبة إلى الصين، وأرسل ملك الصين يدعوهم، فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاء ولبسوا النعال والأردية، ودخلوا على الملك في اليوم الأول وعند عظماء مملكته، فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه نهضوا فغادروا المكان"[4].

١-الطبري، تاريخ، جـ ٦، ص ٤٧٠.
٢-الطبري، تاريخ، جـ ٦، ص ٥٠٢.
٣-المصدر نفسه، جـ ٦، ص ٥٠١.
٤-الطبري، تاريخ، جـ ٦، ص ٥٠١.

وفي اليوم الثاني: أرسل ملك الصين إلى الوفد فلبسوا الوشي الخز وأردية خز مربعة الشكل، فلما دخلوا على الملك، قيل لهم ارجعوا"[١].

فلما كان اليوم الثالث، أرسل ملك الصين إليهم، فشهروا عليهم سلاحهم، ولبسوا البيض وتقلدوا السيوف وأخذوا الرماح وتنكبوا القسي وركبوا خيولهم، فنظر إليهم ملك الصين. فركزوا رماحهم ثم اقبلوا نحوهم مشمرين، فقيل لهم ارجعوا، فانصرفوا وركبوا خيولهم، فقال ملك الصين قد رأيتم عظيم ملكي.وانأ سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتكم. فسأله عن زي

السفراء العرب في اليوم الأول، فأجابه هبيرة بأنه زي العرب بين أهلهم، أما زى السفراء العرب في اليوم الثاني لما دخلوا على ملك الصين فهو ملبسهم عند مقابلة الأمراء[٢].

أما زي الوفد في اليوم الثالث فهو الزى الذي يتقلده العرب لأعداءهم حسب وصف هبيرة الكلابي لملك الصين. وأبدي ملك الصين تهديداً للسفراء العرب في عبارة مفادها على قتيبة أن يعود أدراجه إلى بلاده، لأن العرب قليلون فأجابه هبيرة رئيس الوفد: "كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله من بلادك، وأخرها في منابت الزيتون"[٣].

١-المصدر نفسه، جـ ٦، ص ٥٠٣.
٢-المصدر نفسه، جـ ٦، ص ٥٠٢.
٣-المصدر نفسه، جـ ٦، ص ٥٠٢.

فأرسل ملك الصين تراب بلاده وعدد من أبناءه إلى قتيبة حتى يخرج الأخير من قسمه ليطأ أرض الصين، ودفعوا الجزية، وختم قتيبة الغلمان وردهم، ووطئ تراب الصين.

- **سفارات الأمم الأخرى لبلاد العرب والمسلمين:**

لقد تنوعت السفارات الأجنبية –بيزنطية – صينية – تركمانية إلى بلاد العرب والمسلمين في العصر الأموي، بسبب سعة الدولة العربية الإسلامية، واحتكاكها مع أمم وشعوب مختلفة، ولذلك نقرأ في كتب التاريخ نصوصاً ثرة لأسماء السفراء ومهامهم ونتائج جهودهم الدبلوماسية وبالإجمال عملوا على تلاقح الأفكار بين الأمم المختلفة، لكونهم رسل سلام.

✓ **سفارات ملوك الأمم إلى العرب والمسلمين:**

في سنة (٤٨هـ/ ٦٦٨م) أرسل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع سفارة إلى دمشق للقاء معاوية بن أبي سفيان، وكان وفد بيزنطة يحمل رسالة تهديد لمعاوية مفادها عدم مساعدة سأبور – ملك أرمينية، فلم يستجيب معاوية لرسائل تلك السفارة، بل عمل على توطيد علاقته مع ملك أرمينية[1].

١-المصدر نفسه، جـ ٦، ص ٢٥١.

وفي سنة (٧٤هـ/ ٦٩٣م) أرسل إمبراطور بيزنطة جستنيان الثاني سفارة إلى دمشق لمقابلة الخليفة عبد الملك بن مروان، وجاء في نص الرسالة: "إنكم أحدثتم في قراطسيكم كتابا نكرهه، فإن كرهتموه وإلا أتاكم في ذكر الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه"[١]، فلم يستجيب الخليفة عبد الملك بن مروان لتلك الرسالة بل عمل على ضرب دنانير جديدة ولم يتعامل بالدنانير البيزنطية[٢].

وفي سنة (٩٥هـ/ ٧١٤م) أوفد إمبراطور بيزنطة سفارة إلى دمشق لزيارة الخليفة الوليد بن عبد الملك، بهدف عقد هدنة مع المسلمين، والتعرف عن كثب عن استعدادات العرب والمسلمين في حملتهم ضد القسطنطينية، وكان رئيس سفراء بيزنطة إلى دمشق رجلاً حصيفاً يدعى(دانيال) حاكم مدينة(سينوب)، وبعد رجوعه إلى بيزنطة نصح البيزنطيين اتخاذ إجراءات دفاعية ضد الحملة العربية الإسلامية[٣].

ووفدت سفارة بيزنطيةالى بلاد الشام في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧٢٠م) ضمت وفداً من عشرة رجال إلى دمشق، وبالمقابل عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عشرة رجال من المسلمين ممن يجيدون اليونانية بمرافقتهم وكلفهم أن يدونوا له كل ما يبدونه من ملاحظات، زار أعضاء الوفد البيزنطي الجامع الأموي، وابدوا إعجابهم بالمعالم الفنية الرائعة للمسلمين في البناء والعمران والفن[٤].

١-ابن الأثير، الكامل، جـ ٤، ص ٤٥.
٢-المصدر نفسه، جـ ٤، ص ٤٥.
٣-المصدر نفسه، جـ ٤، ص ٤٨٧
٤-ابن الفراء، رسل الملوك، ص ٣٣.

وفي سنة (١٢٥هـ/ ٧٤٣م) أرسل إمبراطور بيزنطة سفارة إلى الخليفة هشام بن عبد الملك بدمشق، ولما وصل سفير بيزنطة لدمشق، استقبله حشد من الناس **فقيل للسفير البيزنطي**:-

"لقد أعد الخليفة لك، وحشد الناس وهذا الاستقبال الرائع، لمٍ لمْ تَلتفت إليها؟ فقال السفير: أن عيني وقلبي مملؤان مما خلفته ورائي يشغلهما عظيم ما عندنا من صغير عندكم، فبلغ قوله إلى الخليفة هشام فقال: "قاتل الله العُلِجَ"[١].

وأرسل ملك الصغد سفارة إلى قتيبة بن مسلم الباهلي سنة (٩٠هـ/ ٧٠٨م) طلباً للتفاوض والصلح، فاتفق الطرفان على تمام الصلح[٢].

وفي سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م)، أرسل ملك الصين سفارة إلى قتيبة بن مسلم الباهلي بهدف تبادل المعلومات إذ جاء على لسان ملك الصين في نص الكتاب المرسل إلى قتيبة : "إن ابعث إلينا رجلاً من أشراف معكم يخبرنا عنكم ونسأله عن دينكم"[٣].

١-المصدر نفسه، ص ٣٤.
٢-الطبري، تاريخ، جـ ٦، ص٤٤٥.
٣-المصدر نفسه، جـ ٦، ص ٥٠٢.

# الفصل السابع
# تاريخ الفرس في اليمن

## أثر الفرس فى حضرموت:

فى بحر الميلادي (٥٧٥ ) عاد الامير الحميرى سيف بن ذي يزن بقوة عسكرية من بلاد فارس وذلك على متن ٨ سفن بحرية بقيادة انو شروان بهدف طرد الاحباش من بلاد اليمن ونزلت هذة القوة فى ساحل حضرموت كما يذكر المؤرخ العربى محمد بن جرير الطبري ( ت٣١٠ ) فى كتابة تاريخ الملوك والرسل نقلا عن هشام بن محمد الكلبي ( ت٢٠٤ ) فى جمهرة النسب.

أما المؤرخ العربي المسعودى صاحب مروج الذهب ومعادن الجوهر فكان اكثر دقة بقولة ( فركبوا فى سفن البحر وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مثوب).

مثوب اليوم غير مشهورة لكن بعد البحث والتحري نستطيع القول بثقة أن مثوب هذه موضع نزول القوة الفارسية هو اسم شعب يقع قريب من بلدة رخميت الساحلية (ساحل المشقاص) الواقعة على مسافة ١٢٥ كيل إلي الشرق من مدينة الشحر تقريباً حيث مازال هذا الشعب يحتفظ ويعرف بهذه التسمية حتى يوم الناس هذا قصد الأمير سيف بن ذي يزن الإمبراطور الفارسي كسرى يستنصره لحرب الحبشة وطردهم من بلاد اليمن بعد أن اشتد صلفهم ووطاتهم على أهل اليمن في عهد مسروق بن إبراهه الحبشي في بداية الأمر امتنع كسري عن نجدة الأمير الحميري لكن بعد مشاورته كبار رجال البلاط

وافق على أن يجند له من معـه في السـجون ليـذهبوا لنصرـته فـان أصابوا وظفروا فإن المجد والفخـر سـيكون لكســرى وإن هلكـوا فقـد استراح وأراح أهل مملكة فارس من شرورهم كان مجمـوع تعـداد وقـوام هذه القوة أو الجيش مكون من ( ٨٠٠ فرد ) بقيادة أحد اساورة كسرى و يدعى وهرز انو شروان وجهز لنقلهم ثمان سفن وصـلت منهـا سـت إلي سواحل اليمن وغرقت اثنتان.

كما سيق وأن اسلفنا نزلت القوة منطقة مثوب القربية مـن رخميـت حيث جمع سيف بن ذى يزن ما استطاع جمعة من قومه وانضموا إلى القـوة الفارسية التى اتجهت غرباً والتقوا بجيش مسروق حيـث انتهـت المعركـة بمقتل مسـروق وهزيمة جـيش الأحبـاش وغـنم الفـرس مغـانم كثـيرة وانتهى الحكم الحبشى على بلاد اليمن بعد ان استمر قرابة ٧٢ عام.

لما ملك وهرز وهـرز بـلاد الـيمن أرسـل إلي كســرى يبلغـه خـبر انتصاره واستيلاءه على هذه البلاد فكتـب إليـه كسرـي يـأمره أن يملـك سيف بن ذي يزن على اليمن وفرض عليه كسري جزيـة سـنوية وخـراج معلوم يدفع كل عام واستمر الحال علي هذا الأمر قرابة خمسة عشــر عـام حتى وثب علية خدمة من الأحباش فقتلوه وقـام عـلى أمـر الـيمن أحـد الأحباش وافسد اليمن مرة أخرى فلما علم كسرى بـالأمر أرسـل وهـرز على رأس قوة مكونة من أربعة الآلاف فارس تمكنـت مـن القضـاء عـلى المتمردين وتسلم زمام الأمور وهرز بعد أن كتب له كسرى يقره بذلك

حيث ظلت اليمن تحت الحكم الفارسي حتى بعثة الرسول محمد ﷺ وكان أخر ولاة الفرس على اليمن (باذان الفارسي) ومدة الحكم الفارسي في اليمن امتدت قرابة ٤٠ سنة منها خمسة عشر سنة في بدايتها كان يحكمها الأمير الحميري سيف بن ذي يزن.

## أثر الفرس فى حضرموت

حيث تم الاستدلال على بعض الشواهد التاريخية منها وجود حصن مازال يعرف ( حصن شروان ) فى مدخل وادى معبر فى ساحل المشقاص وقد سبق وان بيننا ان موضع نزول الفرس كان فى منطقة مثوب قرب رخميت الواقعة فى ساحل المسقاص ( وحصن شقبون ) او مايعرف ايضا ( حصن الكافر ) قرب وادى وادى عسد و ( حصن تنشوة ) الواقع شرق معبر ويطلق علية ايضا حصن الكافر و ( حصن سولة ) قرب وادى رغدون ويسود اعتقاد عند السكان المحليين ان جميع هذة الحصون تعود الى حقبة استيلاء الفرس وسيطرتهم على بلاد اليمن لكن لى تحفظ على هذا الراي حيث اعتقد ان تسمية حصن (الكافر) تعود إلى حقبة الغزو البرتغالى فى القرن الهجرى العاشر حيث شاع مصطلح الكافر لغير المؤمنين بالديانة الاسلامية أما مجى الفرس الى اليمن فكان سابق للاسلام وبالتالى لم يكن يعرف مصطلح الكافر فى ذلك الحين.

ونذكر أن الامير الحاكم على الشحر رجل فارسى يدعي (اسبخيت) وأن الحكم الفارسى استمر حتى مجى الإسلام.

ومن العوامل التي ساعدت الفرس على الاستمرار والبقاء يكمن في أن بطون عربية عديدة خاصة من قضاعة وتنوخ كانت تدين بالديانة المجوسية ديانة أهل فارس قبل الإسلام.

ويذكر الفيروز ابادي صاحب القاموس المحيط (رأس المرزبان) موضع قرب الشحر ويوضح الملاحي نقلاً عن الفيروز ابادي أن المرزبة كمرحلة تعني الرئاسة عند الفرس وهذا الأمر يعنى ان راس المرزبان تعنى (الرأس الكبير)

ويقول العلامة بن عبيد الله فى ايدام القوت أن (رأس المرزبان) راس بحرى كبير يقع شرقى صلالة فى ساحل ظفا ر .

ومن الدلائل الاخري ما اورده الناخبي فى شدور الاحقاف إلى أن ينابيع باكزيبور الموجودة فى مدينة المكلا تصحيف من التسمية الفارسية باغ سابور فالباغ بلسان الفرس يعنى الحديث وسابور اسم علم نتشر بين رجالات الفرس أما المؤرخ الروسي سرجيس فى كتابة ( تاريخ حضرموت السياسى قبيل الاسلام وبعدة ) فيستدل بالمأثورات العربية وحكاية حاكم تريم الملك الكندى أبى الجبر بن عمرو وهو من أحفاد اكل المرار من نسل شرحبيل بن الحارث الذى توجهة الي الشاهنشاة الفارسى طالباً منه مساعدته فى حربة ضد بنى عمومتة بنى الحارث بن معاوية المنتمين إلى قبيلة كندة ذاتها.

وينقل سرجيس كذلك افتراض المـؤرخ اولينـدر الـذي ربـط بـين نزوح كندة من اليمامة فى وسط نجد المرتبطة بالدولـة الساسـانية الفرسـية يربط بين هذا النزوح وبين الغزو الفارسى لجنوب الجزيرة العربية ويـري سرجيس أن الامير الذي قلد منصب الوالي هو رجل من كندة وهـو ابـن عم يزيد بن كبشة وقد لقب بالمرزبان التـى تعنـي حرفيـاً الرئاسـة بلسـان الفرس.

أما حمزة الاصفهانى فيذكر المرزبانيين سخت وسنداد اللذيين وليـاً في أوقات مختلفة على أرض كندة وحضرموت.

وينقل المـؤرخ الحضـرمي صـالح الحامـد ( ت ١٩٦٧ ) فى كتابـة تاريخ حضرـموت وكـذلك العلامـة بـن عبيـد الله ( ت١٩٥٧ ) فى ادام القوت ما أورده

العلامة الطيب بـن ابي مخرمـة (ت ٩٤٧ هجريـة ) مـن ان تسـمية وادى دوعن الواقع غرب حضرـموت مركبـة مـن الكلمـة دو الفارسـية وتعنى اثنان نسبة إلى مجرية الأيمن والأيسر وعان من عين وفى أعلى وادى دوعن منطقة مشهد والاسم ذاته تحملـه مدينـة عـامرة شـهيرة مـن بـلاد فارس.

يذكر صاحب تـاريخ مدينـة صـنعاء أحمـد بـن عبـد اللّـة الـرازي الصنعاني انه من أصول فارسية وأن أسلافه قدموا من بلاد فارس ضـمن الجيش المؤيد للإمام الزيدى الهادي بن الحسين وأن معظمهم استوطن

اليمن خاصة حضـرموت ومن الأثر الدال على حقبة الفرس عـادة المشاعيل ورقصة الكمبورة المحلية وهـى ألعـاب شـعبية احتفاليـة فيهـا دلالة قوية تتضح جلياً من خـلال أهميـة وارتكـاز ورمزيـة وجـود النـار المقدسة حسب الوثنية المجوسية فى هذة الاحتفالية.

أخيراً نشير الي وجود الكثـير مـن المفـردات و الكلـمات الفارسـية الأصل تجرى على اللسنة الحضارم مثل دريشـة (نافـدة او شـباك) ديـوان تمباك بس (توقف يكفي) خردة (متاع تالف) بصمة (نقـش) أريكـة تختـة شاكوس (مطـرق) خـن شرشـف (غطـاء السريـر) بقشـة صرة ثيـاب) وسطة(معلم) شاطر بهو بنج بواسير (مرض فى الشرج) دفـتر (كـراس) درويش دنبق (طبل ايقاع) بردة (ستارة) بالة (جراب).

باغ (حديث) بل هناك بعض الأسماء المحليـة تحمـل معـانٍ مركبـة ومشتقة من اللغةالفارسية مثل :عيدروس لادن عيديد.

إن نزول القوة الفارسية (٥٧٥ م) التى عـاد بهـا الأمـير الحمـيرى سيف بن ذى يزن كان فى ساحل حضرموت فى منطقة مثوب الواقعة عـلى مقربة من رخمييت سـاحل المشـقاص وأن حكـم الفـرس اسـتمر قرابـة أربعين عام.

وحيث الأحداث الدامية الساخنة والتداعيات الراهنـة في الـيمن، تستدعي أن نلتفت لهذا البلد، وتفرض علينا عدم تركه مرة أخرى للوقوع فريسة سهلة المنال، ونهباً للأطماع الخارجية، التي يبدو أنها كانت تواكـب تاريخه القديم والحديث، وتقوم تلك الأطماع على استغلال فقر اليمن

ونزاعاته والفوضى المتفشية في ربوعه، والتضحية بأمنه واستقراره ومستقبل أبنائه لخدمة أجندات ومخططات شيطانية لا تخدم اليمنيين، وفي الوقت ذاته تهدد الأمن القومي العربي إجمالاً. الالتفات لليمن والتركيز عليه، يفرض علينا كذلك من باب المعرفة والفهم، العودة إلى منعطفات ومحطات تاريخية موغلة في القدم، لاستقراء دلالات بعض محطات التدخل الخارجي، وعلى وجه التحديد التدخل الفارسي، الذي يتضح أن عينه كانت على هذا البلد منذ قرون خلت وأنه محط أطماعه، وبتسهيلات وتواطؤات ينبغي ألا تتكرر.

وتحكي سجلات التاريخ، أن أشهر الممالك التي قامت في اليمن قبل الميلاد وبعده هي المملكة الحميرية، وملكها الشهير ذو نواس الحميري، اليهودي الديانة، والذي صب جام غضبه على سكان نجران عند تحولهم إلى المسيحية عن قناعة آنذاك، وكان «ذو نواس» قد خيّرهم بين العودة إلى اليهودية أو القتل، فاختاروا الموت، وهذا ما حصل، الأمر الذي أدى إلى غضب النجاشي صاحب مملكة الحبشة المسيحية، والذي قام بدوره بإرسال

نسخة محروقة من الإنجيل إلى قيصر الروم، حُرقت مع «أصحاب الأخدود»، فطالب قيصر الروم نجاشي الحبشة بالانتقام من اليمن وأرسل السفن الحربية إلى الحبشة، وبدوره حشد النجاشي نحو ٧٠ ألف جندي للثأر من اليمن، وأرسلهم بقيادة أرياط الحبشي وأبرهة الأشرم الحبشي، وارتكبا ما ارتكبا من مجازر وتخريب وسبي وذل. أما ذو نواس

الحميري فقد ولى هارباً تاركاً بـلاده في قبضـة الأحبـاش، وأصـبح أبرهة الأشرم ملكاً على صنعاء بعد مقتل زميله أرياط، ويُقـال: إن أبرهـة هو من قتله غيلة. ولم يكتف أبرهة بهذا الانتصار، بل كـان يضـمر الكـره المتأجج للعرب وقرر غزو مكة وتدمير الكعبة، لكنه أخفق في تلك الغزوة ومات أثناءها ابنه يكسوم، فتولى حكم اليمن من بعده مسروق بن أبرهة، الذي قُتل على يد الفرس المجوس في القـرن السـادس المـيلادي، بعـد أن استعان بهم سيف بن ذي يزن لطرد الأحباش.

أي أن ذو نواس تسبب في دخول الغـزو الحبشي- لجنـوب الجزيـرة العربية، بينما جاء دخول الفرس على يد سيف بن ذي يزن الحميري، الذي كان أحد أشراف اليمن، وكان في بداية الأمر قد قصد «يخطيانوس» ملـك الروم لنجدة اليمن من الاحتلال الحبشي، لكن الروم خذلوه لأنهم كـانوا يرون في الأحباش إخوة لهم في الدين، فقصد ابن ذي يزن كسرى الفـرس أنوشروان، وعرض عليه أن تدين اليمن بـالولاء للحكـم الفـارسي بعـد تخليصها من الأحباش، ولكن أنوشروان اعتذر بسبب بعد المسـافة وفقـر اليمن وقلة خيراته، وأمر له بعشـرة آلاف درهم؛ وقد غضـب «ذو يـزن» وراح ينثر المال على الصبية والعبيد والإماء، وعندما علـم كسرـى بـذلك استدعاه ليستفسر منه عن تصرفه هذا،

فقال: إنه لم يأتِ طلبا للمال، إنما للرجال، فاستشار أنوشروان وزراءه، فأشاروا عليه بأن لديه عدداً كبيراً في السجون من المحكومين بالإعدام، فإن أرسلهم وهلكوا فقد تم تنفيذ الحكم بهم، أما إذا ظفروا فستزداد رقعة المملكة الفارسية. وكان عدد المحكومين بالإعدام ٨٠٠ سجين؛ تم تجهيز ٨ سفن لهم، على متن كل واحدة ١٠٠ شخص، وفي عرض البحر غرقت سفينتان وبقيت ٦ سفن بقيادة «وهرز» الفارسي، وبمجرد وصولهم إلى اليمن اشتبكوا بالتعاون مع اليمنيين في معركة فاصلة مع الأحباش وانتصروا عليهم وقتلوا قائدهم مسروق بن أبرهة، وبعد هذا الانتصار أرسل كسرى ٤ آلاف مقاتل فارسي إلى اليمن للقضاء التام على كل الأحباش، ثم غادر «وهرز» وجماعته الفرس اليمن عائدين إلى بلادهم، وتربع سيف بن ذي يزن على عرش اليمن على أن يدفع جزية وخراجاً سنوياً، ودانت اليمن لبلاد فارس، وعندما ظهر الإسلام كانت اليمن لاتزال تدين بالولاء للفرس، بل إن حاكمها في صدر الدعوة الإسلامية كان فارسياً يدعى «باذان ابن ساسان جَرون|، وهو آخر حاكم فارسي في اليمن في عهد كسرى الثاني. وتروي المصادر التاريخية أن "باذان" دخل في دين الإسلام، واستمر يحكم اليمن من صنعاء.

هل نقول بأن حنين الفرس لليمن يحرك أطماعهم من جديد للتواجد في جنوب الجزيرة العربية؟ وإذا كانت الاستعانة بالفرس في حقبة تاريخية قديمة حدثت بمبرر طرد الأحباش، فما الداعي لفتح مجال

للتدخل الفارسي، وفي هذا العصر الـذي يمتـاز باسـتقلال الـدول وسيادتها؟

لا شك أن أي تطفل فارسي على اليمن وتدخل في شؤونه، سيفشل عندما يجد ممانعة وطنية أصيلة من أبناء البلد المستهدف، أما عندما يجد من يهللون له لأسباب مذهبية وطائفية، فإن المرحبين بهـذا التطفـل خـائنون، ويعزلون أنفسهم عن وطنهم وشعبهم وأمتهم، بل ويصبحون خطراً على أنفسهم. ومن المهم التذكير أيضاً بأن الأطماع الإيرانية، تتحرك على خلفية كراهية العرب ونزعة الحقد القومية الفارسية.

**ويسمى مالك وهو ابن ذي المنار وكان على بابها مكتوب بالقلم الأول في حجر أسود:**

**يوم شـيدت ظفـار فقيـل لمـن — أنـت فقالـت لخـير الأخيـار**
**ثم سيلت من بعد ذلك قالـت — إن ملكـي أحـابش الأشرار**
**ثم سيلت من بعد ذلك قالـت — إن ملكـي لفـارس الأحـرار**
**ثم سيلت من بعد ذلك قالـت — إن ملكـي لقـريش النجـار**
**ثم سيلت من بعد ذلك قالـت — إن ملكـي لخـير سـنجار**
**وقلـيلا مـا يلبـث القـوم فيهـا — غـير تشـييدها لحـامي البـوار**
**من أسود يلقـيهم البحـر فيهـا — تشـعل النـار في أعـالي الجـدار**

ولم تزل مدينة ظفار هذه منزلا للملوك وكذلك في الإسلام صدر الدولتين وكانت اليمن من أرفع الولايات عندهم بما كانت منازل العرب العاربة ودار الملوك العظماء من التبابعة والأقيال والعباهلة ولم انقضى الكلام في أخبار حمير وملوكهم باليمن من العرب استدعى الكلام ذكر معاصريهم من العجم على شرط كتابنا لنستوعب أخبار الخليفة ونميز حال هذا الجيل العربي من جميع جهاته والأمم المشاهير من العجم الذين كانت لهم الدول العظيمة لعهد الطبقة الأولى والثانية من العرب وهم النبط والسريانيون أهل بابل ثم الجرامقة أهل الموصل ثم القبط ثم بنو إسرائيل والفرس ويونان والروم الآن بما كان لهم من الملك والدولة وبعض أخبارهم على اختصار والله ولي العون والتوفيق لا رب غيره ولا مأمول إلا خيره.

# الفصل الثامن

## العرب والفرس بين الانصهار والصراع

جمع الفتح الإسلامي بين العرب والفرس، وشكّل تحوّلاً جذرياً في تاريخ هـذه الـبلاد. اقترنـت الثقافـة العربيـة الناشئة بالثقافـة الفارسـية العريقة، وتحوّل هذا الاقتران سريعاً إلى انصهار ثقـافي تبـادلي مثـير يتميّـز بخصائصه ومواصفاته ونتائجه. السؤال، ماذا بقي من هـذا الانصـهار في غمرة الصرـاعات الجيوسياسـية والمذهبيـة المحتدمـة راهنـاً بـين العـرب والفرس؟

جاء ذكر تضحية ابرهيم في القرآن الكريم في ست آيات قصيرة من سورة الصافات لا يُذكَر فيها اسم الذبيح بشـكل صريـح، وقـد اختلـف المفسـرون في تحديد هوية الذبيح، فمنهم من قال إنه اسحاق، ومنهم من أكّد أنه إسماعيل، ومنهم من ظلّ عـلى تـردد بـين الاثنـين. اتخـذ هـذا السجال أبعاداً جديدة في المرحلة العباسـية، وبـدا انتصـار اسـماعيل عـلى اسحاق انتصاراً للمسلمين على اليهود، وللعرب على الفرس.

**تبنّى الكثيرون الحديث القائل:** "وزعمـت اليهـود أنـه إسـحاق، وكذبت اليهود"، ورأوا أن من قال إن الذبيح هو إسحاق فإنما تلقّـاه مـن نقلة بني إسرائيل الذين بدلوا التوراة وحرّفوها. كذلك، اعتُبر إسحاق أباً عرقياً للساسانيين، وترافق تأكيد "إسماعيل الذبيح" مع احتـدام المنافسـة بين العرب والفرس في العصور الوسطى.

**يتردد صدى هذه المقولة في**: "رد ابن قتيبة على الشعوبية" الذي سجّله ابن عبد ربّه الأندلسي في "العقد الفريد"، وفيه يدحض العالِم حجج الفرس الذين "فخروا بإسحاق بن إبراهيم، وأنه لِسَارة وأن إسماعيل لأمَة تُسمّى هاجَر". ويقدّم المسعودي في "مروج الذهب" صورة حية عن الصراع المحتدم بين بني إسحاق وبني إسماعيل في باب "ذكر أنساب فارس وما قاله الناس في ذلك"، وفيه يقول: "افتخر بعض أبناء الفرس بعد التسعين والمائتين بجده إسحاق بن إبراهيم الخليل، على ولد إسماعيل، بأن الذبيح كان إسحاق دون إسماعيل"، **وقيل**:

**قلْ لبني هاجر أَبَنْتُ لكم — ما هذه الكبرياء والعظمة**

**ألم تكن في القديم أمكم — لأمنا سارة الجمال أَمَهْ**

**والمُلْكُ فينا والأنبياء لنا — إن تُنْكِروا ذاك توجَدُوا ظَلَمه**

**إسحق كان الذبيح، قد أجمع — الناس عليه إلا ادعاء لمة**

تعكس هذه الأبيات النزعة الشعوبية التي ارتبطت بالفرس بوجه خاص، كما تختصر اعتزاز العجم بهويتهم القومية وافتخارهم بها إلى حد الغرور في الماضي والحاضر. من جهة أخرى، ينظر الكثير من العرب اليوم إلى الإيرانيين من هذا المنظار الضيّق، ويختصر ميراثهم المتعدد الينابيع بالنزعة الشعوبية التي برزت في زمن العباسيين، وعادت بقوة في عصر "اليقظة القومية" التي بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ونضجت أيام

"الثورة الدستورية"في العقد الأول من القرن العشرين، ثم أخذت منحى عنصرياً فجّاً في عصر السلالة البهلوية التي حكمت من ١٩٢٥ إلى ١٩٧٩.

في الوجه المقابل، يظهر التلاقح والتثاقف العربي الفارسي في أبهى وجوهه من خلال سلسلة طويلة من الانجازات الفكرية والعلمية والأدبية طبعت التاريخ الإسلامي على مدى قرون من الزمن، ويرى البعض أن الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي كانت في الدرجة الأولى ثمرة هذه المثاقفة المتبادلة بين العربية والفارسية في ميادين كثيرة.

بدأت هذه المثاقفة المتبادلة في مرحلة سبقت ظهور الإسلام، كما تشهد بعض الأساطير التي استعادها الفردوسي في ملحمة "الشاهنامة"، وأبرز ملامحها دفاع الفرس عن عرب اليمن حين هاجم الأحباش جنوب الجزيرة من طريق البحر الأحمر، وانقذهم أبناء قبيلة حِمَيَر مما لحقهم من ظلم على أيدي الغزاة، وقد ذكر المسعودي هذه الواقعة في "مروج الذهب"، ونقل بيتاً لشاعر من الفرس الذين كانوا ينظمون أشعارهم باللغة العربية يقول: نحن خضنا البحار حتى فككنا/ حميراً من بليةِ السودان". بعدها، قال البحتري في مدح دفاع الفرس:

| | |
|---|---|
| **فَكم لَكم من يدٍ يَزكُو الثناء بها** | **ونعمةٍ ذكرها باقٍ على الزمنِ** |
| **إن تفعلوها فليست بِكرَ أَنعمكُم** | **ولا يدٌ كأياديكم على اليمنِ** |
| **إذ لا تَزال خيول الفرسِ دافعةً بالضّـَرب** | **والطعن عن صنعا وعن عدنِ** |

**أنتم بنو المنعمِ المُجدي ونحن بنو ... من فاز منكم بفضل الطول والمننِ**

لم يكن الفرس غرباء عن الجزيرة العربيـة، وكـان مـنهم مـن يحـجّ البيت قبل ظهور الإسلام. كتب صاحب "مروج الذهب": "وقد كانـت أسلاف الفرس تقصد البيت الحـرام، وتطـوف بـه، تعظـيماً لـه ولجـدّها إبراهيم عليه السلام، وتمسكاً بهديه، وحفظاً لأنسابها، وكان آخر من حجّ مـنهم ساسان بن بابك وهو جد أردشير بـن بابـك، وهـو أول ملـوك ساسـان وأبوهم الذي يرجعون إليه كرجوع المروانية إلى مروان بن الحكم، وخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبد المطلب، ولم يل الفرس الثانية أحـد إلا مـن ولد أردشير بن بابك هذا، فكان ساسان إذا أتى البيت طـاف بـه وزمـزم على بئر إسماعيل، فقيل: إنما سميت زمزم لزمزمته عليها، هو وغـيره مـن فارس، وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هـذه البئـر، **وفي ذلك يقول الشاعر في قديم الزمان:**

**زَمْزَمَـتِ الفـرْس عـلى زَمْـزَم ... وذاك مـــن ســـالِفها الأقـــدم**

**وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام بذلك، فقال:**

**ومـا زلنـا نحـجُ البيـت قِـدماً ... ونُلْقَـــي بالأبـــاطح آمنينـــا**

**وساسان بـن بابـك سـار حتـى ... أتـى البيـت العتيـق يطـوف دينـا**

**فطـاف بـه، وزمـزم عنـد بئـر ... لإِســماعيل تُــروي الشـــاربينا**

وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان، وجـواهر، وقد كان ساسان بن بابك هذا أهدى غزالَيْنِ من ذهب وجـوهراً وسـيوفاً وذهباً كثيراً فقذفه في زمـزم، وقـد ذهـب قـوم مـن مصـنّفي الكتـب في التواريخ وغيرها مـن السـير أن ذلـك كـان لجـرهم حـين كانـت بمكـة، وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك إليها، ويحتمل أن يكـون لغيرهـا، والله أعلم.

## بين الغالب والمغلوب:

وحّدت الفتوحات الإسـلامية بـين العـرب والفـرس، وأحـدثت تحولاً تاريخياً مفصلياً في تاريخ الأمتين. انتقل العرب مـن طـور البـداوة، وتبنّوا بسـرعة تقاليد الفرس وطـرقهم في التـدوين والحكـم. أشـار ابـن خلدون إلى هذا التحول الجذري، وقال في مقدمته الشهيرة: "ثـم إن الملـة الإسلامية لما اتسـع ملكهـا وانـدرجت الأمـم في طيّهـا ودرسـت علـوم الأولين بنبوتها وكتابها، وكانت أمية النزعة والشعار، فأخذ الملك والعـزة وسخرية الأمـم لهـم بالحضـارة والتهـذيب وصـيّروا علـومهم الشرـعية صناعة، بعد أن كانت نقلاً، فحدثت فـيهم الملكـات، وكثـرت الـدواوين والتـآليف، وتشـوّفوا إلى علـوم الأمـم، فنقلوهـا بالترجمـة إلى علـومهم وأفرغوها في قالب أنظارهم، وجرّدوها من تلـك اللغـات الأعجميـة إلى لسانهم وأربوا فيها عـلى مـداركهم، وبقيـت تلـك الـدفاتر التـي بلغـتهم الأعجمية نسياً منسياً وطللاً مهجوراً وهباء منثوراً. وأصبحت العلوم

كلها بلغة العرب، ودواوينها المسطرة بخطّهم، واحتاج القائمون بالعلوم إلى معرفة الدلالات اللفظية والخطية في لسانهم دون ما سواه من الألسن، لدروسها وذهاب العناية بها."

يستعيد محمد عابد الجابري في زمننا، هذه المقولة التاريخية، وقال في وصف هذه العلاقة الملتبسة بين الغالب والمغلوب: "كان هناك ما يشبه التقليد، الضعيف أو القوي، للعادات والثقافات والأمور الحضارية الأخرى، إما سلباً وإما إيجاباً. ولم يكن الغالب، المنتصر عسكرياً، هو الذي ينتهي إلى السيادة الثقافية دوماً، وكما لاحظ ابن خلدون بحق، فإذا كان الظاهر هو أن المغلوب يقتدي بالغالب، فقد يحدث العكس كما حصل بين العرب والفرس: لقد تغلب العرب زمن الفتوحات على الفرس عسكرياً وسياسياً ولكن الفرس لم يقلّدوا العرب حضارياً، بل العكس هو الذي حصل، أي أن الغالب هو الذي قلّد المغلوب. وعندما تنبّه العرب إلى ذلك وصار المغلوب ينتفض ويحاول استرجاع السيادة السياسية من طريق "الثقافة" (الحركة الشعوبية، حرب "الكتب" الخ)، برز عنصر ثالث هو الثقافة اليونانية التي انفردت بحقلين ثقافيين مهمين: العلم والفلسفة، فحصل نوع من التداخل الثقافي، غني وقوي، بين ثلاثة أطراف: العرب، والفرس، والسريان (حاملو الثقافة اليونانية).

**يضيف الجابري في هذا الصدد:** "كان هناك تنافس قوي بين هذه الأطراف الثلاثة، حتى إن كبار المثقفين والعلماء كانوا من جميع أقاليم الرقعة الجغرافية التي امتدت عليها الحضارة العربية الإسلامية. ومع

اتساع هذه الرقعة وتعدد عرقياتها حصل تداخل سلمي واسع تبُودلت فيه المواقع في كثير من المجالات. وهكذا كان أول فيلسوف في الإسلام من قبيلة كندة اليمنية (الكندي)، وكان أكبر مفسر للقرآن من طبرستان (الطبري)، وأكبر مدوِّن

للحديث من بخارى (البخاري)، وأكبر عالم في الفيزياء من البصرة (ابن الهيثم)، وأكبر طبيب من دمشق (ابن النفيس)، وأعظم مؤرخ أنثروبولوجي من المغرب العربي (ابن خلدون)، وأعظم فيلسوف من الأندلس (ابن رشد). ولم يكن هذا النوع من تلاقح الحضارات أو تداخلها يحتاج إلى دعوة، ولم يحدث بتخطيط مسبق بل كان عملية تاريخية تلقائية، عملية يحكمها طلب الأفضل."

تحولت المثاقفة المتبادلة في كنف الإسلام إلى انصهار متكامل، وبات من الصعب الفصل بين ما هو عربي وما هو عجمي في كثير من الأحيان. في كتابه الصادر حديثاً عن "المركز العربي للأبحاث" تحت عنوان "التداخل الثقافي العربي الفارسي، من القرن الأول الى القرن العاشر الهجري"، يلقي الباحث المغربي رشيد يلوح الضوء على هذا الحدث التداخلي الذي ربط بين الثقافتين العربية والفارسية على مدى ألف عام، ويكشف عن أهم ركائزه وخصائصه ومميزاته. يحدد الباحث نواظم ثلاثة حكمت التداخل بين الثقافتين، أولها الناظم الديني الذي شكّل إطاراً جامعاً وعمّق التداخل بين الطرفين، وثانيها الناظم الجغرافي، وقوامه

الحدود العربية الفارسية وتجاور مراكز العلم في ديار هذه البلـدان، وثالثها الناظم الزمني، وهو النظام الذي يقوم على "العلاقة الوطيدة بـين الزمن والثقافة."

**الشراكة الكاملة:**

تـداخلت العربيـة بالفارسـية وصـارت اللغتـان لسـانين لحضـارة واحدة مشتركة. في "البيان والتبيين"، تحدث الجـاحظ عـن قـاصّ اسـمه موسى بن سيار الأسواري برع في اللغتين، وكتب في وصفه: "وكـان مـن أعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فتقعد العرب عن يمينه، والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربيـة، ثـم يحـول وجهـه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يدري بأيّ لسان هـو أبـين". لم تكـن حالة هذا القاصّ اسـتثنائية، ويمكـن القـول إنهـا تختـزل روحيـة الثقافـة الإسلامية في زمن الخلافة العباسية حيث نشطت حركة الترجمة، وبـرزت كوكبــة مــن "النقلــة مــن الفــارسي إلى العــربي" ذكــر ابــن النــديم في "الفهرست" أبرز أسمائها، ومنها: ابن المقفع، آل نوبخت، عـلي بـن زيـاد التميمي، الحسن بن سهل، أحمد بن يحيى بن جـابر الـبلاذري، جبلـة بـن سالم، اسحق بن يزيد، محمد بن الجهم البرمكي، هشام بن القاسم، موسى بن عيسى الكروي، زادويه بن شاهويه الاصفهاني، محمـد بـن بهـرام بـن مطيار الأصفهاني، بهرام بن مردان شاه، وعمر بن الفرخان.

ساهم التواصل المستمر بين العرب والفرس في بروز عدد من "المراكز الجغرافية التداخلية" في بلاد العجم، أشهرها جنديسابور وطوس وأصفهان. تقع جنديسابور في جنوب بلاد فارس، وقد اشتهرت بأطبائها، "وفيها تُرجمت مؤلفات اليونان في الطب بالسريانية، وبعد ذلك نقلت إلى العربية، وينتسب إلى هذه المدرسة أطباء أسرة بختيشوع الذين اشتهر منهم من عالجوا الخلفاء

العباسيين الأوائل". وتقع طوس في خراسان، وبها قبر الإمام علي بن موسى الرضا وقبر الخليفة هارون الرشيد، كما اشار ياقوت الحموي في "معجم البلدان"، وقد خرج منها "من أئمة أهل العلم والفقه ما لا يحصى، وحسبك بأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزَّالي الطوسي، وأبي الفتوح أخيه". أما أصفهان، فهي في وسط فارس، ولقبها "نصف العالم"، ومنها "خرج من العلماء والأئمة في كل فن ما يخرج من مدينة من المدن، وعلى الخصوص علو الإسناد، فإن أعمار أهلها تطول، ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث، وبها من الحفّاظ خلق لا يحصر."

حضن كبار الخلفاء حركة الفكر والترجمة، وأقاموا المجالس في رعاية كبار وزرائهم. ذكر المسعودي في "مروج الذهب" مجالس الوزير الفارسي يحيى بن خالد البرمكي حيث كان يجتمع "أهل الكلام من أهل الإسلام وغيرهم من أهل الآراء والنحل" للحديث "في الكمون والظهور، والقدم والحدوث، والإثبات والنفي، والحركة والسكون، والمماسَّة والمباينة، والوجود والعدم، والجر والطفرة، والأجسام والأعراض، والتعديل والتجريح، ونفي الصفات وإثباتها، والاستطاعة

والأفعال والكمية والكيفية والمضاف، والإمامة أنصٌّ هي أم اختيار". كذلك، اشتهر الوزير أبو نصر- سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة بمكتبته العظيمة والواقعة في محلة "بين السورين"، بكرخ بغداد، "ولم يكن في الدنيا أحسنُ كُتُباً منها"، بشهادة ياقوت الحموي، "كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة، واحترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طُغْرُل بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد."

في كنف الخلافة العباسية، تميّز بعض كبار المفكرين الفرس بعلمهم وفكرهم وعقلانيتهم، وقد أشار الجاحظ إلى هذه الخصوصية في "البيان والتبيين"، وقال في وصفها: "كل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة. وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام". يستعرض رشيد يلوح نتاج أشهر الأسماء الفارسية التي "خدمت التداخل العقلي"، ويتوقف أمام تجارب عبد الله بن المقفع، وأبي حيان التوحيدي، وأبي علي بن سينا، مستكشفاً خصائصها التنويرية التي تتخطى حدودها الجغرافية القومية، وتبرز بحداثتها الفكرية.

## نقاشات معاصرة:

يبقى السؤال: ماذا يبقى من هذا الميراث الحضاري الثري اليوم؟ يجيب الباحث عن هذا السؤال الشائك بخفر شديد في باب عنوانه "نقاشات معاصرة في التداخل الثقافي العربي الفارسي" وفيه يستعرض رأي المفكر العربي محمد عابد الجابري، ويقارن بينه وبين رأي المفكر

الفارسي عبد الحسين زرين كوب، ويختم هذا السجال برأي توفيقي يتمثل في موقف الشيخ مرتضى مطهري ورؤيته الخاصة بـ"الإسلام وإيران". نظر الجابري إلى الموروث السياسي الفارسي بسلبية شديدة في كتابه "العقل الأخلاقي العربي"، ورأى أن الثقافة الكسروية وأخلاق الطاعة تسرّبت الى الثقافة العربية ورسخت فيها "قابلية فريدة للإستبداد والإستعمار". بحسب المفكر المغربي، أُلبست الدولة العباسية الناشئة لباس الدولة الساسانية، وأصبحت كسرى العرب بديلاً لكسرى الفرس على يد طائفة من الكتّاب نقلوا أخلاق الطاعة الكسروية إلى الدولة الجديدة، ودعوا لها على متن البلاغة العربية، وأشهرهم ابن المقفع.

يقول الجابري في هذا السياق: "ليس ما يهمّنا هو تراث فارس، وإنّما شكل حضوره في الثقافة العربية بوصفه موروثاً يحمل قيماً معينة، سياسية وأخلاقية ساهمت بصورة أو بأخرى في تشكيل نظم القيم في الثقافة العربية، وقد وجدت تعبيرها في نصوص عديدة، وما أكثرها نصوص تمتد على مدى ثمانية قرون من "كليلة ودمنة"، إلى الأبشيهي في "المستطرف في كل فن مستظرف"، إلى "العقد الفريد" لابن عبد ربّه."في الجهة المعاكسة، يمثل عبد الحسين زرين كوب في كتابه "قرنان من الصمت" التيار القومي الإيراني المتشدد والافتخار العجمي الذي يجعل من الحضارة الإسلامية حضارة فارسية فحسب.صدر هذا الكتاب في نهاية الخمسينات من القرن الماضي، وحصد نجاحاً جماهيرياً واسعاً، وفيه سعى المؤلف إلى إبراز صمت إيران خلال القرنين اللذين تليا الفتح

الإسلامي لإيران، أثر هزيمة الأمبراطورية الساسانية في معركة نهاوند.يدين الكاتب الفتح الإسلامي لإيران، ويتهم القادة والولاة العرب بقمع الثقافة الفارسية المحلية وتجفيف منابعها من جهة أخرى، يتبنى المؤلف الفارسي المقولة الاستشراقية التي تجعل من الحكم الأموي حكماً عربياً، ومن الحكم العباسي حكماً فارسياً، ويجعل من الحضارة العباسية حضارة فارسية بامتياز. يمثل مرتضى مطهري الموقف التوفيقي، غير أنه، شأن عبد الحسن زرين كوب، يفرّق بين "العرب العرب الذين أرادوا استعادة الروح الجاهلية العنصرية على حساب روح الإسلام، في مقابل أهل البيت النبوي الذين أكدوا أصول العدل والمساواة بين الشعوب في الإسلام".

## معارك العرب والفرس:

### ١. فتح المدائن:

✓ فتح المدائن (تيسفون)، في شهر صفر سنة ١٦ للهجرة:

**المدائن**: هي عاصمة ملك فارس وكانت مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيرهم، وسماها العرب المدائن لأنها سبع مدائن واسمها عند الفرنج (اكتيزيفون)، بينها وبين بغداد ٢٥ ميلاً. وبها طاق كسرى أو إيوان كسرى وهو قصر من قصور كِسرى أنوشروان الذي تهدم وبقيت آثاره في مدينة المدائن. قدم «سعيد زهرة» إلى (بهرسير) فصالحه «شيرزاد» دهقان ساباط على تأدية الجزية، وهزم زهرة كتيبة بنت

كسرى التي تدعى «بوران» ثم زحف سعد على بهر سيز فرأى المسلمون الإيوان (وهي تجاه الإيوان)، فقال ضرار بن الخطاب «الله أكبر. أبيض كسرى. هذا وعدالله ورسوله»، وكبر وكبر الناس معه فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزل على المدينة.

وفي صفر دخل المسلمون «بهر سير» وكان سعد محاصراً لها وأرسل الخيول فأغارت على من ليس له عهد فاصابو ١٠٠،٠٠٠ فلاح فأصاب كل واحد منهم فلاحاً فأرسل سعد إلى عمر يستأذن فأجابه (إن من جاء كم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانة ومن هرب فادركتموه فشأنكم به) فخلى سعد عنهم وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم اللا الإسلام أز الجزية ولهم الذمة فتراجعوا ولم يدحل ذلك ما كان لآل كسرى فلم يبق غربي دجلة إلى أرض العرب سواري إلا آمن واغتبط بملك الإسلام وأقاموا على بهر سير، شهرين يرمونهم بالمجانيق ويدبون اليهم بالدبابات ونصبوا على المدينة ٢٠

منجنيقاً فشغلوهم بها واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية حتى أكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم ثم قطعوا دجلة إلى المدائن الشرقية ودخلوا المدينة فانزلهم سعد المنازل، أقام سعد ببهر سير أياماً من صفر فاتاه علج فدله على مخاضة تخاض إلى صلب الفرس فأبى وتردد عن ذلك وقحمهم المد وكانت السنة كثيرة المدود ودجلة تقذف بالزبد فاتاه علج آخر وقال له ما يقيمك لايأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرد بكل شيء في المدائن.

### ✓ عزم سعد على العبور:

عزم سعد بن أبي وقاص على قطع البحر وخطب في الجيش ونـدب الناس إلى العبور، وجعل عاصماً على الفراض ليمنعهـا وأذن في الاقتحـام وقال: « قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعـم الوكيـل، والله لينصـرن الله وليه وليظهرن دينه وليهـزمن عـدوه ولاقـوة الا بـالله العـلي العظيم »، وتلاحق الناس في « دجلة » وكان الـذي يسـاير سـعداً سـلمان الفارسي فعامت به خيولهم وخرج الناس سالمين وخيولهم تنفض آترافهـا وسموا يوم عبورهم الدجلة (يوم الجـراثيم) لأنـه لم يكـن أحـد يعـبر الا ظهرت له جرثومه يسير معها وهي من القش المربوطة حزماً. فلما لم يقـدر الفرس على منع المسلمين من العبور هربوا إلى حلوان، فدخلها المسـلمون ولم يجدوا بها أحداً وقد أخرج «يزدجرد» عياله إلى «حلوان» فلحق بعيالـه ونزل سعد «القصر الأبيض» فاتخذ الايـوان مصـلى وسرح في آثـار القـوم زهرة في المقدمات.

### ✓ ايوان كسرى :

زعموا أنه تعاون على بناء ايوان كسرى الذي بالمـدائن عـدة ملـوك وهو من أنظم الأبنية. ولما أراد كسرى بناء ايوانه أمر بشـراء ماحولـه مـن مساكن الناس وأرغبهم بالثمن الوافر وادخالـه في « الايـوان » وقيـل انـه كان في جواره عجوز لها دويـرة صـغيرة فأرادوهـا عـلى بيعهـا فأمتنعـت وقالت ماكنت لأبيع «جوار الملك بالدنيا جميعها»، فاستحسن هذا الكلام منها وأمر ببناء الايوان وترك دارها في موضعها منه واحكام عمارتها. وقد

كان في الإيوان صورة كسرى أنوشيروان وقيصر ملك الروم وهـو يحاصرها ويحارب أهلها

و إيوان كسري كان مقر الملك في فارس يدعى "القصـر الأبـيض" وفي وسطه "إيوان كسرى" قاعةُ عرش كسـرى. وعلى جدرانها رسـمت معركة أنطاكية التي دارت بين الفرس والروم.

**✍ إن الحـوادث والخطـوب اذا سَـطَت أودت بكـل موثـق الأركان.**

صلى سعد صـلاة الفـتح ثمانـى ركعـات لايفصـل بينهـا وكـان في الايوان تماثيل وصور فتركها على حالها وتحول من الايوان بعد ثلاثـة أيـام إلى القصـر الأبيض. من نواحي سواد بغداد قرب المدائن وهـي في غـربي دجلة وهي تجاه الايوان لأن الايوان في شرقي دجلة وهي غربية.

**حلوان**: العراق هي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، وقيل أنها سميت بحلوان بن عمران بن الحـاف بـن قضـاعة كـان بعـض الملوك أقطعه اياها فيميت به وهي مدينة عامرة ليس بأرض العـراق بعـد الكوفة والبصـرة وواسط وبغداد وسرمن رآى أكـبر منهـا وأكثـر ثمارهـا التين وهي بقرب الجبل

وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها. يسقط بها الثلج، أما أعلا جبلها فإن الثلج يسقط به دائماً، وبها رمان والتين في غاية الجودة وحواليها عدة عيون كبريتية ينتفع بها الناس.

## ٢. معركة عين التمر:

وقعت تلك المعركة في العراق ما بين قوات المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والقوات الساسانية ومعها جموع من قبائل العرب النصارى. وتقع عين التمر غربي الأنبار وهي منطقة أسسها الفرس لحماية حدودهم. فبعد سقوط الحيرة على يد خالد بن الوليد عام ٦٣٣ ميلادي توجه إلى الحامية الفارسية الكبيرة التي كانت في عين التمر الواقعة على الطريق إلى دومة الجندل، وكان يقطنها العرب النصارى الموالين للفرس. وكانت الحامية مؤلفة من قسمين الأول فارسي تحت قيادة القائد الفارسي مهران بن بهرام والثاني عربي من قبائل النمر وتغلب وإياد بقيادة عقة بن أبي عقة. تميزت هذه المعركة الغريبة بسرعة انتهائها، حيث لاذ العرب النصاري بالفرار قبل أن تبدأ المعركة فعلياً.

يبدو أن عقة هذا كان مغروراً ومتعجرفاً ويبدو أن الرغبة تملكته لحيازة الفخر والمجد بالانتصار على المسلمين هو لوحده، فقد طلب من القائد الفارسي 'مهران' أن يخلي الساحة ليقاتل هو المسلمين وحده دون مساعدة من الفرس، وقال له: "إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالداً"، وقد علم ما حقق خالد من انتصارات قبل ذلك.

**وعندما سمع "مهران" هذا الكلام من "عقة" قال له:** (صدقت لعمري لأنتم أعلم بقتال العرب، وإنكم مثلنا في قتال العجم، دونكموهم، وإن احتجتم إلينا أعناكم). وكان "مهران" قد أراد تجنب قتال المسلمين لعلمه أنهم لا يقهرون بعد انتصاراتهم المتلاحقة في العراق في ذلك الوقت. وقد انتقد قادة الفرس ذلك الأمر من "مهران" واستنكروا قوله لـ"عقة"، **فقال مهران: دعوني فإني ماأردت إلا خير لكم** وشر لهم! إنه قد جاءكم من قتل ملوككم وفل حدكم فاتقيته بهم، فإن غلبوا خالداً فهو لكم، وإن غُلبوا قاتلنا خالداً وقد ضعفوا ونحن أقوياء، فاعترفوا له بفضل الرَّأي عليهم.

خرج "عقة" المغرور ومن معه من العرب المتنصرة من عين التمر للصدام مع المسلمين، وأوغل في الصحراء غروراً منه لمبادرة المسلمين بالهجوم، ووصل إلى منطقة "الكرخ" وعبأ قواته، ووصل المسلمون إلى أرض المعركة وعبأ "خالد" الجيش بسرعة، وإستعد للقتال.

ولم يكن "خالد" قد رأى 'عقة' من قبل، ونظر إليه نظرة الفاحص الخبير بنفوس المحاربين، فعلم أن هذا الرجل شديد الغرور، فقرر القيام بحيلة بارعة شجاعة، جريئة في نفس الوقت، وهى خطف القائد 'عقة' نفسه في عملية فدائية أشبه ما تكون بعمليات الصاعقة، فانتخب مجموعة خاصة من أبطال المسلمين، وأطلعهم على الفكرة الجريئة.

وكانت الخطة تقضي بأن يبدأ جناحاً جيش المسلمين بالمناوشات البسيطة دون شن هجوم كبير لإشغال الطرفين المقابلين من جيش العرب النصارى، بينما بقي القلب في سكون حتى يعطي خالد إشارته بشن الهجوم. وهذا ما

جعل عقة يستغرب من تأخر قلب جيش المسلمين عن الهجوم، وكان خالد ومرافقيه في مقدمة الجيش. ولكن ما حدث في اللحظات التالية هو أن الجنود اندهشوا من هذه المجموعة الصغيرة التي تهجم عليهم وهم عشرات الآلاف، ولم يفيقوا من هول الصدمة إلا و"خالد" قد أسر "عقة" وحمله بين يديه كالطفل الصغير وعاد به إلى صفوف المسلمين، وعندها تجمدت الدماء في عروق العرب المتنصرة، وركبهم الفزع الشديد، ففروا من أرض المعركة دون أن يسلوا سيفاً واحداً.

✓ استكمال الهزيمة وإحراز النصر:

فلمَّا بلغ مهران هزيمة عقَّة وجيشه، وكان قد أرسل الاستطلاع لمراقبة مجريات المعركة، نزل من الحصن وهرب مسرعاً مع حاميته بإتجاه قطسيفون أو المدائن، وترك الحصن بدون حماية.

ورجعت فلول العرب إلى الحصن فوجدوه مفتوحاً فدخلوه واحتموا به، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار، فلـمَّا رؤوا ذلك سألوه الصُّلح فأبى إلا أن ينزلوا على حكم خالد، فجعلوا في السَّلاسل، وتسلَّم الحصن، ثمَّ أمر فضربت عنق عقَّة ومن كان أسر معه، والذين نزلوا على حكمه أيضاً أجمعين، وغنم جميع ما في ذلك الحصن.

### ✓ من سبايا خالد :

وجد خالد في الكنيسة التي في الحصن أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل وعليهم باب مغلق، فكسره خالد وحافظ على حياتهم، وفرَّقهم في الأمراء وأهل البلاء.

من هؤلاء الغلمان الذين سباهم خالد من كنيسة عين التمر كان "سيرين"، الذي اشتراه أنس بن مالك الأنصاري وأعتقه، وهو والد الفقيه المعروف محمد بن سيرين. وكذلك كان الغلام "نصير" من سبي خالد في تلك الكنيسة، وهو والد الفاتح الإسلامي والقائد الشهير موسى بن نصير.

## ٣. معركة القادسية:

معركة القادسية هي معركة وقعت في ١٣ شعبان ١٥ هـ / ١٦ - ١٩ نوفمبر ٦٣٦م - بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص والفرس بقيادة رستم فرّخزاد في القادسية انتهت بانتصار المسلمين ومقتل رستم.

### ✓ أسباب المعركة :

في عام ١٥ هـ جمع يزدجرد طاقاته ضد المسلمين، فبلغ ذلك المثنى بن حارثة الشيباني فكتب إلى عمر بن الخطاب فأعلن النفير العام للمسلمين أن يدركوا المسلمين في العراق واجتمع الناس بالمدينة المنورة فخرج عمر معهم إلى مكان يبعد عن المدينة ثلاثة أميال على طريق العراق

والناس لايدرون مايريد أن يصنع عمر، واستشار عمر الصحابة في قيادته للجيش بنفسه فقرروا أن يبعث على رأس الجيش رجلاً من أصحاب الرسول ويقيم هو ولا يخرج واستشارهم في من يقود الجيش فأشير إليه بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

### ✓ المسير إلى القادسية:

استدعى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص وكان على صدقات هوازن فولاه الجيش وأمره بالسير ومعه أربعة آلاف ثم أمده بألفي يماني وألفي نجديّ وكان مع المثنى ثمانية آلاف ومات المثنى قبل وصول سعد وتتابعت الإمدادات حتى صار مع سعد سته وثلاثون ألفاً.

كان منهم تسعة وتسعون بدرياً وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كان له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك وثلاثمائة ممن شهد الفتح وسبعمائة من أبناء الصحابة فنظم الجيش وجعل على الميمنة عبد الله بن المعتم وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي وجعل خليفته إذا استشهد خالد بن عرفطة وجعل عاصم بن عمرو التميمي وسواد بن مالك على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة وعلى الرجالة حمال بن مالك الأسدي وعلى الركبان عبد الله بن ذي السهمي وجعل داعيتهم سلمان الفارسي والكاتب زياد بن أبيه وعلى القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي.

أما الفرس فقد أجبر يزدجرد رستم على قيادة الجيش الفارسي بنفسه وأرسل سعد وفداً إلى رستم فيهم: النعمان بن مقرن المزني وبسر بن أبي رهم والمغيرة بن شعبة والمغيرة بن زرارة.

وسار رستم وفي مقدمته (الجالينوس) وجعل في ميمنته (الهرمزان) وعلى الميسرة (مهران بن بهرام) ثم سار رستم حتى وصل الحيرة ثم النجف حتى وصل القادسية ومعه سبعون فيلاً.

### ✓ القتال:

وعبر الفرس النهر في الصباح ونظموا جيشهم، ونظم سعد جيشه وحثهم على السمع والطاعة لنائبه خالد بن عرفطة لأن سعداً أصابته دمامل في فخذيه وإليتيه فكان ينام على وجهه وفي صدره وسادة، ويقود المعركة من فوق قصره، وصلى المسلمون الظهر وكبر سعد التكبيرة الأولى فاستعدوا، وكبر الثانية فلبسوا عدتهم، وكبر الثالثة فنشط الفرسان، وكبر الرابعة فزحف الجميع، وبدأ القتال والتلاحم.

ولما رأت خيل المسلمين الفيلة نفرت وركز الفرس بـ(١٧) فيلاً على قبيلة بجيلة فكادت تهلك، فأرسل سعد إلى بني أسد أن دافعوا عن بجيلة فأبلوا بلاء حسناً وردوا عنهم هجمة الفيلة، ولكن الفيلة عادت للفتك بقبيلة أسد، فنادى سعد عاصم بن عمرو التميمي ليصنع شيئاً بالفيلة، فأخذ رجالاً من قومه فقطعوا حبال التوابيت التي توضع على الفيلة فارتفع عواؤها فما بقي لهم فيل إلا أعري وقتل أصحابه ونفّس عن قبيلة أسد، واقتتل الفريقان حتى الغروب وأصيب من أسد تلك العشية

خمسمائة كانوا ردء للناس وهذا هو اليوم الأول من المعركة ويسمى أرماث وهو الرابع عشر من المحرم.

وفي اليوم الثاني أصبح القوم فوكل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم وسلم الجرحى إلى النساء ليقمن عليهم، وفي أثناء ذلك طلعت نواصي الخيل قادمة من الشام وكان في مقدمتها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص والقعقاع بن عمرو التميمي، وقسم القعقاع جيشه إلى أعشار وهم ألف فارس وانطلق أول عشرة ومعهم القعقاع فلما وصلوا تبعتهم العشرة الثانية وهكذا حتى تكامل وصولهم في المساء، فألقى بهذا الرعب في قلوب الفرس فقد ظنوا أن مائة ألف قد وصلوا من الشام فهبطت هممهم ونازل القعقاع (بهمن جاذويه) أول وصوله فقتله ولم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً يعجبهم فقد أكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتل الفرس بالفيلة في هذا اليوم لأن توابيتها قد تكسرت بالأمس فاشتغلوا هذا اليوم بإصلاحها وألبس بعض المسلمين إبلهم فهي مجللة مبرقعة وأمرهم القعقاع أن يحملوا على خيل الفرس يتشبهون بها بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرماث فجعلت

خيل الفرس تفر منها وقاتلت الفرس حتى انتصف النهار فلما اعتدل النهار تزاحفوا من جديد حتى انتصف الليل فكانت ليلة أرماث تدعى الهدأة وليلة أغواث تدعى السوادأصبح القوم لليوم الثالث وبين الصفين من قتلى المسلمين ألفان ومن جريح وميت من الفرس عشرة آلاف، فنقل المسلمون قتلاهم إلى المقابر والجرحى إلى النساء، وأما قتلى الفرس فبين الصفين لم ينقلوا.

وبات القعقاع لاينام فجعل يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه بالأمس وقال: إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة، ففعلوا ذلك في الصباح فزاد ذلك في هبوط معنويات الفرس.

وابتدأ القتال في الصباح في هذا اليوم الثالث وسمي يوم عمواس، والفرس قد أصلحوا التوابيت فأقبلت الفيلة يحميها الرجالة فنفرت الخيل، ورأى سعد الفيلة عادت لفعلها يوم أرماث فقال لعاصم بن عمرو والقعقاع: اكفياني الفيل الأبيض وقال لحمال والربيل: اكفياني الفيل الأجرب، فأخذ الأولان رمحين وتقدما نحو الفيل الأبيض فوضعا رمحيهما في عينيه فنفض رأسه وطرح ساسته ودلى مشفره فضربه القعقاع فوقع لجنبه، وحمل الآخران على الفيل الأجرب فطعنه حمال في عينه فجلس ثم استوى وضربه الربيل فأبان مشفره فأفلت الأجرب جريحاً وولى وألقى نفسه في النهر واتبعته الفيلة وعدت حتى وصلت المدائن، ثم تزاحف الجيشان فاجتلدوا وسميت هذه الليلة ليلة الهرير، وفي هذه الليلة حمل القعقاع وأخوه عاصم والجيش على الفرس بعد

صلاة العشاء فكان القتال حتى الصباح، وانقطعت الأخبار عن سعد ورستم فلم ينم الناس تلك الليلة وكان القعقاع محور المعركة.

فلما جاءت الظهيرة كان أول من زال عن مكانه الفيرزان والهرمزان فانفرج القلب وأرسل الله ريحاً هوت بسرير رستم وعلاه الغبار ووصل القعقاع إلى السرير فلم يجد رستم الذي هرب واستظل تحت بغل فوقه حمله فضرب هلال بن علفة التيمي من بني الرباب الحمل الذي تحته رستم وهو لا يعرف بوجوده فهرب رستم إلى النهر فرمى نفسه ورآه هلال فتبعه وارتمى عليه فأخرجه من النهر ثم قتله ثم صعد طرف السرير وقال: قتلت رستم ورب الكعبة إلي إلي.

فانهارت حينئذ معنويات الفرس فانهزموا وعبروا النهر فتبعهم المسلمون يخزونهم برماحهم فسقط من الفرس في النهر ألوفا.

وقتل من المسلمين ليلة الهرير ويوم القادسية ألفان وخمسمائة، ومن الفرس في الليلة نفسها عشرة آلآف ولحق زهرة بن الحوية التميمي الجالينوس فقتله.

## ٤. معركة الفراض:

معركة الفراض وقعت في شهر ذي الحجة سنة ١٢ للهجرة، الموافق كانون الثاني (يناير) عام ٦٣٤ للميلاد، بين جيش الخلفاء الراشدون بقيادة خالد بن الوليد والإمبراطورية الفارسية وحلفاءها من العرب المسيحيين.

قصد خالد إلى الفـراض تخـوم الشـام والعـراق والجزيـرة، فـأفطر رمضان في تلك السفرة التي اتصلت فيها الغزوات، فلما اجتمع المسلمون بالفراض حميت الروم واغتاظت، واستعانوا بمن يليها مـن مسـالح أهـل فارس، واستمدوا «تغلب» و«اياد» و«النمر»، فأمدوهم وناهضوا خالـداً حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا: «إما أن تعبروا الينا واما أن نعبر الـيكم »، قال خالد: «بل اعبروا الينا، قالوا فتنحـوا حتـى نعـبر»، فقـال خالـد: «لانفعل ولكن اعبروا أسفل منا»، فقالت الروم وفارس بعضـهم لـبعض احتسبوا ملككم. هذا رجل يقاتل على دين. وله عقل وعلم والله لينصرن ولنخذلن. ثم لم ينتفعوا بذلك. فعبروا أسفل من خالد. فلما تتـاموا قالـت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أينـا يجـيء ففعلوا واقتتلوا قتالاً شديداً طويلاً. ثم أن الله عز وجل هزمهم، وقتل يوم الفراض في المعركة وفي الطلب ١٠٠٠٠٠ الف، كما رواه الطـبري، وأقـام خالد على الفراض بعد الوقعة عشراً، ثم أذن بالرجوع إلى الحـيرة لخمـس بقين من ذي القعدة.

### ✓ رأي مستر موير:

**قال مستر موير في كتابه:** «الخلافة» عند ذكر هذه الموقعـة صـفحة (٦١) طبعة سنة ١٩٢٤ للميلاد، إن هذا العدد (١٠٠٠٠٠) خرافي ويريد بذلك أنه عدد عظيم غير معقول إلا أن المؤرخين لم يـذكروا عـدد جـيش خالد ولا عدد جيش العدو، والذي نعلمه أن جيش العدو كان عظيماً،

لأنه جيش متحد مؤلف من ثلاثة جيوش: «جيش الفرس» و «جيش الروم» و «جيش العرب» الذين انضموا اليهم، فاذا كانت الموقعة انتهت بانهزام هذه الجيوش انهزاماً تاماً

فلا بد أن يكون عدد القتلى كبيراً، فان لم يكن مئة ألف بالضبط كما رواه الطبري فهو يقرب من ذلك.

✍ **قال القعقاع يصف موقعة الفراض:**

**لَقينا بالفِراض جموعَ رُومٍ ... وفُرس غَمّها طولُ السَلام**

**أبَدْنا جَمعَهُم لَما التَقينا ... وبَيّتْنا بجمع بني رزام**

**فما فتئت جنودُ السلم حتى ... رأينا القوم كالغنم السّوام**

## ٥. معركة الولجة:

معركة الولجة التي وقعت في بلاد الرافدين في مايو ٦٣٣ م، بين جيش الخلفاء الراشدين بقيادة خالد بن الوليد والامبراطورية الفارسية وحلفاءها من العرب المسيحيين. في هذه المعركة كانت قوات الفرس ضعف قوات المسلمين، وهزم خالد بن الوليد القوات الفارسية رغم تفوقها العددي بنسخة مطورة من تكتيك الكماشة التي استخدمها حنبعل ضد الرومان في معركة كاناي.

### ✓ خلفية المعركة:

بعد وفاة النبي ﷺ محمد خلفه أبو بكر الصديق. في خلال ٢٧ شهر، سحق تمرد القبائل العربية في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية أثناء

حروب الردة واستعاد سلطة المدينة في الجزيرة العربية. بمجرد أن أخمدت نار الردة، بدأ أبو بكر رضي الله عنه الفتوحات الإسلامية وهي حملات ضد الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية، وبعد بضعة عقود ستؤدي تلك الحملات إلى قيام واحدة من أكبر الامبراطوريات في التاريخ.

بعد الانتهاء من حروب الردة، أغار المثنى بن حارثة الشيباني ورجال من قومه على تخوم ممتلكات فارس، فبلغ ذلك أبا بكر، فسأل عنه، فقيل له: "هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد". ولم يلبث المثنى أن قدم على المدينة المنورة، وقال للصديق: "يا خليفة رسول الله استعملني على من أسلم من قومي أقاتل بهم هذه الأعاجم من أهل فارس"، فكتب له الصديق عهداً. وقرر أبو بكر الصديق توسيع حدود الدولة الإسلامية، بدءً من العراق إحدى أغنى الولايات الفارسية. اعتمد الجيش الذي فتح بلاد فارس أساسًا على المتطوعين للجهاد، تحت إمرة القائد العسكري خالد بن الوليد.

بدأت حرب المسلمين ضد الإمبراطورية الفارسية في نيسان/ أبريل ٦٣٣م، حيث هزم جيش المسلمين الفرس في معركتين متتاليتين معركة ذات السلاسل ومعركة نهر الدم. كان هدف المسلمين الاستيلاء على مدينة الحيرة. بعد معركة نهر الدم، عاد جيش الخلفاء الراشدين تحت قيادة خالد بن الوليد مرة أخرى للحيرة؛ في الوقت نفسه وصلت أنباء الهزيمة في معركة نهر الدم إلى قطسيفون، فقرروا الاستعانة بالقبائل العربية الموالية لهم من سكان المنطقة.

### ✓ الجيش الفارسي:

أمر الامبراطور الساساني، أدرشير الثالث بتجهيز جيشين آخرين في نفس يوم معركة نهر الدم، فبدأت القوات الفارسية بالتجمع في العاصمة الامبراطورية. جاءوا من كل المدن والحاميات باستثناء من يحرسون الحدود الغربية مع الامبراطورية الرومانية الشرقية.

في غضون أيام قليلة، كان الجيش الأول مستعدًا، توقع قادة الفرس أن المسلمين سيسيرون مع الفرات إلى الشمال الغربي في العراق، لأنهم يعرفون أن القوات العربية عبر التاريخ لا تتحرك بعيدًا عن الصحراء، والتي تستخدمها للتراجع في حالة الهزيمة. بعد توقع تحرك جيش المسلمين صوب الغرب، اختار أدرشير الثالث الولجة، موقعاً للمعركة التي سيوقف فيها خالد بن الوليد ويدمر جيشه. أول جيوش الإمبراطورية الفارسية وصلت إلى قطسيفون، ووضعت تحت قيادة أندرزغار حاكم خراسان.أمر أندرزغار جيشه بالتقدم للولجة، حيث سيلحق به الجيش الثاني قريبًا. انطلق الجيش الأول من قطسيفون، وانتقل على طول الضفة الشرقية من دجلة، عبر دجلة في كاسكار، وانتقل إلى الجنوب الغربي إلى الفرات، بالقرب من الولجة، عبر الفرات وعسكر في الولجة.

### ✓ جيش المسلمين:

كانت معركة نهر الدم نصرًا هامًا للمسلمين. فمع انخفاض خسائرهم، هزم المسلمون جيشًا فارسيًا كبيرًا، وحصلوا على كمية هائلة من الغنائم. آنذاك بدأ المسلمون يدركون ضخامة موارد الامبراطورية الفارسية؛ لكنهم لم يخوضوا سوى معركتين منفصلتين مع جيشين منفصلين والمسلمون هم الذين اختاروا أرض المعركة وما زالوا على حدود الإمبراطورية، وبإمكان الفرس جمع عدة جيوش ميدانية في آن واحد، كمثل تلك التي خاضت معركتي ذات السلاسل ونهر الدم.

نشر خالد شبكة العملاء من العرب المحليين المعادين للفرس لتخبره بمواقع الفرس. أبلغه العملاء عن وصول جيش فارسي جديد إلى الولجة،وعن ضخامة عدده. لم يكن أمام خالد بد من خوض المعركة للوصول إلى الحيرة. بجيش قوامه حوالي ١٥٠٠٠ رجل، انطلق خالد إلى الولجة.

### ✓ مناورة خالد:

كانت أعداد كبيرة من الفرس الساسانيين قد فرت من المعارك السابقة، وعادت إلى حمل السلاح مرة أخرى. انضم الناجون من معركة ذات السلاسل إلى قارن بن قاريونس وقاتلوا في معركة نهر الدم، ثم انضم الناجون من معركة نهر الدم إلى أندرزاغار واتجهوا نحو الولجة. **واجه المسلمون الجيشان باستراتيجية واحدة وتكتيك واحد:**

**الاستراتيجية**: كـان جيشـان مـن الفـرس عـلى وشـك أن يجمعـا للاعتراض للمسلمين. لحل هـذه المشـكلة، عـزم خالـد بـن الوليـد عـلى الهجوم بسرعة، والقضاء على الجيش الأول (جيش اندرزاغار) ثم الجيش الثاني (جيش باهمان) قبل وصوله إلى مكان المعركة.

**التكتيك**: منع مقاتلي العدو من الهرب من خضـم معركـة وإعـادة تنظيم صفوفهم والعودة لمواصلة القتال. لذلك، قرر خالد إحاطة الجـيش الفارسي، والانقضاض عليه من الخلف، وتدمير جيشهم في هذا الوقـت، في صورة معدّلة من تكتيك الكماشة.

أعطى خالد توجيهاته إلى سويد بن مقرن لمراقبـة وحراسـة المعـابر التي قد يعبر منها الفرس ويهاجموا من الشمال والشرق، وتنبيهه في حالـة وجود قوات جديدة للعدو في تلك الاتجاهات.

✓ موقع المعركة:

كانت أرض المعركة سـهل شاسـع ممتـد بـين مـرتفعين يمتـدان إلى حوالي ميلين وبارتفاع ٣٠ قدمًا. شمال شرقي السهل يتداخل مع صـحراء قاحلة، وعلى مقربة من الشمال الشرقي هناك فرع للفرات يسمى بــ"نهـر خاسف".

✓ المعركة:

كـان انـدرزاغار واثـق مـن النصــر، حتـى إنـه لم يـزعج نفسـه بالانسحاب إلى ضفة النهر، على بعد ميل واحد، ليتمكن من استخدام

النهر لحماية جيشه.في أيار/ مايو ٦٣٣، نشر الجيشان قواتهما لخوض المعركة، ولكل منهما قلب وأجنحة. أجنحة المسلمين كانت بقيادة عاصم بن عمرو وعدي بن حاتم. انتشر الجيش الفارسي في وسط السهل، وكان مواجهًا للشرق وللجنوب الشرقي، وفي الجنوب الغربي كانت وراءه التلال. شكل خالد جيشه أمام تلال الشمال الشرقي، في مقابل الجيش الفارسي. ساحة المعركة، كانت تبعد حوالي ميلين إلى الجنوب الشرقي من عين الموهاري، وعلى بعد ٣٥ ميلاً إلى الجنوب الشرقي تقع النجف و ٦ أميال إلى الجنوب الشرقي تقع خش الصنافية. تألفت معظم قوات المسلمين من المشاة، مع عدد قليل من الفرسان.

توقع الفرس أن يكون جيش خالد أكبر بكثير. في الليلة التي سبقت معركة الولجة أرسل خالد اثنين من ضباطه بشر بن أبي رحم وسعيد بن مارا وجعل كل منهما قائداً على قوة من نحو ٢٠٠٠ فارس، **وأمرهم على النحو التالي:**

- سوف يأخذ كل منهما فرسانه خلال الليل ويتحرك بسرعة في الجنوب من مخيم الفرس.
- عند الوصول إلى الجانب الآخر من سلسلة التلال التي تمتد وراء مخيم الفرس، سيخفيان الرجال ولكن يحتفظان بهم على أهبة الاستعداد للتحرك خلال فترة قصيرة.
- عند الصباح ستبدأ المعركة، وسيبقون رجالهم وراء التلال، وسيضعون عددًا من المراقبين لانتظار إشارة خالد.

- عندما يعطي خالد إشارته، سيهاجمان القوات الفارسية من المؤخرة، وكل مجموعة ستهاجم جناحًا.

صدرت الأوامر اللازمة من خالد لمن كان يجب أن يعرف هذه الخطة، حتى يتسنى لهم تنظيم وتحضير قوات الضربة دون حدوث أي توقف وبسرية تامة، لذا لم يتم إعلام المقاتلين المسلمين العاديين شيءًا من مناورة تكتيك الكماشة. شكل خالد جيشه بالـ ١٠٠٠٠ المتبقية قبالة الجيش الفارسي الساساني.

اعتمدت استراتيجية اندرزاغار قائد الفرس، على الدفاع وترك المسلمين يهاجمون أولاً، ثم بعد أن يمتص هجمتهم، يشرع في هجوم مضاد لهزيمة جيش المسلمين. تمت المرحلة الأولى من المعركة وفق خطة اندرزاغار، حيث أمر خالد الجيش بشن هجوم عام. أبقى قائد الفرس قواتًا احتياطية ليشركها في الوقت المناسب بعد أن يكون قد بلغ بالمسلمين التعب مبلغه، الأمر الذي يتيح له التحكم في المعركة. خلال هذا الوقت، بارز خالد بن الوليد بطل فارسي عملاق يطلق عليه هزار مارد وقتله، فكان هذا نصرًا نفسيًا للمسلمين.

انتهت المرحلة الأولى، وبدأت المرحلة الثانية من المعركة بهجوم مضاد لجيش الفرس. بعد أن شاهد اندرزاغار علامات التعب على الجنود المسلمين، لذا قرر أن هذه هي اللحظة المناسبة للهجوم المضاد لجيش الفرس، فهاجم سلاح الفرسان الفارسي مقدمة جيش المسلمين.

تمكن المسلمون من احتجازهم لبعض الوقت، لكن الفرس زادوا الضغط. فتراجع جيش المسلمين، وتوقف الهجوم حتى إصدار تعليمات أخرى من خالد بن الوليد. أعطى خالد في النهاية الإشارة للمضي قُدمًا. عندئذ، هاجمت فرقتي فرسان المسلمين مؤخرة الجيش الفارسي وجناحيه. ومع مرور الوقت لاحت بوادر الهزيمة على جيش الفرس، فاستأنف مشاة جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد الهجوم على الجبهة الفارسية، واتصلا بفرقتي الفرسان لإحاطة الفرس تماماً.

انضغط الجيش الفارسي في مساحة قليلة، فعجزوا عن استخدام أسلحتهم بحرية أو تجنب ضربات المهاجمين. فانتهت المعركة، بخسائر فادحة للجيش الفارسي، ولم تتمكن سوى بضعة آلاف من الجنود من الفرار، وفر اندرزاغار نفسه، لكنه فر في اتجاه الصحراء العربية بدلا من الفرات وتوفي في تلك المنطقة عطشًا.

### ✓ ما بعد المعركة:

بعد المعركة جمع خالد رجاله المجهدين بعد انتصارهم الساحق على الفرس. كانت معركة الولجة أطول وأشرس المعارك التي خاضها المسلمون في العراق، لذلك سعى خالد بن الوليد إلى ضمان أن تبقى معنويات المسلمين مرتفعة.

بعد القضاء على جيش فارسي آخر وحلفاءه العربي المسيحيين في معركة أليس ومعركة الحيرة، عاصمة بلاد الرافدين في أواخر أيار/ مايو ٦٣٣ م، وتلا ذلك معركة الأنبار والنجاح في حصار عين التمر. مع

سقوط المدن الرئيسية كلها في جنوب ووسط العراق، باستثناء قطسيفون، أصبح العراق تحت سيطرة المسلمين. في عام ٦٣٤ م، أمر أبو بكر خالد بن الوليد بالتوجه مددًا لجيوش المسلمين في الشام بنصف جيشه، وترك نصف الآخر تحت قيادة المثنى بن حارثة الشيباني.

شكل الفرس في ظل الإمبراطور الجديد يزدجرد الثالث جيشاً جديداً وهزموا المسلمين في معركة الجسر، وأعادوا ضم العراق. كان الفتح الإسلامي الثاني للعراق تحت قيادة سعد بن أبي وقاص الذي هزم الجيش الفارسي في

معركة القادسية في عام ٦٣٦ م، وفتح قطسيفون. وتبع ذلك كله فتح الإمبراطورية الفارسية كلها.

### ٦. معركة النمارق :

معركة النمارق معركة بين جيش المسلمين وجيش المجوس وقعت يوم ٨ شعبان ١٣ هـ إبان خلافة عمر بن الخطاب وهي إحدى معارك الفتح الإسلامي لبلاد فارس وانتهت بانتصار المسلمين على الفرس المجوس.

#### ✓ سياق المعركة :

بعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد إلى الشام لنجدة قادة الفتح هناك حيث بلغت أنباء بوصول جحافل رومية بلعت ٢٠٠ ألف مقاتل، وذهب قيادة الجيوش في العراق إلى المثنى بن حارثة. فارتفعت معنويات الجيش الفارسي وقويت عزائمهم على إجلاء المسلمين من بلاد العراق

وبدأوا بتحريض السكان على الثورة على المسلمين وبث رستم الحماسة في قلوبهم حين أعلن أنه سيولي إمارة العراق لأول من يثور من أهلها وكان جابان هو أولهم. فقرأ المثنى بن حارثة وكان أمير المسلمين حينها أفكار المجوس وقرر سحب جيشه لأطراف العراق مما يلي نجد ليقترب من عاصمة الخلافة وذهب إلى المدينة يطلب المدد وأبلغ أبا بكر الصديق بالخبر لكن أبا بكر ما لبث أن توفي بعد أن عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب. فندب عمر الناس للجهاد وظل يدعوهم أياما، بيد أنه لم يستجب سوى ألف رجل وكان أولهم أبو عبيد الثقفي فجعلهم تحت إمرته وأراد الفرس إرهاب أبي عبيد وبعث رستم جيشاً بقيادة جابان لقتال أبي عبيد فالتقى الطرفان في النمارق بين الحيرة والقادسية، وكان

على خيل المسلمين المثنى بن حارثة، واعتمد أبو عبيد نظام الصاعقة لسد الفجوة بين الجيشين فهُزم الفرس، وولوا الأدبار وأسر جابان وافتدى نفسه بحيلة، وساروا إلى كسكر فلحقهم أبو عبيد، ثم هزمهم ثانية بعد أن جاءتهم قوة داعمة لنصرتهم، وفرّ الفرس إلى المدائن

### ٧. معركة الأنبار:

معركة الأنبار (ذات العيون) هي معركة وقعت بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والفرس وانتهت بانتصار المسلمين.

أنبار هي «فيروز سابور القديمة». مدينة شهيرة في العراق من ولاية بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، وهي إلى غربيها على الفرات قرب مخرج نهر عيسى، وبابل في شماليها وتبعد عنها نحو ثمانين ميلاً. قيل

سميت بالأنبار لأنه كان يجمع فيها أنابير الحنطة والشعير والتبن وأنابير جمع أنبار.

سار خالد على تعبئته إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فحاصرها المسلمون وقد تحصن أهل الأنبار وخندقوا عليهم وأسرفوا من حصنهم وعلى جنودهم « شيرزاد » (صاحب ساباط)، وطاف خالد بالخندق وأنشب القتال وأوصى رماته أن يقصدوا عيون جيش العدو فرموا رشقاً واحداً ثم تابعوا فأصابوا « ألف عين» فسميت تلك الوقعة (ذات العيون) وتصايح القوم «ذهبت عيون أهل الأنبار». فلما رأى ذلك شيرزاد أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرضه خالد، فرد رسله.

ولم يكتف خالد بما صنع بل عمد إلى أضيق مكان في الخندق وعمد إلى الضعاف الإبل في جيشه فنحرها وأفعم الخندق بجثثها واقتحم المسلمون الخندق وجسرهم عليه جثث الإبل وصاروا مع أعدائهم داخل الخندق فالتجأ المشركون إلى الحصن.

وكان رئيس القوم الفُرس « شيرزاد » أعقل أعجمي يومئذ وأسوده وأقنعه في الناس العرب والعجم. فراسل خالداً في الصلح على ما أراد فقبل خالد منه على أنه يخليه ويلحقه بمأمنه في جريدة من الخيل ليس معهم من المتاع والأموال شيء، ووفى له خالد بما صالح عليه. وخرج شيرزاد إلى «بهمن جازويه» ثم صالح خالد من حول الأنبار وأهل كلواذي.

### ٨. معركة ذات السلاسل:

معركة ذات السلاسل هي معركة وقعت في ١٢هـ بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والفرس بقيادة هرمز انتهت بانتصار المسلمين.

### ✓ الخليفة أبو بكر وأرض العراق:

بعد أن انتهى الخليفة 'أبو بكر' من القضاء على حركة الردة التي نجمت بأرض العرب، قرر أن يتفرغ للمهمة الأكبر وهى نشر دين الله بعد أن مهد الجبهة الداخلية، وقضى على هذه الفتنة، وكان 'أبو بكر' يفكر في الجبهة المقترحة لبداية الحملات الجهادية عملاً بقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٣] وكانت الدولة الإسلامية تقع بين فكي أقوى دولتين في العالم وقتها، دولة 'الفرس' المجوسية من ناحية الشرق بأرض العراق وإيران،

ودولة'الروم' الصليبية من ناحية الشمال بأرض الشام والجزيرة، وكان 'أبو بكر' يفضل الجبهة الشامية على الجبهة العراقية، ولكنه فضل البدء بدولة 'الفرس' لقوتها وشدة بأسها، وأيضاً لكفرها الأصلي، فهي أشد كفراً من دولة "الروم" الذين هم أهل كتاب، وأخيراً استقر رأى الخليفة على البدء بالجبهة العراقية.

بعد أن انتهى خالد بن الوليد والمسلمين معه من حربه على المرتدين من "بني حنيفة" أتباع مسيلمة الكذاب جائته الأوامر من الخليفة أبى بكر رضي الله عنه بالتوجه إلى الأراضي العراقية، مع عدم إكراه أحد من المسلمين

على مواصلة السير معه إلى العراق، ومن أحب الرجوع بعد قتال المرتدين فليرجع، فانفض كثير من الجند، وعادوا إلى ديارهم، ليس خوفاً ولا فراراً من لقاء "الفرس" ولكن تعباً وإرهاقاً من حرب الردة، فلم يبقى مع "خالد" سوى ألفين من المسلمين.

وما قام به"أبو بكر" هو عين الصواب والبصيرة الثاقبة فإنه لن ينصر دين الله إلا من كان عنده الدافع الذاتي، والرغبة التامة في ذلك، مع الاستعداد البدني والنفسي لذلك، فمن تعلق بشواغل الدنيا، أو كان خاطره وقلبه مع بيته وأهله لا يصمد أبداً في القتال، كما أن هذا الجهاد جهاد طلب، وهو فرض كفاية كما قال أهل العلم.

### ✓ العبقرية العسكرية:

وضع الخليفة "أبو بكر" خطة عسكرية هجومية، تجلت فيها عبقرية 'الصديق' الفذة، حيث أمر قائده "خالد بن الوليد" أن يهجم على العراق من

ناحية الجنوب، وفي نفس الوقت أمر قائداً آخر لا يقل خبرة عن "خالد بن الوليد" وهو "عياض بن غنم الفهرى" أن يهجم من ناحية الشمال، في شبه كماشة على العدو، ثم قال لهما: {من وصل منكما أولاً إلى 'الحيرة' واحتلها فهو الأمير على كل الجيوش بالعراق، فأوجد بذلك نوعاً من التنافس الشريف والمشروع بين القائدين، يكون الرابح فيه هو الإسلام.

كانت أول مدينة قصدها 'خالد بن الوليد' هي مدينة "الأبلة"، وكانت ذات أهمية استراتيجية كبيرة، حيث أنها ميناء "الفرس" الوحيد على الخليج العربي، ومنها تأتى كل الإمدادات للحاميات الفارسية المنتشرة بالعراق، وكانت هذه المدينة تحت قيادة أمير فارسي كبير الرتبة اسمه "هرمز"، وقد اشتق من اسمه اسم المضيق القائم حالياً عند الخليج العربي، وكان رجلاً شريراً متكبراً، شديد البغض للإسلام والمسلمين، وللجنس العربي بأسره، وكان العرب بالعراق يكرهونه بشدة، ويضربون به الأمثال فيقولون : {أكفر من هرمز، اخبث من هرمز}، فلما وصل "خالد" بالجيوش الإسلامية هناك، وكان تعداد هذه الجيوش قد بلغ ثمانية عشر ألفاً بعد أن طلب الإمدادات من الخليفة، أرسل برسالة للقائد 'هرمز' تبين حقيقة الجهاد الإسلامي، وفيها أصدق وصف لجند الإسلام، **حيث جاء في الرسالة :-**

أما بعد فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك ولقومك الذمة، وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فلقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، وهذا أصدق وصف لجند الإسلام، وهو الوصف الذي جعل أعداء الإسلام يهابون المسلمين، وهو النفحة الغالية التي خرجت من قلوب المسلمين، وحل

محلها "الوهن" الذي قال عنه رسول الله ﷺ أنه سبب تكالب الأمم علينا، وهو كما عرفه الرسول ﷺ (حب الدنيا وكراهية الموت).

### ✓ حرب الاستنزاف:

"هرمز" يرفض الرسالة الإسلامية التي تدعوه إلى الإسلام أو الجزية، ويختار بيده مصيره المحتوم، ويرسل إلى كسرى يطلب الإمدادات، وبالفعل يرسل كسرى إمدادات كبيرة جداً، ويجتمع عند "هرمز" جيش جرار عظيم التسليح، ويبنى "هرمز" خطته على الهجوم على مدينة "كاظمة" ظناً منه أن المسلمين سوف يعسكرون هناك، ولكنه يصطدم أمام العقلية العسكرية الفذة للقائد "خالد بن الوليد".

قام "خالد بن الوليد" بما يعرف في العلوم العسكرية الحديثة بحرب استنزاف، ومناورات مرهقة للجيش الفارسي، فقام "خالد" وجيشه بالتوجه إلى منطقة "الحفير"، وأقبل "هرمز" إلى "كاظمة" فوجدها خالية وأخبره الجواسيس أن المسلمين قد توجهوا إلى "الحفير"، فتوجه "هرمز" بسرعة كبيرة جداً إلى "الحفير" حتى يسبق المسلمين، وبالفعل وصل هناك قبل المسلمين، وقام بالاستعداد للقتال، وحفر خنادق، وعبأ جيشه، ولكن البطل "خالد" يقرر تغير مسار جيشه ويكر راجعاً إلى مدينة "الكاظمة"، ويعسكر هناك ويستريح الجند قبل القتال.

تصل الأخبار إلى "هرمز" فيستشيط غضباً، وتتوتر أعصابه جداً، ويتحرك بجيوشه المرهقة المتعبة إلى مدينة "الكاظمة" ليستعد للصدام مع المسلمين، وكان 'الفرس'أدرى بطبيعة الأرض وجغرافية المكان من المسلمين

فاستطاع "هرمز" أن يسيطر على منابع الماء بأن جعل نهر الفرات وراء ظهره، حتى يمنع المسلمين منه، وصدق الحق عندما قال ﴿... وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ ...﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١٦] فقد كان سبباً لاشتعال حمية المسلمين وحماستهم ضد الكفار، وقال "خالد بن الوليد" كلمته الشهيرة تحفيزاً بها الجند : "ألا انزلوا وحطوا رحالكم، فلعمر الله ليصيرن الماء لأصبر الفريقين، وأكرم الجندين".

وقبل أن يصطدم "هرمز" قائد الجيوش الفارسية مع جيوش المسلمين أرسل بصورة الوضع إلى كسرى، الذي قام بدوره بإرسال إمدادات كبيرة يقودها "قارن بن قرباس" يكون دورها الحفاظ على مدينة "الأبلة" في حالة هزيمة "هرمز" أمام المسلمين، لأهمية هذه المدينة كما أسلفنا.

- ✓ سلاسل الموت :

كان "هرمز" رجلاً متكبراً أهوجاً، لا يستمع إلا لصوت نفسه فقط، حيث رفض الاستماع لنصائح قواده، وأصر على أن يربط الجنود "الفرس" أنفسهم بالسلاسل، حتى لا يفروا من أرض المعركة، كناية عن القتال حتى الموت، لذلك فقد سميت المعركة بذات السلاسل.

والمسلمون أولى بهذا الصبر والثبات لأنهم على الحق والدين، وعدوهم على الباطل والكفر، وشتان بين الفريقين.

كان أول وقود المعركة وكما هو معتاد وقتها أيام الحـروب أن يخـرج القواد للمبارزة، كان أول الوقود عندما خـرج القائـد الفـارسي "هرمـز" لمبارزة القائد المسلم "خالد بن الوليد"، وكان "هرمز" كما أسـلفنا شـديد الكفر والخيانة،

فاتفق مع مجموعة من فرسانه على أن يهجموا على "خالد" ويفتكوا به أثناء المبارزة، وبالفعل خرج المسلم للقاء الكافر، وبـدأت المبـارزة، ولم يعهد أو يعلم عن "خالد بن الوليد" أنه هزم قط في مبـارزة طـوال حياتـه قبل الإسلام وبعده ، وقبل أن تقوم مجموعـة الغـدر بجـريمتهم الشريـرة فطن أحد أبطال المسلمين الكبار لذلك، وهو البطل المغـوار القعقـاع بـن عمرو، صنو "خالد" في البطولة والشجاعة، فخـرج مـن بـين الصـفوف مسرعاً، وانقض كالأسد الضاري على مجموعة الغدر فقـتلهم جميعـاً، وفي نفس الوقت أجهـز "خالـد بـن الوليـد" عـلى الخـائن "هرمـز" وذبحـه كالنعاج، وكان لذلك الأمـر وقعـاً شـديداً في نفـوس "الفـرس"، حيـث انفرط عقدهم، وانحل نظامهم لمقتـل قائـدهم، وولـوا الأدبـار، وركـب المسلمون أكتافهم، وأخذوا بأقفيتهم، وقتلوا منهم أكثر من ثلاثـين ألفـاً، وغرق الكثير في نهر الفرات، وقتل المربطون بالسلاسل عن بكـرة أبـيهم، وكانت هزيمة مدوية على قوى الكفر وعباد النـار، وفـر بـاقي الجـيش لا يلوى على شيء.

### ✓ الفزع الكبير:

لم تنته فصول المعركة عند هذا الحد، فمدينة "الأبلة" لم تفتح بعد، وهناك جيوش قوية ترابط بها للدفاع عنها حال هزيمة جيوش "هرمز" وقد كانت، ووصلت فلول المنهزمين من جيش "هرمز" وهى في حالة يرثى لها من هول الهزيمة، والقلوب فزعة ووجلة، وانضمت هذه الفلول إلى جيش "قارن بن قرباس" المكلف بحماية مدينة "الأبلة"، وأخبروه بصورة الأمر فامتلأ قلبه هو الآخر فزعاً ورعباً من لقاء المسلمين، وأصر على الخروج من المدينة للقاء

المسلمين خارجها، وذلك عند منطقة "المذار"، وإنما اختار تلك المنطقة تحديداً لأنها كانت على ضفاف نهر الفرات، وكان قد أعد أسطولاً من السفن استعداداً للهرب لو كانت الدائرة عليه، وكانت فلول المنهزمين من جيش "هرمز" ترى أفضلية البقاء داخل المدينة والتحصن بها، وذلك من شدة فزعهم من لقاء المسلمين في الميدان المفتوح.

كان القائد المحنك "خالد بن الوليد" يعتمد في حروبه دائماً على سلاح الاستطلاع الذي ينقل أخبار العدو أولاً بأول، وقد نقلت له استخباراته أن "الفرس" معسكرون "بالمذار"، فأرسل "خالد" للخليفة "أبو بكر" يعلمه بأنه سوف يتحرك للمذار لضرب المعسكرات الفارسية هناك ليفتح الطريق إلى الأبلة، ثم انطلق "خالد" بأقصى سرعة للصدام مع "الفرس"، وأرسل بين يديه طليعة من خيرة 'الفرسان'، يقودهم أسد العراق "المثنى بن حارثة"، وبالفعل وصل المسلمون بسرعة لا يتوقعها أحد من أعدائهم .

## ✓ الفطنة العسكرية:

عندما وصل المسلمون إلى منطقة المذار أخذ القائد "خالد بن الوليد" يتفحص المعسكر، وأدرك بخبرته العسكرية، وفطنته الفذة أن الفزع يملأ قلوب "الفرس"، وذلك عندما رأى السفن راسية على ضفاف النهر، وعندها أمر "خالد" المسلمين بالصبر والثبات في القتال، والإقدام بلا رجوع، وكان جيش "الفرس"يقدر بثمانين ألفاً، وجيش المسلمين بثمانية عشر ألفاً، وميزان القوى المادي لصالح الفرس. خرج قائد الفرس "قارن" وكان شجاعاً بطلاً،

وطلب المبارزة من المسلمين فخرج له رجلان "خالد بن الوليد" وأعرابي من البادية، لا يعلمه أحد، اسمه "معقل بن الأعشى" الملقب "بأبيض الركبان" لمبارزته، وسبق الأعرابي "خالداً"، وانقض كالصاعقة على "قارن" وقتله في الحال، وخرج بعده العديد من أبطال الفرس وقادته فبارز "عاصم بن عمرو" القائد "الأنوشجان" فقتله، وبارز الصحابي "عدى بن حاتم" القائد "قباذ" فقتله في الحال، وأصبح الجيش الفارسي بلا قيادة.

كان من الطبيعي أن ينفرط عقد الجيش الفارسي بعد مصرع قادته، ولكن قلوبهم كانت مشحونة بالحقد والغيظ من المسلمين، فاستماتوا في القتال على حنق وحفيظة، وحاولوا بكل قوتهم صد الهجوم الإسلامي ولكنهم فشلوا في النهاية تحت وطأة الهجوم الكاسح، وانتصر المسلمون انتصاراً مبيناً، وفتحوا مدينة "الأبلة"، وبذلك استقر الجنوب العراقي

بأيدي المسلمين، وسيطروا على أهم موانى الفرس على الخليج، وكان هذا الانتصار فاتحة سلسلة طويلة من المعارك الطاحنة بين الفرس والمسلمين على أرض العراق كان النصر فيها حليفاً للمسلمين في جملتها، وانتهت بسقوط مملكة عباد النار.

### ✓ بهمن جاذويه يقود الجيوش:

بعد أن انتصر المسلمون في معركة النمارق، انتصروا أيضاً في موقعة السقاطية على (نورسي)، وكان قد ثار في تلك المنطقة وهو من الفرس أيضًا، وكان رستم قد أرسله، ولكن أبا عبيد لم يمهله وتوجه إليه وانتصر عليه في ١٢ من شعبان سنة ١٣ هـ، وبعدها بخمسة أيام تقدم أبو عبيد إلى "باقسياثا" بالقرب من بابل وانتصر على الجيوش الفارسية بقيادة الجالينوس وهو من كبار

قادة الفرس، وكان رستم قد أرسله بعد هزيمة الفرس في النمارق والسقاطية فانتصر عليه أيضًا أبو عبيد في موقعة باقسياثا، ثم انسحب أبو عبيد بن مسعود الثقفي بجيشه إلى الحيرة، وأخذ يدبر الأمر ويوزع الحاميات، واتخذ الحيرة مركزًا له.

تعجب رستم كثيرًا وأصابته الحيرة والدهشة مما يحدث، إذ كيف ينتصر هؤلاء بعد غياب خالد بن الوليد ومعه نصف الجيش؟! ينتصرون على الفرس في ثلاث مواقع متتالية في تسعة أيام؛ فقال رستم: مَنْ أشدُّ الفُرْسِ على العرب؟

- **فقالوا له:** بهمن جاذويه. وكان أحد كبار قادة الفرس، ولم يشترك في الحروب مع المسلمين حتى هذه اللحظة.

➢ **فقال رستم**: إذن فهو القائد.

وبذلك أعطى رستم إمرة الجيوش الفارسية لـ "بهمن جاذويه" وأخرجه مع جيش كبير يزيد على ٧٠ ألف فارسي، وأرسل مع هذا الجيش أكثر من عشرة أفيال. ونحن نعرف ما كان يثيره فيل واحد في صفوف المسلمين من فزع وهلع؛ لأن الخيول لا تجرؤ على مواجهة الأفيال، فكانت تحدث ارتباكًا داخل صفوف الجيش المسلم، فما بالنا بعشرة أفيال؟ وأعطى رستم لـ "بهمن جاذويه" أيضاً راية الفرس العظمى وكانت تُسمى "دارفن كابيان"، وكانت هذه الراية لا تخرج إلا مع الملوك، ولكنه أخرجها معه تشريفًا لهذا الجيش وتشجيعاً له على حرب المسلمين، وكان كسرى فارس في هذه اللحظة "بوران بنت كسرى" وكانت من أحكم سيدات فارس، ولم يكن عندهم حينئذ رجل من آل ساسان يُوكِلون إليه مُلك فارس، وكان "شيرويه" قد قتل كل رجال آل ساسان ليستأثر هو بالحكم، ولكنه قُتِل أيضاً، وآل المُلك إلى تلك المرأة بعد ذلك.

توجّه الجيش الفارسي بهذه الجموع الجرارة لقتال المسلمين، وعلم أبو عبيد بذلك فتوجه بجيشه إلى منطقة في شمال الحيرة تسمى "قِسّ النَّاطِف"، وعسكر بجيشه في هذه المنطقة انتظارًا لقدوم جيش الفرس. وقَدِمَ الفُرسُ، ووقفوا على الجانب الآخر من نهر الفرات، فالمسلمون على الناحية الغربية، والفرس على الناحية الشرقية بقيادة بهمن جاذويه، وكان بين الشاطئين جسرٌ عائم أقامه الفرس في هذه الآونة للحرب -وكان

الفرس مهرة في بناء هذه الجسور- وأرسل بهمن جاذويه رسولاً إلى الجيش الإسلامي يقول له: إما أن نعبر إليكم، وإما أن تعبروا إلينا.

### ✓ أبو عبيد يخالف نصيحة عمر:

ونذكر نصيحة عمر بن الخطاب إلى أبي عبيد قبل أن يخرج إلى القتال قال له: لا تُفشِينَّ لك سرًّا؛ لأنك مالكٌ أمرك حتى يخرج سِرُّك من بين جنبيك، ولا تحدِثَنَّ أمرًا حتى تستشير أصحاب رسول الله. وأوصاه خاصة بسعد بن عبيد الأنصاري وسليط بن قيس من الصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعًا، وأخطأ أبو عبيد الخطأ الأول فأخذ يناقش أصحابه ويشاورهم أمام رسول الفرس، وهذا إفشاء للسر، ولأمور التنظيم الحربي، وأخذته الحميَّة عندما وصلته الرسالة؛ وقال: والله لا أتركهم يعبرون ويقولون: إنا جَبُنَّا عن لقائهم. واجتمع الصحابة على عدم العبور إليهم: وقالوا له:كيف تعبر إليهم وتقطع على نفسك خط الرجعة، فيكون الفرات من خلفك؟! وقد كان المسلمون

وأهل الجزيرة العربية يجيدون الحرب في الصحراء، ودائمًا كان المسلمون يجعلون لأنفسهم خط رجعة في الصحراء، وإذا حدثت هزيمة يستطيع الجيش أن يرجع إلى الصحراء ولا يهلك بكامله، ولكن أبا عبيد أصرَّ على رأيه بالعبور، وذكّره أصحابه بقول عمر بن الخطاب: أنِ اسْتشر أصحاب رسول الله ؛ فقال: والله لا نكون عندهم جبناء. وهذا كله يحدث أمام رسول الفرس، الذي استغل الفرصة ليثير حميَّة أبي عبيد، فقال: إنهم يقولون إنكم جبناء ولن تعبروا لنا أبدًا. فقال أبو عبيد: إذن نعبر إليهم.

وسمع الجنود وأطاعوا وبدأ الجيش الإسلامي يعبر هذا الجسر الضيِّق للوصول للناحية الأخرى التي يوجد بها الجيش الفارسي.

ونلاحظ في هذا الموقف أن الجيش الإسلامي يدخل في منطقة محصورة بين نهر يُسمى النيل -وهو نهر صغير وأحد روافد نهر الفرات- ونهر الفرات، وكلا النهرين يمتلئ بالمياه، والجيش الفارسي يغلق باقي المنطقة، فلو دخل المسلمون هذا المكان فليس أمامهم إلا القتال مع الجيش الفارسي، والفرس يدركون أهمية هذا الموقع جيدًا، فأخلوا مكانًا ضيقًا ليعبر المسلمون إليهم، ويتكدس الجيش الإسلامي في منطقة صغيرة جدًّا، ويرى المثنى بن حارثة ذلك ويعيد النصيحة لأبي عبيد قائلاً له: إنما تلقي بنا إلى الهَلَكَة. ويصرُّ أبو عبيد على رأيه.

وعبر الجيش الإسلامي بالفعل إلى هذه المنطقة، وكان مع الفُرْسِ كما ذكرنا عشرة أفيال منها الفيل الأبيض، وهو أشهر وأعظم أفيال فارس في الحرب، وتتبعه كل الفيلة إن أقدم أقدموا وإن أحجم أحجموا، وتقدمت

الجيوش الفارسية يتقدمها الفيلة إلى الجيش الإسلامي المحصور بين نهري الفرات ورافده نهر النيل، وتراجعت القوات الإسلامية تدريجيًّا أمام الأفيال، ولكن خلفهم نهرين فاضطروا للوقوف انتظارًا لهجوم الفيلة وقتالها، وكانت شجاعة المسلمين وقوتهم فائقة ودخلوا في القتال، ولكن الخيول بمجرد أن رأت الأفيال فزعت وهربت، وكانت سببًا في إعاقة

إقدام المسلمين على القتال، وعادت الخيول إلى الوراء وداهمت مشاة المسلمين، ولم تفلح محاولات المسلمين لإجبار الخيول على الإقدام لعدم تمرُّسها على مواجهة الأفيال، وفي هذه اللحظة -وبعد أن أخطأ أبو عبيد في إفشاء السر أمام رسول الفرس، وأخطأ في العبور مخالفًا مشورة أصحاب رسول الله ، وأخطأ باختياره هذا المكان للمعركة- كان لا بد عليه أن ينسحب بجيشه سريعًا من أرض المعركة، كما فعل خالد بن الوليد في معركة المذار عندما علم أنه سيكون محاطًا بجيش من الجنوب، انسحب سريعًا بجيشه حتى يقابل جيش الأندرزغر في الولجة.

### ✓ القتال حتى النهاية:

لكن أبا عبيد استقتل وقال: لأقاتلنَّ حتى النهاية. وإن كانت هذه شجاعة فائقة منه، فإن الحروب كما تقوم على الشجاعة لا بد أن يكون هناك حكمة في التعامل مع الحدث. وبدأت أفيال الفرس تهاجم المسلمين بضراوة، وأمر أبو عبيد أن يتخلَّى المسلمون عن الخيول ويحاربوا الفرس جميعًا وهم مشاة، وفقد المسلمون بذلك سلاح الخيول وأصبحوا جميعًا مشاة أمام قوات فارسية مجهزة بالخيول والأفيال، واشتد وَطِيسُ الحرب ولم يتوانَ المسلمون عن القتال، وتقدم أبو عبيد وقال: دُلُّوني على مقتل الفيل. كما قال من قبل المثنى بن

حارثة رضي الله عنه ، فقيل له: يُقتَلُ من خرطومه. فتقدم رضي الله عنه ناحية الفيل الأبيض بمفرده، فقالوا له: يا أبا عبيد، إنما تلقي بنفسك إلى التهلكة وأنت الأمير. فقال: والله لا أتركه إما يقتلني وإما أقتله. وتوجه ناحية الفيل وقطع أحزمته التي يُحمل فوقها قائدُ الفيل، ووقع قائد الفيل وقتله أبو عبيد بن مسعود، ولكن الفيل لا يزال حيًّا، وهو مُدَرَّب تدريبًا جيدًا على القتال، وأخذ أبو عبيد يقاتل هذا الفيل العظيم ويقف الفيل على قدميه الخلفيتين ويرفع قدميه الأماميتين في وجه أبي عبيد، ولكنَّ أبا عبيد لم يتوانَ عن محاربته ومحاولة قتله، وعندما شَعَر بصعوبة الأمر أوصى من حوله: إن أنا مِتُّ، فإمرة الجيش لفلان ثم لفلان ثم لفلان؛ ويعدد أسماء من يخلفونه في قيادة الجيش. وهذا أيضاً من أخطاء أبي عبيد؛ لأن أمير الجيش يجب أن يحافظ على نفسه، ليس حبًّا في الحياة ولكن حرصًا على جيشه وجنده في تلك الظروف، وليس الأمر شجاعة فحسب، ولأنه بمقتل الأمير تنهار معنويات الجيش، وتختل الكثير من موازينه. ومن الأخطاء أيضًا أن أبا عبيد أوصى بإمرة الجيش بعده لسبعة من ثقيف منهم ابنه وأخوه والثامن المثنى بن حارثة، وكان الأَوْلى أن يكون الأمير بعده مباشرة المثنى أو سليط بن قيس، كما أوصاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

### ✓ مقتل أبي عبيد وتولِّي المثنى:

واصل أبو عبيد قتاله مع الفيل ويحاول قطع خرطومه، لكن الفيل يعاجله بضربة فوقع على الأرض، وهجم عليه الفيل وداسه بأقدامه الأماميتين فمزَّقهُ أشلاءً، وكان موقفاً صعباً على المسلمين حينما رؤوا

قائدهم يُقتَل هذه القتلة البشعة وتولى إمرة الجيش بعده مباشرة أول السبعة ويحمل على الفرس

ويستقتل ويقتل، وكذا الثاني والثالث وهكذا، وقد قتل في هذه المعركة ثلاثة من أبناء أبي عبيد بن مسعود الثقفي كان أحدهم أميراً على الجيش، وقُتِل كذلك أخوه الحكم بن مسعود الثقفي وكان أحد الأمراء على الجيش بعد مقتل أبي عبيد، وأتت الإمرة للمثنى بن حارثة والأمر كما نرى في غاية الصعوبة، والفرس في شدة هجومهم على المسلمين، ويصف الأَغَرُّ العجْلِيُّ -وهو أحد صحابة النبي الذين حضروا الموقعة- فيقول: وَخَزَقَ الفرسُ المسلمين بالنشاب (الرماح)، وعضَّ المسلمين الألَمُ.

وفي هذه اللحظة بدأ بعض المسلمين في الفرار عن طريق الجسر إلى الناحية الأخرى من الفرات ولكن أخطأ أحد المسلمين خطأً جسيمًا آخر، فذهب عبد الله بن مرثد الثقفي وقطع الجسر بسيفه، قائلاً: والله لا يفِرُّ المسلمون من المعركة؛ فقاتلوا حتى تموتوا على ما مات عليه أميركم. فاستأنف الفُرْسُ القتال مع المسلمين، ويزداد الموقف صعوبة و اؤتَى بالرجل الذي قطع الجسر إلى قائد الجيش المثنى بن حارثة، فضربه المثنى، ويقول له: ماذا فعلت بالمسلمين؟ فقال: إني أردت ألا يفرَّ أحد من المعركة. فقال له: إن هذا ليس بفرار.

✓ انسحاب منظم عبر الجسر:

بدأ المثنى بقيادة حركة الجيش المسلم المتبقي بعد الهجمات الفارسية القاسية والشديدة، و ذكر انه قال لجيشه محمِّسًا لهم: يا عباد الله، إما النصر وإما الجنة. ثم نادى على المسلمين في الناحية الأخرى أن يصلحوا الجسر ما استطاعوا، وكان مع المسلمين بعض الفرس الذين كانوا قد أسلموا وكانوا

ذوي قدرة على إصلاح الجسور، فبدءوا يصلحون الجسر من جديد، وبدأ المثنى يقود إحدى العمليات الصعبة، وهي عملية انسحاب في هذا المكان الضيِّق أمام القوات الفارسية ، فأرسل إلى أشجع المسلمين واستنفرهم ولم يستكرههم، وقال: يقف أشجع المسلمين على الجسر لحمايته. فتقدَّم لحماية الجسر عاصم بن عمرو التميمي وزيد الخيل وقيس بن سليط صحابي رسول الله وسيدنا المثنى بن حارثة على رأسهم، ووقف كل هؤلاء ليقوموا بحماية الجيش أثناء العبور، ويحموا الجسر لئلا يقطعه أحد من الفرس، ويقول المثنى بن حارثة للجيش في هدوء غريب: "اعبروا على هيِّنَتِكم ولا تفزعوا؛ فإنا نقف من دونكم، والله لا نزايل (لا نترك هذا المكان) حتى يعبر آخرُكم". ويبدأ المسلمون في الانسحاب واحدًا تلوَ الآخر ويقاتلون حتى آخر لحظة، وتكسو الدماء كل شيء وتكثر جثث المسلمين ما بين قتيل وغريق في النهرين، ويكون آخر شهداء المسلمين على الجسر هو سويد بن قيس أحد صحابة النبي ، وآخر من عبر الجسر هو المثنى بن حارثة رضي الله عنه، فقد ظل يقاتل حتى اللحظة

الأخيرة ويرجع بظهره والفرس من أمامه، وبمجرد عبـوره الجسرـ قطعه على الفُرسِ، ولم يستطع الفرس العبور إلى المسلمين، وعاد المسلمون أدراجهم ووصلوا إلى الشاطئ الغربي من نهر الفرات قبل غروب الشمس بقليل. وكما نعرف فالفرس لم يكونوا يقاتلون بالليل؛ لذا تركوا المسلمين، وكانت فرصة للجيش الإسلامي لكي ينجو منسحبًا إلى عمق الصـحراء؛ لأنه لو ظل في مكانه لعبر إليه الجيش الفارسي في الصباح وقضى عـلى مـن تبقى منه.

في هذا الوقت كان قد فَرَّ من المسلمين ألفانِ (٢٠٠٠)، ومنهم مـن قد وصل في فراره إلى المدينة، و قتل من المسلمين في هذه الموقعة (٤٠٠٠) أربعة آلاف، وكان قد اشترك فيها (٨٠٠٠) ثمانية آلاف قُتِلَ مـنهم أربعـة آلاف ما بين صريع في القتال وغريق في النهر، ومن هؤلاء الآلاف الأربعة غَالِبُ أهل ثقيف، والكثير ممن شهد بدراً وأُحُداً والمشاهد مع رسول الله، وكان الأمر شديداً على المسلمين،و قد تمكن المثنى بن حارثة من استدراك الأمر في النهاية فما كان لمن نجا أن ينجو من هذه المصـيدة المحكمـة التـي أعدها الفـرس للمسـلمين، وكـان المثنـى رضي الله عنه كفـاءة حربيـة منقطعـة النظير،و كان أبو عبيد بن مسعود وقد كان أول من استُنفِرَ فخرج للجهاد وفي وجود الكثير من الصحابة، نفـر قـبلهم وأُمِّـرَ عـلى الجـيش، ودخـل الحروب في منتهى الشجاعة.

كانت موقعة الجسر في ٢٣ شعبان ١٣هـ، وكان أبو عبيد قد وصل إلى العراق في ٣ شعبان، وكانت أولى حروبه النمارق في ٨ من شعبان،ثم السقاطية في ١٢ من شعبان، ثم باقسياثا في ١٧ من شعبان، ثم هذه الموقعة في ٢٣ من شعبان، فخلال عشرين يومًا من وصول أبي عبيد بجيشه انتصر المسلمون في ثلاث معارك، وهُزموا في معركة واحدة قضت على نصف الجيش، ومن بقي فرَّ، ولم يبق مع المثنى غير ألفين من المقاتلين. وأرسل المثنى بالخبر إلى المدينة مع عبد الله بن زيد، وعندما وصل إلى المدينة وجد عمر بن الخطاب على المنبر فَيُسِرّ إليه بالأمر نظرًا لصعوبته على المسلمين، فبكي عمر رضي الله عنه على المنبر، وكان لا بد أن يعلم المسلمون حتى يستنفر الناس للخروج مرة أخرى لمساعدة بقايا

الجيش الموجودة في العراق، وبعد أن بكي قال: رَحِمَ الله أبا عبيد! لو لم يستقتل وانسحب لكُنَّا له فئة، ولكن قدَّر الله وما شاء فعل. وأتي بعد ذلك إلى المدينة الفارون والهاربون من المعركة يبكون أشد البكاء، يقولون: كيف نهرب؟! وكيف نفر؟!

وكان هذا الأمر يمثِّل للمسلمين نكسة لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطمئنهم ويقول لهم: إنني لكم فئة، ولا يُعَدُّ هذا الأمر فرارًا. وظل يحمسهم ويحفزهم، وكان معهم معاذ القارئ وكان أحد مَن فرُّوا، وكان يَؤُمُّ المسلمين في التراويح، فكان كلما قرأ آيات الفرار من الزحف يبكي وهو يصلي، فيطمئنه عمر رضي الله عنه، ويقول له: إنك لست من أهل هذه الآية.

## ٩. معركة الحيرة:

معركة الحيرة هي معركة وقعت بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والإمبراطورية الفارسية سنة ١٢ هـ الموافق ٦٣٣م وانتهت بانتصار المسلمين.

سار خالد من «أمغيشيا» إلى الحيرة، وحمل الرجال والرحال والأثقال في السفن فخرج مرزبان الحيرة «حاكمها الفارسي» ويدعى زاديه أو آزادبه، وأرسل ابنه لقطع الماء عن السفن، وذلك بسد الفرات فبقيت السفن على الأرض فسار خالد في خيل نحو ابن الأزادبه فلقيه على فم فُرات بادقلي فقتله وقتل أصحابه، غير أن المدينة كانت محصنة بأربعة حصون فأبت التسليم فحصرهم وقاتلهم المسلمون فاقتحموا الدور والديورة وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبان، يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم، فنادى أهل القصور المسلمين، قد قبلنا واحدة من ثلاث: أما الإسلام، أو الجزية، أو المحاربة. أما زاديه فإنه هرب إذ بلغه موت أردشير.

✍ **وهذه أسماء قصور الحيرة التي تحصنوا فيها:**

- **القصر الأبيض**: وفيه إياس بن قبيصة، وكان ضرار بن الأزور محاصراً له.
- **قصر الغريين**: وفيه عدي بن عدي، وكان ضرار ابن الخطاب محاصراً له.
- **قصر ابن مازن**: وفيه ابن أكال، وكان ضرار بن مقرن المزني محاصراً له.

- **قصر ابن بقيلة:** وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة. وكان المثنى محاصراً له.

خرج هؤلاء الرؤساء الأربعة من قصورهم فأرسلهم المسلمون إلى خالد فكان أول من طلب الصلح، عمرو بن عبد المسيح فصالحوه على ١٩٠٠٠٠ وأهدوا له الهدايا وبقوا على دينهم وبعث خالد بالفتح والهدايا إلى ابي بكر مع الهذيل الكاهلي فقبلها أبو بكر من الجزاء، وكتب إلى خالد: أن أحسب لهم هديتهم من الجزاء إلا أن تكون من الجزاء.، وخذ بقية ما عليهم فقو بها أصحابك.

# الفصل التاسع
# الجيش وفنون القتال

الفرس أمة متجذِّرة في التاريخ، لهم في الحضارة الإنسانية أصالة يشهد لها تراثهم، وفي الحرب دراية وخبرة وفنون أثبتتها حروبهم مع العرب والروم والهياطلة، وهي حروب وُصِفت بأنها "استولت على عقول ملوك آل ساسان، فلم يستريحوا منها ولم يريحوا الشعب حتى أنّ الملك الواحد كان يحارب الروم سنوات، ثم تعلن الهدنة ربما يستجمع قواه ويعدّ لها وقودًا جديدة".

## أولاً: تنظيم الدولة العسكري:

كان الفرس في تاريخهم القديم "أمّة مسلحة" وشعبًا محاربًا، ولذلك تمكّن الأشكانيون "نظرًا إلى تربيتهم العسكرية من الاستيلاء على "بارتا"، ثم خلقوا بالغزو دولة إيرانية جديدة" أسموها "الدولة البرتية."

ويبدو أنّ الإمبراطورية الفارسية نظَّمت المجتمع الفارسي ليكون مجتمع حرب، فاعتمدت نظامًا أسريًا وإقليميًا يرتكز على أربع وحدات "البيت (غانة) والقرية (ويس) والقبيلة (زنتو) والإقليم(دهيو)". كان رؤساء القرى يضطلعون بدور أساسي في هذا التنظيم، "فهم كانوا كبار أمراء الملك.، وكانوا يُنشّئون رعاياهم على الحرب".

وخضع تركيب المجتمع الفارسي إلى النظم الاقطاعية والطبقية لكي يأتي متوافقًا مع النظم الحربية للدولة. ويشير تنسر إلى تقسيم الهيكل الإجتماعي الذي كان سائدًا أيام الساسانين إلى أعضاء أربعة منهم الملك: العضو الأول هو

أهـل الـدين (آثـروان*Athravan* )، والعضـو الثـاني المقاتلـة (إرتشتاران *Rathaestar* )والعضو الثالـث الكتّـاب (دبـيران) والعضـو الرابع المهنة (الفلاحون (وستريوشان) والصناع (هو تخشان).

وظهرت في الدولة الساسانية تقسيمات إجتماعيـة أخـرى منهـا مـا أورده الجاحظ في كتابه "التاج" بقوله: "جعل أزدشير الناس عـلى أقسـام أربعة، وحصر كل طبقة على قِسْمَتِها: فالأول الأساورة من أبنـاء الملـوك، والقسم الثاني النسّاك وسـدنة بيـوت النـيران، والقسـم الثالـث الأطبـاء والكتاب والمنجّمون، والقسم الرابع الزرّاع والمهان وأضرابهم". ويقـول المسعودي أن أزدشير رتَّب ندماءه في طبقات "وكـان يـرى أن ذلـك مـن السياسة ومما يرمُّ عمود الرئاسة، فالأولى الأساورة وأبناء الملوك، وكانـت الطبقـة الثانيـة وجـوه المرازبـة وملـوك الكـور المقيمـين ببـاب أزدشـير والأصبهبذية ممن كانت له مملكـة الكـور في أيامـه، وأهـل الطبقـة الثالثـة المضحكون وأهل البطالة وأهل الهزل" ومهما كانت تسمية الطبقات التـي اعْتُمِدَتْ في فارس فإنّ هذا التنظيم أوحى بالطبيعـة الحربيـة التـي بُنِيَـتْ عليها دولة الفرس. فالملك الذي كان يقف على رأس هذه الطبقات، كـان عسكريًا بطبعه وتربيته، ويقول كريستنسن: "إن أكثـر ملـوك الساسـانيين شـغوفون بـالحرب واشـتركوا فعـلاً في أعمالهـا". إلاّ أنّ الـذي يثـير الإستغراب هذا التضارب في أولويات تصنيف الطبقات، فكتاب "تنسر" يجعل المقاتلة في الطبقة الثانية بعد أهل الدين، ويحصر تكوينهـا بالفرسـان والرجّالة برتبهم وموظفيهم كافة، أما الجاحظ فيجعل الأساورة من أبناء

الملوك في المقدمة.ومصطلح الأساورة يرد في كتاب كريستنسن في سياقين، الأوّل "أنّ ضباط

الجيش كانوا يسمّون الأساورة"، والثاني يُحَدِّدُه بسلاح الفرسان ويصفهم "بصفوة الجيش من الأساورة (الفرسان) المصفّحين". أما تنسر فيجعل في الطبقة الرابعة من تقسيمه الزرّاع والرعاة والتجار وأصحاب المهن، وهي طبقه ليست في وجهها الآخر سوى "مصدر الرجال للحرب"، الذين وصفهم كريستنسن بأنهم "طبقة سيئة التكوين ومؤلفة من جند غير أكفياء".

وفيما تبدو صورة المجتمع الحربي الفارسي ظاهرة في ترتيب طبقاته، يأخذ التقسيم الإداري لبلاد فارس طابعًا عسكريًا واضحًا باعتماده "نظام المرازبة الأربعة". وفي هذا الإطار حفظ لنا تنسر تنظيم الدفاع عن فارس بتطبيق "نظام الثغور" مستندًا إلى قول أزدشير: "لا يجوز أن يُطْلَق لقب المَلِك على أحد من غير أهل بيتنا عدا أصحاب الثغور، وهي آلان وناحية المغرب وخوارزم وكابل". ويطلق المسعودي على حكام الثغور لقب "أصبهبذ" و"جعل الأصبهبذين أربعة "الأول بخراسان والثاني في المغرب، والثالث ببلاد الجنوب، والرابع ببلاد الشمال، فهؤلاء هم أصحاب تدبير الملك، كل واحد منهم قد أُفْرِدَ بتدبير جزء من أجزاء المملكة، وكل واحد منهم صاحب ربع، ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الأربعة".

ويشير الطبري الى أن تنظيم الثغور الأربعة جرى زمن كسرى أنوشروان حين ألغى رتبة "إيران – سباهبذ" بقوله: "وكان يلي الأصبهبذة – وهي الرياسة على الجنود – قبل مُلْكِهِ رجل، وكان اليه اصبهبذة البلاد، ففرّق كسرى هذه الولاية والمرتبة بين أربعة إصبهبذين، منهم إصبهبذ المشرق وهو خراسان وما والاها، وإصبهبذ المغرب، وإصبهبذ نيمروز، وهي بلاد اليمن،

وإصبهبذ أذربيجان وما والاها، وهي بلاد الخزر وما والاها، لِما رأى في ذلك من النظام لِمُلْكِهِ".

وتحفظ كتب التاريخ، إلى جانب الاصبهبذين، وجود مرازبة يحكمون الأقاليم ويقيمون فيها. ويشير كريستنسن إلى "أن معظم المرازبة كان يغلب فيهم الطابع الحربي على الطابع المدني، وفي أثناء الحرب كان المرازبة يعملون قوادًا في الجيش تحت رياسة الأصبهبذين".

## ثانياً: تنظيم الجيش الفارسي:

نظم الأكاسرة جيوشهم لتكون متناسبة مع اتساع أمبراطوريتهم. كما حدَّد ملوك فارس عقيدة جيوشهم فجعلوا مهمتها الأساسية المحافظة على مُلْكِهم، فكانت أول خطوة لأزدشير حربه للانتقال من ملوك الطوائف إلى الدولة الموحَّدة التي أراد صورتها وفق قوله: "ردُّ المُلكِ إلى أهله وجَمْعُه لرئيس واحد وملك واحد". وتمثَّلت خطوة الساسانيين الثانية، بعد تحقيق وحدتهم، في انصرافهم إلى وضع استراتيجية لدولتهم مستمدة من تاريخهم، وحروبهم مع اليونان والروم.وأصبحت سياسة

الفرس منذ عهد أزدشير وخلفائه الأوائل متجهة إلى حماية الحـدود من الشرق والشمال والغرب والتي كانت عـلى مـا يبـدو مهـدَّدة بصـورة دائمة بحيث وجّهوا "عنايتهم كلها إلى غزو الروم وقتالهم، ولـن يسـتريح ملكهم ما لم ينتقم لدارا من الإسكندريين".

واهتم الفرس بتنظيم "جيش أمبراطوري قـوي"، وربطـوا وجـود دولـتهم بقوتـه وتماسـكه، فأغـدقوا المـال عـلى إعـداده متبعـين سياسـة انوشروان: "الملك بالجند والجند بالمـال". وفي هـذا الإطـار كـان جـيش فارس يشمل الصنوف كافة

المتعارف عليهـا في ذلـك العصرـ، فجعـل تنسرـ المقاتلـة قسـمين: "الفرسـان والرجّالـة وهـم يتفـاوتون بـأعمالهم ومـراتبهم". بيـنما يشـير المسـعودي إلى تنظـيم الجـيش الفـارسي في وصـفه لاسـتعراض أبرويـز لصفوف جيوشه بقوله "وقد صُفَّت لـه الجيـوش والعـدد والسـلاح فـيما صُفَّ له ألف فيل، وقد أَحْدَقَتْ به خمسون الف فارس دون الرجّالة".

### أ. فرقة الفرسان:

عرف الفرس الفروسية منذ القدم حتى أصـبحت رمـزًا للبطولـة، يفتخر تنسر بها في كتابه بقوله: "إن الله تبارك مُلْكُه جمع في الفرس فروسية الترك وفطنة الهنـد وصـناعة الـروم". ومـن الطبيعـي أن يكـون لسـلاح الفرسان مكانة عالية في المجتمـع الفـارسي حتـى أصـبح "لقـب فـارس (سوار) قيمة اجتماعية أعلى شأنًا"، ولا عجب بذلك فقد جاء في "مـروج الذهب" أنّ أزدشير جعل الطبقة الأولى من خاصَّته من "الأساورة وأبناء الملوك" كما لقّب الأساورة في كتبه بأنهم "حماة الحرب".

وتُشَكِّل فرقة الفرسان الدارعين نخبة الجيش الفارسي وعماده، بحيث كانت ترتبط نظرًا إلى أهميتها بالملك مباشرة وعليها يرتكز سلطانه ونظامه.

**ويصف أربري هذه الفرقة بأنها**: "طبقة الفرسان ذوي الأسلحة الثقيلة التي أصبحت من أهم الفرق الحربية، وكانت تتكوّن من النبلاء المتواضعين، وتعتمد على المَلِك مباشرة، وبذلك لا يمكن لأحد الحكام الثائرين في الولايات أن يستخدمها ضدّ مولاه".

ويُحَدِّثُنا كريستنسن عن وجود "فرقة ثانية من الفرسان المختارين تسمى "فرقة الخالدين، من عشرة آلاف رجل، و"الفدائيين" وهي فرقة أخرى من الفرسان "تمتاز بالجرأة وتتحدّى الموت". ولعلّنا نقول إن هذه الفرق كانت تشكل الوحدات الخاصة التي تقف قرب الملك وتنال ثقته.

وكانت الخيالة الثقيلة في الجيش الفارسي السلاح الحاسم في المعركة، ويشير ستروكوف في دراسته لموقعة ماراتون (٤٩٠ ق.م) إلى "أن تفوّق الفرس يكمن في خيّالتهم القوية التي كانت جاهزة لشن الضربات العنيفة على أجناب الترتيب القتالي اليوناني". ويصف كريستنسن بقوله: "كان الإيرانيون يلقون ضدّ الرومان بأفواج منظمة من الفرسان الدارعين في صفوف كثيفة، فكان بريق الدروع التي كانت تتبع اتجاه الجيش يعكس هيبة تبهر الأبصار". ومن هذا المنظور، حافظ ملوك الفرس على وحدات الخيالة وعزَّزوها وأهتموا بتجهيزها، فكان كسرى "يتفقد الأساورة فمن لم يكن له منهم يسار قوّاه بالدواب والعدّة وأجرى لهم ما يُقوِّيهم" ولقد

أشار الطبري إلى أنّ سلاح الفارس أيّام كسرى "كان يتكوَّن من تجافيف، ودرع، وجوشن، وساقين، وسيف، ورمح، وترس، وطبرزين، وعمود، وجعبة فيها قوسان بوتريهما وثلاثين نشابًا ووترين يعلقهما الفارس في مغفر له ظهريًا"

وكانت وحدات الفرسان محطّ اهتمام ملوك الفرس وعنايتهم. فقد أفادوا من خبرات أعدائهم الأغريق في تدريبها على حدّ قول ايريك موريز: "إن الفرس تعلّموا، وحوالى العام ٤٠٠ ق.م، أسس المدرسة الإغريقية.

وطوَّعوا من شعب السيت خيالة الاستطلاع". أمّا قيادة الفرسان فقد جعلها الأكاسرة "من المناصب العامة التي تورَّث بين أفراد الأسر السبع، ورياسة الفرسان كانت واحدة من ثلاث وظائف حربية وراثية". ويذكر الطبري أن الخيّالة الفارسية في معركة القادسية "كانت في الصفوف الأولى، يليها، "الفيلة، ثم المشاة".

**ب. فرقة الفيالة:**

تعتبر الفيَّالة فرقة أساسية في الجيوش الفارسية وتشكِّل عمادًا لنظامها العسكري، ويشير المسعودي إلى أنه كان "في مربط أبرويز ألف فيل. وقد صُفَّت له الجيوش والسلاح، وفيها صُفَّ له الف فيل". ويبدو أن الأكاسرة إستقدموا الفيلة من الهند التي كانت "تتخدها في بلادها، وليس فيها وحشية وإنما هي حربية"، وتمنُّوا كما جاء على لسان أبرويز "ليت أنّ الفيل لم يكن هنديًا وكان فارسيًا".

وتؤدي الفيَّالة في حقل المعركة دور الدروع في معركة اليوم، ونجد مركزها في خطة عمليات الفرس كما أوردها ستروكوف في وصف لموقعة كافكامل العام ٣٣١ ق.م بين الفرس ومقدونيا: "تمركزت العربات والفيالة أمام الجبهة"، بينما كانت تلي صفوف الفرسان في معركة القادسية، حيث "عبئ رستم في القلب ثمانية عشر فيلاً، عليها الصناديق والرجال، وفي المجنبتين ثمانية وسبعة، عليها الصناديق والرجال". وكانت مهمة هذه الأفيال خرق صفوف العدو والالتفاف على قلبه لتذعر سلاح الفرسان كما أَوْرَدَ الطبري: "وكانت حَمْلَة الفيلة على الميمنة والميسرة على الخيول، فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد".

### ج. الرجّالة [بايكان]:

كانت فرق الرجّالة أو المشاة تتألَّف من الوحدات التي يجمعها أصحاب الإقطاعات والذين "ألزموا رعاياهم دفع الضرائب وأداء الخدمة العسكرية تحت رياستهم.، وكانت هذه الفرق المكوَّنة من الحرّاثين، سيئة التكوين ومؤلَّفة من جند غير أكفياء". والواقع أنّ هذه الصفات جعلت المهمات الموكلة إلى هذه الفرقة في ساحات الحرب تتناسب مع قدرات عناصرها، فكانوا يسيرون في الصفوف التي تلي الفرسان والخيَّالة في مؤخرة الجيش يهدمون الأسوار، ويخدمون الفرسان، ويحرسون الفيّالة على حد قول المسعودي: "كانت ملوك الفرس توقي الفيلة المقاتلة بالرجَّالة حولها".

**د. فرقة الحرس الملكي:**

كانت هذ الفرقة تحيط الملك بهدف الدِّفاع عنه وحراسته، ويفيد كريستنسن "أنّ رئيسهم يتمتَّع بأوسع جاهٍ في البلاط، وفي أيام كسرى كانت وظيفة "الهزاربد" رئيس الألف رجل ثم أصبح رئيسًا للحرس الملكي". ويذكر ديورانت "أن هذه الفرقة كانت أم فرق الجيش وكانت مؤلفة من ألفين من الفوارس وألفين من المشاة كلهم من الأشراف".

**ه. فرقة المرتزقة:**

نُظِّمَت المرتزقة في الجيش الفارسي في فرق أُطْلِقَ عليها الفرق "الرديفة"، وكانت "تُجنَّد من جميع الأمم الخاضعة لسلطان الفرس، وكانت كل فرقة تتكلَّم بلغتها، وتقاتل بأسلحتها وتتبع أساليبها الحربية الخاصة".

ويشير كريستنسن إلى فرق رديفة "من السجستانيين، وفرق من الأمم الجبلية المختلفة في القوقاز".

وورد في **"تاريخ الحضارات العام" أنه**: "كان يردف الجيش الإيراني وحدات من المرتزقة سوادهم من الأرمن". وكان مما يلفت قيام ملوك ومرازبة الفرس بتجنيد المرتزقة اليونان نظرًا "إلى تفوق الجندي اليوناني التقني. وقد كوَّن بحارة شواطئ آسيا الصغرى الذين ينتمون إلى عنصر يوناني بالإشتراك مع البحارة الفينيقيين، رجال أسطول فارسي

حسبوا له حسابًا". ومن الفرق التي أردفت بجيوش الفرس كما يقول الطبري، كتيبتان جعلها ملك فارس مع ملك الحيرة بحكم تحالفهما "دوسر، وهي لتنوخ والشهباء وهي لفارس". ويشير الألوسي إلى أنَّ هناك ثلاث كتائب إضافية، "الرهائن والصنائع والوضائع"

## ثالثاً: المبادئ العسكرية التكتيكية والإدارية:

نظّم ملوك الفرس جيوشهم ووضعوا لها أسسًا إدارية وحربية فكانت محطَّ إعجاب وتقدير أعدائهم ملوك الروم وفق ما جاء في كتاب ملك الروم إلى سابور بن أزدشير: "أما بعد، فقد بلغني من سياستك لجندك وضبطك ما تحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبير ما، أحببت أن أسلك فيه طريقتك وأركب مناهجك".

### أ. الإعداد والتدريب العسكري:

إهتمت دولة الفرس باعداد "جيشها الامبراطوري" لتنفيذ سياستها الحربية من خلال تطبيق برنامج تربية عسكرية يشمل الفروسية والرمي، ويبدأ مع الأطفال منذ صغرهم.

ويشير أربري إلى مراحل هذه التنشئة بقوله : "إنَّ الأبناء من سنّ الخامسة إلى سن العشرين يتعلَّمون ثلاثة أشياء فقط" ركوب الخيل، والصيد بالقوس وقول الحق. أما القتال في المعركة فكان يُعدّ أسمى صفات الرجل وكان يليه في الأهمية بناء أُسْرَة كبيرة من الأبناء، ثم يأتي بعد ذلك مَثَلُهُم الأعلى وهو تكوين الجندي الباسل".

الواقع أنّ مستويات التدريب في الجيش تتصل بتنوع الطبقات الإجتماعية التي يتكوَّن منها المجتمع الفارسي، فبينما نجد تكوين الجندي يعتمد على تقاليد وعادات الأُسر التي كانت تساهم في تكوين "الأمة المسلحة"، كان النبلاء الشبان "يُلَقَّنون فن الحرب قبل كل شيء"، ويخضعون لبرامج يشرف عليها مؤدِّب الأساورة" الذي "كان يعمل على تعليم أبناء المحاربين في المدن والرساتيق حمل السلاح وآدابه". ويحفظ لنا الطبري مراحل تربية "بهرام بن يزدجرد" لدى الملك العربي المنذر الذي "أتاه برهط من فقهاء الفرس ومعلِّمي الرمي والفروسية ليأخذ عنهم كل ما ينبغي التدرب به".

**ويشير كريستنسن إلى**: "وجود أندية السباق خارج المدن حيث كان المدرّبون يعنون بالخيل وحيث يجري سباق الخيل وتمرينات الرماية بالسهم". ولقد بلغت مهارة الفرسان وقدراتهم الفنيَّة والتقنية في الرماية مستوى رفيعًا

جعلت أربري يصفهم في حربهم مع الرومان **بقوله**: "كانوا يرسلون عليهم سهامهم المميتة عن بعد، أمّا عن مهارتهم في رمي السهم إلى الوراء من فوق ظهر الجياد وهي تعدو بعيدًا عن العدو، فقد أكسبتنا هذه العبارة –رمية بارتية–"

## ب. الجاسوسية:

### ١. العيون:

اتخذ ملوك فارس في حربهم وسلمهم، في داخل مملكتهم وعلى حدودها، عيونًا لهم لتنسم الأخبار، وجمع المعلومات لما في ذلك "من

منفعة لخاصة أنفسهم وعامة رعيتهم". ولقد أسدى أحد الحكماء نصيحة لأنوشروان، إعتُبِرت من "السياسات الملوكية"، تضمَّنت :"إذكاء العيون في الثغور ليَعْلَمَ ما يَتَخَوَّف منه، فيأخذ له أُهْبَتَهُ قبل هجومه".

٢. الأسرى:

أفاد الفرس، في حروبهم واقتصادهم وعمرانهم من بعض الأسرى الذين قاموا ببناء المدن كمدينة اصطخر، وإنشاء السدود واستصلاح الأراضي في العراق وزرعها بمزروعات جديدة. ونظّم ملوك الفرس أسراهم في وحدات عسكرية أطلقوا عليها اسم "وحدات المرتزقة"، واستخدموها في حروبهم. كما أفاد الفرس من معلومات أسراهم عن بلادهم الأم وبخاصة فنونهم العسكرية إلى درجة "أن الفروق الأولى بين الفن الحربي عند الإيرانيين وعند الروم البيزنطيين قد زالت قليلاً قليلاً حتى صارت النظريات الحربية عند الأمتين واحدة تقريبًا".

٣. الجواسيس:

إتخذ الفرس الجواسيس كعناصر قتالية لكشف خطط العدوّ ونواياه ومعرفة جواسيسه وعيونه، كما كلّفوا معرفة معارضي الدولة في الداخل وكشف مناوئيها.

**ويصف تنسر نظام التجسس الذي نظَّمه الفرس الساسانيون بقوله:** "إنّ الملك قد نَصَّبَ على أهل المملكة الجواسيس والمُنهين، وإنّ الناس منهم في رعب وحيرة. فاعْلَمْ أنّه لا خوف على الأبرياء والمخلصين من هذا، فإنّ عيون الملك والمنهين إليه لا يُعَيَّنون إلاّ إذا كانوا من الصالحين

الأتقياء الأمناء العلماء المتديّنين الزاهدين، ليَصْدُرَ ما يعرضون على الملك عن ثبت ويقين". ويبـدو أن نظـام الجاسوسـية كـان ثقـيلاً ومخيفًـا فجاءت تطمينـات الدولـة بـأن المكلفـين هـذه المهمـة مـن ذوي الأمانـة والضمير الحيّ، يكتبون عن الناس بالحق، وقد عبّر عن ذلك تنسر بقولـه: "يجب أن يَتَنَبَّه الملك فلا يستمع لمن لا يعتمد عليه ولا يوثق به".

واهتم ملـوك الفـرس بجمـع المعلومـات عـن إداراتهـم وشرائـح شعبهم في مختلف أنحاء فارس، "فكانت الحكومة المركزية ترسل المراقبين يراقبون الإدارات المحلية، وقد دعي هؤلاء عيون الملك وآذانه.

فكان المراقبون ينظمون التقـارير عـن مشـاهداتهم، ويرفعونهـا إلى الإدارة المركزية لدراستها. وطال نشاط جواسيس الفرس بلاد الروم فقد استفاد الأكاسرة من نصارى إيران ونجحوا في إطلاق بعضهم إلى داخـل بلاد الروم وجمع المعلومات عنها، وينقل كريستنسن: "إن عيشوييه، الذي عيّن جاثليقًا

برضى الملك، كان مُقَرَّبًا جدًا عنده وكان يؤدي إليه خـدمات طيبـة إذ يوقفه على حركات البيزنطيين".

وبالمقابل يبدو أن الروم إستفادوا كثيرًا من النصـارى المنتشرـين في فارس إلى حد جعل هرمز ملك الفرس يقول: "لا قِوام لملكنـا ولا ثبـات له، مع استفسادنا من بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا".

**ج. الإستطلاع:**

قام الفرس بعمليات الإستطلاع والإستعلام، وأرسلوا السرايا الإستطلاعية، ليس بهدف القتال فحسب، وإنما بهدف جمع أخبار العدو ومعرفة ما عزم عليه. وكانت مهمة الإستطلاع توكل إلى مقدمة الجيش وطلائعه، وفي هذا السياق يشير الطبري في روايته لمعركة القادسية الى أن رستم قائد الفرس "أمر الجالنوس قائد مقدمته بالتقدم الى الحيرة، وأمره أن يصيب له رجلاً من العرب. فخرج هو والآزاذمرد سرية في مئة حتى انتهيا الى القادسية، فأصابا رجلاً.. فأختطفاه.

وكان القائد الفارسي يقوم بمهمة الإستطلاع بنفسه في أحيان كثيرة، ويذكر الطبري أن سابور في لقائه بجيش الروم بقيادة لليانوس قرر إستطلاع مقدمة لليانوس بنفسه بعد "أن اختلفت أقاويل العيون في ما أتوه من الأخبار عن لليانوس وجنده، فتنكّر سابور وسار مع ناس من ثقاته ليعاين عسكرهم فوجّه رهطًا ممن كان معه ليتحسسوا الأخبار ويأتوه بها على حقيقتها".

**د. نظام الدفاع عند الفرس:**

### ٥. نظام الثغور:

قسّم الفرس بلادهم إداريًا وفق مباديء تخدم نظامهم الحربي. وفي هذا الإطار يشير المسعودي إلى توزيع مسؤولية الإدارة "وتدبير الملك" بين أربعة أصبهبذين "الأول بخراسان والثاني بالغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشمال".

ومما لا شك فيه أنّ الطابع الجغرافي لتقسيمات المسعودي أوجد في كتاب تنسر ما يفسّره من الناحية العسكرية حين يذكر صراحة أهمية الثغور التي تعيش إشتباكات دائمة مع الأعداء ويحدِّدها "ألان وناحية المغرب وخوارزم وكابل". **كما يشير إلى رفعة مكانة أصحابها ومكافأتهم بمنحهم لقب ملك.**

### ١- نظام النقاط الحصينة:

إهتم الفرس بإقامة الحصون، وبناء القلاع، وترتيب المقاتلة في الثغور، وفق خطة مدروسة تؤمن لهم الدفاع عن الحدود ورد العدوّ في حال اجتياحه البلاد. وتشير المصادر التاريخية إلى أن شبكة من القلاع والحصون كانت تلفّ حدود فارس، "وكان كل واحد بينه وبلد العدو درب وعقبة".

ومن الحصون القوية، تحصينات "دربند أَجَلّ موانيء بحر قزوين". ويصف قدامة، سور دربند وأهميته العسكرية بقوله :"واقام أنوشروان لبناء الحائط فبناه وجعله من قبل البحر إلى أن ألْحَقَهُ بالجبال. فلما فرغ من بنائه علّق على المدخل أبواب حديد ووكّل بها مئة فارس يحرسون الموضع بعد أن كان محتاجًا إلى خمسين الفًا من الجند وجعل عليه دبابة".

ويشير قدامة إلى حصن قزوين ويسمى بالفارسية كشـوين. و"بينـه والديلم جبل ولم تزل فيه للفـرس مقاتلـة مـن الأسـوارية يرابطـون فيـه ويدفعون الديلم

وأقام الفرس حصونًا في البحرين، ويذكر الطبري في هـذا السـياق "المشقَّر وهو حصن حياله حصن يقال له الصّفا، وكان الذي بنـي المشـقر رجلاً من أساورة كسرى"

وكان ملوك الفرس يشـحنون هـذه الحصـون بالمقاتلـة، فانتشرـت الحاميات العسكرية في هذه النقاط الحصينة من الحدود. ويبـدو أنَّ نظـام خدمتهم كان قاسيًا لارتباطه بحالة الحرب والتوترات الدائمة مع الـدول المجاورة لفارس ما أبعدهم عن عائلاتهم مـدة طويلـة، وهـذا مـا خلـق حركات تململ واضطراب في صفوفهم أضرَّت بالجيش وتماسكه، وعـبّر عن هذه الحالة الملـك أبرويـز في رسـالته القاسـية إلى أبيـه كسرـى التـي تضمَّنت مضبطة اتهام له شملت إساءته في تدبيره الملـك ومنهـا "تجمـيره مـن جُمِّـر في ثغـور الـروم وغـيرهم مـن الجنـود، وتفريقـه بيـنهم وبـين عائلاتهم".

٢- نظام الدولة الجاهزة:

يتَّفق المؤرخون العرب على قيام إمـارة عربيـة، في الحـيرة وراء نهـر الفرات، تبعت نهائيًا للدولـة الساسـانية بعـد فـترة عـداء عنيـف لقبائـل العرب في عهد ملك الفرس "سابور ذي الأكتاف" الـذي "أفشـى فـيهم القتل وسفك فيهم من الدماء سفكًا". وانتهز العرب فرصة للإنتقام منه،

بمساندة ملك الروم عليه، "فاجتمع في عسكر لليانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل"

ويبدو أنَّ قوة العرب العسكرية كانت حاجة لدولة الفرس وعنصرًا أساسيًا في تنظيم خططهم الدفاعية، فرأى ملوكهم استثمارها لمصلحتهم بحيث تصبح "حصن الملك حيال العرب الرحّل". وقد أسدت هذه الإمارة خدمات عسكرية للفرس في حروبهم مع الروم، فكانت كتائبها "الدوسر" و"الشهباء" و"الوضائع" و"الصنائع" "والرهائن" تعمل ضمن سياسة الفرس الحربية، وإستغل أمير الحيرة هذه السياسة "فكان يغزو بها بلاد الشام ومن لم يَدِنْ له من العرب". ولعل ما يشير إلى أهمية هذه الإمارة العسكرية في سياسة الفرس الحربية، أن الأكاسرة حافظوا لأمراء الحيرة على لقب ملك أسوة بأصحاب الثغور وحكام ولايات أطراف الدولة وفق ما جاء في كتاب تنسر: "وكل من يجيء إلينا مقدمًا فروض الطاعة لن نخلع عنه لقب ملك ما دام يمضي مستقيمًا على طريق الخضوع".

### و. نظام حصار الحصون:

عرف الفرس فن حصار الحصون وفتحها، وينقل ابن قتيبة عن كتابهم المعروف "بالآيين"، أن أول مبادئ الحصار كان القيام بعمل استخباراتي مرفقًا بحرب نفسية "لاستمالة من يقدر على استمالته من أهل الحصن ليظفر منهم بخصلتين إحداهما استنباط أسرارهم والأخرى

إخافتهم وإفزاعهم بهم، وأنْ يدُسَّ بينهم من يُصغِّر شأنهم ويُويَئِّسهم من المدد". واستخدم الأكاسرة في عملية الحصار جميع صنوف المقاتلين ووسائل الحصار، وينقل كريستنسن وصفًا حيًا لحصار آمد وسقوطها بيد الفرس فيقول: حوصرت المدينة بخمسة

صفوف من الجند الدارعين،.وانتشر الفرسان ذوو الدروع وكان مع هؤلاء صفوف من الفيلة". واستخدم الفرس وسائل هندسية خاصة للحصار منها "سلالم لتسلُّق الأسوار ومواضع ينصب المنجنيق عليها ومواضع تُهيَّأ العرّادات لها ومواضع تُنقبُ نقبًا"

### j. إدارة المعركة:

#### ١. الحشد:

طبَّق الفرس مبدأ الحشد في حروبهم بحيث كانت الوسائل والقوى متناسبة مع أهداف القتال. ويذكر الطبري في مواضع مختلفة من تاريخه أرقامًا لأعداد جيوش الفرس التي أُعِدَّت لهذه الحروب، يَشُكُّ الباحث بصحتها بسبب المبالغة بها، منها قوله: "إنّ الملك ازدشير بهمن "غزا الرومية في ألف ألف مقاتل". بينما يذكر أعداد جيش الفرس بقيادة رستم الذي واجه العرب في القادسية: "إن أهل فارس كانوا عشرين ومائة ألف، معهم ثلاثون فيلاً".

وعرف الفرس أيضاً "النفير العام" في مملكتهم، ولعل هذا النفير كان يطلق عندما كانت تتعرَّض مملكتهم لأخطار دول الجوار مثل الترك والروم والعرب. وكان يشمل الاستنفار قوى فارس وولايات الأطراف.

ويذكر الطبري أن سابور "ذا الاكتاف" لما استشعر خطـورة الـروم باحتلالهم طيسبون "كتب إلى من في الآفاق من جنوده يعلمهم الذي لقي من لليانوس ومن معه من العرب، ويأمر من كـان فـيهم مـن القـواد، أن يُقْدِمُوا عليه في من قبلهم من جنوده، فلم يلبث أن إجتمعت إليه الجنـود من كل أُفُق".

٢. نظام الخميس والكراديس:

اعتمد الفرس في حروبهم نظـام الخمـيس والكـراديس، فقـد ذكـر الطبري أنّ قائدهم رستم رتّب جيشـه يـوم القادسـية "مقدمـة وطلائـع ومجنبتين ومجردة ورجالة". وكانت أقسام هذا الجيش تتألف من كـراديس وصف مشهدها الطبري بقوله: "وتكتّبت الكتائب من هؤلاء وهـؤلاء"، أقسام هذا الجيش ونظم كل كردوس في صفوف متنوعة فوقفت الخيالة في الصفوف الأولى يليها الفيلة ثم المشاة.

٣. تكتيك الصدم:

إستخدم الفرس تكتيك الصدم قديمًا في القرن السادس قبل الميلاد، ويذكر ايريل اموريز ذلك بقوله: "حاول الفـرس إنشـاء تكتيـك حقيقـي للصدمة بأن وضعوا في صفوف القتال عربات مسلحة بالمناجل الطويلـة، كما إستخدموا الهجَّانة المسلحة" لخرق صفوف العدو وترهيب خيولهم.

وشكَّل سلاح الفيالـة في مـا بعـد دروع جـيش فـارس في مختلـف أقسامه. وكان هذا السلاح حاسمًا في المعركة وقادرًا على إحـداث عنصـر الصدم الذي وصفه الطبري في عرضه لمعركة القادسية بقوله: "لما تكتّبت

الكتائب بعد الطراد، حمل أصحاب الفيلة عليهم، ففرّقت بين الكتائب، فابذعرّت الخيل".

### ٤. مقر القيادة:

كان قائد الجيش ملكًا أو من يكلّفه بالقيادة، يجلس على سرير يوضع في قلب الجيش في مكان مناسب، وقد أشار ابن قتيبة إلى ذلك بقوله: "وأن يرتاد

للقلب مكانًا مشرفًا ويلتمس وضعه فيه". ويضيف كريستنسن أنه: "كان يلتفّ حول هذا العرش فرقة من الجند كان عليها أن تدافع عنه حتى الموت".

### ٥. الكمين:

إعتمد الفرس في القتال نظام الكمائن، ويذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار أنه قرأ في "الآيين" وهو كتاب من كتب الفرس، مبادئ الكمين الناجح ويلخصها بما يأتي: "أن ينتخب للكمين من الجند أهل جرأة. وليس بهم أنين ولا سعال، ويختار لهم من الدواب مالا يصهل... ويختار لكمونهم مواضع لا تغشى. وأن يكون إيقاعهم كضريم الحريق..."

### ٦. البيات:

هو عمل يهدف إلى الإيقاع بالعدو ليلاً، ويشرح إبن قتيبة ما دوَّنَهُ الفرس في كتاب الأيين تفاصيل عملية البيات فيقول: "ينبغي للمبيتين أن يفترصوا البيات إذا هبَّت ريح. فأنه أجدر ألاّ يُسْمَع لهم حس. وأن يتوخى بالوقعة نصف الليل. وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو وحوله. وليُعْلَم إنما يحتاج في البيات إلى تحيير العدو وإخافته..".

ويشير الطبري إلى عملية بيات ناجحة نفذها بهرام ملك الفـرس في بلاد الترك لقتل خاقان بقوله: "فسار إلى خاق بهرام في العدة الذين كـانوا معه، فبيَّتهُ وقتل خاقان بيده".

### ٧. الأعمال الهندسية:

عرف الفـرس عمليـات الـدعم الهنـدسي في حـروبهم، وتنوَّعـت أشكالها في عمليات الـدفاع والهجـوم كافـة. ومـن أنـواع هـذا الـدعم، عمليات التجسير التي نُفِّذَت لتسهيل عبـور الموانـع المائيـة عـلى جسـور عائمة على قوارب وفق ما نقل كريستنسن بأن "الجيش الإيراني كان يعـبر الزّاب على جسـر من القوارب". ويذكر الطـبري أن كسرى أنـوشروان "أمر بإعادة كل جسـر قُطِع أو قنطرة كُسِرَت"، في إشـارة إلى أنّ الجسـور كانت خشبية وحجرية.

**ويصف الطبري عملية تجسير ميدانية نُفِّذَت في اثنـاء عمليـات القتال يوم القادسية بقوله** : "أراد رستم العبور، أمر بسَكْر العتيق بحيال فارس... فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكِّرون العتيق بـالتراب والقصـب والبراذع حتى جعلوه طريقًا".

ومن الأعمال الهندسية المعروفـة لـدى فـارس "الخنـادق"، ويشـير الطبري إلى ذلك ما قاله في وصـفه لوقعـة جلـولاء عـن تخنـدق الفـرس :"فإحتفروا الخندق.خندقوا وتحصنوا في خنـدقهم". واسـتخدم الفـرس طريقة جديدة لحمايتهم "باستخدام قنافذ حديدية مربعـة الـرؤوس تلقـى على الأرض لتجرح حوافر الجياد".

والواقع أنّ الفرس اتقنوا استخدام هـذه "القنافـذ"، وزرعوهـا في حقول منظَّمة، "وأحاطوا بخنـدقهم الحسـك مـن الخشـب إلاّ طُـرُقِهم. ورموا حوله حسك الحديد لكي لا يقدم عليهم الخيلواستعمل الأكـاسرة الموانع الطبيعية لعرقلة تقدم العدو ووقف مسـيره فقـد كـانوا "يفتحـون السدود في الأراضي التي يخصبها الـري، فيغـرق الـوادي ويوقـف تقـدّم العدو".

ويبدو أنه كان في جيوش الفرس وحدات متخصِّصة لتقـديم هـذا الإسناد الهندسي، إستعملها الأكاسرة في بناء الحصون والقلاع والجسـور. ويذكر الطبري وحدة الفعلة التي كلَّفها كسرى بناء حصن المشـقَّر بقيـادة أحد أساورته حين نصحه: إنّ هؤلاء الفعلة لا يقيمون بهـذا الموضـوع إلاّ أن تكون معهم نساء فإن فَعَلْتَ ذلك تمّ بناؤك".

## رابعاً: التعبئة النفسية والتوجيه المعنوي:

تعتبر التعبئة النفسـية والتوجيـه المعنـوي أهـم عوامـل النصـــر في الحرب. ومن هذا المنطلق عمل أزدشير على إقامة نظام حـربي يجعـل مـن المحاربين طبقة مقرّبـة منـه، وأقـدم عـلى تحـريض الأمـة بشـحنة انفعـال "لإحياء الإمبراطورية الشرـقية التـي قضىـ عليهـا الإسـكندر"، وحمايـة حدودها في الشمال والغرب والشرق.

والواقع أنّ ملوك فارس، كما يقول تنسـر، "ميّـزوا رجـال الجـيش لأن وظيفتهم القتال، وجعلوهم أعـلى درجـة مـن بـاقي الجماعـات، كـما ألزموا المهنة أن يؤدوا لرجاله التحية وأن يسجدوا لهم". واتخذ الأكـاسرة تدبيرًا إستثنائيًا في إدارتهم قضى بخلع لقب "ملك" على أصحاب

المقاطعات التي كانت في موقع اشتباك دائم مع العدو لتمييزهم عن باقي المرازبة، ومكافأة لهم لدفاعهم عن دولتهم، كما هي حال أصحاب الثغور الأربعة وملوك الحيرة وفق ما جاء في كتاب تنسر: "لا يجوز أن يطلق لقب الملك على أحد من غير أهل بيتنا عدا أصحاب الثغور".

وكان كبار القادة في الجيش أحد ركائز تكوين السلطة السياسية في فارس، فقد أعطى القانون حق انتخاب الملك لرؤساء رجال الدين والجيش والكُتّاب. وكان يجري الإنتخاب "بأن الملك كان يكتب ثلاث نسخ بخطِّه ويُسلِّم كل واحدة منها إلى رجل أمين يعتمد عليه، يعطي الأولى إلى رئيس الموابذة والثانية لرئيس الكُتّاب والثالثة إلى كبير الأصبهبذين".

ويبدو أنَّ الاكاسرة كانوا واثقين من جيشهم، وبخاصة سلاح الفرسان والأساورة الذين تلقُّوا تربيتهم العسكرية منذ الصغر، ويبلغ مدى الثقة بقوتهم وولائهم وكفاءتهم وإرتفاع معنوياتهم حين يَعْدُل كسرى "قائدًا من أساورته، يقال له وهرز، بألف أسوار"، أو حين يدوِّن تنسر "بأن ألف رجل منا يغلبون عشرين ألفًا من الأعداء أيًا كانوا".

وكانت معنويات الجيش المرتفعة ترتبط بالنظم والشرائع الفارسية التي سُنّت لتتناسب مع سياسة الدولة الحربية، فنجد أن القانون "يبيح تعدُّد الزوجات ذلك أن المجتمعات الحربية في حاجة ماسة إلى كثرة الأبناء، فالذكور منهم ذوو فائدة اقتصادية لآبائهم وحربية لملوكهم".

والواقع أنّ هذه السياسة الإجتماعية ساهمت في تكوين المجتمع الحربي في فارس، فهي تبدأ بتنظيم قواعد الإنجاب وتعليم أولاد الطبقات غير الموسرة على ركوب الخيل والرمي بالقوس، ثم إتمام التدريب في المدارس العليا على "الجري مسافات طويلة، وركوب الخيل الجامحة، وتَحَمُّل جميع تقلبات الجو القاسية، والعيش على الطعام الخشن، السباحة، وعبور الأنهار من دون أن تبتل ملابسهم ودروعهم".

ومن هذا المنطلق تمت تنشئة مجتمع فارسي يعتز بنفسه، ويتعلَّق بوطنه بقيم وفضائل ومناقبية سجَّلها ديورانت مقارَنَةً مع اليونان: "أنّ من العسير علينا أن نجد في تاريخهم فارسيًا قد استؤجر ليحارب الفرس، على حين أنّ أيّ إنسان كان يسعه أن يستأجر اليوناني ليحاربوا اليونان".

## خامساً: معاملة الأسرى:

تضاربت الأخبار حول القواعد التي اتبعها ملوك الفرس وقادتهم تجاه الأسرى الذين وقعوا بين أيديهم في حروبهم مع الأعداء، فكانت تعتمد أحيانًا النظرة الإنسانية ومروءة الفروسية، وتبلغ أحيانًا أخرى حدود القسوة والعنف والقتل والإبادة.

وفي هذا السياق يحرص تنسر على إعطائنا الصورة الراقية والانسانية لسلوك ملوك الفرس في حروبهم فيقول: "لم يُنْسَبْ قط لملوكنا القتل والغارة والغدر وسوء الخلق، والكفر بالدّين، فإذا خالف هذا ملكان أو قاما لحماية الدّين، فقطعا دابر أصحاب الفساد بالغارة والقتل، فإنهما لم يجيزا استعباد السبايا ولم يتخذاهم أرقاء بل عمّرا بهم المدن".

لقد أفاد الفرس من الأسرى كطاقة منتجة في الدولة بتوظيف خبراتهم الهندسية في البناء، ويشير الطبري إلى أنّ "خماني" إمرأة دارا "حين أغزت بلاد الروم سبي لها منها بشر كثير وحملوا إلى بلادها، فأمرت من فيهم من بنّائي الروم، فبنوا لها في كل موضع من حيز مدينة اصطخر بنيانًا على بناء الروم منيفًا معجبًا. "

أشار الطبري أيضًا إلى أنّ سابور "حاصر ملكًا كان بالروم، يقال له اليانوس بمدينة انطاكية، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه وأسكنهم جندي سابور. وذكر أنه أخذ اليانوس ببناء شاذروان تستر، على أن يجعل عرضه ألف ذراع، فبناه الرومي بقومٍ أَشْخَصَهُم إليه من الروم".

وأفاد الفرس من أسرى الحرب في استصلاح الأراضي وزرع البور منها أو الأراضي التي أَخْرَبَها الأعداء، ويشير الطبري إلى أن سابور "أسر قيصرًا من الروم وأبقى عليه من أفْلت من رجاله، فغرس قيصر بالعراق الزيتون بدلاً مما عقره من نخل العراق ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك".

**ويضيف الطبري**: "أنه أخذ قيصر بنقل التراب من أرض الروم إلى المدائن وجندي سابور حتى يرم به ما هدم منها."

اعتمدت دولة الفرس سياسة جديدة في التعاطي مع الأسرى نظرًا إلى ازدياد عددهم وحاجة الدولة إلى كفاءاتهم في المجالات الزراعية والصناعية والحربية. وفي هذا الإطار أنشأ الأكاسرة قرى و"مستعمرات" تُنْقَل إليها الأمم وأهل البلاد المهزومة ويتم تنظيمها في وحدات عسكرية

يستعملها الفرس في حروبهم. ويشير المسعودي الى أن سابور "غزا بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم، فنقل خلقًا من أهلها وأسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرها من كور الأهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار، فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري من أنواع الحرير يعمل بتستر والخز بالسوس.".

**يضيف الطبري**: "أن كسرى أعظم القتل في أمة يقال لها البارز وأجلى بقيتهم عن بلادهم، وأسكنهم مواضع من بلاد مملكته، وأذعنوا له بالعبودية

وإستعان بهم في حروبه.وأمر فأُسِرَتْ أمة أخرى يقال لها صول.وأمر بهم فَقُتِلوا، ما خلا ثمانين رجلاً من كماتهم وإستحياهم وأمر بإنزالهم شهرام فيروز يستعين بهم في حروبه. وإن أمة يقال لها إبخز، وأمة يقال لها بنجر، وأمة يقال لها بلنجر، وأمة يقال لها الآن تمالئوا على غزو بلاده، وجّه إليهم جنودًا فقاتلوهم وأصطلموهم ما خلا عشرة آلاف منهم أُسِروا، فأُسْكِنوا أذربيجان وما والاها."

## سادساً: المراسم العسكرية:

اتبعت فارس، كما هو الحال في الجيوش، نظمًا للمراسم العسكرية، ووضعت قواعد لتكريم الملوك ومكافأة القادة الأبطال ومعاقبة المنهزمين منهم. وقد خُلِّدَت هذه الإحتفالات في النقوش التي عثر عليها وأهمّها "النقوش الساسانية في كردستان شمال قصر شيرين (نقش بايكولي) ومجموعة من الكتابات القصيرة في دربند".

وتحفظ المصادر التاريخية أخبار موكب الملك في أثناء تَحَرُّكِه من قصره بمهابة وجلال وقوة، وفي هذا الإطار يصف الجاحظ عُدَّة الملك في خروجه لسفر أو نزهة بقوله: "من حق الملك، إذا خرج لسفر أو نزهة أن لا يفارقه قيود للعصاة، وسلاح لأعداء وحماة يكونون من ورائه وبين يديه".

**ويتوسَّع كريستنسن في وصفه لموكب الملك البرتي بقوله:** "إذا سار إلى الريف تبعه ألف جمل تحمل أمتعته، ومائتا عربة تحمل سراريه، ألف فارس عليهم الدروع وعدد عظيم من الجند بسلاحهم، إنه يبدو على رأس فرقته يوم المعركة حسن الوجه مديد القامة، وكان الملك إذا ذهب إلى الصيد أحاط به

جماعة كبيرة من حملة الحراب ومن الحرس". ويصف الطبري أيضًا في موضع آخر مشهدًا للمراسم التي تقدم للملك في إستعراضه لحرسه **بقوله:** "وكان من السُنّة إذا ركب الملك، أن يقف له حرسه سماطين، عليهم الدروع والبيض والترسة والسيوف وبأيديهم الرماح، فإذا حاذى بهم وضع كل منهم ترسه على قربوس سرجه، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود".

وكانت عروض الجيش العسكرية تقام بمناسبات عديدة ومنها الأعياد، ويشير المسعودي إلى عرض أقيم لأبرويز في بعض الأعياد "وقد صُفَّت له الجيوش والعدد والسلاح، فيما صُفّ له ألف فيل، وقد أحدق به خمسون ألف فارس دون الرجّالة، فلما أبصرت به الفيلة سجدت له فما

رفعت رؤوسها وبسطها لخراطيمها حتى جُذِبَت بالمحاجن". وفي هذا السياق يستنتج الباحث ضخامة هذا العرض وأهميته حيث بلغت الأعداد خمسين ألف فارس عدا الرجالة، بينما صف ألف فيل، كما يلفت حسن التنظيم والتدريب حين نجد الفرسان تحدق بالملك والفيلة تسجد له.

وكان ملوك الفرس يستعرضون جيوشهم قبل مسيرهم للحرب لإثارة الحمية والتحريض للقتال، ويشير الطبري إلى أنّ اسفنديار إبن ملك الفرس بشتاسب "تولّى عرض الجند وتمييزهم. ثم سار بهم نحو عساكر الترك".

ومن الأهمية بمكان الإشارة الى استعراض الأكاسرة للوحدات المميزة التي يتكل عليها في المهمات الصعبة، ويشير كريستنسن: "أنه كان للفرسان الأرمن الذين يحاربون تحت الراية الإيرانية موضع رعاية خاصة. وكانوا حين يدخلون المدائن. يستعرض الملك فرقهم."

## سابعاً: المكافآت والعقوبات:

اعتمدت فارس في إدارة جيوشها نظمًا عسكرية تكافئ المجلّي الذي يساهم في صنع أمجاد الدولة، وتكرّم الرجال الكبار وترفع مراتبهم، كما تُعاقِب المسيء وتُخْفِضُ درجاته. ويشير الجاحظ في "كتاب التاج" إلى نظام منح المكافآت للذين يقدِّمون لفارس بطولات وأعمالاً جليلة، ومن مظاهر ذلك تشريفهم بخلع ملكية فاخرة لأن "من أخلاق الملك أن

يخلع على من أدخل عليه سرورًا في توكيد مُلْكِه،ومن العدل أن يكون معها جائزة وصلة وترتيب، أو ولاية أو إقطاع أو إجراء أرزاق أو فكّ أسير. ". ووفق هذا النّظام "تَسَلَّم القائد الأرمني مانويل من الملك سابور الثاني تشريفًا خاصًا خلعة ملكية وفراء من السنور.."

وكان من علامات تمييز القادة منحهم الألقاب وترفيع رتبهم مكافأةً لأعمالهم الباهرة. ويشير الطبري إلى مكانة "مهرنرسي" لدى الملك حين أغزاه بلاد الروم بمهمة "لم يكن يقوم بمثلها إلاّ مهرنرسي الذي كان معظّمًا عند جميع ملوك فارس. وكان لمهرنرسي ولد أسمه كارد صاحب الجيش الأعظم، واسم مرتبته بالفراسية (أسطران سلار) وهي مرتبة فوق الأصبهبذ".

وكان ملوك الفرس يمنحون مكافآت للفرق المحاربة بعد الظفر تقديرًا لتضحياتها وتشجيعًا لها. ويُروى أنّ أبرويز كافأ فرقة رومية تابعة "لموريق ملك الروم" بعثها لنصرته "بأن فَرَّقَ في جنود الروم عشرين ألف ألف وصرفهم إلى موريق".

وكان من مزايا التكريم زيارة ملوك الفرس رجالهم وتشريفهم، واعتبر الجاحظ هدف الزيارة من أخلاق الملوك "لمن خُصّ بالتكرمة منهم وآثروه المنزلة ورفع المرتبة، فَقَلَّ ملك سأله وزيره أو صاحب جيشه أو أحد عظمائه زيارته إلاّ أجابه إلى ذلك، لا سيما إذا علم أن غرضه في ذلك الزيادة في المرتبة والتنويه بالذكر. وأما زيارة التعظيم فإنها لا تقع بسؤال ولا بإرادة المزور، وهي أفضل درجات الأشراف".

ولكن زيارات الملوك لرجالهم لم تكن فحسب من باب التشريف والتعظيم والتكرمة، فقد كانت ترتدي صورة تفقُّد أنحاء فارس وفرق الجيوش والأساورة "فمن لم يكن له من يسار قوّاه بالدواب والعدّة، وأجرى لهم ما يقوِّيهم". وكانت ترافق هذه الزيارات إجراءات تعظيم وتكريم للملك ولمن يزورون، فكانت "توغر ضياعه وتوسم خيله.ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومئة راجل، فإن رَكِبَ كانت الرجالة مشاة أمامه والرُكْبَان خلفه".

وكانت الإحتفالات العامة بمناسبة انتصار الجيوش قيمة معنوية يستحقها الملك وخاصته ومكافأة لفرق الجيش وقادتها. فإذا ما أتى الملك خبرًا بالنصر والظفر، "أمر أن يُتَّخَذ له طعام وأمر الخاصة والعامة بالحضور، وقامت الخطباء أولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له. ثم قام الموبذ فتكلَّم، ثم الوزراء، ثم مدَّ الناس أيديهم إلى الأطعمة ."

وتبلغ نشوة انتصار الجيوش وعظمة مناسبتها، أن يُخَلِّد ملوك الفرس صور حروبهم وثمرة ظفرهم في لوحات تمثل حفلة استسلام القادة الرومان في استعراض استوحى كريستنسن تفاصيله "من نقش بغرب مدينة سابور يمثل انتصار ملك إيران، ويبدو سابور ممتطيًا جوادًا.وأمامه الأمبراطور راكعًا، وعلى اليمين واليسار وقف الفرسان والمشاة الإيرانيون في صفين متقابلين وهم يمثلون الفرق الحربية لمختلف الشعوب بأسلحتهم المتفاوتة".

وبالمقابل، لم تغفل النظم الإيرانية التي شرعت لمنح المكافآت للقادة والفرق العسكرية، أن تسنَّ القوانين لمعاقبة الخائن أو الفاشل والمهزوم منهم. وكان للملوك الساسانيين شغف بالعدالة، كما يقول أزدشير: "يجب على الملك أن يكون فائض العدل فإن في العدل جماع الخير وهو الحصن الحصين من زوال المُلْك". ومن هذا المنطلق إهتم الأكاسرة بتنظيم القضاء واشترطوا على من يكون في منصب القاضي الإحاطة بعلوم المعرفة بالعلم والدين والشريعة، "فالموبذان وهو القيم بأمور الدين ومعناه قاضي القضاة، وهو رئيس الهرابذة ومعناهم القوام بأمور الدين والقضاة والمتصرفون بالأحكام".

وكان القضاء العسكري يشكِّل فرعًا من القضاء، ويشير كريستنسن إلى أن القضاء العسكري "نيط بقاضٍ خاص هو سپادادور"، ثم يضيف القول بوجود محكمة عليا تتألف من "المجلس الأعلى، أي جمعية العظماء رئيسها الموبدان موبد، وهي المحكمة التي يظهر أن لها ولاية القضاء في جرائم الخيانة العظمى".

ويبدو أن القضاء العسكري كان محيطًا وجامعًا لقواعد الضبط والربط والتراتبية العسكرية ومرجعًا للعدالة ورادعًا لمن تخوّله نفسه مخالفته. وفي هذا الإطار يفرض القانون على رجال الجيش "أن يحترموا أهل الدرجات، وأن يحترموا بعضهم بعضًا وأن يحتشموا، إذ لو ألقي الحبل للناس على الغارب، لإتبع كل منهم هواه".

ويفرض قانون القضاء العسكري عقوبات زاجرة على من يرتكب جرائم العصيان والخيانة والغش، ويجعل تنسر "الجريمة بين الفرد والملك حين يعصى أو يخون أو يغش، وكان كل من يعصى الملوك أو يفر من القتال لا يأمن على حياته أبدًا. وسنَّ الملك تشريعًا جديدًا هو أن يؤخذ من هذه الطائفة بعضهم ويقتل لإحداث الرهبة حتى يعتبر به الآخرون". ولعل أوضح الأحكام ما نفذ بحق القائد الفارسي "بهرام بجوبين" الذي "حمل الى هرمز من الأموال والسلاح" بعد إنتصاره على ملك الترك ثم فراره الى الترك خوفًا من هرمز نفسه، وقد نُفِّذ حكم الموت بحق بهرام بمؤامرة نفذتها خاتون إمرأة ملك الترك، دسَّت لبهرام مَنْ قَتَلَهُ".

وهناك حُكْمٌ آخر فرض بحق القادة المهزومين حين "كتب كسرى إلى قواد الجند الذين إنهزموا أمام هرقل ملك الروم، يأمرهم أن يَدُلُّوه على كل رجل منهم ومن أصحابهم ممن فشل في تلك الحرب ولم يرابط مركزه فيها، فأحرجهم بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه وطلب الحيل لنجاة أنفسهم"، ويتضح من هذه الرواية معرفة القادة بقساوة العقاب وخوفهم على مصيرهم وعلمهم بقرب حتفهم نتيجة للخيانة والتقصير.

## ثامناً: الاعلام والرايات:

إتخذ الفرس علمًا عظيمًا لدولتهم وشعارًا لسلطانهم وصفه الطبري "بالعلم الأكبر الذي كان يسمونه درفش كابيان". ويروي المسعودي أسطورة تؤرخ لإتخاذ هذا العلم بقوله: "إنّه من جلد يأتزر به حداد إسمه كاوك، رَفَعَهُ على رمح معلنًا الثورة بوجه طاغية فارسي إسمه الضحاك، وأصبح هذا العلم الذي أخذ من فوطة كاوه علمًا لملوك إيران". ويصف المسعودي هذا العلم بدقة بقوله: "كانت راية الفرس من جلود النمور طولها إثنا عشر ذراعًا في عرض ثمانية أذرع. وكانت الراية العظمى مرصّعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجواهر". وكان "درفش كابيان" يرفع حين كان يخوض الجيش معارك فاصلة، أو تدهم فارس أمور كبيرة تستدعي خروج الملك على رأس جيشه، أو يوكل قيادته إلى أحد أبنائه، إلاّ أنّ الطبري يشير إلى وجود هذه الراية عندما كان هذا الجيش بقيادة أحد القواد الفرس الصناديد "جوذرز" منذ عصر الملك كيخسرو حين "دفع إليه العلم الأكبر.. وزعموا أن ذلك العلم لم يكن دفعه إلى أحد من القواد قبل ذلك، وإنما كانوا يسيِّرونه مع أولاد الملوك إذا وجَّهُوهم في الأمور العظام". وفي "القادسية"، نجد يزدجرد يرسل قائده رستم لمواجهة المسلمين ويخاطبه: "أنت رجل أهل فارس اليوم، وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يَأْتِهِم مثله منذ ولي أزدشير".

ويبدو أنّ "الراية العظمى" كانت شعارًا من شعائر الملك، وعلامة خير يستبشر الفرس بوجودها منشورة بين كراديس الجيش بشائر النصر القادم وثبات المُلْك "لأن فارس، كما قال المسعودي تتيمّن بها، وتُظْهِرها في الأمر الشديد". وبالمقابل يؤدِّي انخفاض هذه الراية إلى هزيمة الجيش وإهتزاز المُلْك، فلم تمسح هزيمة "بشتاسب" ملك الفرس أمام ملك الترك "الذي أخذ فيها أخذ العلم الأكبر الذي كانوا يسمُّونه درفش كابيان سوى إنتصار إسفنديار القائد الفارسي الذي إرتجع العلم الأعظم وحمله معه منشورًا". ولعلّه كان الإندثار الأخير لملك فارس حين أُخِذَ هذا "العلم الأعظم" أسيرًا لدى العرب إلى غير رجعة من قبل "ضرار بن الخطاب، فَعُوِّضَ عنها بثلاثين ألفًا، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف، وقتل في ذلك اليوم حول الراية عشرة آلاف"

ويبدو أن الأكاسرة خصَّصوا لكل فرقة في الجيش الفارسي راية، فكان لكل فرقة من فرق الثغور التي يقودها أحد الأصبهبذين علم خاص بها، ويشير الطبري في معرض وصفه لإستعراض "كيخسرو" لجيشه المنتصر على "فرسياب" التركي ومروره أمام رايات فِرَقِه وفي طليعتها "العلم الأكبر" الذي دفعه الى قائده "جوذرز" بقوله: "فلمّا وافى كيخسرو العسكر وموضع الملحمة، إصطفّت له الرجال وتلقّاه جوذرز وسائر الإصبهبذين فلمّا دخل العسكر جعل يمر بعلم علم". ولعل هذا القول يجد تفسيرًا لما أشار إليه كريستنسن عن بعض أوصاف الأعلام والرايات الساسانية "فهناك علم ملكي على صورة الشمس كما نجد علمًا بصورة أسد وأسود على صورة الذئب.".

وبالتالي ليس غريبًا أن تكون الأشكال والصور التي رسمت على الأعلام رمزًا للفرق العسكرية، لما توحي به من خصال القوّة والعطاء والشجاعة والسرعة والإحتيال والمكر، وهي بالمطلق صفات عسكرية.

## تاسعاً: الإدارة العسكرية:

إعتمدت دولة الفرس نظامًا حربيًا قويًا إستند إلى سياسة ملوكهم الذين أحبوا الحرب وورثوا الفكر العسكري من أسلافهم. ويشير المسعودي في عرضه "للسياسات الملوكية" التي نصح بها حكيم فارس "بزرجمهر" الملك "أنوشروان" إلى كلام يرسم بشمولية السياسة العسكرية منها: "إكرام العلماء والأشراف وأهل الثغور والقواد.بقدر منازلهم، وإعداد السلاح وجميع آلات الحروب، وإذكاء العيون في الثغور ليعلم ما يتخوف، فيؤخذ له أهبته قبل هجومه". ويؤكد هذه السياسة ما وضعه الملك سابور من صفات عند إختياره عمّاله بقوله: "لا يصلح لسد الثغور، وقود الجيوش، وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم، إلاّ رجل تكاملت فيه خمس خصال: حزم وعلم وشجاعة لا تنقصها الملمات، وصدق في الوعد والوعيد، وجود يهوّن عليه تدبير الأموال في حقها".

وإتبع أكاسرة الفرس، في تنفيذ سياستهم الحربية، تأسيس إدارات تعني بمصالح الجند والإشراف على الجيوش التي كانت العامل الدائم في ضمان الإستقرار والدفاع عن الدولة والأرض. وكان "ديوان الجند" الجهاز الذي يعنى بحقوق الجند ومصالحهم، فكان مجموعة سجلات وقوائم بأسماء المقاتلة وذراريهم ومقادير أعطياتهم وتنظيمهم في وحدات وصنوف عسكرية.

ويبـدو أنّ المكانـة الكبـيرة التـي يحتلهـا "ديـوان الجنـد" في دولـة الفرس، فرضت على مـن يـتم إختيـاره أمـر "كاتـب الـديوان" شروطًـا ومواصفات عالية ذكر الطبري بعضها في خبر تعيين كسرى "كاتبًا لديوان المقاتلة" بقولـه: "وكـان كسرـى ولّى رجـلاً مـن الكتّـاب – نابهًـا بالنبـل والمروءة والغَنَاء والكفاية.لصلاح أمر الملك في جنـده" ومـن البـدهي أن تكون معاني صفات كاتب الديوان عند الفرس دقيقـة، شـاملة وواسـعة، فالمروءة تعني حفظ القوانين، وتحـرّي الدقـة في التنظـيم، والحـرص عـلى السرية والأمانة والعدالة، وإستيفاء الحقوق، والصبر وكـتم الأسرار. أمـا الكفاية فإنها تتضـمّن العِلْـمَ بأحكـام القـوانين ضـمانًا لمصـلحة الجـيش، والدراية والخبرة بـالجيوش والأسـلحة وحـلى الجنـد وشـيات الـدواب، والمعرفة الدقيقة بالعروض .

كـان صـاحب "ديـوان الجنـد"، أيضًـا، مـن أرفـع النـاس قـدرًا وأحسنهم خلقًا، نافذًا في الناس أمره، وعليًا بينهم قدره، شريفًـا، صـارمًا في تطبيق سياسة الجند، وفي الطبري رواية تمثل بابك بـن البـيروان الـذي "ولاّه كسـرى ديوان المقاتلة، ووكّـل اليـه صـلاح أمـر الملـك في جنـده. ونادى مناديه أن يحضر الفرسان على كراعهم وأسلحتهم والرجالة على ما يلزم من السلاح. فاجتمع إليه الجند ولم يعاين كسرى فيهم.ونادى مناديه في اليوم الثاني فلما لم ير كسرى فيهم فأمرهم بالإنصر ـاف.وأمر مناديـه في اليوم الثالث فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام ما خلا الوترين، فلـم يجز عن اسـمه وقـال لـه هلـمّ أيهـا الملـك كـل مـا يلزمـك مـن صـنوف الأسلحة".

وترتبط قوة دولة الفرس بشكل وثيق بقوة الجيش والمال، ويعبر عن هذا الواقع تنسر بقوله: "إذا إفتقرت الرعية، خلت خزانة الملك، ولم يجد نفقة المقاتلة، ويضيع المُلْك". ومن هذا المنظور يصبح المال ركيزة أساسية لبناء الجيوش وقيام الملك، "فلا عزّ للملك إلا بالرجال ولا قوام للرجال إلا بالمال".

وليس غريبًا أن نجد في ظل هذا النظام الحربي والإداري في فارس قيام علاقة بين "ديوان المقاتلة" وإدارة مالية الدولة، فالمال يشكل العمود الفقري لقيام الجيش وتألُّف الجند وسد احتياجاتهم، وصرف رواتبهم، وتأمين وسائل القتال وتحصين الثغور. ولعلّ المعادلة التي أشار إليها المسعودي بين عمارة الأرض أو خرابها، وكثرة أموال الجباية أو قلَّتها، وقوة الجند أو ضعفهم، وصيانة الدولة أو هلاكها، ترسم خطًا بيانيًا لسياسة الفرس الحربية المستندة إلى سياستهم الضرائبية وهي سياسة "تقوِّي الملك بإنتخاب الجنود واجتباء الخراج لأرزاقهم". ويبدو أن أحد ملوك الفرس حاد عن هذه السياسة ما جعله موضع إنتقاد الموبذ حين خاطبه: "عمدت إلى الضياع فإنتزعتها من أربابها وهم أرباب الخراج. فقلّت العمارة، وخربت الضياع، وقلّت الأموال، وهلكت الجنود والرعية، وطمع في ملك فارس من أطاف بها من الملوك...".

من هنا تأتي مسؤولية طبقة "الدّهاقين"، في بناء دولة الفرس القوية وجيشهم القادر، وأهمية دورهم كرؤساء وملاك الأراضي والقرى الـذين "كانـت وظيفـتهم الأصـلية أن يتسـلَّموا الضرـائبوإليهم يعـود الفضـل بخاصة في أن الدولة القليلة الخصب قد اسـتطاعت أن تتحمـل النفقـات وأن تقدر على الحروب التي تتطلب تكاليف باهظة".

وفي ضوء هذه السياسة الحربية، لم يغفل ملوك الفرس إعداد البلاد لمواجهة الطوارئ، والتعامل مع الحوادث المفاجئة. لقد خصصوا احتياطًا ماليًا في خزائنهم لتغطية النفقات الحادثة من جراء عـدوان مفـاجيء عـلى الحدود أو كوارث تصيب الثغور، على نحو ما نقل الطـبري عـن سياسـة كسـرى أنوشروان: "قد رأينا أن تُجْمَع في بيوت أموالنا من الأموال ما لـو أتانا عن ثغـر مـن ثغورنـا، أو طـرف مـن أطرافنـا فتـق أو شيء نكرهـه واحتجنا إلى تداركه أو حسمه ببذلنا فيه مالاً، كانت الأموال عندنا معدّة، موجودة".

## عاشراً: مجلس العظماء والأشراف (سلطة القرار):

تذكر المصادر التاريخية في معرض سردها لتاريخ الفـرس مصـطلح "العظـماء والأشراف"، في أمـاكن كثـيرة، ويبـدو أن العظـماء والأشراف شكلوا مجلسًا لا يجتمع إلاّ لبحث القضايا الكبيرة والمفاصل التاريخية التي تواجه دولة الفـرس لإسـداء المشـورة للملـك في تـدبير المُلْـك، وقضـايا الحرب والسلم. وكان مجلـس العظـماء والأشراف مؤلفًـا، وفـق مـا ألمـح الطبري في ذكره للوفد الذي التي إلتقى المنذر ملك العرب، من "العظـماء وأهل البيوت وأصحاب الولايات

والـوزراء لقـوا المنـذر"، كـما يؤكـد كريستنسـن أن الأشراف والأصحاب ليسوا سوى "الضباط الكبار في الدولـة والعظـماء يشـملون الوزراء ورؤساء الإدارة". ويبدو أنّ هذ الطبقة كانت تشكِّل مجلسًـا أعـلى تطال قراراته أحيانًا مقام الملك نفسه، ويذكر الطبري أنه "تعاقد ناس مـن العظماء وأهل البيوت ألاّ يملّكوا أحدًا من ذرِّية يزدجرد لسـوء سـيرته". ويضيف في موضع آخر مضمون مفاوضاتهم مع ملك العرب المنذر حول هذا الأمر بقوله :"وتكلم عظماء الفـرس وأهـل البيـوت وفَرَشُـوا للمنـذر بكلامهم فظاظة يزدجرد". ويبلغ قرار هذه الطبقة درجة خطيرة حين يطال أمر وجود الملك على العرش لجهة تنحيته عن عرشه وحبسه، ويذكر الطبري: "إنّ العظماء من الفرس هم حبسوا قبّاذ حين اتبع مزدك".

وكان قرار الحرب يؤخذ في إجتماع مجلـس حـرب يسـدي المشـورة للملك. ويذكر الطبري عقد مثل هذا الإجـتماع لـدرس تقـديم مسـاعدة عسكرية طلبها سيف بن يزن بقوله: "وجمع كسرى مرازبته وأهـل الـرأي ممن يستشير في أمره"، وفي مكان آخر يقول: "إنّ كسـرى إستشـار وزراءه في توجيـه الجنـد". ويجتمـع مجلـس الحـرب مـرة أخـرى في عهـد هرمـز أنوشروان حين إكتنف الأعداء بلاد فارس من كل وجه فإسـتفظع هرمـز ما ورد عليه وشاور فيه". ويقول المسعودي في الموقـف عينـه: "وأحضر الموبذان وذو الرأي".

## حادي عشر: السلوك المعتمد أثناء القتال:

يروي تنسر في كتابه بعض الآداب والسلوكيات التي اتبعها ملوك فارس في حروبهم بقوله: "لم ينسب قط لملوكنا القتل والإغارة والغدر، فإذا خالف هذا ملكان، فإنهما لم يجيزا إستعباد السبايا ولم يتخذاهم أرقاء بل عمّرا بهم المدن". والواقع، إنّ في كلام تنسر شيئًا من الصحة لإستخدامهم الأسرى في أعمال العمران، وإقامة مدن وقرى لهم وإستخدام قسم منهم كوحدات مرتزقة كما ذكرنا، ولكن قلما نجد سيرة لملك فارسي خالية من القتل والسبي، وينسب إلى سابور بن أزدشير "أنّه أطلق ملك الروم بعد أنْ جدع أنفه وقيل إنّه قتله".

قيل إنّ سابور نهى جنده عن الإبقاء على من لقوا من العرب. فأفشى فيهم القتل وسفك منهم من الدماء، وإستقرّ في بلاد البحرين يقتل أهلها ولا يقبل الفداء".

وأوصى ملوك الفرس جنودهم بالحيطة واليقظة وعدم الإنصراف عن المهمة إلى جمع الغنائم، ويذكر الطبري أن سابور "نهى جنده عن العرجة عن إصابة مال". وبالمقابل "كان الإيرانيون يحرقون حقول القمح إذا توغّل العدو في أراضيهم لكي يحولوا دون تموينه".

ومن آداب القتال عند الفرس إستدعاء وفد من أعدائهم لمفاوضتهم قبل شروعهم بالقتال، وفي هذ السياق يذكر الطبري "أنّ وفودًا من العرب قدمت على يزدجرد"، تكلم باسمها النعمان بن مقرن قبل بدء القتال في معركة القادسية. وفي نهاوند "أرسل بندار العلج إلى العرب ليطلب منهم: "أنْ

أرسِلوا الينا رجلاً نُكَلِّمَهُ". ويعتبر تنسر هذا السلوك مفخرة لجيش فارس عبّر عنها بكبرياء وبروح معنوية عالية بقوله: "إنّ ألـف رجـل منـا يغلبون عشـرين ألفًا مـن الأعـداء أيًـا كـانوا، لأنّ رجالنـا لا يبـدأون بالعدوان والحرب والقتل".

وقد عرف الفرس، بنتيجة حـروبهم مـع الـروم والأمـم الأخـرى المعاصرة لهم نظم القتال ومبادئ الحرب، وأفاد قادتهم من دروس المعارك التي خاضوا غمارها لتحسينها وتطويرها بحيـث أصـبحت فنـون القتـال عندهم لا تختلف كثيرًا عمّا هو متعارف عليه في عصرنا. لقد تركـت دولـة الأكاسرة تراثًا عريقًا في الإدارة وتنظـيم الجيـوش وفـن الحـرب، أغنـت بفضل إحتكاكها بالأمم والشعوب التي كانت على حرب دائمة معها مثل البيزنطيين والترك والهياطلة وغيرهم، وكانت لها بصمات دامغة في تكوين الفن العسكري الإسلامي.

# الفصل العاشر

## العرب والفرس في معركة ( سلوات ) قبل الاسلام

قبل يوم تحدث أحد المسئولين الإيرانيين بكلام لا يليق عندما قالوا بأن العرب (ويقصدون أهل الجزيرة العربية بالذات) كانوا تابعين أما للفرس أو للترك، فأود أن أتحدث في سلسلة من المواضيع عن تاريخ أسلافنا العرب في الجزيرة العربية مع الفرس أو الترك.

أولاً عرب الجزيرة ينسبون إلى ارفخشد بن سام بن نوح ، فلقد أنجب ارفخشد رجلين هما قحطان وفالغ ، فأما قحطان فمنهم القبائل القحطانية المعروفة واتخذوا من اليمن قاعدة لهم ولهم هجرات كثيرة إلى أقاليم الجزيرة وغيرها، وأما فالغ فمن ذريتهم إسماعيل عليه السلام والذي أنجب القبائل العدنانية واتخذوا من الحجاز قاعدة لهم ، ولهم هجرات كثيرة أيضاً، فأهل الجزيرة العربية ينسبون إلى ارفخشد بن سام بن نوح.

اليوم سوف أسرد لكم حدثاً تاريخياً حدث قبل الإسلام بزمن طويل، في أيام الملك العربي مالك بن فهم الدوسي الزهراني، وهذا الحدث هو معركة دامية بين العرب والفرس في عمان.

أتحدث لكم عن مالك بن فهم الدوسي، فهو من قبيلة الأزد القحطانية من ارفخشد بن سام بن نوح ، والأزد هاجروا من مأرب من اليمن وذلك قبل الإسلام بزمن، وأقاموا بأماكن كثيرة، فمنهم من أقام

فيما يعرف اليوم بمنطقة الباحة من المملكة العربية السعودية، وهم قبيلة زهران، والتي ينسب إليها الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، ومن هؤلاء الذين أقاموا في ذلك الزمن:

الملك الأسطوري مالك بن فهم الدوسي، والذي لسبب من الأسباب فضل الهجرة بقومه ومن معهم باتجاه عمان، أو ما يعرف اليوم بدولة عمان الشقيقة، وفي ذلك يقول مالك:

| | |
|---|---|
| ألا من مبلغ أبناء فهم | مغلغلة عن الرجل اليماني |
| ومبلغاً منهباً وبني بشير | وسعد اللات والحي المدان |
| تحية نازح أمسى هواه | ملكنا بربرا وقرى معان |
| وبالعرنين كنا أهل عز | بأرض عمان في صرف الزمان |
| جلبنا الخيل من برهوت شعثا | إلى تلهاب من شرقي عمان |
| فحلوا بالسراة وحل أهلي | بجنح البحر من أرض عمان |

**للمعلومة:** لاتزال القبايل التي ذكرها مثل بني فهم وبني منهب وبني بشير وغيرها من أكبر قبائل زهران في منطقة الباحة بجنوب السعودية، بالمكان الذي هاجر منه مالك بن فهم إلى عمان، وكذلك العرنين فهو لايزال من الجبال الشاهقة الارتفاع في نفس المنطقة.

وقد هاجر مع مالك عدد من ابناء قومه ومنهم بنو غالب، وقد ازاحوا الفرس عن عمان بقوة السيف، رغم تفوق الفرس في العدد والمعدات ورغم استخدامهم للفيلة (كما فعلوا في القادسية) ولكن هذه كلها لم تجدي مع العرب القساة.

تعتبر معركة سلوت مفخرة من مفاخر التاريخ العسكري العماني، وحسبنا أنها لم تقتصر على نحت أروع ملحمة في سجل تاريخ عمان فحسب، بل شكلت منعطفاً هاماً في مسار التاريخ العماني، ذلك أن النصر الذي تحقق في هذه المعركة الحاسمة أسفر عن تحرير عمان من الهيمنة الفارسية، وأعطى لهويتها العربية بعدا جديداً .

ولا نسعي الى سرد تفاصيل أحداث هذه المعركة وجزئياتها لأنها معروفة ومتداولة في جل المراجع التاريخية التي تناولتها إسهاب، بل تهدف في المقام الأول الى تحليل العوامل التي كانت وراء الانتصار الذي حققه الجنود العمانيون .

وعلى محك هذه الرؤية، ومن خلال تحليل كافة الوقائع والأحداث كما وردت في كتاب (تحفة الأعيان) للمؤرخ العماني الشيخ نور الدين السالمي الذي اعتمد على مختلف الروايات والنصوص الواردة في المصادر التاريخية العمانية، يتبين أن مجموعة من العوامل تضافرت لتحقيق ذلك الانتصار المؤزر، **يمكن حصرها فيما يلي:**

### ١. القيادة الواعية والشجاعة:

يجمع الدارسـون عـلى أن أسـباب النصرـ في المعـارك لا تعـزى إلى التفوق في التسلح ووفرة العدة والعتاد فحسب – رغم مـا لـذلك مـن أثر في تحديد مصيرها – بل تعود كـذلك إلى القيـادة الواعيـة والشـجاعة. ولا تعوزنا الأدلة المتعددة والمتنوعة للبرهنـة عـلى صـحة هـذه المقولـة في التاريخ الإنساني: فكثيرة هي الحروب التي استطاعت الفئـة الصـغيرة أن تحقق الغلبة على الفئة الكبيرة،

ويكفـي التـذكير في هـذا الصـدد بمعركـة بـدر الكـبرى وغـزوة الأحزاب وملحمة حطين والقائمة تطول.

ومعظم الانتصارات التـي سـجلها تـاريخ الانسـانية تؤكـد أهميـة عنصـر القيادة، فبقدر ما تكون هذه الأخـيرة عـلى وعـي وادراك بخبايـا الحروب، مع مسحة من الجرأة والشجاعة، بقدر ما كان ذلك صـمام أمـن من أية هزيمة محتملة. ولعل نموذج الرسول محمـد ﷺ وصـلاح الـدين الأيوبي في التاريخ الإسـلامي وهانيبـال والأسـكندر المقـدوني ونـابليون وغيرهم من القادة العسكريين العظماء في التاريخ الأوروبي خير دليل على ما نذهب إليه.

من هذه القواعـد والتجـارب التاريخيـة، يمكـن تفسـير الانتصـار الساحق الـذي حققـه الأزد العمانيـون في معركـة سـلوت تحـت قيـادتهم الشجاعة المتمثلة في مالك بن فهم.ولا غرر فإن المصادر تجمع عـلى بأسـه وشجاعته حيث كان يتقدم الصفوف الأولى في الحروب بجرأة نادرة

وبسالة ذكرها المؤرخون بإعجاب. وكدليل على ذلك تذكر الروايات المتواترة أنه قبل بدء معركة سلوت، تقدم إليه أربعة قادة من أكابر المرازبة والأساروة الفرس (ممن كان يعد الرجل منهم عن ألف رجل). وطلبوا منه أن يتقدم إليهم للمبارزة واحدا تلو الأخر، فنهض إليهم بكل جرأة، وتمكن من حصد رؤوسهم جميعا إلا الرابع الذي لم ينجه سوى الفرار بعد أن راعه هول قتل زملائه أمام بصره ليرتد مذعوراً نحو صفوف الفرس.

وكان الأسلوب القتالي الذي اتبعه مالك بن فهم ينم عن تقنيات فريدة ومستوى عال من التدريب العسكري إذ كان على معرفة دقيقة بقواعد الطعان، وهو ما يفسر قول الشيخ السالمي أبان حديثه عن مواجهته للفارس الثاني من مرازبة الفرس الذين طلبوا منه المبارزة: (ثم حمل الفارس الثاني على مالك وضرب مالكاً، فلم تصنع ضربته شيئا، فضربه مالك على مفرق رأسه)، مما يدل على اتقانه لأسلوب الدفاع والهجوم فضلاً عن ذلك كان مالك بن فهم يعرف كيف يمتص حماس العدو المهاجم عن طريق الحيلة والذكاء ليحول هجومه إلى اندحار، وهذا ما عبر عنه الشيخ السالمي أيضاً أبان حديثه عن صراع مالك بن فهم مع حاكم الفرس – المرزبان – حين قال: (ثم إن المرزبان حمل على مالك بالسيف حملة الأسد الباسل، فراغ عنه مالك روغان الثعلب وعطف عليه بالسيف فضربه على مفرق رأسه .(وكانت ضرباته من القوة والبأس ما جعل سيفه يخترق الدرع والبيضة التي كان يلبسها قادة الجيش الفارسي الذي واجههم عن طريق المبارزة الفردية فعندما قاتل الفارس الثالث

أفلح في ضربه على عاتقه فقسمه قسمين. بل انتهى السيف الى الحصان الذي كان يركبه (فرمى به قطعتين) وهذا تعبير يفسر مدى قوة ضربات مالك بن فهم ويعطي الدليل على شجاعته وبأسه.

وللدلالة على دور شجاعة مالك بن فهم في صنع انتصار معركة سلوت يكفي القول أن المبارزات الفردية التي سبقت المعركة والتي أظهرت فيها ضورباً من البسالة قد أرهبت العدو ومهدت لانتصار الأزد خاصة بعد انتصاره على المرزبان نفسه، فقد فت ذلك في عضد الفرس، في الوقت الذي رفع معنويات الجنود العمانيين، فانطلقوا يثخنون قتلاً وأسراً في جنود الفرس ويطاردونهم يميناً وشمالاً حتى اضطروا إلى الاستسلام، وهذا يدل على أن شجاعة القائد مالك بن فهم وجنوده كان لها أثر كبير في صنع هذا النصر.

## ٢. التخطيط العسكري المحكم:

لقد وعى مالك بن فهم وجنوده الأزد أن حربهم مع الفرس ليست حرباً متكافئة، فلم يكن عددهم يتجاوز ٨ آلاف مقاتل، بينما وصل عدد الجيش الفارسي إلى ٣٠ أو ٤٠ ألفاً حسب اختلاف الروايات، فضلاً عن تفوقهم في العدة والعتاد، ولعل هذا ما جعل الفرس يحتقرون مالكاً وقومه، فقابلوا طلبه بمنحه أرضا من عمان ليستقر بها بكثير من المهانة والازدراء، بل قادتهم عجرفتهم واعتدادهم بالجيش والأموال الى رفض أي صيغة من صيغ التعايش معه، لذلك كان على مالك بن فهم أن يعتمد على التخطيط المنظم والبحث عن أفضل الاستراتيجيات العسكرية رغم

ضعف العتاد والقوة البشرية ؛ **لذلك بدأ تنظيمه من خلال الخطوات التالية التي تضمن له الانتصار:**

### ١. تأمين قاعدة عسكرية خلفية وحماية من لا يستطيعون المشاركة في الحرب:

فمنذ هجرته الى أرض عمان، كان مالك بن فهم يدرك أن معركته مع الفرس أمر لا مفر منه، لذلك بمجرد نزوله في قلهات، بدأ في العمليات الأولية فترك النساء والأطفال والمؤونة في موضع قلهات بشط عمان، ولم يرد أن يزج بهم في هذه المعركة لان ذلك قد يشكل دافعاً يشجع الفرس على الاستيلاء على غنائمهم وسبي نسائهم وعيالهم، بل فضل أن يجنبهم ويلات الحرب وترك معهم حامية تقوم بالسهر على أمنهم، وتكون قاعدة خلفية يمكن الرجوع اليها في حالة الهزيمة، وهذه خطوات وقائية تأمينية لا يتبناها إلا القادة المتمرسون في شؤون الحرب.

### ٢. اجراء التدابير والاستعدادات الأولية اللازمة:

أدرك مالك بن فهم – بحكم خبرته في شؤون الحرب – أن جنوده يحتاجون قبل بداية المعركة الى قسط من الراحة، لذلك أقام بناحية الجوف مدة لم تحددها المصادر. ويغلب على الظن أنها دامت عدة أيام، بعيداً عن عيون الفرس بدليل أنهم بنوا خلال هذه المدة فلجا بأمر من قائدهم عرف باسم فلج مالك، ولا يمكن أن نتصور أن بناء الفلج استغرق مدة قصيرة. وبناء الفلج في حد ذاته يحمل مغزى عسكريا لا يدركه إلا الراسخون في أمور الحرب، ذلك أن الجيش يحتاج إلى الماء مصدر الحياة، وتلك حقيقة لم

تغب عن مالك بن فهم. ولا يخامرنا شك في أن توفير الماء والراحة للجنود الأزد قبل بداية المعركة ساهم بنصيب وافر في صنع الانتصار.

### ٣. ملاءمة موقع المعركة:

لا جدال في أن الموقع يؤثر دوما على أحداث التاريخ. ومن هذا المنظور لا نتردد في القول بأن الموقع ساهم بدوره في انتصار الأزد العمانيين، فموضع سلوت الذي وقعت فيه المعركة عبارة عن صحراء والصحراء هي المكان الملائم الذي اعتاد العرب على خوض الحروب فيه، فطبيعتها القاسية كانت من الأمور المألوفة لدى الأزد، بينما كان هذا المجال من البيئة يعاكس الجيش الفارسي الذي اعتاد على المناطق الأقل حرارة، ولم تكن لديهم الخبرة في حروب البيئة الصحراوية، لذلك سرعان ما أخذ بهم التعب والاجهاد كل مأخذ وانهارت معنوياتهم، مما ساهم في هزيمتهم.

### ٤. التنظيم والتعبئة في صفوف الجيش:

قبل بداية المعركة اهتم مالك بن فهم بتسليح جيشه وتجهيزه أحسن تجهيز وتمكينه من السيوف والخيول والدروع وأكمة الحديد والبيض والجواشن. وكلها أسلحة هجومية ودفاعية أيضا تحسبا لأي طاريء، بعيدا عن الغرور والثقة العمياء، وكان هو شخصيا يلبس غلالة حمراء وعمامة صفراء. ثم بدأ بتوزيع الجنود الى كتائب، فى جعل لكل كتيبة راية. وأخذ يمر عليها واحدة تلو الأخرى ليضع اللمسات الأخيرة، وهذا يدل على حرصه الدقيق على نجاح التعبئة في صفوف الجيش .

ورغم أن المرزبان كان هو الآخر يقوم بتعبئة جيشه بالنفخ في الأبواق والضرب على الطبول اذكاء لحماسهم، فإن ذلك لم يجد نفعا لانهيار معنوياتهم

وعدم وضوح الهدف الذي يقاتلون من أجله، إذ كانوا محتلين لأرض ليست أرضهم، لذلك لم تفلح الطبول في إذكاء الحمية التي تشحذ الهمم، على عكس الجيش العماني الذي كان جمرة متقدة من شدة الحماس للذوذ عن وطنه وأرضه التي اغتصبها الفرس، فكانت معنوياتهم مرتفعة الى أقصى الحدود.

### ٥. رصد أخبار العدو :

من خلال تتبع روايات المعركة يبدو أن مالك بن فهم كان يراقب العدو عن كثب، ويقف على أخباره أولاً بأول، وهذا ما نستشفه من خلال الخبر الذي بلغه عن تجمع جيوش المرزبان بصحراء سلوت. ورغم أن المصادر لا تفصح عن كيفية بلوغ الخبر اليه، فالراجح أنه بث العيون لتتبع أخبار العدو ومراقبة سكناته وحركاته، لذلك لم يتمكن الفرس من إحداث عنصر المباغتة في المعركة. فلو حدث ذلك لكان فيه خسارة لجنود الأزد، لكن مالكا تفطن لذلك مما جعله مهيأ للمعركة، بل أنه فاجأ هو بنفسه الجيش الفارسي وفرض عليه الحرب في صحراء سلوت بدل قلهات.

### ٦. رفع الروح المعنوية وزرع روح الحماس في جند عمان:

يعتبر التشجيع على القتـال ورفـع معنويـات الجـيش مـن المنـاهج النفسية لكسب المعركة قديماً وحديثاً. ولم تغب هذه الحقيقة عن مالك بـن فهم إذ استعمل كل ما يملك من الوسائل المتاحة لرفـع معنويـات جيشـه وزرع الثقة في مقدراتهم القتالية. وفي هذا السياق استعمل سلاح العـرب الفعال وهو الخطبة. ومعلوم أن الخطبة لها وقع مؤثر عـلى نفسـية الجنـود، ناهيك عن دورها في إيقاظ الهمم وكسب الثقة.

ويورد المؤرخ السالمي نص الخطبة التي ألقاها مالك بـن فهـم عـلى كل كتيبة من كتائب الأزد، ومما جاء فيها: (يـا معشرـ الأزد أهـل النجـدة والحفاظ، حاموا عن أحسابكم وذبوا عن مآثر آبائكم وقـاتلوا وناصـحوا ملككم وسلطانكم، فإنكم إن انكسرتم وهزمتم اتبعتكم العجـم في كافـة جنودكم، فاختطفوكم واصطادوكم من كل حجر ومدر).

والواضح من هذا المقطع من الخطبـة، أن مالكـا اسـتهدف إيقـاظ الهمم وترسيخ الثقة في نفسية جنوده و إبراز إمكانيـاتهم القتاليـة الهائلـة، وهو ما يتجلى في وصفه لهم بأنهم (أهـل النجـدة والحفـاظ). كـما وظـف بمهارته وفطنته مسألة النسب العربي لإذكـاء الحميـة العربيـة مـن خـلال تصوير الحرب بأنها معركة مصير بين عرب وعجم. وفي الوقت ذاته حذر من عواقب الهزيمة، فبـين لمخاطبيـه أن الفـرس لـن يرحمـوهم إذا مـا انتصروا عليهم، ومن ثم لا يبقى لجنود الأزد العمانيين سـوى خيـارين لا ثالث لهما: إما النصر وإما الاستشهاد، فكان ذلك حافزا لجنوده على المزيـد من الاستبسال في المعركة.

### ٧. استعمال أساليب قتالية مبتكرة للقضاء على تفوق العدو العسكري :

كان عنصر القوة الضاربة في الجيش الفارسي يتجل في استخدام الفيلة في حروبهم بيد أن مالك بن فهم عرف كيف يغير هذه المعادلة ليجعل نتيجتها عكسية تماما، فقد ابتكر أسلوباً جديداً لمواجهة الفيلة يقضي بضرب خراطيمها بالسيوف ورشق عيونها بالنبال، مما أدى إلى تراجعها مذعورة إلى الخلف، وأثناء ارتدادها كانت تطأ على أجساد الجنود الفرس، فتحولت بسبب ذلك من أداة للهجوم في ميدان الأعداء إلى أداة فناء وموت محقق لهم حيث قتل الآلاف

منهم وتحولوا بهذه الطريقة البشعة إلى أكوام من الجثث. وهذا الأسلوب نفسه سيستعمله العرب المسلمون - فيما بعد - في حرب القادسية الشهيرة.

### ٨. سرعة اتخاذ القرار الناجح واستغلال الفرص ابان المعركة :

عرف مالك بن فهم الأوقات المناسبة التي كان يتخذ فيها القرار الجريء لسير المعركة كما عرف كيف يستغل الفرص الملائمة لكسب المز يد من النصر، فعندما رأى هيجان الفيلة وتراجعها. أصدر قراره باكتساح قلب الجيش الفارسي وتطويق باقي الأجنحة، مما جعل الذعر والهلع يدب في الجيش الفارسي والاضطراب يتفشى في صفوفه، فاستغل جيش الأزد تلك الفرصة لاكتساحهم فأثخنوا فيهم قتلاً وتشريداً.

وعندما نجح مالك بن فهم في قتل المرزبان – وهو القائد الأعلى للجيش الفارسي- لم يترك هذه الفرصة تضيع لأن قتله أدى إلى إحباط كبير وانهيار في معنويات الجيش الفارسي، فوجه أمره الفوري بالقيام بهجوم كاسح (فقتل منهم خلق كثير)، وهكذا يتبين أن اتخاذ القرار السريع وفي اللحظة المناسبة أسفر عن هزيمة الفرس في هذه المعركة.

### ٩. طاعة الجند العماني ومحبتهم لقائدهم:

في ليلة المعركة أخذ مالك بن فهم يتفقد الكتائب العسكرية ويوجه إليها الأوامر الواجب إتباعها خلال القتال، فأمر قائد كل كتيبة أن يبقى جنوده في مكان مناسب عينه له، كما وجه أمره إلى ابنيه هناءة لقيادة ميمنة الجيش وفراهيد لقيادة شماله، بينما تولى هو شخصياً قيادة القلب المتكون من أشد الجنود تمرساً في الحروب.

وكانت كل أوامره تتلقى بالسمع والطاعة من طرف جنوده لثقتهم في قائدهم وصحبتهم له، ولم نعثر على نصوص تؤكد مخالفة أي كتيبة لأوامره التي كان يقررها بدون تردد ويتحمل فيها كامل المسؤولية، وكان جيشه ينفذها حرفيا دون تلكؤ. ولعل هذه الطاعة والمحبة المتبادلة بين الجند والقائد، كلها عوامل ساهمت في خلق شروط النصر.

### ١٠. الصبر والثبات في القتال:

أعطى جنود الأزد خلال معركة سلوت مثالاً صارخاً في الصبر والثبات، فلم تثنهم عزيمة الحرية والانعتاق عن ترك أبنائهم ونسائهم في قلهات، وتحمل الصبر على فراقهم من أجل طرد الفرس من عمان.وأبان

المعركة أبانوا عن صبر وجلد قل نظيره، ولا غرر فقد كانوا يقاتلون طوال النهار دون توقف، ولم يكن يحل بينهم وبين مواصلة القتال سوى الليل، واستمروا على هذه الوتيرة ثلاثة أيام حتى انبلج النصر. ولولا ثباتهم وصبرهم في المعركة رغم شراستها، ووقوفهم وجها لوجه أمام جيش مدجج بالسلاح، لما أمكن تحقيق هذا المكسب العسكري الهام .

### ١١. التشبث بقيم المروءة والشرف :

ان الجانب الأخلاقي في الحروب يبقى من الشيم العربية الأصيلة، ولا شك أن هزيمة الفرس واستسلامهم وطلبهم الهدنة ترجع الى ما لاحظوه في جند عمان وقائده من مروءة وشرف وحفاظ على العهود والمواثيق. فمالك بن فهم لم يبدأ الحرب ضدهم الا بعد أن يئس من أي حل سلمي معهم وذلك عندما حدت بهم غطرستهم الى الامتناع كليا عن منحه موطيء قدم في أرض

عمان رغم شساعتها.وقد انتظر الأزد مدة طويلة ليقفوا على جواب المرزبان، وكان بالامكان أن ينفد صبرهم ويدقوا طبول الحرب عليهم، لكنهم فضلوا التعامل بمستوى أخلاقي حضاري يقوم على مبدأ السلم والمهادنة، غير أن رفض الفرس لأي حل مرض فرض عليهم الدخول في هذه المعركة التي لم تكن بالنسبة لهم غاية في حد ذاتها وانما وسيلة.

نفس الشيء، يقال عن تعامل مالك بن فهم مع الفرس، بعد أن كبدهم هزيمة نكراء، فقد كان بامكانه أن يبدد شملهم ويستأصل شأفتهم ويمزقهم شر ممزق، لكن مروءته أملت عليه ضرورة الكف عن أبادته، بل

ذهب الى حد عقد معاهدة سلمية معهم رغم أن ميزان القوى العسكري كان في صالحه. ناهيك عن تميز الجند العماني بحفظ المواثيق والعهود اذ لم يدخر وسعا في احترام الهدنة المعقودة مع الفرس لولا أن هؤلاء بأمر من امبراطورهم دارا بن دارا بن بهمن تنكروا لهذه الاتفاقية وأعلنوا الحرب مجددا ضد الازد في ديارهم، مما أسفر عن تجدد الصراع الذي انتهى بنصر عسكري نهائي لأزد عمان.

والخلاصة أن الانتصار المحقق في معركة سلوت لم يكن - كما أثبت التحليل - وليد الصدفة أو الحظ، بل جاء في سياق خطة مدروسة وإستراتيجية حربية بعيدة العمق، وقيادة واعية متمرسة بشؤون الحرب، فضلاً عن شجاعة وبسالة وأخلاق حضارية تميز بها جنود عمان الأشاوس.

# الفصل الحادي عشر
# الغزو الفارسي للعراق عام ١٧٧٥م ومعركة الفضلية ومعركة أبي حلانه

إن من أهم الأحداث في تاريخ العـراق والجزيـرة العربيـة في نهايـة القرن الثامن عشر هو الغزو الفارسي الكبير لجنوب العـراق (١٧٧٥م).. وقد تصدى لهم زعيما المنتفق الأمير ثامر بن سعدون و أخوه من أمه وولد عمه الأمير ثويني بن عبدالله، ونظـراً لضـعف الدولـة العثمانيـة في ذلـك الوقت فلم تتمكن من أرسال قوات للتصدي لهم ، وقـد تصـدت إمـارة المنتفق لهم لوحدها في معركتين حاسمتين (الفضلية وأبي حلانـة) وقتلـت منهم أكثر من ١٦ ألف مقاتل بما في ذلك علي محمد خـان وأخـواه (قـادة جيوشهم وأقارب الحاكم للدولة الفارسية) وبذلك تكون أسرة السعدون وإمارة المنتفق قد حمـت العـراق وشـمال وشرق الجزيـرة العربيـة مـنهم. يتحدث ماكس فرايهير فون أوبنهايم عن أهمية هذا النصر تاريخيـاً لأسرة السـعدون وقبـائلهم ، في كتابـه البـدو ، ج ٣ ، ص: ٥٩٨ (لكـن الربـع الأخير من القرن الثامن عشر أوصلهم إلى قمة من القوة والنفوذ لم تبلغها أي قبيلة بدوية أخرى في العصر الحديث).

- **أطراف المعركتين:**

١ - **الدولة الفارسية الزندية:** والتي كانت تضم ايـران حاليـا (ماعـدا خرسـان) بالاضـافة الى أذربيجـان ومنـاطق أخـرى. الأسرة الحاكمة: الأسرة الزندية.

٢- **إمارة المنتفق:** والتي كانت دولة تضم معظم قبائل وعشائر جنوب ووسط العراق حضر وبادية، سنة وشيعة، مسلمين وغير مسلمين (الصابئة واليهود والمسيحيين في جنوب العراق).
الأسرة الحاكمة : أسرة السعدون.

- **التعريف بحكام المنتفق الأمير ثامر بن سعدون والأمير ثويني بن عبدالله**:

١- الأمير ثامر (شيخ مشايخ قبائل إمارة المنتفق) بن الأمير سعدون (شيخ مشايخ قبائل إمارة المنتفق) بن الأمير محمد (شيخ مشايخ قبائل إمارة المنتفق) الأمير مانع الثاني (شيخ مشايخ قبائل إمارة المنتفق) بن الأمير شبيب الثاني (شيخ مشايخ قبائل إمارة المنتفق) بن الأمير ما نع الأول (شيخ مشايخ قبائل إمارة المنتفق) بن الأميرشبيب الأول (شيخ مشايخ قبائل إمارة المنتفق) بن الشريف حسن (مؤسس امارة المنتفق) بن الشريف مانع بن مالك بن سعدون الأول بن إبراهيم (أحمر العينين) بن الامير كبش (أمير المدينة المنورة) بن الأمير منصور (أمير المدينة المنورة) بن الأمير جماز (أمير المدينة المنورة + أمير مكة المكرمة ٦٨٧هـ) بن الأمير شيحة (أمير المدينة المنورة + أمير مكة المكرمة عام ٦٣٧هـ) بن الأمير هاشم (أمير المدينة المنورة) بن الأمير قاسم (أبو فليته) (أمير المدينة المنورة+ أمير مكة عام ٥٧١هـ) بن الأمير

مهنا الأعرج (أمير المدينة المنورة) بن الامير الحسين (شهاب الدين ) (امير المدينة المنورة) بن الأمير مهنا الأكبر (أبو عمارة) (أمير المدينة المنورة)

٢- بن الأمير داود (أبـو هاشـم ) (أمـير المدينـة المنـورة) بـن الأمـير القاسم (أمير المدينة المنـورة) بـن الأمـير عبيـد الله (أمـير المدينـة المنورة+ أمير العقيق) بن طاهر بن يحـي النسـابة بـن الحسـن بـن جعفر (الحجة) بن عبيد الله (الأعرج) بن الحسين (الأصـغر) بـن علي (زين العابدين) بن الحسين رضي الله عنه ابن أمير المؤمنين علي بـن أبي طالب رضي الله عنه .

٣- الامير ثويني (شيخ مشايخ قبائل إمارة المنتفق) بن الأمير عبـدالله (شيخ مشايخ قبائل إمارة المنتفق) بن الأمير محمد (شيخ مشـايخ قبائل إمارة المنتفق) بن الأمـير مـانع الثاني(شـيخ مشـايخ قبائـل امارة المنتفق) بن الأمير شبيب الثاني(شيخ مشـايخ قبائـل إمـارة المنتفق) بن الأمير ما نع الأول (شيخ مشايخ قبائل إمارة المنتفـق) بن الأمير شبيب الأول (شيخ مشايخ قبائـل إمـارة المنتفـق) بـن الشريف حسن (مؤسس إمارة المنتفـق) بـن الشر يـف مـانع بـن مالك بن سعدون الأول بن إبراهيم (أحمـر العينـين) بـن الأمـير كبش (أمير المدينة المنورة) بن الأمير منصور (أمير المدينة المنورة) بن الأمير جماز (أمير المدينة المنورة + أمير مكة المكرمـة ٦٨٧هــ) بن الأمير شيحة (أمير المدينة المنـورة + أمـير مكـة المكرمـة عـام ٦٣٧هـ) بن الأمير هاشم (أمير المدينة المنورة) بن الأمير قاسم

(أبو فليته) (أمير المدينة المنورة + أمير مكة عام ٥٧١هـ) بن الأمير مهنا الأعرج (أمير المدينة المنورة) بن الأمير الحسين (شهاب الدين ) (أمير المدينة المنورة) بن الأمير مهنا الأكبر ( أبو عمارة ) (أمير المدينة المنورة) بن الأمير داود (أبو هاشم ) (أمير المدينة المنورة) بن

الأمير القاسم (أمير المدينة المنورة) بن الأمير عبيد الله (أمير المدينة المنورة+ أمير العقيق) بن طاهر بن يحي النسابة بن الحسن بن جعفر ( الحجة ) بن عبيد الله ( الأعرج ) بن الحسين (الأصغر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين رضي الله عنه ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأحداث خلال فترة الاحتلال الفارسي (١٧٧٥م – ١٧٧٩م).

في عام ١٧٧٥م حاصرت الدولة الفارسية البصرة وقد كانت المنتفق تزودها بالمؤن بالإضافة الى تواجد بعض قواتهم وقادتهم داخلها للدفاع عن المدينة، يذكر ابن لعبون في تاريخه، ص: ٥١٢ (وفي سنة ١١٨٩ : حاصر العجم البصرة. سار بهم كريم خان الزندي. واستمر الحصار سنة ونصف، ومتسلمها من جهة الروم سليمان باشا وفيها: ثويني بن عبدالله آل شبيب وغيره من المنتفق والعرب). ومن ثم قرر والي البصرة العثماني تسليم المدينة، فانسحبت منها قوات المنتفق في الفترة التي سبقت التسليم واشاعوا مقتل الأمير ثامربن سعدون حتى تتمكن قواتهم من الانسحاب، وبعد ذلك احتلتها الدولة الصفوية واستمر الاحتلال حتى عام ١٧٧٩م وهذا الحدث يعتبر من أهم الأحداث في تاريخ

الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر كون احتلال الدولة الفارسية للبصرة كان يهدف الى جعلها مركز عسكري ينطلقون منه لاحتلال بقية سواحل الجزيرة العربية حتى مسقط. ذكر لوريمر في كتابه دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، ص: ١٨٦٩، متحدثاً عن كريم خان الزندي بعد احتلاله للبصرة (كما أمر بأن يقدم اليه وصف تفصيلي وواضح للبلاد الممتدة من البصرة باتجاه مسقط، ومن هذه التعليمات الأخيرة يبدو أن الوكيل لم يكن

يهدف لأن يستغل هذا الأقليم مالياً فقط، بل وينوي أيضاً أن اتخاذه قاعدة لفتوحات أخرى). ولأن إمارة المنتفق هي القوة الكبرى المواجهة للجيش الفارسي (كونها تضم معظم قبائل جنوب ووسط العراق حضر- وبادية) والتي ينبغي عليهم أخضاعها حتى يسيطروا على العراق ويتجوا الى شرق الجزيرة العربية فقد أرسل صادق خان الزند إلى أمراء المنتفق يطلب منهم الخضوع له ويهددهم، وتم رفض طلبه ، فقام بارسال جيش يتكون من ستة آلاف خيال وثلاثة آلاف من المشاة مع ثمانية عشر زورقاً نهرياً تحمل المدافع، وقد تصدت المنتفق لهذه القوة وهزمتها وإبادة أغلبها في معركة الفضلية الشهيرة في تاريخ العراق، هذه الهزيمة كانت قاسية جداً للفرس ولكريم خان الزند ممادفعه إلى تجهيز قوة أكبر ودعمها بقوات من بني كعب ومن عشائر الكثير وقادها علي محمد خان، وقد أبيد هذا الجيش أيضاً بخطة عسكرية محكمه من المنتفق وقتل القائد علي محمد خان وأخواه. يتحدث عباس العزاوي، في موسوعة تاريخ العراق بين

احتلالين، ج ٦، ص٩٥، حوادث سنة ١١٩٣هـ - ١٧٧٩م، عن علي محمد خان والمعركة الثانية مع الدولة الصفوية (وتقدم الى المنتفق بنحو عشرة آلاف. ولم تمض مدة حتى انجلت الحرب عن انتصار العرب. وهلك في هذه الحرب علي محمد خان وأخواه وباد جيشهم سوى ٣٥ خيالاً وغنمت العشائر كافة مهماتهم ومعداتهم). يذكر لوريمر في كتابه دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، ص: ١٨٧٤ ، متحدثاً عن خطة المنتفق العسكرية للأمير ثامر بن سعدون في المعركة الثانية مع الدولة الفارسية (وبعدها نجح الشيخ ثامر شيخ المنتفق في استدراج قوة ايرانية كبيرة من

البصرة الى مساحة من الأرض، يحدها مجرى الماء من الشمال، وشط العرب من الشرق وخليج من الجنوب وهي تبعد حوالي ١٧ ميلاً عن المدينة، وهناك كان عدد ضخم من عرب المنتفق بانتظار وصول القوة الإيرانية، حيث أعملوا فيها القتل حتى أبادوها عن أخرها، وكان من بين القتلى علي محمد خان نفسه ومن هذه الحوادث نستطيع أن نفهم أن الإيرانيين لم تكن لهم أي سيطرة خارج أسوار مدينة البصرة).

يلخص ابن الغملاس المعركتين في كتابه البصرة ولاتها ومتسلموها من تأسيسها حتى نهاية الحكم العثماني، ص ٧٨ (ثم بعد أن استولوا على البصرة بهذه الصورة الشنيعة توجهوا بعساكرهم الكثيرة إلى جهة المنتفق فلما سمع بهم ثامر وثويني رئيساً المنتفق جمعاً لهم قوة كافية من العربان والعشائر وخرجا لمقابلتهم وذلك في سنة ١١٩١ فالتقى الجمعان

في محل يقال له الفضلية في غربي شط الفرات فاشتعلت نار الحـرب بينهما فما استدامت غير نصف نهار حتى انجلت عن انهزام العجم انهزامـاً شنيعاً وعقبهم فرسان العرب حتى قتل مـنهم خلـق كثـير وغـرق مـنهم جانب عظيم، واستولت العرب على خيلهم وأسلحتهم وعددهم وكانت أموالاً كثيرة لاتعد ولاتحصـى.

**قيل**: وأحصـي من قتل من العجم في هذه الوقعة فبلغ زهـاء سـتة آلاف قتيل، فلما وصل الخبر الى شيراز غضب كريم خان الزنـدي فجمـع عسـكرا ضـخما مدهشـاً وأرسـلهم في قيـادة محمـد عـلي خـان الزنـدي ليستأصلوا

المنتفق عن أخرهم، ولمـا أخـبر رؤسـاء المنتفـق بـذلك تهيـأوا لهـم واستعدوا للموت، فبرزوا لهم في محل يقال له أبو حلانه فـالتقى الجمعـان في المحل المذكور وحمي وطيس

الحرب فلم تمض ثمان ساعات حتى انكشفت الحـرب عـن انهـزام العجم ولم يتخلص من القتل إلا العشر منهم، وكانـت هـذه الوقعـة مـن أعظم الوقائع التي انكسرت بها شوكت العجم وهي في يوم الخامس عشر من ذي القعده سنة ١١٩٢ وقد استولت العـرب عـلى مهـمات العسـاكر الأعجمية وخيولهم وأموالهم وكان ممن قتل فيهم محمد علي خان القائـد). ويذكر المؤرخ ابن سند البصـري (المولود عام ١٧٦٥م ) غنائم المنتفـق في المعركة الثانيـة ، كتـاب مختصرـ مطـالع السـعود في أخبـار الـوالي داوود المقتطع من خزانة التواريخ النجدية ، ص: ٢٥٩ (وغنم العرب مغنما لم

يسمع بمثله لأن العجم كانوا متمولين من أموال أهل البصرة، ووفدت الشعراء ثويني للتهنيئة، خصوصا بقتل محمد علي خان ، وممن شهد هذه الواقعة وأبدى من البسالة غايتها حمود بن ثامر ومحمد بن عبدالعزيز بن مغامس) **ونذكر هنا أبيات من قصيدة المؤرخ والشاعر عثمان بن سند والتي قالها على لسان زعيماً المنتفق ثامر بن سعدون وثويني بن عبدالله بعد هزيمتهم للفرس:**

| | |
|---|---|
| **إذا لم ترض إلا السيف منّا** | **فإنّا المانعون لما حمينا** |
| **حماة الجار كم باغٍ لوينا** | **وكم ضمٍّ بمرهفةٍ أبينا** |
| **أترضى أن يغشمرنا معادٍ** | **ويسقينا ببيض الهند حينا** |
| **وفينا العزّ نجنيه ببيضً** | **وسمرٍ ينحنين وكم حنينا** |
| **وغمرة معمعٍ خضنا بخيلٍ** | **رياحٌ لا تسابق إن جرينا** |
| **وكم من كيخمٍ أردت ظبانا** | **وعزٍّ بالصوارم قد بنينا** |
| **سقينا من نحاربه بسجلٍ** | **إلى أن عاد منقاداً إلينا** |
| **وما إن فاتنا ملكٌ بثأرٍ** | **وما عن سعي مأثرةٍ ونينا** |
| **وما إن سامنا الأمراء خسفاً** | **فإن راموا بنا خسفاً عصينا** |
| **أسرّة عزّنا صهوات كمتٍ** | **تطير بنا متى نحن اشتهينا** |

تطـير بنـا إلى أبطـال حـربٍ كعقبـانٍ عـلى صـيدٍ هوينـا

فيـا علـج الأعـاجم إنّ بيضـاً نضـوناها بقتلـك قـد وأينـا

ورثنـاهنّ عـن آبـاء صـدقٍ نضـوها قبـل مـا نحـن انتضـينا

وأوصـونا ونـوصي وارثينـا بتلـك البـيض مـا حربـاً جنينـا

سـتندم إن تكـن لقيتـك منّـا فـوارس لا يـرون القتـل شـينا

(شـبيبيّون) أنجـبهم نـزارٌ يـرون علـيهم الغـارات دينـا

سنقريك السيوف قرىً جمـيلاً ونسـقيك الحتـوف إذا التقينـا

✍ حتى قال:

ولا عـذرٌ لنـا عـن قتـل قـومٍ سـباب الصـحب جرّهمـو إلينـا

إذا لم نقـرهم بـالبيض ضربـاً يـذيقهم المنـون فـلا اهتـدينا

إذا لم نحـم مـن عجـمٍ ذمـاراً بسـبّهم الصـحاب فـلا اتقينـا

فصـبراً يـا عـدوّ الله صـبراً لأسـيافٍ بهـا العليـا ارتقينـا

فعنك يضيق رحب الأرض عمّا قريـبٍ، والعلـوج تقـول إينـا

بعد النصر حاصرت المنتفق البصرة، وبعد وصول خبر وفاة الحاكم كريم خان الزند في إيران، هرب صادق خان من البصرة مع جيشه خوفاً

من أن تجتاحه المنتفـق، ودخلـت المنتفـق البصـرة، وبقيـت سـلطة المدينة بيد الأمير ثامر بن سعدون. وأخيراً يلخـص مـاكس فـرايهير فـون أوبنهايم تفاصيل الاحتلال والمعركتين ونتيجـتهما في كتابـه البـدو، ج ٣ ، ص: ٥٩٩ (صحيح أن المنتفق كانوا قد فوتوا فرصة منع الفرس من عبور شط العرب، لكنهم شاركوا بشجاعة في الدفاع عن المدينة التـي قاومـت الحصار سنة ونصف السنة والتي كان المنتفق وبني خالد يزودونها بـالمؤن. بعد سقوط البصرة تابع المنتفق الحرب. ونصبوا كمينا للفـرس المتقـدمين على الفرات عند الفضلية، قرب عرقة، وهزموا عند أبو حلانه جيشاً ثانياً يقوده أخو كريم خان. ولذلك حصل المنتفق، بعد انسحاب الفـرس عـام ١٧٧٩م ، على السلطة في البصرة).

**✍ بعض الأقوال في أسرة السعدون وامارة المنتفـق مـن ١٥٣٠م إلى ١٩١٨ م:**

لم تظهر على مسرح الحوادث في تاريخ العراق الحـديث أسرة نبيلـة تولت الإمارة، وتحكمت في مقدرات العراق ومصائره دهـراً طـويلاً مـن الزمن مثل أسره السعدون المعروفـة. فقـد بسـطت نفوذهـا عـلى القسـم الأعظم من العراق الجنوبي مدة تناهز الأربع مئة سنة، وتولى شيخة قبائل المنتفك وإمارتها ما يزيد على العشرين شيخاً من أبنائها البارزين.

وقد كانت هـذه الأسرة العربيـة الكريمـة أول مـن بعـث الفكـرة العربية من مرقدها في العراق الحديث، وحمـل رايـة النضـال مـن أجلهـا بالدم والحديد في وجه الأتراك والايرانين، بعد أن دثرت وانطمست

مآثرها على أيدي المغول الأثيمة.والحق أن تاريخ العثمانيين في العراق ،خلال الحقبة الطويلة التي حكموا فيها، كان تاريخاً حافلاً بالغزوات والحملات التي كان يجردها الباشوات المتعاقبون في بغداد لتأديب الثائرين من آل سعدون في الجنوب والمتمردين من آل بابان في الشمال وأن دل هذا على شي فانه يدل على أن العنصرين الكبيرين الذين يتألف منهما العراق في يومنا هذا كانا يقفان أبداً ودوماً في وجه الحكم الأجنبي والتسلط الغريب.

وقد كان العثمانيون يشعرون بثقل العبء الملقي على عاتقهم في هذا الشان، ولذلك كان تصرفاتهم وخططهم التي رسمت خلال مدة حكمهم كلها، ولا سيما في عهودهم الأخيرة، تستهدف ضعضعة الأسرة السعدونية القوية والقضاء عليها بالحركات العسكرية والتدابير الادارية، والعمل على انقسامها فيما بينها .

مامن قبيلة عراقية تضاهي المنتفق في الأهمية ولا عائلة شيوخ تضاهي عائلة سعدون – شبيب التي أسست في أواخر القرن السابع عشر مملكة المنتفق على الفرات الأدنى والتي جلبت في الحرب العالمية الأولى – عندما كانت تلك المملكة قد سقطت – لاسم المنتفق الفخر والاعتزاز مرة أخرى.

ليس بخاف على من له اطلاع على تاريخ آل سعدون، ذوي الشرف الباذخ والعز الأثيل أنهم جعلوا من (اتحاد) المنتفق قدوة للعشائر والقبائل، حاربوا به العثمانيين والفرس وأنزلزا بهم الهزائم...

آل السعدون أصلهم من الحجاز فقد هاجروا الى العـراق في أوائـل القرن العاشر وحكموا المنتفق، وهم ينتسبون الى جدهم الأعـلى سـعدون بن الشـريف محمد وينتهي نسبهم الى الأمام علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كانت لهم إمارة انتشرـت رقعتهـا ونفوذهـا حتى اصطدمت هي والنفوذ العثماني مرات عديدة، ومن أطـرف مايـذكر عن آل السعدون أنهم أول من فكر في تأسيس حكومـة عربيـة تعيـد مجـد العرب، ولآل السعدون فضل في رد الفرس عن العراق أكثر من مرة، كما حارب آل السعدون الأحتلال الانكليزي بقيادة أعجمـي السـعدون وآل السعدون كانت لهم أمارة كبيرة تضـم السـماوة والمنتفـق وأبـو الخصـيب والعمارة والبصرة

آل سعدون هم عائلة شريفة هبطت العراق في أوائل القرن العـاشر للهجرة وأسسوا فيه إمارة كبرى دامـت أربعمائـة سـنة تقريبـاً وقـد تـولى المشيخة منهم شيوخ كثيرون. وهـم قـوم يرجعـون بأنفسـهم إلى الحجـاز وبأنسابهم إلى أشارف الحجاز وأمرائه فهم قرشيون هاشميون علويون.

فان المنطقة الممتدة من القرنة الى الناصرية، ومافيها من مسـتنقعات وأهوار الشلب وبساتين النخيل والبادية، تسكنها الآن حوالي خمسين قبيلة ذات أصل مختلف كانت كل منها تؤلف في وقت من الأوقات جـزءا مـن مجموعة قبائل المنتفك في ظل الأسرة الحجازية الجبارة، أسرة السعدون.

لقد أستطاع الشريف حسن، ومن بعده أبنائه وأحفاده، مـن انشـاء اتحاد عشائري ضخم سمي "المنتفق" أو "المنتفج" تحت رئاسة وقيـادة آل سعدون، أستمر حتى أيام مدحت باشا سنة ١٨٧١ مستقلاً يتمتـع بنفـوذ ذاتي لا علاقة له تقريبـاً بـالحكم العـثماني أن النزعـة الاسـتقلالية لعمـوم العراق لم تكن خافية على أحد، ولم يكن آل سعدون يترددون من الأعلان عن عزمهم على تحقيق استقلال العراق. رغـم أن الظـروف والضـــرورة ألجأت بعض القادة من آل سعدون إلى التعامل مع السلطات العثمانيـة في إطار من التعاون والتحالف للقيام ببعض المهمات العسكرية المشتركة.

فمن أجل عشائرها عشيرة المنتفـك – وهـي ذات كثـرة وتفـرع الى عدة قبائل، فمن قبائلها: بنو مالك، والأجود، وبنوسـعيد، وبنـو ركـاب، والخفاجة، والطوينات، والشويلات، والطوكبة، والبدور، والشــريفات، والجمعيات، والماجد وآل صـالح، والزهيريـة، وشـمر الزوابـع، وشـمر العبيدات وبنو سكين، وبنـو تمـيم، والسـليمات، والعيايشـة، والبراجقـة، والغزيـوي، والعوينـات، والفضـيلة، وبنـو نهـد، وعبـوده، والمجاوعـة، وخرسان، وأمارة وربيعة، وكويش، وسراج، وآل دراج. وغير ذلـك مـن القبيلة الكثيرة التـي يطـول بيانهـا. وكـذا في جهـة الغـراف قبائـل كثـيرة للمنتفك يطول بيانها. وأنها

اقتصـرنا على بعضها ليعرف عظـم عشـائر المنتفـك وأكـابرهم آل شبيب وأكابر آل شبيب آل سـعدون، وهـم شـيوخ المنتفـك في عصرـنا. (عنوان المجد في بيان أحوال بغـداد والبصـــرة ونجـد – ابـراهيم فصـيح الحيدري).

قد كان لأسرة السعدون أثر واضح في تاريخ العراق ،وهم أول مـن فكـر في تأسيس حكومة عربية تعيد مجد العرب.

إن اتحاد المنتفـق، أقـوى الاتحـادات العراقيـة وأكثرهـا عـدداً.وفي مقدوره أن يقدم إلى ساحة المعركة مايقارب من (٥٠٠٠٠) ألف مقاتـل، بفضل اتحاد قبائله ورؤسـائه مـن آل شـبيب ... (إنـه) اتحـاد مخيـف، بـل مرعب لقوى الدولة وللقوى الأخـرى، طالما جـرع الكثـيرين هـزائم لا تنكر...

في ظل الأسرة الحجازية الجبارة، أسرة السعدون والتي لعبت دوراً لا يستهان به في تاريخ المنطقة الحافل، قبائل المنتفق تشـكل دومـاً مصـدر إزعاج للسلطات البريطانية، وخصوصاً وأنهـم رؤوا أمـراءهم السـابقين (السعدون ) متمسكين بكبرياء وتقاليدهم القتالية التي جعلتهم في معـزل عن أي مساهمة أخرى في حكم البلاد، مما قوى دعاويهم، ولم يسهل أمرنـا في أراضي المنتفق حتى عام ١٩١٩ .

إيجاد الفكرة العربية وبث القضية مـن مرقـدها ومحاولـة اسـترجاع الدولة العربية التي كانت معرسة في هذا القطر فإن أول من استفز للقضية بعد أن درت ومزقتها أعـمال المغـول والتتـار والأتـراك والفـرس هـم آل سعدون فأول ساع للبعث وأول دماغ حمل الفكـرة الصـالحة وهـو دمـاغ الشيخ ثويني العبد الله فسعى لعقد حلف عربي يتكون من أضـلاع ثلاثـة عقيل وخزاعة والمنتفق تكون غايته طرد الأتـراك مـن العـراق وتأسـيس دولة عربية.

عندما يترعرع الصبي يعلم الرماية والفروسية ويعود على احتمال المشاق ومواجهة المخاطر والصعوبات ويلقن استهجان الموت الطبيعي والاستخفاف به وقد بلغ منهم هذا أنه إذا أصيب الصبي بجرح وجيء به لأهله مضرجاً بالدماء يقابله أهله وذووه بقولهم (عريس عريس) وتتعالى الزغاريد وتقام الأفراح والولائم.

# الفصل الثاني عشر

# الحروب الفارسية اليونانية

الحروب اليونانية الفارسية بالفارسية(جنگهای ایران و یونان): هي سلسلة حروب بين الإمبراطورية الأخمينية والدويلات اليونانية بدأت في عام ٤٩٩ ق.م وانتهت في ٤٤٩ ق.م. بدأ الصراع بين اليونانيون والفرس عندما احتل كورش الكبير منطقة إيونية اليونانية عام ٥٤٧ ق.م. عانى الفرس في السيطرة على سكان إيونية ذوي النزعة الاستقلالية فعينوا عدة طغاة ليحكموا المدن في المنطقة، مما شكل مشاكل كثيرة لليونانيين والفرس على حد سواء.

في عام ٤٩٩ ق.م، بدأ أريستاغوراس طاغي ميليتوس حملة عسكرية لغزو جزيرةناكسوس بدعم فارسي.

لكن الحملة فشلت وقبل إقالة أريستاغوراس، حرض منطقة آسيا الصغرى تحت الحكم الهيلينستي إلى تمرد ضد الفرس. كانت هذه بداية الثورة الإيونية التي استمرت حتى ٤٩٣ ق.م وجرت عدة مناطق في آسيا الصغرى إلى النزاع. حصل أريستاغوراس على دعم عسكري من أثينا وإريتريا، وفي ٤٩٨ ق.م، استولت هذه القوات اليونانيه على عاصمة الفرس في المنطقة سارد وحرقتها. تعهد دارا الأول ملك الفرس آنذاك بحصوله على الانتقام من أثينا وإريتريا. تواصلت الثورة بخسائر فادحة لكلا الطرفين حتى ٤٩٥ ق.م. في ٤٩٤ ق.م، أعاد الفرس تنظيم

أنفسهم وهاجموا مركـز الثـورة في ميليتوس.عـانى الإيونيـون مـن خسائر حاسمة في معركة لادة وخسروا التمرد.

بدأ داريوس حملة لغزو اليونان لمعاقبة أثينا وإريتريا لحرق سارد من جهة، وضمان أمن إمبراطوريته من تمرد اليونـانيون مـرة ثانيـة مـن جهـة أخرى. بدأ الغزو الفارسي الأول لليونـان عـام ٤٩٢ ق.م حـين اسـتولى ماردونيوس على تراقيا ومقدونيا.

بعد ذلك، حصلت عدة حوادث لحملته أجبرته على إنهاء حملته. في عـام ٤٩٠ ق.م، أرسـل الفـرس قـوات جديـدة إلى اليونـان عـبر بحـر إيجـــة بقيـــادة داتـــيس وأرتـــافيرنيس. نجحـــت هـــذه الحملـــة في إخضاع كيكلادس ومحاصرة وإخضاع إريتريا. بعد ذلك، اتجهت الأنظـار إلى أثينا ولكن عانى الفرس خسارة كاسحة عـلى يـد الأثينيـين في معركـة ماراثون منهية بذلك الهيمنة الفارسية.

خطط داريوس مرة جديدة للاستيلاء على اليونان ولكنه مات عـام ٤٨٦ ق.م. تحمل ابن داريوس خشايارشـا مسـؤولية غـزو اليونـان بعـد موت أبيه، وقاد بنفسه الغزو الفارسي الثـاني لليونـان. بعـد فـوز الفـرس في معركة ترموبيل عـلى الـدويلات اليونانيـة، أحرقـوا مدينـة أثينـا التـي هجرها سكانها واستولوا على معظـم أراضي اليونـان. لكـن في محـاولتهم لتدمير الأسطول اليوناني، عـانى الفـرس مـن خسـارة فادحـة في معركـة سالاميس.بعد ذلك، هـاجم اتحـاد الـدويلات اليونانيـة الفـرس هزمـوا الجيش الفارسي فيمعركة بلاتيا وانتهى الغزو الفارسي.

توالت انتصارات اليونانيون المتحالفون ودمروا ما تبقى من الأسطول الفارسي في معركة ميكالي قبل أن يقوموا بطرد ما تبقى من الفرس من بيزنطة وسيستوس. خلال حصار بيزنطة، قام الجنرال باوسانياس بعدة

أفعال أدت إلى حصول فراغ بين الدويلات اليونانية وإسبرطة، ولذلك نشأ تحالف جديد تحت قيادة أثينية تولى مهمة محاربة الفرس عرف باسم الاتحاد الديلي .تابع الاتحاد الديلي حملاته ضد بلاد فارس لثلاثة عقود، بدءاً بالقضاء على الحصون الفارسية في أوروبا. انتصر التحالف خلال معركة يوريميدون عام ٤٦٦ ق.م، واستعادوا السيطرة على مدن إيونيا. بعد انتصارات عدة، عانى الاتحاد من خسارة فادحة عندما شارك في ثورة مصرية عام ٤٦٠ ق.م أدت إلى إيقاف حملاته. أرسل الاتحاد بعثة أخيرة تمثلت في أسطول إليقبرص لم تعط نتيجة، وعندما انسحب الاتحاد من قبرص انتهت الحروب اليونانية الفارسية.

تشير بعض المصادر إلى معاهدة سلام بين فارس وأثينا أدت إلى إنهاء العداء بينهما عرفت باسم سلام كالياس.

## مصادر:

تعد جميع المصادر التي تشير إلى الحروب اليونانية الفارسية مصادر يونانية، حيث لم تتبقى أية مصادر فارسية إلى يومنا هذا. أما المصدر الأساسي للحرب، فهو المؤرخ الإغريقي هيرودوت، كتب هيرودوت كتاب التاريخ خلال ٤٤٠-٤٣٠ ق.م محاولاً تتبع أصول

الحروب اليونانية الفارسية استخدم أسلوب الرواية للكتابة، ومن خلال عمله اخترع التاريخ كاختصاص علمي. فكانت أول مرة لمؤرخ يحاول تتبع أحداث في التاريخ لا ليثير إعجاب الناس والآلهة، بل ليكتشف هو أسبابها ويحللها

## هيرودوت، المصدر الأساسي:

انتقد بعض المؤرخين اللاحقين هيرودوت وأساليبه، ومن بينهم ثوسيديديس، ومع ذلك اختار ثوسيديديس أن يكمل مشوار هيرودوت في تأريخ هذه الحروب بدءاً بحصار سيستوس، حيث شعر أن تاريخ هيرودوت كان دقيق لدرجة أنه من غير الضروري إعادة كتابته كما انتقد فلوطرخس هيرودوت بشدة ووصفه بأنه محب للبربريين وغير موالٍ للإغريق بشكل كافي. يشير هذا الوصف إلى أن هيرودوت كان موضوعي في وصفه للأحداث بقيت هذه النظرة السلبية لهيرودوت حتى عصر النهضة في أوروبا بالرغم من أن أعماله كانت منتشرة في كل مكان. لكن استطاعت الاكتشافات الأثرية منذ القرن التاسع عشر أن تحسن من صورة هيرودوت عن طريق تأكيدها لصحة روايات هيرودوتيعتقد الكثير من المؤرخين أن هيرودوت قام بإنجاز عظيم في كتاب التاريخ، لكن يشك الكثيرون في صحة بعض التفاصيل، خصوصاً أعداد المقاتلين والتواريخ مع ذلك، يوجد بعض المؤرخين الذين يؤمنوا أن هيرودوت اختلق القسم الأكبر من القصةبالنسبة للفترة الزمنية بين الغزو الفارسي الثاني لليونان والحرب البيلوبونيسية-٤٧٩) ٤٣١ق.م) فهي فترة غير مدعومة بمصادر تاريخية كافية.

تسمى هذه الفترة بالخمسين سنة) باليونانية *πεντηκονταετία*: وعرفت بكونها فترة سلام وازدهار في اليونان. ويعد كتاب ثوسيديديس تاريخ الحرب البيلوبونيسية المصدر التاريخي الأساسي لهذه الفترة.

وفر فلوطرخس تفاصيل إضافية عن هذه الفترة التاريخية في السير الذاتية التي كتبها عن ثيميستوكليس، أريستيدس وكيمون .ولكن تعتبر مصادر فلوطرخس ثانوية لكونه عاش بعد٦٠٠ سنة من الأحداث، ويوفر فلوطرخس دائماً مصادر لكتاباته مما يسهل عملية التأكد من أقواله يوجد في هذه السير الذاتية بعض التفاصيل التاريخية التي كانت موجودة في كتابات هيرودوت وثوسيديديس والتي تعتبر ضائعة اليوم. وآخر مصدر لهذه الفترة هو المكتبة التاريخية: وهي موسوعة تاريخية عالمية التي كتبها ديودور الصقلي. وتعتبر معظم أعمال ديودور عن هذه الفترة مستمدة من أعمال المؤرخ الإغريقي الذي سبقه إفوروس الذي كتب أيضاً موسوعة تاريخية عالمية. تعد أعمال ديودور مصادر ثانوية ويسخر العديد من المؤرخين المعاصرين من أسلوب ديودور لعدم دقة أعماله، لكن تحتوي أعماله على تفاصيل كثيرة عن العالم القديم غير موجودة في مصادر أخرى.

**أخيراً**، يوجد بعض المصادر المبعثرة في وصف اليونان من تأليف باوسانيوس، بينما يحتوي قاموس السودا البيزنطي على بعض الحكايات

غير الموجودة في كتب أخرى. وتعتبر بعض أعمال بومبيوس تروغوس، كورنيليوس نيبوس وكتسياس مصادر صغيرة. كما تعتبر هذه المصادر غير موثوقة ومحدودة الفائدة عند تأريخ هذه الفترة.

## غزوات داريو:

- **الغزو الفارسي اليوناني الأول :**

حاول دارا أن يعاقب الاثينيين على ما اقترفوه في حق فارس من تحريض للمدن الأيونية. فارسل حملة ضدهم بقيادة ماردونيوس عام ٤٩٢ ق.م وقد هزمت تلك الحملة كلا من مقدونيا وتراكيا ولكن الأسطول أعطب بسبب العواصف الهوجاء ولم تحقق أهدافها.

- **معركة ماراثون :**

قرر الأثينيون والأسبارطيون التعاون برغم خلافاتهم القديمة، استقبلوا رسل الفرس استقبالاً عدائياً. فقد جاء الرسل يطلبون تسليم (الأرض والماء) فما كان من الأثينيين إلا أن القوا بالمبعوث الفارسي من فوق صخرة الآريوس باجوس قائلين له: هذه هي الأرض وقام الأسبارطيون بعمل مشابه إذ القوا بالمبعوث الفارسي إليهم في بئر عميقة قائلين له: هذا هو الماء. وعندما علم الأثينيون بنزول الفرس بسهل مارثون أرسلوا العداء الشهير فيديبيديس إلى أسبرطة فقطع المسافة التي تبلغ ١٥٠ ميلاً في يومين. ولكن الاسبرطيون تخاذلوا في اللحظة الأخيرة واعتذروا عن الاشتراك قبل أن يصبح القمر بدراً وهكذا وصلوا إلى مارثون في اليوم التالي لانتهاء المعركة.

قرر الأثينيون قبول المخاطرة ولم يساعهم سوى مدينة بلاتيا الصغيرة. وخرج البوليمارخوس كاليماخوس على رأس جيش ضم ١٠٠٠٠ مقاتل وكان يعاونه في القيادةملتيادس (قائد اثيني( الذي كان يقود ١٠٠٠ من متطوعي

بيوتيا وفي يوم ١٢ سبتمبر عام ٤٩٠ ق.م قاتل الأثينيون بشراسة منقطعة النظير وأنزلوا بالفرس خسائر فادحة بلغت ٦٤٠٠ قتيل و٧ سفن مقابل ١٩٢

قتيل من بينهم كاليماخوس نفسه. ويعود النصر في الواقع إلى الخطة التي اتبعها ملتيادس فأمر بتقهقر قلب الجيش مما أغرى الفرس بالتقدم أماماً فأطبق عليهم بجناحي الجيش وهزمهم هزيمة نكراء.

وبالرغم من هزيمة الفرس على الأرض إلا أن أسطولهم كان مايزال مستعداً لإنزال ضربة قاسمة بالأثينيين في غياب جيشهم ولكن ذكاء ملتيادس تجلى في إقناعه لجنوده بالعدو في اتجاه أثينا لمسافة أكثر من ٢٠ ميلاً رغم اشتراكهم في القتال طوال النهار فوصلوها ليلاً وكانوا على استعدادهم للقاء عدوهم الذي وصل بأسطوله قبالة المدينة في صباح اليوم التالي. وعندما أدرك الفرس ما حدث ترددوا في ابراز الجنود ثم استداروا عائدين إلى قواعدهم في آسيا الصغرى وهكذا ضاعت أحلام هيبياس في العودة إلى الحكم ونجت اثينا من الغزو الفارسي.

وكانت نتائج الحرب على الجانب الإغريقي شديدة الأهمية فقد وصل الأسبرطيون إلى ميدان المعركة بعد انتهائها ولم يعد لهم إلا تهنئة المنتصرين بينما أحدث انتصار أثينا ضجة في بلاد الإغريق التي اكتشفت فجأة أن أثينا قوة هامة عسكرياً حتى أنها استطاعت لوحدها أن تهزم عدواً يخشاه الجميع. وبعد أن قدمت القرابين للآلهة وأقامت النصب التذكارية للشهداء بدات تعيد النظر في موقعها.

- **غزوات خشايارشا الأول:**

✓ **معركة ترموبيل:**

وقعت معركة ترموبيل أو معركة ثرموبيلاي بين الفرس بقيادة أحشويرش الأول والإغريق بقيادة ليونيداس ملك أسبرطة في عام ٤٨٠ قبل الميلاد، أسفرت المعركة عن هزيمة الإغريق ٧٠٠٠ مقابل ١٨٠ الف يونانى ومنهم تحالف الاثينيين والاسبارطيين وبقية المدن الاغريقية، المصدر الوحيد هو هوميروس المؤرخ اليوناني الشهير والذي يُلقب بأبو التاريخ، وأسفرت المعركة عن هزيمة اليونانيين الإغريق والاتجاه إلى أثينا وحرقها؛ الأسطورة يضرب بها المثل في تفوق التدريب والتخطيط الصحيح على الكثرة العددية، كما تسمى الحرب الميديّة (٤٩٢ – ٤٤٩ ق.م).

➢ **أسباب حدوث المعركة:**

حرب طويلة خاضتها اليونان القديمة لصدّ حملات الفرس عليها بعدما احتلت فارس البلاد اليونانية الواقعة في آسيا الصغرى وبدأت

تهدد المدن اليونانية في أوروبا، أما السبب المباشر فهو الاحتلال الفارسي أو محاولة فارس بالاستيلاء على كافة البلدان الناطقة باليونانية، هنا تجدر الملاحظة بأن اسم اليونان في العربية هو مشتق من كلمة أيونيا اليونانية وهي البلد اليوناني الذي مازال غير مستقلاً والواقع في غربي تركيا الآن.

- **الجيوش المتحاربة وقادتها:**

الحملة قادها أحشويرش الفارسي في ٤٨١ ق.م فاجتاح اليونان بجيش عظيم حاول الأسبارطيون عبثاً إيقافه في ممر ترموبيل بقيادة ليونيداس و٧٠٠٠ من قواته.

- **وقائع المعركة:**

  - جرت معركة بين الفرس بقيادة داريوس وبين اليونان انتهت بانتصار الاغريق وكان انتصار ساحق.
  - جرت معركة بين الأسطول الفارسي بقيادة خارشيا الأول وبين الإسبرطيون بقيادة ليونيداس وجيشه ومجموعة من الأركيد.
  - بين الأسطول الفارسي بقيادة احشويرش وبين الإسبرطيون بقيادة ديليوس.

- **نتائج الحرب:**

  - أسفرت الحملة الأولى عن انتصار جيوش فارس واندحار الاسبرطيين والأثينيين، بسبب الجيش الفارس الضخم والمؤنات وتفوقها العددي الضخم.

- سقطت أثينا وأحرقت، ورغم ذلك تمكن تميستوكلس من القضاء على عدد من الأسطول الفارسي في سلامينا ٤٨٠ ق.م فتقهقر الفرس بسبب قطع المؤونة وتابعهم اليونانيون حتى شواطئ آسيا وحقق قيمون انتصاراً مزدوجاً على الفرس في البر والبحر ٤٦٨ ق.م.
- تلا ذلك فترات هدنة إلى أن انتهت الحرب بعقد الصلح والهدنة في عاصمة الفرس شوش بين كالياس اليوناني وأرتحششتا ٤٤٩ ق.م وقد قضى الاتفاق بمنع دخول السفن الفارسية إلى بحر إيجه، واحترام حرية التجارة في المدن اليونانية والساحل الفارسي في الأناضول.

# الفصل الثالث عشر
# الحرب الروسية الشركسية

## مقدمة:

الحرب الروسية الشركسية( بالروسية *Русско-Черкесской войны :* *١٧٦٣- ١٨٦٤* ) تشير إلى سلسلة من المعارك والحروب في شركيسيا، القسم الشمالي الغربي من القوقاز/ القفقاس، بين الشعب الشركسي والقوات الروسية الغازية وبمعاونة من مجامع المرتزقة القوزاق، والتي التي كانت جزءاً من احتلال الإمبراطورية الروسيةللقوقاز الشمالي/ شمال القفقاس والتي دامت فيها الحروب قرابة ١٥٠ عاماً، وبدأت هذه الحروب تحت حكم القيصر الروسي بطرس الأكبر وانتهت عام ١٨٦٤.

مع أن غزو القوقاز/ القفقاس بدأ تقريباً مع بدء الحروب الروسية الفارسية، المصطلح حرب القوقاز يشير إلى الفترة .١٨١٧-١٨٦٤ أما مصطلح الحرب الروسية الشركسية فظهر في١٧٦٣، عندما بدأ الروس إقامة الحصون والمخافر الحدودية، ومن ضمنهاموزدوك، ليستخدموها كنقطة انطلاق للغزو والسيطرة الكاملة على كامل مناطق شمال القفقاس (القوقاز)، ومناطق شركيسيا وداغستان بشكل خاص.

الحرب القوقازية في شمال القفقاس والتي أنتهت آخر مراحلها الحرب الروسية الشركسية بتوقيع استسلام ما تبقى من القادة الشركس في ٢ يونيو١٨٦٤ . و بعد ذلك، الدولة العثمانية عرضت إيواء الشركس الذين لم يقبلوا العيش تحت حكم عاهل مسيحي في أراضيها، وحاربوا روسيا القيصرية

لمدة ١٠١ عام دفاعاً عن حريتهم واستقلالهم و بعد اشتداد الاضطهاد الديني وما رافقه من عمليات الإبادة التي أرتكبت ضد الشراكسة، قامت القوات الروسية بتهجير القفقاسيين بشكل عام والشركس بشكل خاص إلى الأناضول، قلب الدولة العثمانية، وانتهى بهم الأمر حالياً في تركيا، سوريا، فلسطين،الأردن وكوسوفو. مؤرخون عديدون مختلفون (روس وقوقازيون وغربيون) اتفقوا على أن تقريباً ٥٠٠٠٠٠ ساكن في مرتفعات القوقاز تم ترحيله عنوة من قبل روسيا القيصرية خلال الستينيات من القرن التاسع عشر. ماتت أعداد كبيرة منهم جراء المرض أثناء الرحيل. أولئك الذين بقوا في روسيا إجبروا على ترك أراضيهم والعيش بالأراضي الشركسية المنخفضة والتي كانت مرتعاً للأمراض لوجود السبخات التي يكثير فيها البعوض قرب مدينة كراسنودار، على الضفة الغربية من نهر الكوبان.

## العلاقات الأولية بين روسيا والشركس:

شركيسيا هي منطقة أغلبية سكانها قبل ١٨٦٠ كانوا من الأديغة، المعروفين باسم الشركس. تحوي هذه المنطقة على القسم الأكبر من المنطقة بين نهر الكوبان المتدفق من الغرب إلى الشمال وسلسلة جبال القوقاز من الجنوب، مع أن نهر كوبان يشكل جزء فقط من الحدود الشمالية. الشركس لم يكونوا يوماً موحدين بشكل سياسي. الجزء الغربي الأكبر من شركيسيا، انتمى إلى حوالي عشر من القبائل، يعيشون في

مجتمعات يرأسها مشايخ.وفي شرق شركيسيا كان هناك نظامان حاكمان سياسيان إقطاعيان، قباردا الكبرى وقباردا الصغرى. في أواخر الخمسينيات من القرن السادس عشر، حاكم إحدى القباردتين،

تمرايوك أنشأ تحالفاً سياسياً عسكرياً مع القيصرـ إيفان الرابع(إيفان الرهيب)، من أجل المساعدة المتبادلة ضد الهجمات التوسعية التي شنتها كل من الإمبراطوريتين الفرسية والعثمانية. في هذه الفترة الشركس كانوا مسيحيين؛ الإسلام لم يبدأ في شركيسيا حتى القرن الذي تلاه. في الستينيات من القرن السادس عشر، إيفان وتمرايوك بدأ في بناء الحصون، من بينها تومنيف عند النهايات الغربية من الأراضي الشركسية وعلى طول المجرى الأعلى من نهر السونزا، عند النهاية الشرقية من الأراضي الشركسية.

**فرصة روسيا:**

خلال منتصف القرن الثامن عشر، المنطقة الشركسية كانت منطقة استراتيجية للصراع على السلطة بين الإمبراطورية الفرنسية والإمبراطورية البريطانية القويتين، والإمبراطورية الروسية الناشئة، والدولة العثمانية المتراجعة قوتها. روسيا قد حددت أهدافها من أجل التوسع على طول البحر الأسود، بينما بريطانيا وفرنسا

سعتا إلى خفض قدرة روسيا من تراجع الدولة العثمانية، سياسة أجنبية عرفت باسم الإجابة على المسألة الشرقية.

خطط بيتر العظيم من أجل التوسع باتجاه الهند والبحر الأسود شملت إشراك تركيا وبلاد فارس .لتسهيل سقوط فارس، احتاجت روسيا إلى أحواض بناء سفن على البحر الأسود، مما جعل شركيسيا وسواحلها هدفاً لروسيا.

- **ضم شركيسيا الشرقية:**

في عدد من المناسبات، استفاد الجيش الروسي من الاضطرابات التي كانت موجودة بين الحكام الفرس، حيث في ٢٢ يونيو ١٨٠٦ أثناء الحرب الروسية الفارسية (١٨٠٤ – ١٨١٣) سقطت بلدة دربند الواقعة على بحر قزوين على يد القوات الروسية من دون إطلاق طلقة رصاص واحدة. حاكم دربند، الشيخ علي، كان مكروه من قبل سكان بلدته حيث عندما جاءت القوات الروسية تمرد السكان وسمحوا للروس بالسيطرة.

في١٨٠٤ ، القباردى المستبعدين، مع الشركس الغربيين المتبقين وجيرانهم البلقار، القراشاي، الأباظة، الأوسيتيين،الإنغوش والشيشانيين، وحدوا قواهم في ثورة عسكرية. المتمردين طالبوا بتدمير الحصن الروسي كيزلوفودسك ودمار خط غوردون، الذي كان إحدى ثلاثة خطوط دفاعية، وكلها تكونت من سلسلة من الحصون التي بنيت خلال النزاع: الخط القوقازي في١٧٨٠ ، خط تشيرنومورسكي كوردون في١٧٩٣ ، وخط سونجا في .١٨١٧ مع رفض هذه المطالب، وبالرغم من تحذيرات

إراقة الدماء من قبل الجنرال بافل تسيتسيانوف، القوات المتمردة بدأت تهدد حصن كيزلوفودسك القوات القبردية أرجعت القوات الروسية بقيادة الجنرال غلازنيب إلى جيورجيفسك وم ثم حاصرتهم، لكن المهاجمين أرجعوا للوراء بدورهم في النهاية، و٨٠ قرية قبردية/ شركسية شرقية أحرقت على سبيل الانتقام. في أكتوبر١٨٠٩ ، القوات المتمردة هاجمت الخط القوقازي. بين عامي ١٨٠٩ و١٨١٠، التعزيزات الروسية بدأت بالقبض على أمراء قبرديين

لمقاومتهم الحكم الاستعماري، الذي أدى إلى كثير من الأمراء بالخضوع لسيطرة الروس وبعض قوات المقاومة بالتخلي عن الحرب. في١٨١٠ ، دمر جيش روسي بقيادة الجنرال بولجاكوف ٢٠٠ قرية شركسية وأخذ ٢٠٠٠٠ رأساً من الماشية.

في١٨١١، أرسلت عرائض إلى سانت بطرسبورغ في روسيا، التمست حقوق القبرديين الأرستقراطيين في المناطق المحتلة. في حين أن الكثير من النقاط تمت الموافقة عليها بسرعة، وطلبات العودة إلى الأرض التي تشغلها الحصون الروسية درست بإمعان. شجعت روسيا ولاء النبلاء القبرديين المهزومين عن طريق التبرعات إلى الحكومة الشركسية وإعطاء رتب عسكرية فخرية للأرستقراطية في الجيش الروسي. وفي الوقت نفسه، على الجبهة العسكرية، القوات الروسية في الأراضي الشركسية تم توحيدها في فيلق قوقازي جديد في ١٨١٦ تحت قيادة الجنرال القادم حديثاً أليكسي يرمولوف. في مايو١٨١٨، تم محاصرة قرية

تراموف وحرقها وقتل سكانها من قبل القوات الروسية تحت قيادة الجنرال ديلبوتسو، الذي أخذ أوامره من يرمولوف وكتب إلى القوات المتمردة: "هذه المرة، سأوقف نفسي عند هذا الحد. في المستقبل، لن أرحم قاطعي الطرق المذنبين؛ قراهم ستدمر، ممتلكاتهم ستأخذ، زوجاتهم وأولادهم سيذبحوا". بنى الروس أيضاً عدة تحصينات في تلك السنة.

أرسلت قوات عسكرية إلى قبارديا، مما أسفر عن قتل الماشية وهرب الكثير من السكان إلى الجبال، مع عملية احتلال الأرض و إعطائها على المرتزقة والمجامعة الإرهابية القوزاق الكوبان، بحيث أصبحت قبارديا (شركيسيا الشرقية) كلها منطقة روسية.

تسارعت جهود يرمولوف، ففي شهر مارس ١٨٢٢ قام بتشريد سكان أربعة عشر قرية قبردية كما قام يرمولوف بقيادة حملات نحو شركيسيا الغربية. بناء خطوط دفاعية جديدة في قباردية أدت إلى ثورات متجددة، الذين تم سحقهم في النهاية. لإحباط ثورات جديدة، أعطى الروس الحرية لعبيد أرض الأسياد الذين قادوا الثورات الأخيرة. وضعت شركيسيا تحت الحكم الروسي العسكري في١٨٢٢، مع إنشاء مجلس قبردي مؤقت.

- **غزو شركيسيا الغربية:**

➢ **تمهيد: قيام روسيا بغارات على شركيسيا الغربية:**

استهدفت قبرديا الصغرى (شركيسيا الغربية) لهجوم جديد بقيادة الجنرال ستال، الذي أعطيت قيادة الخط القوقازي له عام ١٨١٩.

في سبتمبر ١٨٢٠، بدأ ستال مع قواته بإعادة توطين سكان شركيسيا الغربية بالقوة.

➢ **الغزو:**

بينما تم احتلال شركيسيا الشرقية، دخلت روسيا في حرب مع تركيا من أجل تحرير ساحل البحر الأسودمن السيطرة التركية، كما اندلعت

حروب أخرى متفرقة مع جيران لروسيا آخرين، من ضمنهم الشيشانيونفي شرق شركيسيا، بالإضافة إلى عدة قبائل هيمنت؛ البيسلينيون، الأبزاخ، الوبخ، الشابسوغ الناتخواج .وشارك هؤلاء بصورة خاصة في الإغارة على مراكز الاستطلاع الروسية في ما كان يدعى بشركيسيا الشرقية أو قبارديا.

استمرت هذه الغارات لعدة سنوات، بينما استمر الروس بتحصين مراكزهم؛ ببناء جبهة لابينسكي الدفاعية، وتطوير نوع جديد من الكشافين، عرفوا باسم البلاستون، لاستكشاف الأراضي التي يسيطر عليها الشراكسة البعيدة عن المناطق الدفاعية الروسية. اشتبكت القوات الروسية والشركسية بشكل متكرر، بشكل رئيسي عند سهول الكوبان، حيث يستطيع الفرسان أن يناوروا بحرية.

لا يمكن منع التجارة مع شركيسيا، لكن زود الأتراك والبريطانيين شركيسيا بالأسلحة النارية والذخائر لمحاربة الـروس. زودتهـم بريطانيـا أيضـاً بعـدة مستشـارين، في حـين أن تركيـا حاولـت لـدفع الشرـكس ببدء حرب مقدسة، لاستمداد الدعم من دول أخـرى. في١٨٣٦، قامـت البحرية الروسية بالاستيلاء على سـفينة تجاريـة بريطانيـة لتـورد أسـلحة للشركس.

في ذلك الوقت، عندما كان القيصر نيكولاي الأول يحكم روسـيا، أمر ببناء قلاع في كـل نقطـة اسـتولى عليهـا الـروس عـلى سـاحل البحـر الأسود المستولى عليه لاستيعاب السفن البحرية الروسية. وكـان الـرأس ألدر أحد هذه المناطق. في ٣ يونيو١٨٣٧، القوات البحرية الروسية تحـت قيادة العميد البحري

إسمونت، مع الجنود بقيادة الجنرال فولكهوفسكي، بدأت بالاتجـاه نحو رأس ألدر، ووصلت في ٦ يونيو .بارون روسن، قائد روسي، أرسـل سفينة للاستطلاع لإيجاد مكان لإنزال الجند، لكـن المـدافعين الشرـكس جعلوها تعود من حيث أتت.

في ٧ يونيو١٨٣٧، الجنـرال فولكهوفسـكي نـزل عنـد رأس ألـدر ودخل في غابة قريبة، حيـث انسـحب منهـا المـدافعين الشرـكس بسـبب قصفها من قبـل السـفن الروسـية. في الغابـة الكثيفـة، اقـترب المـدافعين الشركس من المواقع الروسية بهدوء ثم قـاموا بـالهجوم ولكـنهم هزمـوا، لكن القوات الروسية التي لاحقتهم التقت بكثير من المدافعين، فأرسلت

الرسل عودةً ولكن الكتائب الشركسية جدتهم وقتلتهم. اشتبك الروس بعدئذ بقتال مع عدوهم، ولم يستطيعوا هزيمتهم إلا بعد الوصول المتأخر للتعزيزات الروسية فأمنوا بذلك رأس ألدر. لاحقاً تلك السنة، زار نيكولاي الأول المنطقة ليرى الوضع بنفسه.

في ١٣ أبريل١٨٣٨، اشتبكت القوات الروسية مع الجيش الشركسي عند مصب نهر سوتشي، وفي ١٢ مايو١٨٣٨ ، نزل الروس في توابسي .أغلبية الاشتباكات خلال هذا الجزء من الصراع كانت إما عن طريق إنزال القوات البرمائية عند البلدات الساحلية انسجاماً مع خطط القيصر لتأمين الموانئ المحتملة، أو عن طريق توجيه القوات الشركسية الراسخة في المعاقل الجبلية. في توابسي، أحد أشرس معارك الصراع حصلت، بدأ إنزال القوات الروسية في الساعة ١٠:٠٠ صباحاً، ولم يتم إطاحة الشركس من مواضعهم حتى الساعة ٥:٠٠ بعد الظهر، مع إكباد الروس خسائر فادحة. في اليوم التالي، ١٣ مايو، عندما أتى الشركس لطلب الأذن من أجل أخذ جثث أمواتهم من أرض المعركة، أعطى القواد الروس (العميد أولشيفسكي والملازم الأول بارون غراش) المحاضرات للشركس عن فائدة البقاء تحت الحكم الروسي.

- **بداية النهاية:**

لاحقاً تلك السنة، زار الابن القيصر ألكسندر الثالث القوات الروسية. سقوط غونيب والقبض على الإمام شامل، قائد متمرد متدين، من قبل دميتري ميليوتين عام١٨٥٩ ، كان القسم النهائي في غزو القسم الشرقي لشمال القوقاز( الشيشان وداغستان) بين ١٨٥٦ و١٨٥٩، تم بناء خطين دفاعيين لاحتواء القبائل المعادية للحكم الروسي. في مايو١٨٥٩ ، فاوض شيوخ من البجه دوغ السلام مع روسيا واعترفوا بالولاء للقيصر، حيث عهدوا للولاء للقيصر في نقاط تجمع بعد نهر الكوبان. الزعماء الشراكسة المتبقيين رأوا فرصة قليلة في المقاومة ضد التفوق العسكري والاقتصادي الروسي. الكثير من القبائل المتبقية استسلمت للروس، من ضمنها الأبزاخ في ٢٠ نوفمبر ١٨٥٩. الوبخ المتبقيين تم قتلهم ولكن استطاع قسم منهم الهرب إليالدولة العثمانية .الحرب القوقازية، التي شملت الحرب الروسية الشركسية انتهت في ٢ يونيو١٨٦٤ ، في كابادا، قرية سكانها الأخشيبسو إحدى قبائل الأباظة. اعتبر الدوق الكبير مايكل أليكساندروفيتش الروسي – قائد القوات الروسية العام في المنطقة – "احتلال غرب القوقاز ونهاية حرب القوقاز".

## آثار الصراع:

- **الإصابات بين المدنيين:**

عند اقتراب نهاية الصراع، أعطي الجنرال الروسي يفدوكيموف مهمة إبعاد الشركس المتبقيين عن المنطقة، بشكل نهائي نحو الدولة العثمانية .طبق هذه السياسة كتائب الجند الذين يحملون البنادق وسلاح فرسان القوزاق المتنقلين. "في سلسلة من الحملات العسكرية الكاسحة المستمرة من ١٨٦٠ حتى ١٨٦٤

أفرغ القوقاز الشمال الغربي وساحل البحر الأسود من القرويين المسلمين. مشت الجماعات المشردة إما إلى سهول نهر الكوبان أو نحو الشاطئ من أجل الانتقال إلى الدولة العثمانية واحدة تلو الأخرى، القبائل الشركسية كلها إما تم تفريقها أو إعادة توطينها أو قتلها". هذه الخطة تم استخدامها لمدة سنوات. ليو تولستوي، كاتب الحرب والسلام، رأى الأحداث برمتها في١٨٥٠ ١٨٥١ - ؛ لقد وصف قائلاً: "لقد جرت العادة الذهاب بسرعة إلى القرى الجبلية، حيث يؤخذوا على حين غرة، لن يكون هناك وقت لأن تهرب النساء والأطفال، والفظائع التي ارتكبها تحت غطاء الليل عندما دخل الجنود الروس البيوت كل اثنين أو ثلاثة معاً، لم يتجرأ أي راوي على وصف ماحدث". ارتكبت فظاعات أخرى في الحملة الأخيرة التي حصلت في ١٨٦٤ - ١٨٥٩ سجلها المراقبين الروس المعاصرين والقناصل البريطانيين. وروى القنصل ديكسون في ١٨٦٤ عن أحد المهام: "فصيلة روسية غزت قرية توباه على نهر سوباشي، وكان يسكنها حوالي ١٠٠ نسمة من قبيلة الأبزاخ، وبعدما

استسلموا وقدموا أنفسهم كسجناء، تم ذبحهم من قبل القوات الروسية.وكان من بين الضحايا امرأتين في حالة متقدمة من الحمل وخمسة أطفال. وانتمت المهمة لجيش الكونت إيفدوكيموف، ويقال أنها تقدمت من وادي بشيش. عندما امتلكت القوات الروسية السيطرة على ساحل البحر الأسود، لم يكن مسموح للسكان الأصليين أن يبقوا هناك تحت أي ظرف، ولكن يمكنهم الانتقال إما إلى سهول الكوبان أو الهجرة إلى تركيا."

هذا الطرد، جنباً إلى جنب مع العمليات العسكرية التي كانت تحصل على الأرض الشركسية، أعطت دفعة لحركة تضم المنحدرين من المطرودين من الأرض الشركسية لاعتراف عالمي بحصول الإبادة الجماعية الشركسية. في١٨٤٠ ، قدر كارل فريدريتش نيومان الخسائر الشركسية بحوالي مليون ونصف. كما تفيد بعض المصادر بأن مئات الآلاف ماتوا أثناء الطرد. كما يستعمل بعض المؤخرين مصطلح 'مجازر الشركس'، كأحد عواقب أفعال روسيا في المنطقة.

يذكر المؤرخين الشركس أن عدد أرقام الضحايا قريب من الأربع ملايين، بينما تصل الأرقام الروسية إلى نحو ٣٠٠٠٠٠. إذا كانت تقديرات نيومان صحيحة، فهذا يجعل الأمر أكبر عدد من قتلى المدنيين في القرن التاسع عشر، والتعداد الروسي لعام ١٨٩٧ يذكر فقط ١٥٠٠٠٠ شركسي، عشر الرقم الأصلي، ظل في المنطقة المحتلة. في إشارة لتصرفات الجيش خلال النزاع، ذكر الرئيس الروسي بوريس يلتسين في مايو ١٩٩٤ في أن مقاومة الشعوب

الجبلية للجيوش القيصرية كانت شرعية، لكنه لم يعترف بـــ"ذنـب الحكومة القيصـرية في الإبادة الجماعية.

في أكتـــوبر٢٠٠٦ ، أرسـلت المـنظمات الأديغيــة (الشركســية) في روسـيا، تركيـا، إسرائيـل، الأردن، سـوريا، أميركـا، بلجيكـا، كنـدا وألمانيا رسـالة إلى رئـيس البرلمـان الأوروبي تضـمنت طلـب الاعـتراف بالإبادة الجماعية التي حصلت ضد شعب الأديغة.

- **التهجير :**

بعـــض المصــادر تفيــد في أن ثلاثــة ملايـــين شركسيـــ طـــرد من شركيسيا في فترة استمرت حتى ١٩١١. مصادر أخرى تفيـد بـالقول أن أكثر من مليوني لاجئ شركسـي هرب من شركيسـيا بحلـول١٩١٤، ثم ذهبـوا إلى دول ومنـاطق مثـل البلقـان، تركيـا، التـي كانـت معروفـة باسم الدولة العثمانية، وعرفوا عندئذ باسـم مهـاجر، سـوريا، لبنـان، مـا يعـرف الآن بـــ: الأردن، كوسوفو،مصـــر) كـان الشرـكس جـزءاً مـن جــيش المماليــك منــذ العصــور الوســطى (فلســطين) في قــرى كفــر كما والريحانية، منذ(١٨٨٠ ، كما ذهب منهم إلى مناطق بعيـدة مثـل شـمال ولاية نيويورك ونيو جيرسي

بالنسبة لـبعض المـؤرخين الـذين يوافقـون عـلى مصـطلح الإبـادة الجماعية للشركس، ٩٠٪ من الناس ذوو الأصول الشركسـية يعيشـون في بلدان أخرى، بشكل رئيسي في تركيا والأردن ومناطق أخرى من الشرـق الأوسط، حيث هناك فقط حوالي ٣٠٠٠٠٠ – ٤٠٠٠٠٠ يعيشون في مـا يدعى اليوم بروسيا .

المناطق الشركسية الخالية من السكان أعيد التوطين فيها نـاس مـن مختلف الأصول العرقية، منهم الـروس، الأوكرانيـون الجورجيـون. نشـأ احتكاك بين هذه الشعوب والسكان الأصـليون في أبخازيـا، عامـل أدى إلى احتكاك بين المجموعتين العرقيتين ناتجاً حرب في أبخازيا.

# الفصل الرابع عشر
# غزو الفرس الثاني لليونان

الغزو الفارسي الثاني لليونان (٤٨٠-٤٧٩ قبل الميلاد) وقع خلال الحروب الفارسية اليونانية، الملك زركسيس الأول من بلاد فارس سعى إلى قهر كل اليونان. كان الغزو نتيجة مباشرة وإن كانت متأخرة لفشل الغزو الفارسي الأول لليونان (٤٩٢-٤٩٠ قبل الميلاد) في معركة ماراثون ، والتي أنهت محاولات داريوس الأول لإخضاع اليونان. بعد وفاة داريوس قضى ابنه زركسيس عدة سنوات في التخطيط للغزو الثاني، حاشداً جيشاً هائلاً وبحرية ضخمة. قاد الأثينيون والأسبرطيون المقاومة اليونانية. حوالي عُشر المقاطعات اليونانية انضمت للتحالف بينما بقيت المقاطعات الباقية على الحياد أو خضعت لحكم زيركسيس.

بدأ الغزو في ربيع عام ٤٨٠ قبل الميلاد، بعبور الجيش الفارسي الدردنيل وسار من خلال تراقيا ومقدونيا إلى ثيساليا. تمت إعاقة التقدم الفارسي في ممر تيرموبيلاي عن طريق قوات صغيرة تحت الملك ليونيداس الأول ملك أسبرطة، وفي نفس الوقت، تمت إعاقة الأسطول الفارسي عن طريق قوات تحالف عند مضيق الآرتميسيوم. وفي معركة تيرموبيل الشهيرة، أعاق جيش التحالف تقدم الجيش الفارسي لمدة سبعة أيام، قبل أن يتم التغلب عليهم من خلال طريق جبلي ومن ثم تمت محاصرة جيش

الحلفاء وإبادته. صمد أسطول الحلفاء أيضاً يومين ضـد الهجـمات الفارسية في معركة الآرتميسيوم، ولكن عندما وصلت أخبـار الكارثـة في تيرموبيل، انسحبوا إلى سالاميس.

بعد تيرموبيـل، سـقط كـل مـن بيوتيـا وأتيكـا في قبضـة الجـيش الفارسي، والذي استولى على أثينا وقام بإحراقهـا. إلا أن جـيش الحلفـاء الأكبر والمتحصن في برزخ كورنث الضيق، لحماية البيلوبونيز مـن الغـزو الفارسي. سعى كل من الجانبين إلى نصر بحري قـد يغـير مسـار الحـرب تماماً.

هنا نجح الجنـرال الأثينـي ثميسـتوكليس في اسـتدراج البحريـة الفارسية إلى مضيق سلاميس حيث أصبح عدد السفن الفارسـية الكبـير غير مـنظم وتـم مهـاجمتهم مـن قبـل أسـطول الحلفـاء. انتصـار الحلفـاء في معركة سلاميس منع انتهاء الغزو السريع وخوفاً من أن يـتم محاصرتـه في أوروبا انسحب زيركسيس إلى آسيا، تاركا الجنرال ماردونيوس لإنهاء الفتح مع نخبة الجيش.

وفي الربيع التالي جمع الحلفاء أكبر جيش من المقاتلين اليونانيين عـلى الإطـلاق، وسـاروا إلى الشـمال مـن الـبرزخ لمواجهـة مـاردونيوس. وفي معركة بلاتيا أثبتت قوات المشاة اليونانية من جديـد تفوقهـا، ملحقـة الهزيمة بالقوات الفارسية وتم قتل ماردونيوس في المعركة. في نفس اليوم، وعبر بحر إيجة دمرت القوات البحرية اليونانية ما تبقى من الأسطول

الفارسي في معركة ميكالي.مع هذه الهزيمة المزدوجة، تم إنهاء الغزو، وتراجعت القوة الفارسية للغاية في بحر إيجة. انتقل الإغريق الآن إلى الهجوم، ليطردوا الفرس تماما من أوروبا وجزر بحر إيجة وإيونيا قبل أن تنتهي الحرب تماما في عام ٤٧٩ قبل الميلاد.

**المصادر:**

المصدر الرئيسي للحروب الفارسية اليونانية هو المؤرخ اليوناني هيرودوت. هيرودوت الذي كان يطلق عليه 'أب التاريخ'، ولد عام ٤٨٤ قبل الميلاد في هاليكارناسوس في آسيا الصغرى (كانت تحت السيادة الفارسية في ذلك الوقت). كتب استعلاماته في كتابه تاريخ هيرودوت حوالي ٤٤٠–٤٣٠ قبل الميلاد ، في محاولة لتتبع نشأة الحروب الفارسية اليونانية التي كانت حديثة نسبيا في التاريخ (الحروب انتهت أخيرا في ٤٥٠ قبل الميلاد). هيرودوت كان نهجا جديدا تماما على الأقل في المجتمع الغربي ، فيبدو أنه قد اخترع "التاريخ" كما نعرفه. مثلما قال هولاند: "للمرة الأولى ، يضع مؤرخ نفسه في تتبع لأصول الصراع لا إلى الماضي البعيد جدا بحيث يكون رائعا تماما ولا إلى أهواء ورغبات بعض الآلهة ولا إدعاءات الناس ، بل تفسيرات يمكن التحقق منها شخصيا."

**خلفية:**

قامت المقاطعات والمدن اليونانية أثينا و إريتريا بتأييد الثورة الإيونية الغير ناجحة ضد الإمبراطورية الفارسية وملكها دارا الأول في ٤٩٩-٤٩٤ قبل الميلاد. كانت الإمبراطورية الفارسية لا تزال شابة نسبيا ، لذا فقد كانت عرضة للثورات من الشعوب الخاضعة. علاوة على ذلك، فقد كان دارا الأول غاصبا وقد قضى وقتا طويلا في إخماد وإخضاع الثورات ضد حكمه . هددت الثورة الإيونية سلامة إمبراطوريته ، لذا تعهد دارا بمعاقبة المتورطين (خصوصا من لا يشكلون جزءا من امبراطوريته). رأى دارا أيضا أن يوسع

امبراطوريته ليضم الأجزاء المنقسمة من اليونان القديمة. الحملة الأولى تحت قيادة ماردونيوس في عام ٤٩٣ قبل الميلاد لتأمين الأراضي القريبة من اليونان انتهت بإعادة فتح تراقيا وإجبار مقدونيا أن تصبح جزءا تابعا لمملكة فارس. والتي قد سبق فتحها في أواخر القرن السادس قبل الميلاد ، ولكنها ظلت تحت رئاسة ذاتية ولم تكن قد خضعت بشكل تام حتى اللحظة.

في ٤٩١ قبل الميلاد ، أرسل دارا مبعوثين إلى كل المدن اليونانية طالبا هدية من الأرض والمياه في رمزية لخضوعهم له. بعد أن قدم دليلا على قوته في العام السابق ، فإن غالبية المدن اليونانية خضعت مجبرة. في أثينا ،على الرغم من ذلك ، تمت محاكمة السفراء وإعدامهم ؛ في اسبرطة تم إلقاؤهم ببساطة في بئر.هذا يعني أن اسبرطة أيضا الآن فعليا في حالة حرب مع بلاد فارس.

لذا وضع دارا كتيبة تحت قيادة داتيس و أرتافيرنيس في عـام ٤٩٠ قبـل المـيلاد ، والتـي هاجمـت ناكسـوس ، قبـل أن تلقـي تقـديم غيرهـا من الجزر السيكلادية.انتقلت الكتيبة بعـد ذلـك إلى إريتريـا والتـي تمـت محاصرتهـا وتـدميرها. وأخـيرا انتقلـت إلى مهاجمـة أثينـا ونزلـوا في خليجالماراثون ، حيث كان في استقبالهم جيش أثيني يفوق عددهم بكثير. في معركـة مـاراثون، انتصـر الأثينيـون انتصـارا سـاحقا ، ممـا أدى إلى انسحاب الجيش الفارسي إلى آسيا.

دارا ولذلك بدأ تجهيز جيشا ضخما والذي كـان يريـد إخضـاع اليونـان نهائيا به، إلا أنه في ٤٨٦ قبل الميلاد ، انطلقت الثورات المصرية ضده والتـي أجلت لأجل غير مسمى أي حملـة يونانيـة . تـوفي دارا بعـد ذلـك وهـو يستعد للسير نحو مصر ، وانتقل عرش بـلاد فـارس إلى ابنـه زركسـيس الأول. سـحق زيركسـيس الثـورة المصريـة وبـدأ سريعـا مـن جديـد التجهيزات لغزو اليونان.

## التجهيزات الفارسية:

لأن هذا كان يقصد به أن يكون غزوا نهائياً فقـد تطلـب تجهيـزات طويلة وإعدادات مالية وتجنيد. وقد تقرر أن يـتم تجهيـز وإعـداد جسـور زيركسيس العائمة للسماح لجيشه بعبور الدردنيل إلى أوروبا، وأنه يجـب حفر قناة عبر بـرزخ جبـل آثـوس. كلاهمـا كانـا دليلـين عـلى الطمـوح اللامتناهي والذي كان أكبر من شئ معـاصر. ومـع ذلـك، فـإن الحملـة تأخرت لسنة أخرى بسبب ثورة جديدة في مصر و بابل.

في ٤٨١ قبل الميلاد، بعد ما يقرب من أربع سنوات من التحضير ، بدأ زيركسيس حشد قواته لغزو أوروبا. ذكر هيرودوت ٤٦ دولة تم جلب القوات منها. تجمع الجيش الفارسي في آسيا الصغرى في صيف وخريف عام ٤٨١ ق.م. الجيوش من الشرق تجمعت في كريتالا و كابادوكيا وانتقلت تحت قيادة زركسيس إلى ساردسحيث قضوا الشتاء. في وقت مبكر في الربيع انتقلت القوات إلى أبيدوس حيث انضمت مع الجيوش الغربية. بعد ذلك سار الجيش الذي حشده زيركسيس نحو أوروبا، ليعبروا الدردنيل على اثنين من الجسور العائمة.

- **حجم القوات الفارسية:**

✓ **الجيش:**

أعداد القوات التي حشدها زركسيس للغزو الثاني لليونان كانت موضع جدال كبير، لأن الأرقام المعطاة في المصادر القديمة كبيرة جدا في الواقع. ادعى هيرودوت أن هناك ما مجموعه ٢.٥ مليون من الأفراد العسكريين، يرافقهم عدد مساو من موظفي الدعم. الشاعر سيمونيدس،

الذي كان معاصراً، تحدث عن أربعة ملايين؛ كتسياس، استناداً إلى السجلات الفارسية أعطى ٨٠٠٠٠٠ كإجمالي عدد الجيش (دون دعم الموظفين) التي تم تجميعها من قبل زركسيس. في حين تم ادعاء أن هيرودوت وصل إلى المصادر الفارسية الرسمية وسجلات القوات المشاركة في الحملة، العلماء الحديثون يميلون إلى رفض هذه الأرقام بناء على معرفة نظام الجيش الفارسي والنظم اللوجستية وقدرات الريف اليوناني واللوازم المتاحة للجيش على طول الطريق

.الأسطول :

حجم الأسطول الفارسي أيضا خضع لخلاف كبير، على الرغم ربما أقل من سابقه. وفقاً لهيرودوت فإن الأسطول الفارسي تكون من ١٢٠٧ سفينة ثلاثية المجاديف و٣٠٠٠ سفينة نقل وإمداد ، بما في ذلك ٥٠ قادس.

هذه الأرقام هي (بالمعايير القديمة) ثابتة، و هذا يمكن تفسيره بأن عدد حوالي ١٢٠٠ هو الصحيح. بين العلماء الحديثين هناك من قبل هذا العدد، على الرغم من الإشارة إلى أن الرقم لا بد أن يكون أقل بحلول معركة سالاميس. بعض الدراسات الأخرى بخصوص الحروب الفارسية ترفض هذا العدد - إشارة إلى أن العدد ١٢٠٧ مقتبس من مجموع عدد الأسطول اليوناني في الإلياذة- وأن الفرس لم يجمعوا أكثر من ٦٠٠ سفينة في بحر إيجة.

**التحضيرات اليونانية:**

بدأ الأثينيون التحضير للحرب ضد الفرس منذ منتصف ٤٨٠ قبل الميلاد، وفي عام ٤٨٢ قبل الميلاد تم اتخاذ القرار بتوجيه من السياسي

ثميستوكليس إلى بناء أسطول ضخم من السفن ثلاثية المجاديف والتي سيكون من الضروري بناؤها بالنسبة لليونانيين لمحاربة الفرس.

لم يمتلك الأثينيين العدد الكافي للقتال في البر والبحر؛ ولذلك تتطلب مكافحة الفرس تحالف عدة مدن يونانية. في ٤٨١ قبل الميلاد أرسل زركسيس السفراء في جميع أنحاء اليونان يسأل عن الأرض والمياه ،

ولكنه أغفل متعمداً كلا من أثينا وأسبرطة. ولذا بدأ الدعم يتجمع حول هاتين المدينتين.

- **التحالف الهيليني :**

اجتمع مؤتمر من المدن في الكورنث في أواخر خريف عام ٤٨١ ق.م، وتم تشكيل تحالف فيدرالي من المدن اليونانية. هذا الاتحاد لديه القدرة على إرسال مبعوثين لطلب المساعدة بإرسال قوات من الدول الأعضاء على نقاط دفاعية بعد التشاور المشترك. هيرودوت لم يقم بصياغة اسم مجرد للاتحاد بل دعاهم الإغريق أو "اليونانيين الذين قد أقسموا على التحالف" أو "اليونانيين الذين قد تجمعت أنفسهم معاً". هنا سوف يُشار إليهم باسم "الحلفاء". كان لإسبرطة وأثينا دوراً قيادياً في المؤتمر ولكن مصالح جميع الدول لعبت دوراً في تحديد الاستراتيجية الدفاعية. ولا يعرف سوى القليل عن العمل الداخلي في المؤتمر أو المناقشات خلال الاجتماعات. ٧٠ فقط من بين ما يقرب من ٧٠٠ من المدن اليونانية أرسلت ممثلين. إلا أن هذا كان ملحوظاً بالنسبة للعالم اليوناني المفكك، خاصة وأن العديد من المدن في الحضور كانت لا تزال فعلياً في حالة حرب مع بعضها البعض.

- **حجم قوات الحلفاء:**

لم يكن للحلفاء جيش فعلي ولم يكن هناك متطلبات لتكوين جيش، بما أن القتال كان على أرض الوطن فكان بمقدورهم حشد الجيش حينما يتطلب الأمر، لذا فقد ظهرت أحجام مختلفة من قوات الحلفاء في أوقات مختلفة في أثناء الحرب، هذه الأرقام ستتم مناقشتها هنا في كل معركة من المعارك.

## ربيع عام ٤٨٠ ق.م: تراقيا ومقدونيا وثساليا:

بعد أن عبر الجيش الفارسي إلى أوروبا في نيسان / أبريل عام ٤٨٠ قبل الميلاد، بدأ مسيرته نحو اليونان. خمسة أغذية رئيسية ومستودعات أنشئت على طول المسار: في ليوكي أكتي على جانب تراقيا جانب الدردنيل وفي تيروديزا في أراضي بيرنثيان وفي دوريسكوس في مصب نهر ماريتسا حيث تجمع الجيش الآسيوي مع الحلفاء من البلقان وفي إيون على نهر ستروما وفي ثيرما أو سالونيك الحديثة. حيث تم إرسال الطعام إلى هناك لعدة سنوات تحضيراً للحملة. تم شراء وتسمين الحيوانات، في حين تم إجبار السكان المحليين على طحن الحبوب إلى دقيق. استغرق الجيش الفارسي تقريباً ثلاثة أشهر للسفر من الدردنيل إلى ثيرما في رحلة تبلغ حوالي ٣٦٠ ميل (٦٠٠ كم). ثم توقفت في دوريسكوس حيث انضم إليها الأسطول. أعاد زيركسيس توزيع الجيش إلى وحدات عسكرية مستبدلا التشكيلات الوطنية المستخدمة سابقا في الغزو.

## آب / أغسطس عام ٤٨٠ ق.م: تيرموبيل و آرتميسيوم:

عندما تلقى الحلفاء الأخبار التي زركسيس كان يخلي المسارات حول جبل أوليمبوس، وبالتالي يعتزم المسير نحو تيرموبيل كانت تلك فترة الهدنة التي رافقت الألعاب الأولمبية، ومهرجان كارنيا الأسبرطي والذين تعتبر الحرب خلالهما نوع من أنواع الدنس. ومع ذلك ، فإن أسبرطة اعتبرت التهديد بالغ الخطورة بحيث أنها أرسلت الملك ليونيداس الأول مع ٣٠٠ رجل من حراسه الشخصيين. دعمت ليونيداس وحدات من المدن البيلوبونيسية المتحالفة مع أسبرطة، وغيرها من القوى التي التقطت في الطريق إلى تيرموبيل. شرع الحلفاء في شغل الممر، وإعادة بناء الجدار الذي بناه الفوسيون عند أضيق نقطة في الممر، وانتظروا وصول زركسيس.

عند وصول الفرس إلى تيرموبيل في منتصف آب / أغسطس، انتظروا في البداية ثلاثة أيام لتفريق الحلفاء. ولكن عندما اقتنع زيركسيس أخيراً أن الحلفاء لديهم النية للقتال أرسل جنوده للهجوم. ومع ذلك، فإن موقف اليونانين كان مثالياً حيث أجبرت الوحدات الفارسية على مهاجمة رأس الكتيبة. ولذا استطاع الحلفاء الصمود ليومين كاملين ضد كل ما أرسله زيركسيس إليهم. إلا أنه وفي نهاية اليوم الثاني تمت خيانتهم من قبل أحد السكان المحليين والذي يدعى افيالتيز الذي كشف طريقاً جبلياً خلف قوات الحلفاء. أرسل زيركسيس نخبة قواته "الخالدون" في مسيرة ليلية لتطويق الحلفاء. عند علم ليونايديس بذلك

وبينما كان الخالـدون في الطريـق أرسـل ليونايـدس معظـم جنـود لأسبرطة ولم يتبقى معه سوى ٣٠٠ أسبرطي و٧٠٠ ثيسيبي و٤٠٠ ثيبـي وربما بضعة مئات أخرى. في اليوم الثالث من المعركة، مـر مـا تبقـى مـن جنود الحلفاء من الجدار وهاجموا الفرس قـاتلين مـنهم مـا اسـتطاعوا أن يقتلوا. إلا أنـه وفي نهايـة المطـاف تمـت إبـادة قـوات الحلفـاء وفـتح ممـر ثيرموبيل للفرس.

في نفس الوقت وبالتزامن مع معركة تيرموبيل، قوة بحرية للحلفاء مكونـة مـن ٢٧١ سـفينة دافعـت عـن مضـيق الأرتميسـيوم ضـد الفرس. مباشرة قبل مضيق الأرتميسيوم أعيق الأسطول الفارسي بواسطة عاصفة عن ساحل ماغنيسيا، ليفقد الأسطول العديد من السـفن ولكـن على الرغم من ذلك بدأ الأسطول المعركة بما قوامه ٨٠٠ سفينة تقريباً. في اليوم الأول (أيضاً أول يوم في معركة تيرموبيل)، فكك الفرس ما يقـرب مـن ٢٠٠ سـفينة وقـاموا بإرسـالهم إلى السـاحل الشرـقي مـن وابيـة. قامت هذه السفن بجولة حول اوبوا ومنعت الإمـدادات عـن أسـطول الحلفاء. في نفس الوقت قام الأسطول الفارسي بالاشـتباك مـع أسـطول الحلفاء عند الظهيرة وظهر تفوق الحلفاء . وقعت عاصفة أخـرى في هـذا المساء مدمرة معظم الأسطول الفارسي والذي أرسل ما تبقـى منـه حـول وابية.

في اليوم الثاني من المعركة، وصلت أخبار إلى الحلفاء أن خطوط الإمدادات لم تعد مهددة؛ ولذلك عقدت العزم على الحفاظ على موقفها. لذا نظموا هجوم كر وفر على بعض السفن الصقلية، والاستيلاء عليها وتدميرها. إلا أنه في اليوم الثالث هاجم الأسطول الفارسي بكامل قوته وفي يوم قتال شديد حافظ الحلفاء على مواقعهم إلا أنهم عانوا من خسائر فادحة (نصف الأسطول الأثيني دمر)؛ إلا أن الحلفاء تسببوا في أضرار مماثلة في الأسطول الفارسي. في ذلك المساء وردت الأخبار إلى الحلفاء عن مصير ليونيداس والحلفاء في تيرموبيل. ولكون أسطول الحلفاء متضرراً للغاية ولأنه لم تعد هناك حاجة للدفاع عن مضيق التيرموبيل، انسحبوا من أرتميسيوم إلى جزيرة سلاميس.

## أيلول / سبتمبر عام ٤٨٠ قبل الميلاد: سلاميس:

النصر في تيرموبيل يعني أن كل بويوتيا سقطت في قبضة زركسيس؛ اثنين من المدن التي قاومته: ثيسبيا وبلاتايا، تم الاستيلاء عليهما وتدميرهما. تم ترك أتيكا متاحة للغزو، وتم إخلاء ما تبقى من سكان أثينا عن طريق البحر إلى جزيرة سالاميس. بدأ حلفاء البيلوبونيسيين في إعداد خط دفاعي عبر برزخ كورنث، عن طريق بناء الجدار وهدم طريق ميغارا، وبالتالي التخلي عن أثينا إلى الفرس. وهكذا سقطت أثينا، أما العدد القليل من الأثينيين المتحصنيي في الأكروبوليسهزموا في نهاية المطاف ، أما زيركسيس فقد أمر بحرق أثينا.

وهكذا بقي أسطول الحلفاء قبالة ساحل سلاميس في أيلول / سبتمبر، على الرغم من الوصول الوشيك للفرس. حتى بعد سقوط أثينا في قبضة الجيش الفارسي، ظل أسطول الحلفاء قبالة سواحل سلاميس، في محاولة لاستدراج الأسطول الفارسي إلى المعركة. جزئياً ونتيجة لحيلة من جانب ثميستوكليس، اشتبكت الأسطولان في معركة عند مضيق سالاميس. هناك كانت ضخامة الأسطول الفارسي عاملاً سلبياً معيقاً لهم حيث كافحت السفن للمناورة وأصبحت غير منظمة. هنا اغتنمت السفن اليونانية الفرصة وهاجمت لتحقق نصراً ساحقاً حيث أغرقت أو استولت على ٢٠٠ سفينة على الأقل.

## الخريف /الشتاء ٤٨٠/٤٧٩ قبل الميلاد:

- حصار بوتيديا :

على الرغم من المحاولات للاستيلاء على المدينة اليونانية عن طريق الغدر، أجبر الفرس على مواصلة الحصار لثلاثة أشهر. ثم محاولة استخدام جزر منخفض لمهاجمة المدينة عن طريق البحر، إلا أن الجيش الفارسي حوصر بواسطة مد مفاجئ ليغرق العديد منهم وتمت مهاجمة الباقين عن طريق سكان المدينة ئي قوارب.وبالتالي أجبر أرتابازوس على إنهاء الحصار والعودة إلى ماردونيوس بما تبقى من رجاله

- حصار أولينثوس :

في أثناء حصار بوتيديا قرر أرتابازوس محاصرة أولينثوس ، والتي كانت أيضا في ثورة.[٥٨] المدينة كانت تحت حكم قبيلة البوطيين التي

كانت قد طردت منمقدونيا. وباستيلائهم على المدينة قـاموا بـذبح المدافعين و تسليم المدينة إلى الخالكيذيكيين.

## حزيران / يونيه ٤٧٩ قبل الميلاد: بلاتايا و ميكالي:

خلال فصل الشتاء، كان يبدو وجود بعض التوتر بين الحلفاء. على وجه الخصوص الأثينيون الذين كانوا لا يتمتعون بحماية الـبرزخ، ولكـن أسطولهم كان مفتاح الأمان لبيلوبونيز، والـذين شـعروا بعصـوبة القيـام بذلك. طالبوا الحلفاء بتحرك الجيش نحو الشمال في العام التالي. عنـدما لم يلتزم الحلفاء الآخرين بذلك ربما رفض الأسطول أثيني الانضمام إلى باقي الأسطول اليوناني. البحرية الآن تحت قيادة ملك أسـبرطة ليوتيخيـدس، وبالتالي استقروا قبالة ديلوس، في حين اسـتقر مـن تبقـى مـن الأسـطول الفارسي قبالة ساموس، وكـلا الجـانبين غـير راغبـين في المخـاطرة ببـدء المعركة. وبالمثل، بقي ماردونيوس في ثيساليا، لأنه يعلـم أن الهجـوم عـلى البرزخ لا جدوى منه ، في حين أن رفض الحلفـاء إرسـال الجـيش خـارج بيلوبونيز.

عندما علم ماردونيوس بسير جيوش الحلفاء لملاقاته انسحب نحو بواتيا قرب بلاتايا محاولة اسـتدراج جنـود الحلفـاء نحـو أرض مفتوحـة حيـث يمكنـه اسـتخدام فرسـانه. إلا أن جـيش الحلفـاء تحـت قيـادة الأسبرطي باوسانياس بقي على أرض مرتفعة فوق يلاتايا لحماية أنفسـهم ضد مثل هذه التكتيكات. أمـر مـاردونيوس بـالكر والفـر عـلى خطـوط الجيش اليوناني، ولكن الهجوم كان فاشلاً وتم قتل قائد سلاح

الفرسان. نتائج ذلك دفعت قوات الحلفاء إلى التقدم قرب قوات الفرس مع البقاء على أرض مرتفعة.ونتيجة لذلك، تم كشف خطوط اتصال الحلفاء. بدأ سلاح الفرسان الفارسي في مهاجمة خطوط إمداد الطعام وتمكنوا من تدمير نبع المياه الوحيد المتاح للحلفاء. في هذا الوضع السئ أمر باوسانياس بالانسحاب ليلاً نحو الموضع الأصلي. ذهب كل ذلك سدى تاركاً جيش الحلفاء مقسماً فوق التلال قرب بلاتايا نفسها. نعند رؤيته ذلك ماردونيوس لم يجد فرصة أفضل من ذلك للهجوم فأمر جيشه كاملاً بالتقدم. إلا أنه وكما في تيرموبيل أثبت الجنود الفرس أنهم ليسوا أنداداً لجندي الهوبليت اليوناني ، واستطاعت القوات الأسبرطية التغلغل داخل خطوط جيش ماردونيوس وقاموا بقتله. ذابت القوات الفارسية من الهزيمة؛ ٤٠٠٠٠ جندي تمكنوا من الفرار عبر الطريق إلى ثيساليا، ولكن البقية فروا إلى المخيمات الفارسية حيث كانوا محاصرين و ذُبحوا من قبل الحلفاء، وبالتالي أنهوا انتصارهم.

بعد ظهر يوم معركة بلاتايا، هيرودوت يقول لنا بأن الشائعات عن انتصار الحلفاء وصلت إلى الحلفاء البحرية في ذلك الوقت قبالة سواحل جبل ميكالي في إيونيا.ارتفعت معنوياتهم وقاتلوا وانتصروا انتصاراً ساحقاً. بمجرد سيرهم إلى الشمال من البرزخ، الأسطول الأثيني تحت زانثيبوس انضم مع بقية أسطول الحلفاء. الأسطول الآن قادر على مباراة الفرس ، وأبحر أولا إلى ساموس حيث يتواجد الأسطول الفارسي. الفرس الذين كانت سفنهم في حالة سيئة ، قد قرروا عدم

المخاطرة بالقتال، و بـدلاً مـن ذلـك سـحبوا السـفن عـلى شـاطئ ميكالي. جيش من ٦٠٠٠٠ رجل تركهم زيركسـيس هنـاك وانضـم لهـم الأسطول لحماية السفن. ومع ذلك، قرر الحلفاء مهاجمة معسكر الفـرس. عند رؤية صغر حجم قوات الحلفاء بزغت قـوات الفـرس مـن المعسـكر لكن الهوبليت ومن جديد اثبتوا تفوقهم ودمروا الكثير من قوات الفرس. تم التخلي عن السفن لصـالح الحلفـاء الـذين أحرقـوهم لينهـوا سـيطرة زيركسيس على البحر وتبدأ سيطرة الحلفاء البحرية.

## النتائج المترتبة:

تعتبر ميكالي بداية مرحلة جديدة مـن الصــراع: الهجـوم اليونـاني المضاد. بعد الانتصار في ميكالي أبحر أسطول الحلفاء إلى الدردنيل لتدمير الجسور العائمة ، ولكن وجدوا أن هذا حدث بالفعـل. ولكـن الأثينيـون بقوا لمهاجمة جاليبولي، والتي كانت لا تـزال تحـت حكـم الفـرس. جعـل الفرس في المنطقة وحلفاؤهم سيستوس أقوى مدن المنطقة ولذا قام الأثينيون بمحاصرتها والتي سقطت في أيديهم بعد حصـار طويـل. أنهـى هيرودوت كتابه بعد حصـار سسـتوس. عـلى مـدى السـنوات الثلاثـين المقبلة، قام الإغريق وخاصة الأثينيـون المهيمنـون عـلى الاتحـاد الـديلي ، بطرد الفرس من مقدونيا، تراقيا، جزر بحـر إيجـه و إيونيـا. السـلام مـع الفرس جاء في ٤٤٩ قبل الميلاد مع سلام كاليـاس، منهيـة أخـيراً نصـف قرن من الحرب.

## التحليل التكتيكي:

شُحذ الطراز اليوناني الحربي على مدى القرون السابقة. حيث يدور حول الهوبليت من أعضاء الطبقات الوسطى الذين يمكن أن يتحملوا الدرع اللازمة للقتال بهذه الطريقة. يعتبر الهوبليت بمقاييس ذلك الوقت مدرعين بوزن ثقيل. كان الهوبليت مسلحين بالرماح الطويلة، والتي كان من الواضح كونها أطول بكثير من الرماح والسيوف الفارسية. قاتل الهوبليت في تشكيل الكتيبة؛ وإن كانت التفاصيل الدقيقة ليست واضحة تماماً، لكنها كانت متماسكة تشكل تقديم جبهة موحدة من تداخل دروع ورماح العدو. عند تجميعها بشكل صحيح، كانت سلاحاً هجومياً ودفاعياً رائعاً؛ في المناسبات التي تم العد فيها فإنه يتطلب عدد مشاة كبير لهزيمة كتيبة صغيرة من الهوبليت. إلا أنهم كانوا عرضة للهجوم عن طريق الفرسان. دروع الهوبليت الثقيلة جعلتهم محصنين جيداً في القتال وجهاً لوجه وقدمت لهم حماية جيدة ضد الضربات الخفيفة والتي إن مرت من الترس فلن تمر من الدرع.

المشاة الفارسية المستخدمون في الغزو كانوا مجموعة غير متجانسة تم استخلاصها من جميع أنحاء الإمبراطورية. ومع ذلك، وفقاً لهيرودوت، كان هناك على الأقل مطابقة عامة في نوع الدروع وأسلوب القتال. القوات كانت عموما مسلحة بقوس، "قصير الرمح" والسيف والدرع المغصن، وارتدوا في الغالب جلود الجيركين. بعض الوحدات قد

تـم تسـليحهم بشـكل مختلـف إلى حـد مـا؛ عـلى سـبيل المثـال، الساكا كانوا مسلحين بفؤوس. أسلوب القتال المستخدم من قبل الفـرس كان من المحتمل أن تقف أمام العدو باستخدام الأقواس (أو مـا يعادلهـا) لإنهاك العدو قبل الدخول في القلب والمهاجمة بواسطة الرمح والسيف.

## التحليل الاستراتيجي:

في بداية الغزو، من الواضح تفوق الفرس في معظم الأوجه. بغض النظر عن حجمها الفعلي، فمن الواضح أن الفرس قد جلبوا عـدد هائـل من القوات والسفن إلى اليونان. وكان للفرس نظام قيادة موحدة، وكـان الجميع مسؤول أمام الملك. كان لديهم بشكل كبير كفاءة بيروقراطية، ممـا يسـمح لهـم بـإجراء تخطـيط مكثـف ملحـوظ. كـان أيضـاً للجنـرالات الفارسـيون خـبرة حربيـة واسـعة في مـا يقـرب ثمانـين عامـا مـن الحروب. وعلاوة على ذلـك، فـإن الفـرس برعـوا في اسـتخدام الـذكاء والدبلوماسية في الحرب، كما أظهـرت (تقريبـاً الناجحـة) المحـاولات في تفريق اليونـانيين. اليونـانيون، في المقابـل، كـانوا مجـزأين لثلاثـين مدينـة يقاومون الغزو الفارسي ومعظمهم في حروب مع بعضهم الـبعض. كـان لديهم خبرة بسيطة في الحروب حيث انحصـرت خبرتهم في بعض المعارك المحلية، وكان يتم اختيار قادتهم بالنظر إلى مكـانتهم الاجتماعيـة، ولـيس بسبب أي تجربة أو خبرة. لذا فكما قـال لازنبـاي حـين سـأل: "إذا لمـاذا فشل الفرس؟".

الاستراتيجية الفارسية في ٤٨٠ قبل الميلاد كانت ببساطة التقدم خلال اليونان في قوة ساحقة. المدن في أي مقاطعة يمر بها الجيش يتم إخضاعها وتدميرها مما دفع باقي المدن إلى المقاومة والتي بالرغم من سقوطها فإنها تضعف من الجيش الفارسي. على العكس من ذلك، فإن استراتيجية الحلفاء كانت ربما في محاولة منع تقدم الفرس نحو الشمال كلما أمكن ومنع تكوين أي حلفاء محتملين للفرس. بالإضافة إلى هذا يبدو أن الحلفاء أدركوا أنه لا يمكنهم هزيمة أعداد الفرس الرهيبة في معركة مفتوحة، لذلك استدرجوهم في أماكن ضيقة حيث أعداد الجيش الفرس الضخمة لا تعني الكثيركذلك لم يصر الحلفاء على الحفاظ على تيرموبيل عند فقدانه. كما أن تحقيق بعض النجاحات على مستوى الأسطول أعادت الروح المعنوية لقوات الحلفاء.

## الأهمية:

الغزو الفارسي الثاني لليونان حدث ذو أهمية كبرى في التاريخ الأوروبي. يؤكد عدد كبير من المؤرخين أنه إن سقطت اليونان للغزو الفارسي فإن أسس الحضارة اليونانية التي قامت عليها أسس الحضارة الغربية المتقدمة (وبالتالي الحضارة الغربية نفسها) لم تكن لتوجد. في حين أن هذا قد يكون من قبيل المبالغة (فمن الواضح أنه من المستحيل أن نعرف)، فمن الواضح أنه حتى في الوقت الإغريق فقد فهوا أن شيئاً كبيراً جداً يحدث.

عسكرياً لم يكن هناك الكثير من الابتكار الاستراتيجي أو العسكري، خلال الغزو الفارسي أشار أحد المعلقين أنها كانت "حرب جنود" (أي كان الجنود بدلاً من الجنرالات هم من فازوا بالحرب). تيرموبيل غالباً ما تستخدم مثال جيد على استخدام التضاريس بمثابة مضاعف للقوة، في حين حيلة ثميستوكليس في سلاميس هو مثال جيد على استخدام الخداع في الحرب. الدرس الرئيسي من الغزو والمستفاد كذلك من معركة ماراثون هو تأكيد تفوق جندي الهوبليت على المقاتلين الفارسيين في المعركة وجهاً لوجه. وبعد تعلم هذا الدرس فإن الإمبراطورية الفارسية لاحقاً بعد الحرب البيلوبونيسية ستبدأ التوظيف والاعتماد على المرتزقة اليونانيين.

# الفصل الخامس عشر
# الغزو الفارسي لمصر

## الغزو الفارسى الأول:

وكان على يد كبوجيه المعروف باسم قمبيز، وكان ذلك سنة ٥٢٧ قبل الميلاد على عهد الملك الفرعوني بسماتيك .الذى قام قمبيز بأسره وإرساله أسيراً إلى إيران ، وظلت مصر ترزح تحت الحكم الفارسي ١٢١ سنة أي حتى عام ٤٠٦ قبل الميلاد، وقد ذكر أنه كانت هناك مقاومة شديدة من قبل المصريين ضد هذا الاحتلال، كما وقعت ليبيا أيضاً تحت هذه الاحتلال لنفس المدة ، وذكر أيضاً أن المصرين لكثرة ثوراتهم ضد الاحتلال الفارسي اجبروا قمبيز على احترام عقيدتهم ولم يأمر بذبح العجل (أبيس) معبودهم، وبعد انقضاء حكم قمبيز كإمبراطور لفارس جاء بعده "دارا" المعروف بداريوش الأول، وحكم مصر وليبيا كسلفه، ويذكر لدارا أنه أمر بإعادة حفر قناة سونسرت التي انطمرت والتي كانت تربط بين نهر النيل والبحر الأحمر، ورغم طول فترة الاحتلال فلم يحدث أي تقارب بين المصريين والفرس، لقسوتهم وهذا شيء طبيعي بالنسبة لأهل البلاد المحتلة ولكن جفاء وقسوة الفرس جعل المصريين أكثر ابتعاداً عنهم، ولذلك لم يحدث تزاوج أو اندماج حضاري يمكن ذكره على الإطلاق. إذ كيف لشعب تحتل أرضه ويرسل ملكه أسيراً مكبلاً بالسلاسل والحديد إلى عاصمة العدو أن يستطيع أن يصنع تقارباً بأي شكل من الأشكال مع من هم على هذه الشاكلة؟

## الغزو الفارسي الثاني:

وكان هذا الغزو قبل دخول الاسلام لمصر مباشرة وكان إبان رزوح مصر تحت نير الحكم الرومانى للامبراطورية الرومانية الشرقية المعروفة بالامبراطورية البيزنطية ، تلك الامبراطورية التى حكمها قبل دخول الاسلام ثلاثة اباطرة هم:

- الإمبراطور "موريس".
- الإمبراطور " فوقاس".
- الإمبراطور "هيرقل".

شن الفرس على البيزنطيين حروباً متكررة ونافسوها على احتلال العالم القديم حتى انهكوها واضعفوا قوتها.

أما بالنسبة لحكم البيزنطيين لمصر فقد كان الإمبراطور البيزنطى يعين حاكم مصر من البطاركة الرومان، مما يعنى أن الحاكم أنذاك كان يجمع بين السلطة الدينية والسياسية فى آن واحد.

وكما قلت فإن الغزو الثانى للفرس على مصر كان على عهد الإمبراطور هيرقل وكان ذلك سنة ٦١٦ للميلاد، لكن هيرقل استطاع أن يرتب نفسه ويجمع جيشه ويهزم جيوش الفرس فى آسيا الصغرى سنة ٦٢٢ للميلاد ثم هزمهم مرة اخرى سنة ٦٢٥ للميلاد وفى هذه المعركة استطاع طردهم من مصر وسوريا وليبيا، ثم هزمهم للمرة الثالثة فى نينوى بالعراق سنة ٦٢٧ للميلاد حيث أجبر الإمبراطور الفارسى "كسى الثانى" على عقد صلح مع بيزنطة، وهكذا ضعفت فارس ومالبثت أن سقطت على أيدى المسلمين ولبس سراقة بن مالك سوارى كسرى.

ومن الجدير بالذكر أن العرب قبل وبعد الإسلام كـانوا يكرهـون الفرس لقسوتهم، فهم عبـدة النـار وقـد أشـار القـرءان الكـريم الى هـذه الكراهية فى سورة الروم حيث قال: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٍ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الروم: الآيـة٢- ٤] وقد كشف الله فرح المسلمين بانتصار الروم البيزنطيين على الفرس المجوسيين وأفـرد سورة سميت باسم الرومان وهى سورة الروم، والسورة الكريمة كما هـو واضح من سياقها لا تقصد بنصر الفرس على الـروم في مصر ـ لأن مصر ـ ليست هي أدنى الأرض بالنسبة لموقع الرسول وهـو المدينـة المنـورة، لأن أول ما يتضح من الآية أنها خطاب مباشر من الله تبارك وتعالى إلى رسـوله ﷺ، فحين يخبره بانهزام الرومان في أدنى الأرض، فإن المقصد هو أدنـى الأرض من المدينة المنـورة والأقـرب إلى الصـحة أن المقصـود هـو إمـارة الغساسنة أقوى حلفاء للرومان وأصحاب ثقتهم، وهى الإمارة الوحيـدة التي كان الرومان يعينون حكامها منها والغساسنة عرب وكـان يحكمـون تدمر ودخلوا في المسيحية ولكن على مذهب مغاير لمذهب الملكانيين الذي كانت عليه بيزنطة حيث كانوا يعاقبه وهو مذهب أهل الشـام ( سـوريا – الأردن – العراق)كان والى مصر هو المقوقس الذى ارسل اليه النبـى ﷺ حاطب بن أبى بلتعه برسالته يدعوه فيها إلى الإسلام، كما بعث الى هيرقل رسالة أخرى يدعوه الى الإسلام، وكان هرقل عندما وصلته رسالة النبـى قد سأل من حولـه إن كـان فى عاصـمته القسـطنطينه أحـد مـن التجـار العرب، وتصادف وجود أبو سفيان بن حرب بقافلته التجارية،

فاستدعوه ومثل أمام هيرقل وسأله بعض الأسئلة عن صفات الرسول ﷺ فأجابه أبو سفيان بصدق حيث أشاد باخلاق وصفات الرسول وكرم أصله ونسبه فيهم، وأنه لم يجرب عليه الكذب قط، فقال هيرقل بفراسة الإمبراطور الذكى أنه لئن كان قولك حقاً فانه - أى رسول الله ﷺ - ليملكن ما تحت قدماى، وهذا ما حدث فعلاً حيث فتح القائد المسلم محمد فاتح القسطنطينية عاصمة بيزنطة وهى استنابول اليوم، وهذا فى حد ذاته يبرهن على متانة العلاقات العربية البيزنطية بين بيزنطة والعرب قبل الإسلام هذه العلاقة التى قويت بإمارتى الغساسنة والحيرة العربيتين المتحالفتين مع بيزنطة وكانتا أقوى حليفتين لها ضد الإمبراطورية الفارسية كما سبق أن بينت، وكان بين طرد هيرقل للفرس ودخول جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص ١٥ سنة (خمسة عشرة سنة).

وإننى اسوق هذا السرد للرد على من يدعى فى هذه الأونة أن رسائل الرسول ﷺ هذه لا وجود لها فى الحقيقة وأنها مزوة، وأن الصحابى البدرى حاطب بن أبى بلتعة مشكوك فى صحة كلامة وأنه كان فى يوم من الأيام طابور خامس فى جيش النبى لقيامه بمراسلة قريش بتحركات جيش المسلمين لقتال قريش حيث أرسل رسالة يخبرهم فيها بذلك مع امرأة وضعت الرسالة فى ضفائر شعرها، ويشكك أيضاً فى هذه القصة ويقول أنه من الصعب أن تسافر فى ذاك الزمن البعيد امرأة بمفردها لمسافة ما يقرب من خمسمائة كيلو متراً وهى المسافة المقدرة بين

يثرب ومكة وحدها، بينما يرسل الرسول ورائها ثلاثة من الرجال الأشداء للاتيان بها أو لاستعادة رسالة حاطب المخبأة معها، بعد أن أخبر الوحى النبى لاستعادة بما فعله حاطب، ويستغرب من إعفاء الرسول عنه باعتباره بدرياً، وعفا عنه النبى ﷺ بناء على قاله الله تبارك وتعالى على لسان الرسول فى قوله ﷺ فيما معناه: لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شتم فان الله قدر غفر لكم، أو كما قال رسول الله ﷺ.

ومهما يكن من أمر فأن الادعاء بزيف رسائل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأباطرة مزيفة هو في حد ذاته أمراً خطيراً، لأنها سيؤدى إلى انهيار أشياء أخرى بالتبعية، حيث يقول من ادعى ذلك بأن أختام تلك الرسائل مختلفة عن بعضها البعض فلا يوجد ختم مشابه للأخر بما يعنى أن هناك ستة أختام كانت عند رسول الله ﷺ يمهر بها رسائله وهذا مستحيل، حيث يقول مستدلاً في تساؤل: هل يعقل أن يكون لجمهورية مصر العربية مثلاً أكثر من ختم نسر؟ وهذا الكلام أو بالأحرى الادعاء كما سبق أن قلت خطير، لأنه يعنى ببساطة أنه لا وجود لماريا ولا أختها سيرين ولا الهدايا، لأنه يقول أيضاً أن ما عنده من تواريخ لوصول بعثة حاطب الى الإسكندرية يدل على أنه وصل في غياب المقوقس عنها، فمن الذي تسلم رسالة النبي نيابة عن المقوقس، ويقول هل يستطيع المقوقس أن يرد على أمر كهذا دون استشارة هيرقل؟

أقول له بكل بساطة أن هذا شأن يستطيع المقوقس نفسه البت فيه دون الرجوع إلى هيرقل وإلا فما فائدته كحاكم، أم أنه يريد من المقوقس أن يستشير هيرقل في كل رسالة تصله ماذا يفعل، فإنه إن فعل ذلك يبرهن على عدم صلاحيته شئون الحكم ولفسدت أمور الدولة إن كان سيذهب لاستشارة هيرقل في كل كبيرة وصغيرة وأعجبا ! وإن كان ما يدعيه حقيقة، فما هو السبب الذي يدعو أحداً إلى القيام بتزوير ست رسائل عن رسول الله؟ماذا سيربح؟ لاشيء.. أليس كذلك . إذن ليست هناك حاجة على الإطلاق ليندفع أحد لتزوير هذه الرسائل.

أنه لابد من التصدى بحزم إلى هذه الادعاءات التى ليس من شأنها سوى إحداث بلبلة فى مفاهيم وافكار الناس والتشكيك فى التاريخ.

نعود الى الحديث باختصار عن دخول القائد عمرو بن العاص الى مصر فأقول أن التاريخ يقول أنه دخلها فى أواخر سنة ٦٣٩ ميلادية إلى مصر بأربعة ألاف مقاتل من المسلمين وكان فى جيشه هذا عدد من المحاربين الرومان الذين أسلموا ومن الفرس الذين أسلموا. وكان عمرو بن العاص على معرفة كبيرة بمصر لسابقة قدومه إليها أكثر من مرة يقود تجارته وكان يعرف الإسكندرية شارع شارع، وقد أوردت كتب الأخبار بأنه زارها ذات مرة وكانت بملعبها الرئيسى احتفالاً يقيمه الرومان كل عام يحضره حشد كبير من المواطنين والمحتلين الرومان ودخل عمرو للتفرج على هذا المهرجان الكبير وكان الرومان يلقون بكرة مقدسة على الجمهور أثناء فقرات المهرجان ويزعمون أن من تسقط الكرة فى حجرة

سيأتى عليه يوم يحكم فيه مصر. فتصادف أن سقطت الكورة فى حجر عمرو بن العاص وهو جالس للفرجة، فتعجب الرومان كيف تسقط الكرة فى حجر هذا التاجر العربى الغريب ؟ واستنكروا أن يأتى عليهم يوم يحكمهم هذا العربى القادم من صحراء العرب. وقد كان.

نعود إلى القائد المظفر عمرو بن العاص الذى يوصف بأن داهية من دواهى العرب، فقد ألح على الخليفة عمر بن الخطاب أثناء تسلمه مفاتيح بيت المقدس أن يأذن له بفتح مصر، وأغراه بها وقال له أن ما أسهل من فتحها وما أغنى ثرواتها. فوافق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأذن له بالمسير إلى مصر فى أربعة ألاف مقاتل. ودخلها من بوابتها الشرقية من طريق فلسطين ثم العريش فالاسماعيلية، وسار يقتحم الحصون والقلاع ويهزم الرومان حصنا بعد حصن الى أن وصل إلى جيش المسلمين إلى منطقة تسمى هيليوبوليس التى سماها العرب (عين شمس) وتجمع هناك، وكان قد وصل المدد الحربى إلى عمرو من أمير المؤمنين الذى كان عبارة عن كتيبتين بقيادة الصحابى الزبير بن العوام زوج أسماء بنت ابى بكر أخت أم المؤمنين عائشة وأم عبد الله بن الزبير الذى قتله الحجاح بن يوسف الثقفى عليه لعنة الله أثناء هجومة على مكة المكرمه، وكان قوام كل كتيبة أربعة ألاف مقاتل فصار عدد جيش عمرو بن العاص فى يوليو سنة ٦٤٠ ميلادية ١٢٠٠٠ ألف مقاتل وتقاطرسقوط حصون الرومان حتى استولى المسلمون على حصن بابليون بعد حصار دائم ما يقرب من سبعة شهور وكان اكبر واهم الحصون وأقواها،

وأصبح الرومان بين قتيل وأسير وهارب. ولم يكن عمرو قد تمكن من دخول الفيوم لاستعصائها عليه فى المرة الأولى وكان عمرو عندما غزا الاسماعلية توجه بجيشه إلى الفيوم لغزوها ولكنها استعصت عليه ووجد منها مقاومة شديدة فعاد إلى الفارما ثم توجه الى القاهرة وترك الفيوم لوقت آخر.

لما وصلت انباء الانتصار المتكرر للمسلمين الى حاكمها وكان يدعى "دومنتيانوس" هرب ليلاً سراً مع الجنود وتركها، ودخلها جيش المسلمين فاتحاً بعد مقاومة ضئيلة.

دام حصار جيش المسلمين لحصن بابليون سبعة أشهر بين الكر والفر من الرومان لكن عمرو أصر على الحصار حتى الاستسلام، فلما وجد المقوقس أن لاحيلة له تجاه جيوش المسلمين وحصارهم وافق على عقد صلح.

**قبل عمرو الصلح بشروط محددة، بعثها لهم مع المتحدث باسم المسلمين المقاتل عبادة بن الصامت فقال لهم:**

- إما أن تدخلوا فى الاسلام فتكونوا اخواننا لكم ما لنا وعليكم ما علينا.
- إن ابيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون.
- وإما جاهدناكم بالصبر والقتال ، حتى يحكم الله بيننا وهو احكم الحاكمين.

لكن المقوقس رفض تلك الشـــروط وعـاد الفـريقين إلى الاقتتـال ولكن كانت الكفة ترجح دائماً في جانب المسلمين، وأمـام هـذا الانتصـار المتكرر ونقص الاحتياجات لدى المقوقس وافق على قبول شروط عمـرو واختار الشرط الثاني وهو قبـول الاستسـلام ودفـع الجزيـة، لكنـه أرجـأ التوقيع على المعاهدة حتى يستشـير الإمبراطـور البيزنطـي هرقـل، الـذي استشاط غضباً لقبول واليه المقوقس بعقد صلح مع المسـلمين واسـتدعاه إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية وجرده من منصبه وأهانه واعتـبره خائناً لبلاده وأسلمه إلى حاكم القسطنطينية فأهانه ثـم أمـر بنفيـه. وكـان المقوقس بعدما رأى بأم عينيه من صلابة العـرب وصـبرهم عـلى المكـاره واستماتتهم في القتال مقتنعاً بأن لا قوة لبيزنطة بمقاتلهم.

فلما رفض هيرقل مهادنة العرب ظل حصارهم للحصـن قـائماً إلى أن استولوا عليه، ثم حدث أن باغت المـوت هيرقـل في ١١ فبرايـر ٦٤١ ميلادية، وكان قد أوصى بالحكم لولديه من زوجتيه الأولى والثانيـة وهمـا قسطنطين وهيراكليس (هرقل الثاني) وتمت البيعـة لـلأول الـذي يـدعى قسطنطين، وكان رأى قسطنطين من رأى والده، عدم الاستسلام للعرب، فأعد العدة وجهز الجيوش لمقاتلتهم، ولكن الموت باغته هو الأخر فـمات بعد مائة يوم من توليه مقاليـد الإمبراطوريـة، فـاعتلى العـرش أخـوه هيراكليس (هيرقل الثانى)، وسبحان الله أن يأتي هيرقل الثاني باقتناع تـام لما قاله المقوقس، فأعاده من منفاه وأرسله إلى مصرـ مـرة أخـرى وطالبـه بإتمام عقد الصلح الذي بدأه مع عمروبن العاص بحسب البند الثاني وهو الاستسلام ودفع الجزية.

وفى خلال تلك الفترة، أعنى فترة غياب المقـوقس، لم يقـف عمـرو ومكتوف الأيدي، وإنما أرسل سريا للغزو في شمال البلاد وجنوبها، فمنها ما استطاع الانتصار عليه ومنها ما لم يستطع الانتصار عليـه بسـبب شـدة المقاومة وقوة ومنعة الحصون، مثـل حصـون كريـون والإسـكندرية وفى جنوب البلاد مثل حصن (دمياط)، وكانت الإسكندرية بلا شك محصـنة تحصيناً قوياً سواء بالحصون المنيعـة أو بالحصـون الطبيعيـة فقـد حصـنها البحر المتوسط من الشمال وبحيرة مريوط من الجنوب والغـرب ولم يكـن أمام عمرو سوى الجبهة الشـرقية وعاد الجيش دون فتحها. بطبيعة الحـال كان جيش عمرو في تزايد مستمر حيث وصل في تلك الآونة إلى ٢٠٠٠٠ ألفاً (عشرين ألف مقاتل ) في مقابل تناقص جيش الروم.

عاد عمرو بعد أن فتح بلاد الصعيد أو جزء كبـير منهـا إلى حصـن بـابليون لتفـادى وقـت الفيضـان الـذى تغـرق خلالـه الأراضى بالميـاه، واعتبرها فترة راحة للجيش يستعيد فيها تجهيزاته ويرتب فيها نفسه.

كانت سنة ٦٤١ ميلادية على وشك الانتهاء عندما وصل المقـوقس إلى الإسكندرية ومنها توجه إلى القاهرة لمقابلة القائد عمـرو بـن العـاص وإبلاغــه بموافقــة الإمبراطــور البيزنطــي هيرقــل الثــاني عــلى شروط الاستسلام.

ومع شديد الأسف نجد كثيراً من الكتاب يعول حالياً على ما كتبـه بتلر المنحاز بلا شك إلى الرومان والذي يدلل عـلى ذلـك كـل سـطر مـن سطوره، لدرجة أنني خلت بأنه ينحاز إلى الرومان أكثر مما ينحاز إليهم

إمبراطورهم هيراقليس الثاني وأكثر مما ينحاز إليهم المقوقس حاكم والى مصر الروماني، وكأنه يرى بعين اثقف من عيونهم ورأس أذكى من رؤوسهم، وأنني لأقول أن بتلر لو عاش تلك الفترة ما قبل بغير ما قبل به كل من هيراقليس والمقوقس بديلاً.

وثمة آخرون يعولون على ما كتبه يوحنا النقيوسى الراهب المصرى الذى يقال أنه عاصر الفتح العربى وكتب عنه من واقع معاش.لا بأس فى ذلك. لكن المحلل للأمور يجد أن هناك تناقضاً وتعارضاً كبيراً بين بيتلر ويوحنا النقيوس، فالأول يقول صراحة بأن جيش عمرو بن العاص وجد فى فتحه لمصر وقراها ومدنها مقاومة شديدة، نراها انها جعلته يعود من الصعيد الأوسط دون أن يكمل فتوحاته وتعلل بفيضان النيل. وعلى الجانب الاخر نجد أن يوحنا الراهب يقول عكس ذلك، حيث يقول ان جيش المسلمين عاث فى الأرض الفساد وقتل وذبح الرومان وغير الرومان.

**ذكر عن يوحنا النقيوسى أنه قال عما فعله جيش المسلمين بأهل نقيوس**: "فقتلوا كل من وجدوه فى الطريق من أهلها، ولم ينج من دخل الكنائس لائذا ولم يدعوا رجلاً ولا امرأة ولا طفلاً، ثم انتشروا فيها حول نقيوس من البلاد فنهبوا وقتلوا كل من وجدوه بها، فلما دخلوا مدينة (صوونا)، وجدوا بها (اسكوتاوس) وعيلته وكان يمت بالقرابة الى القائد (تيودور) وكان مختبئاً فى حائط كرم مع أهله، فوضعوا فيهم السيف فلم يبقوا على أحد منهم ".

قد يكون هذا الكلام صحيحاً، لا بأس فهذه حرب حرب صريحة لا ندعى بأن جيش المسلمين جاء إلى مصر يحمل الورود، ولا بد أن نعلم جيداً أن مصر لم تكن فى ذاك الوقت ملكاً لشعبها، وإنما كانت ولاية من ولايات بيزنطة يحكمها الولاة لحساب بيزنطة، وحدث ولا حرج عن حكم الرومان وما فعلوه بشعب مصر- الذى ذق على أيديهم مرارة الاضطهاد وذلك قول بتلر نفسه ، وكتب التاريخ ملىء بأفعال شنيعة تقشعر لها الابدان فعلها الرومان بشعب مصر إنان حكمهم .. فهل يظن ظان بأن جيش المسلمين جاء ليصافح جيش الروم ويقدم له خمائل الورود ؟ أو يظن ظان بأن الروم قدموا مصر على طبق من فضة لعمرو بن العاص، كما يزعم بتلر.؟

هناك فارق كبير بين مصر كشعب قبطى صاحب البلد وبين محتل رومانى يمتلك الحاميات والسلاح والجيوش شعب محتل ليس له حق التصرف يرزح تحت قسوة محتل غاشم لا يرقب فى الناس إلا ولا ذمة.

ومن المعروف بديهيا أن جيوش المسلمين لم تأت لمقاتلة شعب مصر فقد قاتلت المحتل الرومانى قتالاً صريحة وكانت المعاهدة التى تمت لم تتم فيما بين القائد المسلم عمرو بن العاص والشعب القبطى وإنما تمت بين مندوب الإمبراطور البيزنطى فى ذاك الوقت "المقوقس"، إذن لا مجال للمزايدة بوصف جيش الفتح بأنه جيش جاء لسفك دماء الابرياء.. هذاخطأ فاحش وكذب على التاريخ.

وعلى كل حال نحن لا نقول أن الفتح الإسلامي كان فتحاً قد جاء حاملاً الراية البيضاء ودخل البلاد بغير إراقة دماء على طريقة سلم واستلم ، لا لقد كانت هناك حرب صريحة بل حروب أزهقت فيها أرواح من الجانبين وراحت من الشعب أيضاً أرواح مثلها مثل أي حرب تأخذ في طريقها الكثيرين ممن له دخل بالحرب وممن ليس له دخل.. هذا هو حال الحروب على مر التاريخ .

✍ **لكن السؤال: لماذا تعمد التحامل على الفتح العربي لمصر ووصفة بتلك الأوصاف الغير منصفة؟**

**أولاً**: يستحق الاحتلال الروماني لمصر ومن قبل الاحتلال الفارسي ومن قبلهما الاحتلال اليوناني، واحتلال الهكسوس وغيرهم من الذين أذاقوا شعب هذا البلد المسالم مرارة القهر والاضطهاد التشهير والتحدث عنه تسليط الضوء عليه وعلى قسوته وفظاعته .. أم أنه لا توجد على الساحة سوى الجيوش المصرية التي فتحت مصر ولم يسبقها احد قبلها ولا بعدها

وأرى أن هناك خلط لا أدرى إن كان مقصوداً عمداً أم بغير قصد ـ لكن الظاهر أمامنا أنه مقصود ـ ذلك أن بتلر فى مضموناته يقلل من شأن الفتح العربى لمصر ويصف المقوقس بالخيانة، ويزعم أن الرومان كان باستطاعتهم الانتصار على المسلمين. فهل هذا يدخل عقل عاقل .. هل هناك شخص ولا سيما أن يكون هذا الشخص هو رأس الدولة ويقبل الهزيمة طواعية؟

وإن كان المقوقس خائناً كما ادعى بتلر .. فهل الإمبراطور البيزنطى كان هو الأخر خائناً لبلاده؟ كلام عارى من الصحة وينقصه الدليل.

ألم يعاصر احد من المؤرخين والكتاب عرباً وعجماً هذا الفتح سوى الراهب يوحنا النقيوسى؟

لماذا لم يصلنا منه أيضاً شيئاً عما فعله الرومان بشعب هذا البلدأم أن الرومان فى تلك الفترة كانوا يقدمون لشعب مصر البسكويت والكعك ؟

نحن نقدر ونشيد بأصالة شعب مصر ـ قبل الفتح وبعد الفتح ونقصد شعب مصر القبطى الأصيل وليس الجيوش الرومانية أو اليونانية أو الفارسية؛ هذا الشعب الذى كان يحبه نبينا محمد ﷺ وأوصى به وصاهر منه، أما من يدعى ويزعم أن ماريا وسيرين أختها لم يكونا مصريين وإنما كانا من العبيد الفرس فهذا هراء يفتقر إلى الدليل ولا يرقى الى المنطق .. أولاً لتعارضه مع حديث رسول الله الذى يقول فى وصيته بشعب مصر بأنه لنا فيهم نسباً وصهراً، فقد قال العلماء بأن النسب والمصاهرة هما زواجه ﷺ والشاعر حسان بن ثابت بماريا القبطية وأختها سيرين، فقد تزوج ﷺ بماريا وتزوج الصحابى حسان بن ثابت شاعر الرسول بأختها سيرين، فكان هذا هو النسب والصهر ولو كانت من أصول فارسية كما زعم البعض لذكر ذلك فى كتابات المؤرخين التى لم نعلم عنها شيئاً بعد.

أننا فى مصر لا نستطيع ان نفرق بين مسلم وقبطى على الإطلاق فإنك لو جلست على مقهى أو ركبت الأوتوبيس أو سرت فى الشارع فإنك لا تستطيع بحال من الأحوال أن تفرق بين رجل مسلم ورجل قبطى لا فى الشبه ولا فى الحديث ولا فى اللباس.. إلا فى حالة واحدة وهى عندما يدخل كل منهما الى بيت ربه كى يعبده ويصلى له.

ولقد شاهدت بنفسى رجلاً فى مقابر المسلمين بالعمود يوم خميس يزور قبراً ويبكى بحرارة، ولما اقتربت منه لكى أهدى من روعه اكتشفت أنه مسيحى قد أتى كى يزور جارته المسلمة التى توفيت، وعرفت منه أنه يأتى لزيارتها كل يوم خميس هل هناك دليل أقوى من ذلك على أن شعب هذا البلد هو شعب واحد وروح واحدة .. هل إذا حدث غزو لا قدر الله على هذا البلد سيدافع المسلم عن المسلمين ويدافع القبطى على الأقباط . كلا سيدافع الكل عن الكل ولن يعرف من هو مسلم ممن هو قبطى.

ونعود إلى بتلر الذى يناقض نفسه فيقول فيما معناه أنه ذكر قول الراهب يوحنا النقيوسى لكى يدلل به على كره القبط للفاتحين العرب، وهذا قول منافى للحقيقية لأنه يناقض نفسه بنفسه حيث يقول فى نفس السطر او الذى يليه أنهم ـ أى الاقباط الذين هم شعب مصر ـ كانوا ما يزالوا يحتفظون بعقيدتهم ويضمرونها فى قلوبهم ولو انهم اظهروا الخروج منها – أى الخروج عن المسيحية – تقية لما نالهم من عسف قيرس ـ يقصد المقوقس ـ وهذا كلام غريب يناقض الواقع، فلو أن اخواننا المسيحيين كما يزعم بتلر تركوا عقيدهم خوفاً من المقوقس وبطشة، كيف يتماشى هذا

الكـلام فى وقـت كانـت فيـه الإمبراطوريـة البيزنطيـة مسـيحية، والمقوقس هو الأخر مسيحى العقيدة ؟ اما عـلى الجانـب الأخـر فـإن مـا أورده بتلر نفسه يشـهد بـأن الفـاتحين المسـلمين لم يجـبروا حتـى الرومـان الوثنيين على دخول الإسلام فكيف بالقبط أصـحاب العقيـدة السـماوية؟ ويشهد بذلك ما أورده هو نفسه فى البند الثانى من الشروط التى وضـعها عمـر ـ أن تبقوا على عقيدتكم مع دفع الجزية .

ويقول ان العـرب كـانوا ينظـرون الى الطـرفين نظـرة الازدراء ولا يأمنوا أيا من جانبها ولا يتعاهدون مع احد منهما أوليس الذى كتبت بـين المقوقس والمسلمين عهداً؟ وإن كان بتلر يقصد ما سوى المعاهـدة فـاننى أجد أن للمسلمين الجدد على البلاد حق فى الحيطة والحذر لأن الخيانـة فى مثل تلك الحالات سيكون ثمنها باهظ للغاية اذ كيف يريـدهم أن يـأمنوا لأناس عاشوا زمنـاً طـويلاً مـع محتـل عـرفهم وعرفـوه وتـداخل معهـم وتداخلوا معهم ولهم مـع بعضـهم مصـالح وأعـمال وقـد تكـون هنـاك مصاهرات أيضاً كيف يرده أن يأمن أيا من الجـانبين، هـذه سـذاجة مـن بتلر.

لكـن تعـالوا لنـرى مـا حـدث بعـد أن استتبت الأمـور ألم يعهـد المسلمون الى إخوانهم الاقباط بالكثير من الأعمال بعد رحيل الرومان؟ ألم يتـولى الأقبـاط أمـور الزراعـة والـرى ومسـك الحسـابات والسـجلات الحكومية والقيودات والضرائب حتى أصبحت حسابات الدولـة برمتهـا فى أيديهم؟

✍ **لماذا لم تسلط الأضواء على تلك الأمور؟**

**الجواب واضح:** لأن تلك الأمور تؤدى إلى التقارب بين أفراد الشعب وهم لا يودون ذلك فيضربون على الأوتار التى تعكر صفو النفوس والأجواء.

إن أول ما وقع فيه بتلر وسبقه الراهب يوحنا النقيوسى إذا كان ما كتبه يوحنا على لسان بتلر صحيحاً بأن كليهما نسب الفتح الى العرب وكرراً مراراً وتكررا كلمة الفتح العربى، لدرجة أن بتلر نفسه سمى كتابة باسم الفتح العربى لمصر، وهذا عنوان إن لم يكن مغرضاً فهو غير موفق لأنه غير مطابق للحقيقة، فالعرب لم يدخلوا مصر بصفتهم عرب ولم تجمعهم أبداً فى ذلك راية العروبة ولم يدخلوا الى مصر تحتها أبداً، لقد دخل الجيش باعتباره جيش المسلمين الذى يضم عرباً مسلمين وعجماً مسلمين وأشدد هنا على كلمة عجم بمعناها الواسع، فكل من هو غير عربى فهو عجمى، بمعنى أن جيش المسلمين كان فيه الرومان المسلمون والفرس المسلمون والأقباط المسلمون وكل من دخل فى دين الإسلام من غير العرب فالراية كانت للإسلام والصفة كانت له أيضاً ولا أدرى كيف يقع رجل مثل د. الفريد بتلر فى تلك السقطة إن كان غير قاصد لما اختار؟

أما عن حال مصر قبل الفتح الاسلامى فكما سبق أن قلت، حدث ولا حرج ولن آتى بكلام من عندى بل ساورد ما كتبه بتلر نفسه الذى يدعى أن المصريين كانوا يكرهون الفاتحين العرب، ولم يقل الفاتحين المسلمين ولا أدرى أيضاً عن السبب سوى أن يكون الانحياز وعدم

الإنصاف والأمانة الحقيقية فى تناول التاريخ بحيادية. حيث يقول هو نفسه عن حال مصر حسبما أورده الاستاذ صلاح عبد الصبور فى مقال له على الانترنت: "لم يكن فى العالم من هو اشقى حالاً من مصر".

**ويقول أيضاً نقلاً عن بتلر:**

"فقد سعى الأباطرة إلى إجبار القبط الذين ليسوا على مذهب الدولة لإدخالهم فى ذلك المذهب، ولم يكن عجباً أن تضطرب الأحوال فى مصر فتصبح ميداناً للشغب والحرب الأهلية، بينما الحكام لا هم لهم إلا أن يجمعوا المال للملك البيزنطى وأن يكون لمذهبهم الدينى اليد العليا بين أهل البلاد، فصار الحكم على أيديهم أداة للظلم ونشر الشقاء، وصارت مصر جميعها تضطرم بنار الثورة ورغبة الخروج، لا يغطيها إلا غطاء شفيف من الرماد.

ويؤكد بتلر فى كتابه بأنه لم يحدث أن حكم مصر قبطى واحد طوال تاريخها المسيحى، بل كان الحكم المدنى والجيش كلاهما فى يد السادة المحتلين، ليس فيهم واحد من اقباط مصر أهل البلاد، فكان الحكم بذلك حكم الغرباء، لا يعتمد إلا على القوة ولا يحس بشىء من العطف على الشعب المحكوم.

وقد لوحظ أن هناك تحريفاً واضحاً نشر ما كتبه بتلر والراهب يوحنا بقصد إظهار الفاتحين المسلمين بصورة سيئة، فعلى سبيل المثال يقول الأستاذ صلاح عبد الصبور فى مقاله عن هذا الموضوع -موضوع كتاب بتلر والفتح العربى-: "كانت معاملة الفرس للقبط واحدة فى كل

مكان، يحل الموت والخراب حيثما حلوا". هذه العبارة نفسها قلبها أحدهم ولصقها بالمسلمين وجعلها على لسان المقوقس، ويبدو أن المغرضين ألصقوا بالفاتحين المسلمين كل ما فعله الفرس بشعب مصر إبان الغزو الفارسى البربرى الأول والثانى لمصر، من تخريب الديار وحرق الزروع وهدم الكنائس والأديرة وحمل الصليب إلى عاصمة دولتهم مع ألاف الأسرى والسبايا.

ينسب أيضاً إلى بتلر قوله بشكل يدعو إلى الارتياب ولا يمكن أن يدخل عقل عاقل :"أن أهل قرى رشيد، والبرلس ودمياط وخيس وبلهيب وسخا وسلطيس وفرطسا وتنيس وشطا وغيرهم من قرى الواقعة قرب تلك البحيرة قاوموا الفتح العربى مقاومة شديدة، وأن مقاومة المصريين للعرب استطال أمرها فى بلاد مصر السفلى وأنها ظلت إلى ما بعد فتح الاسكندرية. وأن أهل تنيس وما يليها كانوا من القبط الخلص وأن ذلك دليل على أن أهل مصر لم يسلموا مصر للعرب بغير قتال، وأنهم لم يرحبوا بهم.

أقول أولاً بأن من حق أى شعب كان أن يقاوم المحتل وهذا حقه المشروع، لكن ما دامت قد تمت معاهدة بين حكام البلاد والفاتحين الجدد لابد من احترامها هذا أول بند فى شأن قوانين احترام المعاهدات والمواثيق الدولية. وهذا أول دليل يفند كذب هذه المزاعم.

ثانياً، إن افترضنا أن هذا الكلام صحيحاً، فلماذا لم تظهر هذه المقاومة الباسلة والشديدة ضد جيش الاحتلال الرومانى الذى أقل ما

يمكن أن يوصف به أنه أضعف مـن الجيـوش الإسـلامية المقاتلـة التى عرف عنها الاستماتة فى القتال رغبة فى تحقيق أحد أمرين إما نصر إما شهادة لأنه غزو يعتمد على عقيـدة ولـيس مثـل الرومـان الـذين يغـزون اعتماداً على توسيع رقعة إمبراطورية، رغبة جامحة وشرهة لمدها الى اقصى الشرق وأقصى الغرب، لتسع كل العالم القديم دون اعتبار لأية اعتبـارات انسـانية أو دينيـة تـذكر علـماً بـأن قسـوة الرومـان واضـطهادهم البشـع وتاريخهم الحربى الأسود لا تخفى على أحد.

أظن أنه لوحدث ذلك لما بقى جندى واحد من جنود بيزنطـة عـلى أرض مصر قبل وصول المسلمين!

✍ **وأنى لأختم بما بدأ به الأستاذ صلاح منصور فى مقاله فى موقع إعلاميون بلا حدود:** "جاء الفتح الاسلامى لمصر تحريـراً لإرادة هذا البلد وأبنائه من عبودية الاحتلال الرومانى. كانت مصـر فى اشتياق حقيقى لهذا النور الأتى من الشرـق، مـن بـلاد العـرب، ليحررها من الإستعمار الرومانى الذى اضطهد الأقباط ، ولـولا دخول الاسلام فى مصر، أو دخول مصر فى الاسـلام، مـا كانـت مصر هذه التى نعرفها ويعرفها العالم، فالإسلام هو الذى أعطـى لمصر شخصيتها وهويتها."

# الفصل السادس عشر
# معركة سالاميس

معركة سالاميس هي معركة بحرية وقعت في العام ٤٨٠ قبل الميلاد بين تحالف من المدن اليونانية القديمة والإمبراطورية الفارسية في إطار الحروب الفارسية اليونانية. جرت المعركة بالقرب من بحر إيجة في مضيق سالاميس بين البر اليوناني وجزيرةسالاميس، وهي جزيرة في خليج سارونيك بالقرب من أثينا. وتمثل هذة المعركة القمة في تاريخ مرحلة الغزو الفارسي الثاني لبلاد الإغريق التي بدأت في عام ٤٨٠ قبل الميلاد. وفيها تمكن الأثينيون وحلفاؤهم بقيادة ثيمستوكوليس من هزيمة الأسطول الفارسي الضخم (٨٠٠ مركب) الذي جاء لغزو بلادهم بأسطول صغير (٣٨٠ مركب).

في بداية الأحداث قامت قوات صغيرة من اليونانيين بسد ممرثيرموبيلاي

في محاولة لصد الجيش الفارسي، بينما التحمت السفن اليونانية بقيادة أثينا بالأسطول الفارسي بالقرب من مضيق آرتميسيوم. كانت نتيجة المعركة التي وقعت في ثيرموبيلاي هي تدمير مؤخرة الجيش اليوناني بالكامل، أما معركة آرتميس فقد انتهت بخسارة كبيرة في صفوف الجيش اليوناني وتراجع للجيش اليوناني إثر معركة ثيرموبيلاي. وقد سمح هذا التراجع للفرس بغزو بويوتيا وأتيكا، بينما إنسحبت القوات اليونانية إلى موقع

بالقرب مـن جزيـرة سـالاميس وبـدأت الاسـتعداد للـدفاع عـن بـرزخ كورنث.

و بالرغم من التفوق العـددى للجيـش الفـارسي، اسـتطاع القائـد الأثينى ثيمستوكوليس أن يقنع التحـالف اليونـاني باسـتدراج الأسـطول الفارسي لمعركة جديدة، على أمل أن النصر في تلك المعركـة سـوف يمنـع العمليات االبحرية الفارسية لغزو إقلـيم البيلوبـونيز. ولقـد كـان الملـك الفـارسي خشايارشـا الأول( خشـايار الأول) أو (أحشـويروش الأول) أيضاً يتشوق إلى نصـر حاسم على اليونانيين. ونتيجـة لحيلـة محبوكـة مـن القائد اليونانيثيمستوكوليس نجح في دفع أسطول خشايارشا الأول نحـو مصيدة بحرية أعدها له الأسطول اليونانى، فأبحر الأسطول الفارسي إلى مضيق سـالاميس حيـث احتشـدت السـفن اليونانيـة في الميـاة الضـيقة، وحاول سد مداخل المضيق ظناً منه أن اليونانيون يسعون للهروب. كانت الأعداد الكبيرة لسفن الأسطول الفارسي في المضـيق عـائق مـؤثر لحركـة السفن وقدرتها على المنـاورة وإتخـاذ التشـكيلات أثنـاء المعركـة، فكانـت السـفن الفارسـية تكـافح مـن أجـل المنـاورة في مسـاحة البحـر الضـيق وأصبحت غير منظمة. فقام الأسطول اليوناني بإغتنام الفرصـة، وتشـكل في خط بحرى وحقق نصراً حاسماً على الأسـطول الفـارسي، وغرقـت أو أسرت ما لا يقل عن ٣٠٠ سفينة الفارسية.

و على أثر تلك المعركة، إنسحب زركسيز بجيوشه إلى آسـيا وتـرك ماردونيوس لإستكمال غزو اليونان. ومع ذلك، في العام التالي، تعرضـت فلول الجيش الفارسي للهزيمة بشكل حاسم في معركة بلاتيا وتم تدمير ما تبقى من الأسطول الفارسي في معركة ميكال. بعد ذلك لم يحاول الفـرس غزو أراضي اليونان مرة أخـرى. ولهـذا فـإن هـذة المعـارك في سـالاميس وبلاتيا تعتبر نقطة تحول في مسار الحروب الفارسية اليونانية كلهـا. ومـن ثم فصاعدا، كانت أمراء اليونان هي التي تبادر بالهجوم. يعتقد الكثير من المؤرخين الغربيين أنه إذا كان الفرس قد انتصرـوا في معركـة سـالاميس، كان ذلك سوف يقود نمو الحضارة اليونانية القديمة، والحضـارة الغربيـة المعاصرة بالتبعية، وأدى هذا بهم إلى الإدعاء بأن معركـة سـالاميس هـي واحدة من أهم المعارك في تاريخ البشرية.

## نبذة عن المصادر التاريخية:

قبل ما يزيد عن ألفي عام سجل أول تاريخ مكتوب كيف حـارب رجال السـفن الإغريقيـة ضـد الأسـطول الفـارسي الكبـير، كـان الملـك الفارسي زركسيز قد حاصر القائد اليونـاني ثيمسـتوكوليس وأسـطوله في خليج سالاميس وقد أثبتـت معـركتهم الحاسـمة أنهـا واحـدة مـن أهـم المنعطفات في التاريخ. تعتبر كتابات المؤرخ الإغريقى هيرودوت عن تلك المعركة هي المصدر الرئيسي لمعرفة وقائعها وتفاصيلها.

ولـد هـيرودت عـام ٤٨٤ ق.م في بلـدة هليكرناسـوس في آسـيا الصغرى التي كانت تحت سيادة الإمبراطورية الفارسية في ذلـك الزمـان. ولقد قام هيرودت بإصدار كتاب بعنوان هيسـتوريا أو بالعربيـة "تـاريخ هيرودت"حول الفترة ٤٤٠–٤٣٠ قبل الميلاد، في محاولة منه لتتبع أصول الحروب اليونانية–الفارسية، والتي كانت لا تزال ماضٍ قريـب نسـبة إلى ذلك الزمان (الحروب اليونانية–الفارسية انتهت كليـاً في سـنة ٤٥٠ قبـل الميلاد .(كان المنهج الذي إتبعه هـيرودوت في كتاباتـه غـير مـألوف تمامـاً لعصره وهو يبدو، على الأقل من وجهة نظر غربية، أنه هو الـذي اخـترع "التاريخ" كما نعرفه اليوم .فكان هيرودت هو أول مؤرخ يعين نفسه لتتبع أصول صراع قريب من زمنه لا يرجع إلى الماضي البعيـد ؛ فلـم يكتـب في التاريخ عن الأولين لكى تكون كتاباته مثيرة للقارئ. وكذلك لم يخضع في كتاباتـه لأهـواء ورغبـات الآلهـة، ولم تعكـس كتاباتـه إدعـاءات للنـاس بتجليات القدر، وإنما كانت كلها استقصـاءات لأحـداث ووقـائع تمكـن هو شخصياً أن يتحقق منها.

وبالرغم من سير بعض المؤرخين اليونـانيين القـدامي عـلى خطـى هيرودت، إلا أنهم إنتقدوه وكان أولهم ثوسيديديس .هذا ومـع العلـم أن ثيوسيديدس كان قد اختار أن يبدأ كتاباته عن تاريخ اليونان حيـثما انتهـى هيرودوت (عند حصار مدينة سيستوس)، ويبـدو أنـه شـعر أن كتابـات هيرودوت عن التاريخ كانت دقيقة بشكلٍ كافٍ ولا تحتاج إلى إعـادة نظـر أو تصحيح .كما انتقد المؤرخ اليوناني بلوتارخ هيرودوت في مقالة له

تسوق الدلائل "عن خبث هيرودوت"، واصفاً إياه في الـنص بأنـه "عاشق للبربرية"؛ وذلك لكونه غير مـوالٍ لليونـانيين بالشـكل الكـافي، وهو الأمر الذي يوحي بأن هيرودوت قد يكون بالفعل قد التزم بالحيادية بشكل مقبول في أعماله. وإبـان عصرـ النهضـة، شـاعت نظـرة سـلبية في أوروبا عن هيرودوت إلا أن كتاباته، على الرغم من ذلك، كانت لا تـزال تقرأ على نطاق واسع. ولكن منذ القرن التاسع عشر حدث رد اعتبار كبير لسمعة هيرودوت، خصوصاً بعد المكتشفات الأثرية التـي أكـدت مـراراً وتكراراً صدق روايته للأحداث .إن الفكر السـائد هـذة الأيـام يـرى أن هيرودوت في العموم قد قام بعمل رائع عن تاريخ الحروب اليونانيـة- الفارسية في كتابه هيستوريا، ولكن بعض تفاصيل الكتاب الخاصـة بعـدد القوات وتواريخ الأحداث يجب أن يتم التدقيق فيها. وجـدير بالـذكر في هذا السياق أن نشير إلى وجود أدلة أثريـة، مثـل عمـود الأفعـى الموجـود حالياً في أسطمبول، تدعم روايات معينة في كتب هيرودوت. ومع ذلـك، لا يزال هناك بعض المؤرخين المعاصرين يعتقدون أن هيرودوت قـد قـام بإختلاق الكثير من الأحداث في كتبه.

بالإضافة لكتاب هيرودوت، يحتوى كتاب بيبليوتيكـا هيسـتوريكا أو "مكتبة التاريخ" للمؤرخ ديودورس الصقلي، الذي أزدهـرت شـهرته في القرن الأول قبل الميلاد، عـلى رصـيد مـن الروايـات حـول الحـروب اليونانية الفارسية، وهي مستمدة جزئياً مـن مـؤرخ يونـاني قـديم اسـمه إفوروس. وهو رصيد تاريخي يتوافق إلى حد ما مع روايات

هيرودوت. يرد ذكر الحروب اليونانية الفارسية أيضاً بتفاصيل أقل في كتابات عدد من المؤرخين القدامى الآخرين ويشمل ذلك بلوتارخ، وتيجاس النيداسي، كما ألمح إليها مؤلفين آخرين في رواياتهم، مثل الكاتب المسرحي إسخيلوس.

## خلفية عن الصراع:

في الفترة ٤٩٩-٤٩٤ قبل الميلاد، قامت المدن اليونانية أثينا وإريتريا بتحريض المدن الإيونية الواقعة تحت حكم الإمبراطورية الفارسية على القيام بثورة قادهاالمرزبان اريستارجوس طاغية مدينة ميليتوس ضد الملك داريوس أو دارا الأول ملك فارس. كانت الإمبراطورية الفارسية في تلك الفترة لا تزال حديثة نسبياً، وعرضة لثورات الشعوب الخاضعة لها .وعلاوة على ذلك، كان داريوس ملك غاصب يقضى وقتاً طويلاً في إطفاء الثورات ضد حكمه. فعندما إندلعت الثورة الإيونية كانت بالنسبة له تهديد لسلامة الإمبراطورية الفارسية، وبالتالي تعهد داريوس بمعاقبة المتورطين على ما اقترفوه في حق فارس (وخاصة أثينا التي ليست جزءاً من الإمبراطورية بالفعل ). كما وجدها فرصة لتوسيع حدود إمبراطوريته لتشمل المدن يونانية القديمة المنقسمة على نفسها .فأرسل حملة ضدهم بقيادة ماردونيوس عام ٤٩٢ ق.م كطليعة لتأمين الأراضي المجاورة لليونان. وقد انتهت تلك الحملة بفتح كلا من مقدونيا وتراقيا، وإجبارهما على أن تخاضعا لبلاد فارس .ولكن

الأسطول اعطب بسبب العواصف الهوجاء ولم تتمكن الحملة مـن تحقيق كل أهدافها.

في العام التالى، سنة ٤٩١ قبل الميلاد، أرسل داريوس رسل يطلبون تسليم (الأرض والماء) إلى كل المدن اليونانية، وهو رمز للخضوع لسلطان ملك فارس. وبما أن داريوس كان قد قدم في العام السابق دليلاً على قوته، فإن غالبية المدن اليونانية إنصاعت في حينهـا إلا الأثينيـين والإسـبارطيين فقد قرروا التعاون على صد الفرس برغم خلافاتهم القديمـة. فاسـتقبلوا رسل الفرس إستقبالاً عدائياً. لقد جاء الرسـل يطلبـون تسـليم (الأرض والماء) فما كان من الاثينيين إلا أن حاكموا المبعوث الفارسي وألقوا به مـن فـوق صـخرة الاريـوس بـاجوس قـائلين لـه: هـذه هـي الأرض وقـام الاسبارطيون بعمل مشابه إذ القوا بالمبعوث الفارسي إليهم في بئر عميقـة قائلين له: هذا هو الماء .وبهذا أصبحت إسـبرطة هـي الأخـرى في حالـة حرب مع فارس بشكل واضح.

على أثر ذلك، قام داريوس في عام ٤٩٠ قبل المـيلاد بتشـكيل قـوة بحرية للعمليات البرمائية تحـت قيـادة داتـوس وأرتـافيرنيس، وأرسـلها لمهاجمة جزيرة ناكسوس قبل أن تستسلم بافى جـزر السـيكلادس في بحـر إيجـه. ثـم انتقلـت القـوة بعـد ذلـك إلى إريتريـا، التـي حـوصرت ودمرت. وأخيراً، انتقلت القوة لمهاجمة أثينا ورسيت السـفن الفارسـية في خليج ماراثون وأنزلت القوات، حيث كان في استقبالها جيش من أثينا

تفوقه قوات الفرس بكثير في العدد بعد أن تخلت عنهم إسبرطة. في المعركة التي أعقبت ذلك، معركة ماراثون، انتصر الأثينيون وحدهم على الفرس انتصاراً ملحوظاً، مما أدى بزوغ أثينا كقوة عسكرية هامة في اليونان القديمة وإلى إنسحاب الجيش الفارسي إلى آسيا.

وكانت نتيجة تلك المعركة أن بدأ داريوس في إعداد جيش ضخم جديد بهدف إخضاع اليونان تماماً. إلا أنه في عام ٤٨٦ قبل الميلاد، ثارت الأراضى المصرية الخاضعة لفارس، فقرر داريوس تأجيل حملاته على اليونان إلى أجل غير مسمى. توفي داريوس بعد ذلك، حينما كان يستعد لتسيير حملة إلى مصر للقضاء على الثورة فيها، وتولى عرش فارس ابنه زركسيز .قام زركسيز بسحق الثورة المصرية، وبسرعة كبيرة استعاد التحضيرات العسكرية لغزو اليونان. وبما أن هذه الاستعدادات كانت تهدف إلى الغزو الكامل لليونان، فكان مطلوب فيها التخطيط على المدى الطويل، والتخزين للمؤن والمعدات وتجنيد وتدريب المقاتلين .وقرر زركسيز أنه ينبغي بناء جسر عند هيليسبونت أو مضيق الدردنيل للسماح بعبور جيشه إلى أوروبا، وكذلك حفر قناة عبر برزخ جبل آثوس وبهذا يحول دون العاصفة التي تمكنت من تحطيم أحلام والده. (حيث تم تدمير أسطول والده عام ٤٩٢ قبل الميلاد بسبب العواصف حول رأس لسان الأرض في تلك المنطقة .(لقد كانت هاتان المهمتان بمثابة حجر الأساس الذي بنى عليه زركسيز طموحاته الكبيرة، التي تتجاوز طموحات أى دولة معاصرة .ومع بداية عام ٤٨٠ قبل الميلاد، كانت الاستعدادات قد

أكتملت وتقدم الجيش الـذي حشـده زركسـيز في سـاردس نحـو أوروبا، عبر هيليسبونت على جسور عائمة.

وكان الأثينيون أيضاً يستعدون للحرب مع الفـرس منـذ منتصـف عقـد ٤٨٠ قبـل المـيلاد، ففـي عـام ٤٨٢ ق. م إتخـذ السـياسي الأثيني ثيمستوكوليس قرار ببناء أسـطول ضـخم مـن القـوادس ثلاثيـة المجـداف (بالإنجليزيـة *Triremes* ):لضرـوريتها بالنسـبة لليونـانيين في الحرب ضد الفرس. ولكن لم تكن أثينا لديها القوة البشرية الكافيـة لقتـال الفرس في البر والبحر؛ وبالتالي كان الوضع يتطلب تحالفاً مع مدن يونانية أخرى. وفي عام ٤٨١ قبل الميلاد، أرسل زركسيز رسل إلى المدن اليونانية يطلب تسليم الأرض والماء كما فعل والده، ولكنه تعمد بوضـوح إغفـال أثينا وإسبرطة .وهكذا بدأ الدعم يتجمع حول هاتين المدينتين القياديتين. واجتمعت المدن اليونانية فيكورنثوس في أواخر خريـف عـام ٤٨١ قبـل الميلاد ، وتم فيه تشـكيل مجلـس تحـالف كونفـدرالي مـن ولايـات المـدن اليونانية. كان هذا التحالف يملك القدرة على أن يرسل مبعـوثين لطلـب المساعدة وقوات من الولايات المنضمة إلى التحالف لنقـاط دفاعيـة بعـد التشاور. وقدكان هذا شيئاً ملحوظاً في الكيـان اليونـاني القـديم المفكـك والمنقسم، لا سيما أن كثير من هذة المدن كانـت، قـولاً، لا تـزال في حالـة حرب مع بعضها البعض.

أسـتقر رأى مجلـس التحـالف في البدايـة عـلى التمـترس في وادى تيمبي، على حدود أقليم ثيساليا، وبذلك يتم سد الطريق أمام تقدم جيش زركسيز نحو أثينا .إلا وأنه عند وصولهم للمكـان، قـام الأكسـندر الأول المقدونى بتحذيرهم أن الوادى يمكن تجاوزه من خلال ممـر بـالفرب مـن قرية سارانتابورو الجديـدة وأن جـيش زركسـيز عـدده كاسـح، فتراجـع الجيش اليوناني .بعد ذلك بوقت قصير، تلقى اليونـانيون أنبـاء أن جـيش زركسيز قد عبر هيليسبونت (مضيق الدردنيل) وهـذا يعنـى أن زركسـيز قرر أن يهاجم اليونان من الشمال كما كان والده قد خطط أساساً. ولـذلك اعتمد الحلفاء إستراتيجية جديدة، فإن الطريق إلى جنوب اليونان (بويوتيا وأتيكا والبيلوبونيز) يتطلب من جيش زركسيز العبور في ممر ساحلى ضيق جداً يسمى ممر ثيرموبيلاي. وهذا الممر يمكن بسهولة سـده أمـام جـيش زركسيز بكتائب الرماحين اليونانية (بالإنجليزية *Hoplites* ): على الرغم من الأعداد الهائلة من الفرس. أيضاً يمكـن أن يقـوم الأسـطول الأثينـي والقوات المتحالفة معه بسـد مضـيق آرتمـيس لمنـع تجـاوز الفـرس عقبـة ثيرموبيلاي عن طريق البحر. وقام مجلس التحالف اليونانى باعتماد هـذه الإسـتراتيجية الدفاعيـة المزدوجـة بـراً وبحـراً .ومـع ذلـك، فـإن المـدن البيلوبونيزية وضعت خطـط للتراجـع والـدفاع عـن بـرزخ كورنـث إذا تطلب الأمر ذلك، في حين تم إجلاء النساء والأطفـال مـن أثينـا بشـكل جماعي إلى مدينة تريزون البيلوبونيزية.

في المعركة التـي أعقبـت ذلـك، معركـة ثرمـوبيلاي، عبثـاً حـاول الإسبارطيون إيقاف جيش زركسيز، ولكـن اشـتهرت المعركـة في تـاريخ اليونان القديمةلأن الجيش اليوناني الأصغر بكثير تمكن ببسـالة مـن صـد الفرس لمدة ثلاثة أيام قبل أن يتجاوز الفرس ممر ثرموبيلاي الساحلي عـن طريـق ممـرجبلي. وعـلى أثـر ذلـك، تراجـع أغلـب الجـيش اليونـاني الإ الإسبارطيون والثيسبيانيون الذين أستمروا في سد الممر حتى أحـاط بهـم جيش زركسـيز وقـتلهم .وفي نفـس الوقـت، كانـت المعركـة البحريـة في آرتميس قد وصلت إلى طريق مسدود، وعندما وصلت أخبار تيرموبيلاي لأسطول الحلفاء تراجع هو أيضا؛ حيث أن الاسـتمرار في غلـق مضـيق آرتميس بعد ذلك أصبح لا جدوى منه.

## إفتتاحية المعركة:

عندما وصلت الأخبار عـن إجتيـاح الفـرس لثرمـوبيلاي، أبحـر أسطول الحلفاء من آرتميس إلى سالاميس للمساعدة في الجلاء الأخير من أثينا؛ وفي الطريق ترك ثيمستوكوليس نقوش على كل ينابيع المياه التي قـد توقـف عنـدها، موجهـة إلى الطـواقم اليونانيـة في الأسـطول الفـارسي (الإيونيين) طالباً منهم أن ينشقوا عن الفرس لصـالح الحلفـاء. أمـا عـلى الجانب الفارسي، شرع جيش زركسيز في حرق ونهب المدن الشمالية التـي لم تستسلم، بلاتيا وثيسبيا في بويوتيا، أثناء تقدمـه نحـو مدينـة أثينـا التـي كانت قد أجليت بالكامل. في ذلك الوقت، أنصب شاغل الحلفاء

وأغلبهم من مدن اليونان الجنوبية (البيلوبونيز) على الاستعداد للدفاع عن برزخ كورنث، وهدم الطريق الوحيد المؤدى خلاله إلى مدنهم، والبدء في بناء جدار عازل عبر البرزخ يسد طريق الجيش الفارسي.كان هناك خلل واضح في هذة الإستراتيجية الدفاعية، حيث أن الأسطول الفارسي يستطيع نقل القوات عبر خليج سارونيك، إلا إذا تمكن أسطول الحلفاء من منعه. كان قائد سلاح البحرية في كورنث، أديامنتوس، قد أصر في مجلس الحرب الذي انعقد فور إخلاء أثينا أن أسطول التحالف يجب تجميعه قبالة سواحل البرزخ من أجل منع نقل قوات الجيش الفارسي بحراً إلى المدن الجنوبية. وعلى العكس من ذلك، جادل ثيمستوكوليس في ذات المجلس لصالح إستراتيجية هجومية تهدف إلى تدمير حاسم للأسطول الفارسي واستدراجه لمعركة جديدة في المياة الضيقة عند جزيرة سالاميس. واستند إلى الدروس المستفادة من معركة آرتميس، مشيرا إلى أن "المعركة في مساحة البحر الضيق تعمل لصالحنا". وأشتد االخلاف ولكن رجحت كفة ثيمستوكوليس في نهاية المطاف وأستمر أسطول التحالف في التمركز قبالة سواحل سالاميس.

من الصعب التحديد بدقة وقت حدوث معركة سالاميس. كان هيرودوت قد عرض المعركة في كتابه كما لو أنها وقعت مباشرة بعد الاستيلاء على أثينا، ولكنه لم ينص على ذلك بشكل صريح في أى مكان أخر. إذا كانت معركتا ثيرموبيلاي وآرتميس قد وقعتا في سبتمبر فقد يكون هذا أيضاً هو حال معركة سالاميس، ولكن الأرجح أن الفرس قد

قضوا أسبوعين أو ثلاثة أسابيع في الاستيلاء على أثينا، وإعادة تجهيز الأسطول، وتعبئة المؤن. كذلك من الواضح أنه في مرحلة ما بعد الاستيلاء على أثينا قام زركسيز بعقد مجلس حرب مع الأسطول الفارسي؛ فقد ذكر هيرودوت في كتابه أن هذا حدث في فاليروم. كما ذكر أن أرتميسيا أو أرطماسيا، ملكة هاليكارناسوس، وقائد سرب قواتها البحرية في الأسطول الفارسي، حاولت إقناع زركسيز بالإنتظار حتى يقدم الحلفاء على الاستسلام لإعتقادها أن المعركة في مضيق سالاميس هي مخاطرة غير ضرورية. ومع ذلك، أصر زركسيز ورئيس مستشاريه ماردونيوس على الهجوم.

وكذلك من الصعب معرفة ما الذي أدى بالضبط إلى وقوع المعركة في النهاية، باستبعاد فرضية أن أياً من الجانبين قد يكون هاجم الأخر ببساطة بدون تفكير. لكن من الواضح أنه في مرحلة ما قبل المعركة، هناك معلومات جديدة كانت قد بدأت تصل إلى زركسيز عن خلافات بين قيادات الحلف؛ وأن المدن البيلوبونيزية الجنوبية تود الهروب من سالاميس حينما تزال الفرصة سانحة. وربما أن هذا الخلاف المزعوم بين الحلفاء قد كان مجرد حيلة، من أجل استدراج الفرس إلى المعركة. من ناحية أخرى، ربما أن وقوع هذا الشقاق بين الحلفاء (بعد أن انتظروا بصبر قبالة سواحل سلاميس لمدة أسبوع على الأقل بينما يتم الاستيلاء على أثينا) كان رد فعل مرتبك بسبب مناورات هجومية استفزازية من

الفرس.إذ ربماكان زركسيز قد أرسل جيش من الفـرس في مسـيرة إلى البرزخ من أجل اختبار أعصاب الأسطول اليوناني.

في كلتا الحالتين، عندما تلقى زركسيز هذا الخبر أمر أسطوله بالقيام بدورية قبالة ساحل سالاميس وسد منفذ الهروب الجنوبي. بعد ذلك، عند الغسق أمرهم بالانسحاب. ربما كان هذا الفعل من أجـل إغـراء الحلفـاء بـالجلاء مـن سـالاميس بسرعة. في نحـو ذلـك الوقـت مسـاءً، أقـدم ثيمسـتوكوليس عـلى تصرف يبـدو أنـه محاولـة منـه لإسـتغلال نـاجح لمعلومات مغلوطة لدى العدو بهـدف خداعـه. فبعـث خـادم لـه يـدعى سـايكيننوس، برسـالة إلى زركسـيز تظهـر أنـه " في صـف ملـك فـارس ويفضل أن يكون النصر له، وليس للإغريقيين". وإدعى أيضاً أن قيادات الحلف في حالة خلاف مستعر، وأن مدن اليونـان الجنوبيـة (البيلوبـونيز) تخطط للجلاء من جزيرة سالاميس في تلك الليلة، وأنـه كـل مـا يحتاجـه الفرس لتحقيق النصر هو سد منافذ المضيق لمنع هروب أسطول الحلفـاء. ويبدو أن ثيمستوكوليس كان يهدف بهذه الحيلة إلى عكس ذلك تماماً؛ كان يهدف إلى استدراج الأسطول الفارسي إلى المضيق. كان هذا بالضـبط هـو نوع الأخبار التي كان زركسيز يريد أن يسمعها؛ أن الأثينيون قـد يكونـوا مستعدين للاستسلام له، وأنه سـيكون قـادراً عـلى تـدمير مـا تبقـى مـن أسطول الحلفاء من الواضح أن زركسيز التقط الطعم وأرسـل الأسـطول الفارسي في هذا المساء لحصار منافذ المضيق. وأمر بأن يؤتى له بعرش

ويوضع على سفوح جبل إيجاليو (يطل على المضيق)، وذلك لرؤية المعركة من موقع مفتوح، ولتسجيل أسماء القادة الذين يبلون في المعركة بلاءً حسناً.

وفقاً لهيرودوت، قضى الحلفاء هذا المساء في جدل مستعر حول كيفية التعامل مع الأمر. البيلوبونيزيون كانوا يصوتون لصالح الجلاء من سالاميس، وكانت هذه هي النقطة من الزمن التي حاول عندها ثيمستوكوليس القيام بحيلته مع زركسيز. يذكر هيرودوت أن وصول الجنرال الأثيني المنفي أريستيدس في تلك الليلة، مع بعض الفارين من الفرس، بأخبار عن نشر الأسطول الفارسي عند منافذ المضيق هو فقط ما جعل البيلوبونيزيون يتفبلون أنه لم يعد هناك سبيل للفرار، ويجب عليهم القتال. ومع ذلك، فهناك إحتمال منطقي أن البيلوبونيزيون قد كانوا طرفاً مؤكداً في حيلة ثيمستوكوليس، لذلك تقبلوا بهدوء الأنباء التي فرضت عليهم القتال في سالاميس. وبالتالي كان أسطول الحلفاء قادراً على النوم والراحة والإعداد للمعركة بشكل صحيح في اليوم المقبل، بينما أمضى الفرس ليلتهم ساهرين في البحر يبحثون عن الجلاء اليوناني المزعوم دون جدوى. في صباح اليوم التالي، أبحر الفرس إلى داخل المضيق لمهاجمة الأسطول اليونانى. ليس واضحاً متى ولماذا أو حتى كيف تم إتخاذ هذا القرار، ولكن من الواضح أن الفرس هم في الواقع من حملوا المعركة إلى الحلفاء.

## القوات المتحاربة:

- ✓ الأسطول اليوناني:

يورد هيرودوت في كتابه أن أسطول الحلفاء كان يتكون من ٣٧٨ سفينة من القوادس ثلاثية المجداف، ثم يحلل أعداد السفن التي شاركت في سالاميس في الكتاب حسب ولايات المدن اليونانية (كما هو مبين في الجدول). ومع ذلك، فإن مجموع الأرقام التي ذكرها لأعداد السفن الممثلة لكل مدينة على حدة يصل إلى ٣٦٦ سفينة فقط. وهو أيضاً لا يذكر صراحة أن كل السفن ال٣٧٨ قد حاربت في سلاميس، فنص الكتاب كالآتي: "كل هذه المدن قد جاءت إلى الحرب بقوادس ثلاثية المجداف... العدد الإجمالي للسفن... كان ٣٧٨"، ويذكر أيضا أن الإيجينيون "كانوا يملكون سفن أخرى، ولكنهم كانوا يستخدونها في حراسة أراضيهم وأختاروا أصلح ثلاثين سفينة للحرب في سلاميس." ولهذا تم إفتراض أن الفرق بين الرقمين هو نتيجة إحتساب حامية من ١٢ سفينة قد تكون بقيت في إيجينا.ووفقاً لهيرودوت، هناك سفينتان إنشقتا عن الأسطول الفارسي وإنضمتا للإغريق، واحدة قبل معركة آرتميس وواحدة قبل معركة سالاميس، وبالتالي فإن إجمالي عدد السفن في سالاميس كان ٣٦٨ (أو ٣٨٠).

ووفقاً لإسخيليوس الكاتب المسرحي الأثيني، الذي حارب فعلياً في سالاميس، بلغ الأسطول اليوناني ٣١٠ سفينة من القوادس ثلاثية المجداف (الفرق في العدد هو عدد السفن الأثينية). ويزعم تيجاس أن

الأسطول الأثيني كان يتكون من ١١٠ قادس فقط، وهو الذي يتصل بالأرقام التي ذكرها اسخيليوس. ووفقاً لهايبريدس، بلغ الأسطول اليوناني ٢٢٠ قادساً فقط. وكان الأسطول فعلياً تحت قيادة ثيمستوكوليس، لكن رمزياً كان يقوده النبيل الأسبرطى يوريبيادیس كما تم في اتفاق مجلس التحالف عام ٤٨١ قبل الميلاد. فبالرغم من محاولات ثيمستوكوليس الأثيني للمطالبة بقيادة أسطول التحالف، اعترضت المدن الأخرى ذات القوات البحرية النظامية فأعطيت أسبرطة قيادة الأسطول كحل وسط (حيث كانت لا تملك بحرية لها تقاليد رسمية).

| المدينة | عدد السفن | المدينة | عدد السفن | المدينة | عدد السفن |
|---|---|---|---|---|---|
| أثينا | ١٨٠ | كورنث | ٤٠ | إيجينا | ٣٠ |
| شالسيس | ٢٠ | ميجارا | ٢٠ | إسبرطة | ١٦ |
| سيكيون | ١٥ | إيبيداوروس | ١٠ | إريتريا | ٧ |
| أمبراسيا | ٧ | تريزون | ٥ | ناكسوس | ٤ |
| ليوكاس | ٣ | إرميونى | ٣ | ستايرا | ٢ |
| سيثنوس | ١ (١) | سيوس | ٢ | ميلوس | (٢) |
| سيفنوس | (١) | سريفوس | (١) | كروتون | ١ |
| المجموع | ٣٦٦ أو ٣٧٨(٥) | | | | |

الأرقام العادية تمثل القوادس ثلاثية المجداف؛ بينما تلك المشار إليها بين قوسين قوادس البنتيكونتر (قوادس ذات الخمسون مجداف).

✓ **الأسطول الفارسي:**

وفقاً لهيرودوت، بلغ عدد سفن الأسطول الفارسي في البداية ١٢٠٧ قادساً ثلاثى المجداف. ولكن على حسب إعتقاده فإن ثلث هذه السفن تقريباً قد فقد في عاصفة قبالة سواحل مجنيسيا، بالإضافة إلى ٢٠٠

سفينة أخرى فقدت في عاصفة قبالة سواحل إيوبوا، وعلى الأقل ٥٠ سفينة تم تدميرها بواسطة الحلفاء في معركة آرتميس. يدعى هيرودوت أنه تم استبدال تلك الخسائر بالكامل، ولكنه يذكر فقط قدوم ١٢٠ سفينة من تراقيا والجزر القريبة منها كتعزيزات للأسطول الفارسي. يدعي إسخيليوس أيضاً، وهو الذي حارب في سالاميس، أنه واجه هناك ١٢٠٧ سفينة حربية، منها ٢٠٧ من "السفن السريعة." ديودوروس وليسياس يذكران كل منهما على حدة وجود ١٢٠٠ سفينة في الأسطول الفارسي تم تجميعهم في دوريسكوس في ربيع عام ٤٨٠ قبل الميلاد. كما أن العدد ١٢٠٧ سغينة (كإستهلال للمعركة فقط) قد طرحه أيضاً المؤرخ إفوروس، في حين يدعي أستاذه إسوكراتيس أنه كان هناك ١٣٠٠ سفينة في دوريسكوس و١٢٠٠ سفينة في سالاميس. ويعطي تيجاس رقم آخر وهو ١٠٠٠ سفينة، بينما يتحدث أفلاطون في عبارات عامة ويشير إلى ١٠٠٠ سفينة وأكثر.

العدد ١٢٠٧ يظهر في وقت مبكر جداً في السجلات التاريخية (٤٧٢ قبل الميلاد)، ويبدو أن الإغريق يعتقدون حقاً أنهم واجهوا هذا العدد من السفن. بسبب إتساق روايات المصادر القديمة، يميل بعض المؤرخون المعاصرون إلى قبول العدد ١٢٠٧ كحجم للأسطول الفارسي في بداية حملتة على اليونان؛ في حين يرفض آخرون هذا العدد، وينظرون له على أنه ليس أكثر من إشارة إلى أساطيل يونانية متحدة في

ملحمة الإلياذة، ويدعون أن الفرس لم يكونوا ليتمكنـوا مـن نشرـ أكثر من ٦٠٠ سفينة حربية تقريباً في بحر إيجه بشكل عام. ولذلك، عـدد قليل جداً من المؤرخين المعاصرين يبدون قبولهم لهذا العدد مـن السـفن (١٢٠٧) في سالاميس؛ حيث أن غالبيتهم تميـل لصـالح رقـم في حـدود ٦٠٠–٨٠٠ سفينة. وهذأ أيضا هو النطاق الذي نحصل عليـه إذا أضـفنا العدد التقريبي للسفن الفارسية بعد معركة آرتمـيس (~ ٥٥٠ سـفينة) إلى التعزيزات (١٢٠ سفينة) التي ذكرها هيرودوت.

## إعتبارات إستراتيجية وتكتيكية:

كانت إستراتيجية الفرس في غـزو بـلاد الإغريـق عـام ٤٨٠ قبـل الميلاد تعتمد بشكل عام على إجتياح اليونانيين بقـوات غـزو ذات أعـداد كاسحة، وغزو اليونان بالكامل في حملات موسمية منفردة وضخمة. وفي المقابل، سعى الإغريق إلى تحقيق أفضل استفادة مـن أعـدادهم بـالاعتماد على الحرب في مواقع ذات مساحات ضيقة لا تسـمح للجيـوش الكبـيرة بالمناورة وتهـدف إلى إبقـاء الفـرس في الميـدان لأطـول فـترة ممكنـة. مـن الواضح أن زركسيز لم يكن يتوقع مثل تلك المقاومة، وإلا لكان قد بكر في توقيت حملته على اليونان (أو لم يكـن انتظـر ٤ أيـام في ثيرمـوبيلاي حتـى يتفرق الإغريق).لقد كان العامل الزمنى جوهرى بالنسبة للفرس – لأنـه ليس من المنطقى استخدام قوة غزو ضخمة في إخضاع الـبلاد إلى أجـل غير مسمى، وفي الأغلب أن زركسيز كان لا يرغـب في أن يمكـث لفـترة طويلة في موقع على هامش إمبراطوريته. وقد أظهرت معركة ثيرموبيلاي

لزركسيز أنه لا جدوى من الهجوم مـن الأمـام عـلى موقـع يونـاني محصن جيداً؛ وحيث أن الحلفاء كانوا قـد تمترسـوا في ذلـك الوقـت عـبر البرزخ، لم تكن أمام زركسيز فرصة كبيرة لغزو بقيـة اليونـان عـن طريـق البر. ومع ذلك، فقد وضح أيضاً على نفس الخط في معركة ثيرموبيلاى أنه إذا كان من الممكن الإلتفاف حول مواقع تحصن الإغريق، فإنه يسهل بعد ذلك تدمير قواتهم الأقل عدداً. ومثل هذا إلالتفاف حول البرزخ يتطلب استخدام الأسطول الفارسي بدون مقاومة، وبالتالي يتطلب تدمير أسطول الحلفاء اليونانى أيضـاً. خلاصـة القـول، إذا تمكـن زركسـيز مـن تـدمير أسطول الحلفـاء، فإنـه قـد يـتمكن مـن فـرض شروط الاستسـلام عـلى اليونانيين، وقد بدا لزركسيز أن هذا هو الأمل الوحيد لختام الحملة وإتمام السيطرة على اليونان في هذا الموسم. وعلى العكس من ذلك، بدا للأغريق أنه عن طريق تجنب تدمير أسطولهم، أو كما كان يأمل ثيمستوكوليس، عن طريق شل الأسطول الفارسي يمكن لهم منع هذا الغزو لبلادهم.

غير أن هذه المعركة في سالاميس كانت غير ضرورية فعلاً بالنسـبة للفرس من الناحية الإستراتيجية. وحسب رواية هيرودوت، فـإن الملكـة أرتميسيا ملكة كاريا قد أشارت إلى هذا في حديث لها مع زركسـيز قبـل أن يمضى قدماً في حملته. أشارت أرتميسيا إلى أن القتال في البحر كان مخـاطرة لا لزوم لها، **ونصحته بدلاً من ذلك قائلة:**

إذا لم تسرع للقتال في البحر، وأبقيت سفنك هنا أو بالقرب من اليابسة، أو حتى إذا تقدمت بها إلى البيلوبونيز، فسوف تنجز بسهولة، يا سيدي، ما كان يدور في خلدك عند المجيء إلى هنا. فإن الهيلينيون ليسوا قادرين على الصمود في وجهك لفترة طويلة، وفي هذة الحالة سوف تتمكن من تبديدهم وسوف يفرون كل إلى مدينته.

وقد كان عدد السفن في الأسطول الفارسي لا يزال كبيراً بما يكفي لحصار الأسطول اليوناني في مضيق سالاميس، وفي نفس الوقت إرسال سفن لإنزال قوات عسكرية في البيلوبونيز. ومع ذلك، في التقديرات النهائية كان من الواضح أن كلا الجانبين كان يستعد للرهان بكل شيء على المعركة البحرية، على أمل أن يحدث ذلك تبدل حاسم في مسار الحرب.

كانت لدى الفرس ميزتان تكتيكيتان كبيرتان، واحدة منها هي تفوق أعدادهم على الحلفاء، وكانت الأخرى هي سفنهم "الأفضل إبحاراً". ربما يرجع وصف سفن الفرس "بالأفضل إبحاراً" في كتاب هيرودوت إلى أطقم الملاحة البحرية المتميزة على متن هذة السفن؛ فمعظم السفن الأثينية كانت قد بنيت حديثاً (وبالتالي غالبية أسطول التحالف)، وأغلب أطقم الملاحة على متن هذة السفن كانوا قليلوا الخبرة. وكانت أكثر التكتيكات شيوعاً في المعارك البحرية في منطقة البحر الأبيض المتوسط في ذلك الزمان هي "الصدم" (حيث كان يجري تجهيز القوادس

ثلاثية المجداف بمطرقة في مقدمة السفينة)، أو "إعتلاء سطح السفينة" بواسطة قوات مشاة منقولة بحراً (و التي تحول المعركة البحرية إلى واحدة برية). وكان الفرس والإغريق الآسيويون قد بدأوا في ذلك الوقت في استخدام مناورة معروفة باسم "دايكابولوس" (*Diekplous*) ليس واضحاً تماماً ما كنه هذة المناورة، ولكن ربما تنطوى على تحركات بحرية عبر الفجوات بين سفن العدو ومن ثم صدمها في الجانب. كانت مثل تلك المناورات تتطلب بحارة مهرة، وبالتالي فإن الفرس كانوا الأقرب إلى توظيفها في المعركة، ولكن الحلفاء كانت قد وضعت تكتيكات مضادة خصيصاً لمواجهة هذة المناورة.

كذلك هناك الكثير من النقاشات بشأن طبيعة أسطول الحلفاء مقارنة بالأسطول الفارسي. الكثير من هذه النقاشات كانت تدور حول إيحاءات، من هيرودوت في كتابه، بأن سفن الحلفاء كانت أثقل وزناً، ومن ثم أقل قدرة على المناورة. فأسباب هذا الثقل غير واضحة؛ ربما كانت بسبب ضخامة هياكل سفن الحلفاء، أو لأن السفن كانت مشبعة بالماء حيث أنها لم يتم تجفيفها في فصل الشتاء (رغم عدم وجود دليل حقيقي على صحة أي من هذة الإحتمالات) من الأسباب المرجحة لثقل وزن السفن أنه كان بسبب وزن كتائب الرماحين اليونانية *hoplites* المدرعة بالكامل (المجموعة المكونة من ٢٠ رماح مدرع بالكامل كانت تزن حوالى ٢ طن تقريباً). هذا الثقل، أيا كان سببه، من شأنه أن يقلل من إحتمالية توظيف أسطول الحلفاء لمناورة "دايكابولوس *Diekplous* "في المعركة.

إذا كانت تلك السفن أقل قدرة علـى المنـاورة فمـن المحتمـل أنهـا كانت تحمل على متنها قوات إضافية من المشـاة المنقولـة بحـراً، (و ذلـك يجعل السفن الثقيلة أكثر ثقلاً) وسيكون حينئذ التكتيك الرئيسي المتاح لهم في المعركـة هـو "إعـتلاء سـطح" السـفن الفارسـية. وبالفعـل، يشـير هيرودوت إلى أن الإغريق قد أسروا سفن فارسية في معركة آرتميس، بدلاً من إغراقها. ولقد أشير أيضـاً في هـذه النقاشـات إلى أن ثقـل وزن سـفن الحلفاء جعلها أكثر استقراراً في مهـب الريـاح قبالـة سـاحل سـالاميس، وجعلها أقل تأثراً بالصدم (أو للدقة، أقـل عرضـة لـلأضرار عنـدما يـتم صدمها في المعركة).

إذن من الناحية التكتيكية، المعركة في عرض البحـر، كانـت الخيـار المفضل لدى الفرس حيث يكون للأعدادهم وتفوقهم الملاحـى البحـري تأثير أفضل على سير المعركة لصالحهم. بالنسـبة لليونـانيين، كـان الأمـل الوحيد الواقعي لتحقيق نصراً حاسماً هو جر الفرس لمنطقة ضيقة، حيـث يكون لأعدادهم فيها أقل الأثر. وكانت المعركـة في مضـائق آرتمـيس قـد شهدت محاولات من جانـب اليونـانيين لإبطـال ميـزة التفـوق العـددى للفرس، ولكنهم في النهاية أدركوا أنهم في حاجة إلى قناة أكثـر ضـيقاً مـن أجل هزيمة الفرس. ولهذا، فإن الفرس بـدخولهم في مضـيق سـالاميس لمهاجمة الإغريق، كانوا ببساطة ينقلون مسرح المعركة إلى ملعب الحلفـاء!.

يبدو على الأرجح أن الفرس كانوا على ثقة كاملة من إنهيار أسطول

التحالف وإلا ما كانوا أقدموا على تلك الخطوة، وبالتالي فيبدو أن حيلة ثيمستوكوليس قد لعبت دوراً رئيسياً في ترجيح كفة ميزان المعركة لصالح الإغريق. فمن المؤكد أن سالاميس كانت، بالنسبة للفرس، معركة لا لزوم لها وخطأً إستراتيجياً.

## المعركة:

لا يوجد في المصادر القديمة وصفاً جيداً لحقيقة ما حدث فعلياً في ساحة المعركة في سالاميس، ومن المرجح أنه لا يوجد أي شخص ممن شاركوا في المعركة (ربما عدا زركسيز)كان عنده فكرة واضحة عما يحدث عبر عرض المضيق. ما يلي هو عبارة مناقشة حول المعركة أكثر منها تقرير نهائي عن الوقائع.

## التشكيلات النهائية قبل المعركة:

كان الأثينيون في الجانب الأيسر من أسطول الحلفاء، وفي الغالب تمركز الأسبرطيون في الجانب الأيمن من الأسطول (على الرغم من أن ديودوروس يقول أن الجانب الأيمن كان يتكون من الميجاريين والإيجينيين)؛ وتشكل قلب الأسطول من الوحدات الأخرى. ومن المرجح أن أسطول الحلفاء إصطف في شكل صفين من السفن، حيث أن المضيق كان ضيقاً جداً لتشكيل السفن في صف واحد. يورد هيرودوت في كتابة أن أسطول الحلفاء أمتد في خط بحري من الشمال إلى الجنوب، حيث أستقر الجناح الشمالي للأسطول في الأغلب قبالة ساحل جزيرة

سانت جورج المعاصرة (بالإنجليزية Saint George's Islet ):أو (باليونانية Ayios Georgis :ايوس جورجيس)، وأستقر الجناح الجنوبى قبالة ساحل كيب فافارى (جزء من سلاميس) (بالإنجليزية Cape : Vavari).في حين يشير ديودوروس إلى أسطول الحلفاء أمتد من الشرق إلى الغرب، وبطول المضيق من سالاميس وحتى جبل إيجالوس، ولكن هذا الإحتمال مشكوك فيه؛ فمن غير المرجح أن يكون الحلفاء قد أرسوا أحد أجنحة أسطولهم قبالة أراضي محتلة من قبل الفرس.

يبدو من المؤكد نسبياً أن الأسطول الفارسي كان قد تم إرساله لمنع خروج الأسطول اليونانى من المضيق ذلك المساء قبل يوم المعركة. ويعتقد هيرودوت بوضوح أن الأسطول الفارسي قد دخل فعلاً المضيق بحلول الظلام، وقد خطط للقبض على الحلفاء أثناء فرارهم. ومع ذلك، جادل المؤرخون المعاصرون في هذه النقطة بشكل كبير، حيث أشار بعضهم إلى صعوبة المناورات في هذه المساحة المحصورة ليلاً، في حين قبل غيرهم رواية هيرودوت للأحداث. وهناك بالتالي إحتمالين؛ إحدهما أن الفرس قد قاموا بسد المضيق ببساطة أثناء الليل، ثم دخلوه في اليوم التالي في وضح النهار، والأخر أنهم دخلوا المضيق أثناء الليل ومركزوا أنفسهم فيه للمعركة في اليوم التالى. وبغض النظر عن التوقيت الذي حاول فيه الفرس ذلك، يبدو من المرجح أنهم قد أتخذوا رأس لسان فافارى أو "كيب فافارى" كمحور لدوران أسطولهم حول مدخل المضيق. فيبدو ن

الأسطول الفارسي قد تحرك من التشكيل الأولى كخط شرقي - غربي (لمنع خروج الأسطول اليونانى من المضيق)، وتحول إلى تشكيل نهائى كخط يمتد من الشمال إلى الجنوب، وأيضاً يبدو أن الأسطول الفارسي قد تشكل في ثلاثة صفوف من السفن (وفقاً لرواية إسخيليوس)؛ حيث تمركز الأسطول الفينيقي القوي في الجهة اليمنى بجانب جبل إيجالوس، بينما تمركزت الوحدات الإيوني في الجهة اليسرى والوحدات الأخرى في القلب.

ويقول ديودوروس أنه تم إرسال الأسطول المصري للدوران حول محيط جزيرة سالاميس لسد المنفذ الشمالى للمضيق. إذاكان زركسيز قد خطط لنصب مصيدة محكمة للحلفاء، فهذا من شأنه أن يجعل لهذه المناورة معنى (خاصة إذا كان يتوقع من الحلفاء الاستسلام). ومع ذلك، لا يذكر هيرودوت هذة المناورة في كتابه (وربما يلمح إلى وجود المصريين في المعركة الرئيسية)، مما دفع بعض المؤرخين المعاصرين إلى صرف النظر عنها. وعلى الرغم من ذلك، البعض الآخر يقبل بها كإحتمال وارد. وكان زركسيز قد وضع أيضاً نحو ٤٠٠ جندي في الجزيرة المعروفة باسم سيتاليا بالإنجليزية *Psyttaleia*، في منتصف المنفذ الجنوبى إلى المضيق، وذلك لقتل أو اعتقال أي قوات يونانية تنتهى بهم المعركة هناك (نتيجة لغرق السفينة أو للتشحيط في قاع البحر).

✓ مرحلة دخول المعركة:

بغض النظر عن التوقيت الذي دخل فيه الفرس المضـيق، فـإنهم لم يتحركوا لمهاجمة الحلفاء إلا في ضوء النهار. وبـما أن الأسـطول اليونـاني لم يخطط أبداً للفرار، كان اليونانيون يسـتطيعون قضـاء الليـل في التحضـير للمعركة، فبعد خطبة حماسية لثيمستوكوليس صـعد مشـاة البحريـة عـلى متن السفن وتهيأوا للإبحار. ووفقاً لرواية هيرودوت، كان هـذا في وقـت الفجر، ويذكر أيضاً في كتابه أنه "حيـنما بـدأ الحلفـاء ينتشرـون في البحـر هاجمهم البرابرة على الفور ". إذا كان الفرس لم يـدخلوا المضـيق أبـداً إلا عند الفجر، فهذا يعنى أن الحلفاء كان لديهم الوقت للتمركز في مـواقعهم بصورة أكثر تنظيماً.

يروي هيرودوت، على حسب ما قصه الأثينيون، أنه عنـدما بـدأت المعركة رفع الكورنثيون الأشرعة وبـدأوا في الإبحـار بعيـداً عنهـا، جهـة المنفذ الشمالى للمضيق. ولكنه يقول أيضاً أن هناك يونـانيون أخـرون قـد نفيوا هذه القصة. إذا كان هذا قد حدث بالفعل، فـيمكن تفسـيره بأنـه قد تم إرسال هذه السفن لتفقد أحوال المنفذ الشمالى للمضـيق، وذلـك في حالة قرب وصول الفرقة المصرية القادمة لتطويق الأسطول اليونانى مـن الشمال (بفرض أن الفرقة المصـرية قد قامت فعلاً بتلك المناورة). وهنـاك إحتمال آخر هو أن رحيل الكورنثيين المزعـوم كـان الغـرض منـه الإيحـاء بأنهيار أسطول الحلفاء وتفككه ،مما اسـتثار الفـرس للهجـوم. وعـلى أيـة حال، إذا كان الكورنثيون قد تركوا فعلاً المعركـة فسـرعان ما عـادوا إليها.

ومع إقتراب أسطول الفرس من أسطول الحلفاء في المضيق المزدحم، بدا أن سفنهم أصبحت غير منتظمة ومقيدة في المياه الضيقة. كما كان واضحاً أن الأسطول اليوناني أبعد ما يكون عن التفكك، وقد اصطفت سفنهم في أهبة إلاستعداد للهجوم ومع ذلك، بدلاً من الهجوم على الفرس مباشرة، بدا الحلفاء كأنهم ينسحبون بسفنهم بعيداً كما لو كانوا في حالة خوف. وحسب رواية بلوتارخ، كان هذا لكسب مواقع أفضل، وأيضاً من أجل كسب الوقت حتى تهب رياح الصباح الباكر. يروي هيرودوت في الأسطورة أنه حينما كان اليونانيون يتراجعون بأسطولهم، شاهدوا شبح غريب لإمرأة تسألهم "أيها المجانين، تُرى إلى أي مدى أنتم ذاهبون بسفنكم؟". ويذكر أيضاً بثقة أنه حين كان الحلفاء يتراجعون، انطلقت سفينة واحدة من الأسطول إلى الأمام لتصدم أقرب السفن الفارسية إليها. ويدعى الأثينيون أن هذه كانت سفينة أمينيوس الأثيني من باللين، في حين يدعى الإيجينيون بأنها واحدة من سفنهم. ثم تلاها مباشرة في الهجوم الأسطول اليوناني بالكامل ودخل المعركة مصطفاً في خطٍ واحد وأتجه قدماً نحو صفوف الفرس المختلة.

✓ سير المعركة:

تفاصيل بقية المعركة عادة ما تكون سطحية، وليس متوقع لأحد من المشاركين فيها أن يكون قد شهد كل ما حدث في الميدان. القوادس الثلاثية المجداف تكون مسلحة بشكل عام بمطرقة كبيرة في مقدمة السفينة، والتي كان يمكن بواسطتها إغراق سفن العدو، أو على الأقل

تعطيلها عن طريق جـز صـفوف المجـاديف في جانـب واحـد مـن السفينة. إذا لم تكن الصـدمة الأولي ناجحـة عنـد الإلتحـام، فيتبـع ذلـك معركة أشبه بالمعارك البرية. كلا الجانبين كان يحتفظ بقوات مشـاة بحريـة على متن السفن من أجل هذا الإحتمال؛ حيث كان الإغريق يعتمدون على كتائب من الرماحين المدرعة كاملة التسليح أما الفرس فربما أعتمدوا على مشاة ذات تسليح أكثر خفة.

عندما تم صد الصف الأول من السفن الفارسية في ساحة المعركـة من قبل اليونانيين، أصبحت تلك السفن تعرقل تقدم سفن الصف الثـاني والثالـث في الأسـطول الفـارسي. في الجانـب الأيســر اليونـاني، نجـح اليونانيون في قتل الأدميرال الفارسي آريابيجنا (شقيق زركسيز) في وقـت مبكر من المعركة. وتُرك السرب الفينيقي بلا قيادة أو نظـام وبـدا قـد تـم صده ودفعه نحو الساحل حتى جنحت العديد مـن سـفنه. وفي الوسـط، ضغط تشكيل مثلث مـن السـفن اليونانيـة عـلى خطـوط الفـرس، لشـق أسطولهم إلى قسمين.

يروي هيرودوت أن أرتميسيا ملكة هاليكارناسوس، وقائدة الفرقة الكارية، قد وجدت سفينة أمينيوس الأثيني تتعقب سفينتها أثناء المعركة. ولرغبتها في الهرب، قامـت بمهاجمـة وصـدم سـفينة أخـرى فارسـية، في محاولة منها لخداع القائد الأثيني بأن سفينتها تتبع الحلفاء، فتخلى أمينيوس فعلاً عن مطاردة لهذا السبب. وعلى الرغم من ذلك، أعتقد زركسيز وهو

يراقب المعركة أنها هاجمت سفينة للحلفاء ونجحت في تدميرها، وعند رؤية ضعف أداء قادته الأخرين علق قائلاً: رجالي قد أصبحوا نساء، ونسائى رجال."

بدأ الأسطول الفارسي في التراجع نحو فاليروم، ولكن وفقاً لهيرودوت، نصب الإيجينيون لهم كميناً بينما كانوا يحاولون مغادرة المضيق. إنسحب ما تبقى من السفن الفارسية ورجعت إلى ميناء فاليروم في مأوى الجيش الفارسي. قام الجنرال الأثيني أريستيدس بعد ذلك بفرز مجموعة من الرجال وأبحر بهم إلى جزيرة سيتاليا لذبح الحامية التي تركها زركسيز هناك. لم يذكر هيرودوت حجم خسائر الفرس بالضبط. ومع ذلك، يدعي أنه في العام التالى، بلغ حجم الأسطول الفارسي ٣٠٠ قادساً. إذن يمكن توقع عدد الخسائر بعد ذلك اعتماداً على عدد السفن التي بدأ بها الفرس في المعركة. وبذلك يبدو أن خسائر الفرس تقع في نطاق من ٢٠٠-٣٠٠ سفينة على الأرجح، استنادا إلى التقديرات المذكورة أعلاه لحجم الأسطول الفارسي. وحسب رواية هيرودوت، كان عدد الضحايا من الفرس أعلى كثيراً من اليونانيين لأن معظم الفرس لم يعرفوا السباحة. ولقد شهد زركسيز هذة المذبحة، وهو يجلس على عرشه عند سفح جبل إيجاليو. وحاول وقتها بعض قباطنة السفن الفينيقية المحطمة إلقاء اللوم على الأيونيين لجبنهم قبل نهاية المعركة. فقام زركسيز بمزاج متعكر، وإذ كان قد شهد للتو سفينة أيونية تأسر سفينة إيجينية، بالأمر بقطع رأس الفينيقيون لإفتراءاهم على رجال أكثر نبلاً.

## تبعات المعركة:

في أعقاب المعركة، حاول زركسيز بناء جسر عائم عبر المضيق، لكى يستخدم جيشه البرى لمهاجمة الأثينيين، ولكن ثبت عقم ذلك مع وجود الأسطول اليوناني في المضيق، والذي أصبح يقوم بدورياته الآن بأمان. ويخبرنا هيرودوت بأن زركسيز قد عقد مجلس للحرب بعد المعركة، **وفيه حاول القائد الفارسي ماردونيوس التخفبف من وقع الهزيمة، فقال لزركسيز:**

سيدى، لا تحزن ولا تأسى كثيراً بسبب ما حل بنا. إن المسألة بالنسبة لنا ليست متوقفة على بعض الأشياء المصنوعة من خشب، ولكن على الرجال والخيول. فدعنا نهاجم البيلوبونيز على الفور إذا كنت ترغب، أما إذا كان يحلو لك الانتظار فهذا أيضاً يمكننا فعله.. من الأفضل إذا قررت الهجوم أن تفعله على الفور كما قلت، ولكن إذا كنت عازماً على أن تودى بجيشك بعيداً، فلدي خطة أخرى حتى ذلك الحين. لا، أيها الملك، لا تجعل من الفرس أضحوكة لليونانيين، لأنه إذا كنت قد تعرضت للأذى، فإنه ليس لخطأ من الفرس. لا يمكنك أن تقول أن ما قمنا به في أي مكان كان أقل مما ينبغي للرجال الشجعان، وإذا كان الفينيقيون والمصريون والقبرصيون والكيليكيون قد فعلوا ذلك، فإنه ليس للفرس أي دور في تلك الكارثة. لذلك، حيث أنه لا يمكن توجيه اللوم للفرس بأي حجة، فدعنى أدلك على مخرج؛ إذا كنت قد ركنت إلى عدم البقاء هنا فسر إلى الوطن بالجزء الأكبر من جيشك. ودع لى، مع هذا، مهمة قهر

وتسليم هيلاس (اليونان) لك، وأعطيني لهذا الغرض ثلاثمائة ألفاً من حشودك أقوم بإختيارهم بنفسي.

قرر زركسيز العودة مع الجزء الأكبر من الجيشه خوفاً من أن ينصب الإغريق فخاً للجيش الفارسي في أوروبا ويقدموا على مهاجمة الجسور المقامة عبر هيليسبونت لعزله عن آسيا الصغرى. وقام ماردونيوس بفرز القوات التي أرادها أن تبقى معه في اليونان، من وحدات النخبة من المشاة والفرسان، وذلك لإستكمال غزو اليونان. بقدوم فصل الشتاء كانت قد رحلت جميع القوات الفارسية من أتيكا، وأستقر ماردونيوس على قضاء الفصل في بيوتيا وثيساليا؛ مما مكن الأثينيون من العودة إلى مدينتهم المحترقة.

قام ماردونيوس في العام التالي، ٤٧٩ قبل الميلاد، بالاستيلاء مجدداً على أثينا (حيث أن جيش الحلفاء كان لا يزال يفضل حراسة البرزخ). ومع ذلك، فإن الحلفاء بقيادة الأسبرطيون وافقوا في نهاية المطاف على محاولة دفع ماردونيوس إلى معركة، وعبروا البرزخ وساروا إلى أتيكا. فتراجع ماردونيوس لبيوتيا لجذب الإغريق إلى المناطق المفتوحة والتقى الفريقان في نهاية المطاف بالقرب من مدينة بلاتيا)التي كانت قد سويت بالأرض في السنة السابقة). وهناك، في معركة بلاتيا، انتصر الجيش اليوناني على الفرس نصراً حاسماً، ودمر جزءاً كبيراً من الجيش الفارسي ووضع نهاية لغزو اليونان؛ بينما في معركة ميكالي ،التي وقعت في فترة شبه متزامنة، دمر أسطول الحلفاء الكثير من السفن المتبقية للأسطول الفارسي.

## أهمية المعركة في السياق التاريخي:

تشكل معركة سالاميس نقطة تحول في سياق الحروب الفارسية- اليونانية. ذلك لأنه بعد معركة سالاميس أصبح إقليم البيلوبونيز، وكيان اليونان كإمتداد له، في مأمن من غزوات الفرس؛ فقد تعرض الفرس في المعركة لضربة قوية لهيبتهم ومعنوياتهم (فضلاً عن الخسائر المادية الشديدة). وتبدد التهديد الفارسي بغزو اليونان بعد المعارك التالية التي وقعت بالقرب من بلاتيا ومايكالى، حيث أصبح الحلفاء قادرين على الذهاب إلى الهجوم المضاد. كما سمحت هذه الإنتصارات اليونانية لمقدونيا بالثورة على الحكم الفارسي، وعلى مدى ال٣٠ سنة التالية قام التحالف اليونانى، أو عصبة أثينا (الحلف الذي خلف هذا التحالف وهيمنت عليه أثينا) بتحرير تراقيا وجزر بحر إيجه وأخيراً إيونيا من سيطرة الفرس. فكانت معركة سالاميس هي بداية انقلاباً حاسماً في ميزان القوى تجاه كفة الإغريق، والتي تُوجت في نهاية المطاف بإنتصار يوناني حاسم، وتقليص نفوذ الإمبراطورية الفارسية بشدة في بحر إيجه.

وقد اكتسبت معركة سالاميس شيئاً من منزلة "الأساطير"، مثل معارك ماراثون وثيرموبيلاي (على عكس معركة أكثر حسماً مثل معركة بلاتيا على سبيل المثال)، ربما بسبب ظروف اليونانيين اليائسة واحتمالات النصر الغير مرجحة قبل المعركة. وهناك عدد كبير من المؤرخين قد ذكروا أن سالاميس هي واحدة من أهم المعارك في تاريخ البشرية (على الرغم من أن نفس الوصف يطلق أيضاً كثيراً على معركة ماراثون). وبشكل أكثر

مبالغة من هذا الوصف، يقول بعض المؤرخين أنه إذا كان الإغريق قد إنهزموا في سلاميس، فإن الغزو الفارسي لليونان الذي كان سيعقب ذلك كان سيؤثر بشكل فعال على نمو الحضارة الغربية كما نعرفها. ويستند هذا الرأي على أساس أن الكثير من قيم المجتمع الغربي الحديث، مثل العلم والفلسفة والحرية الشخصية والديمقراطية متجذرة في إرث اليونان القديمة. وهكذا، هذه المدرسة الفكرية تقول أنه نظراً لهيمنة الحضارة الغربية في الكثير من التاريخ الحديث، وفإن سيطرة الفرس على اليونان آنذاك قد كانت لتغير بالكامل مسار التاريخ البشري. وهنا يجدر الذكر أن ازدهار الثقافة الأثينية ذات التأثير الواسع والكبير في الحضارة الأنسانية حدث فقط بعد إنتصار الأغريق في الحروب الفارسية.

من الناحية العسكرية، من الصعب استخلاص العديد من الدروس من معركة سالاميس، وذلك بسبب عدم التيقن من صحة الأحداث التي وقعت بالفعل. يبدو أن الحلفاء قد قاموا بإختيار أرض المعركة مرة أخرى بشكل جيد لإبطال ميزة التفوق العددى للفرس، ولكن هذه المرة (على عكس ثيرموبيلاي) اضطروا إلى الاعتماد على قيام الفرس بشن هجوم لا لزوم له لكى يكون لهم وضع مؤثر في سير المعركة. وبما أنه قد نجم عن هذا هجوم من الفرس، فربما يكون الدرس العسكري الأكثر أهمية الذي نستخلصة هو استخدام ثيمستوكوليس للخداع لاستحضار رد الفعل المطلوب من العدو.

# الفصل السابع عشر
# العوامل المؤثرة في تطور اللغة الفارسية

تعد اللغة الفارسية من لغات العالم الإسلامي التي أثرت بشكل كبير على صورة الحضارة الاسلامية وما زالت كذلك لما أفرزته إيران من علماء في مختلف مجالات الحضارة.

جاءت تسمية اللغة الفارسية على العديد من اللغات المتداولة في إيران ومنذ الهجرة الآرية لهذا البلد حتى وقتنا الحاضر، وهي من اللغات الهندو أوربية والتي شهدت عملية تطوير كبيرة عبر مسيرتها الطويلة ، وهنالك ثلاث مراحل مهمة مرت بها هذه اللغة فالأولى اللغة الفارسية القديمة والتي كانت تكتب بالخط المسماري والثانية اللغة الفارسية الوسطى وتسمى أيضاً اللغة الأفستائية وهي التي كتبت بها تعاليم زرادشت وأناشيده الخمسة في كتاب (الافستا) ، ويطلق عليها إسم (اللغة البهلوية)، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فهي اللغة الفارسية الحديثة إذ جاءت بعد دخول ايران في الدين الإسلامي وأخذت حروفها وقواعد كتابتها من اللغة العربية وتسمى بالفارسية بـ (زبان دِرى ).

جاء بحثنا هذا للتعريف الجذور التاريخية للغة الفارسية ولبيان مدى تأثر هذه اللغة باللغة العربية وبالحضارة الإسلامية وكيف استفادت من الحروف العربية في كتابة اللغة الفارسية الحديثة ، فتناولنا فيه اللغة الفارسية بمحورين: الأول نبذة تاريخية عن أصل اللغة الفارسية والجذور التي أزهرت منها هذه اللغة وأصل التسميات التي أطلقت عليها ، أما

المحور الثاني فقد تناولنا فيه مدى تـأثير اللغـة العربيـة عـلى اللغـة الفارسية ومن جانبين ، الأول إستعمال الحرف العربي في الكتابة والنطق به وكذلك رسم الحرف الفارسي والخط الذي استعمل للكتابة ، أما الجانـب الثاني فهو إستعمال الألفاظ العربية وإدخال المصطلحات العربية الى ثنايـا القـاموس الفـارسي وبشـكل واسـع جـداً . وخـتم البحـث بعـدد مـن الاستنتاجات وقائمة بأهم المصادر والمراجع وعدد من الملاحق .

## المحور الأول:

لم تكن اللغة الفارسية يوماً اللغة الوحيدة في إيران، بل هي واحـدة من لغات عديدة عاشت وتبلورت في ظلها . كـذلك فـإن إيـران لم يكـن البلد الوحيد الناطق باللغة الفارسية وإنـما طغـت عـلى القـارة الآسـيوية باجمعها تقريباً، وقد أطلق عليها بعض المستشرقين بــ ( فرنسـية الشرـق ) وذلك لسعة انتشارها في القارة الآسيوية كسعة انتشار اللغـة الفرنسـية في القارة الأوربية " فحيثما ذهـب المـرء شرقـاً مـن العـراق حتـى الصـين ، وجنوباً حتى أقصى الهند ، وغربـاً حتـى آسـيا الصـغرى كـان يجـد اللغـة الفارسية موزعة ومتداولة " ، وتعد الفارسية اللغة الرسـمية في كـل مـن إيران وأفغانستان ، ومنتشرـة إنتشـاراً واسـعاً في أرجـاء باكسـتان والهنـد وطاجاكستان والقوقاز والعراق ، وهي اللغة الحية لأكثر من مئـة مليـون نسمة يتكلمون بها.

**✍ مرت اللغة الفارسية بعدة مراحل تطويرية وتغيرت على أساسها، فكان لها ثلاثة أشكال تميزت بها وهي:**

- **أولاً: اللغة الفارسية القديمة:**

لابد لنا اولاً من معرفة السكان الأصليين لإيران، وكيف انحدروا إلى هذا البلد لنصل بذلك الى معرفة لغتهم الأصلية.

كان السكان الأصليون، وهم الفرس، يسكنون المناطق الجنوبية لإيران وعلى شكل مدن صغيرة وقرى، إنّ الحدث المميز لتاريخ غرب آسيا خلال الالف الثاني ق.م، هو ظهور عناصر من أصول هندو أوربية في هذا الجزء من العالم القديم، وكان خروجها في شعبتين: الشعبة الأولى غربية دارت حول البحر الأسود (بعد عبورها البلقان والبسفور) ووصلت إلى آسيا الصغرى حيث كونت المملكة الحيثية، أما الشعبة الأخرى فهي الشعبة الشرقية وعرفت بإسم (هندو – ايرانيين) التي تحركت شرقاً حول بحر قزوين وخرجت منها بضعة فروع اتجه احدها عبر القوقاز الى أعالي الفرات واختلطوا بالحوريين أهل البلاد السابقين وكونوا مملكة (ميتاني)، واتجه فرع آخر وسط جبال زاجروس إلى المناطق الشمالية الغربية من ايران، وعرفت باسم (الكشيين) وكان ذلك في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد.

يرجع أصل كلمة ( فارس) إلى (بـارس) أو (فارسـتان) وأطلقـت تسمية (فارس) على الولايات الجنوبية من الهضبة الإيرانية، وتفخـر عـلى سواها من الولايات بأنها إكتسبت أهمية تاريخية كبيرة إذ أصبحت الهضـبة الإيرانية بأكملها تسمى بهذا الاسم كما سميت اللغة التي تتحدث بها هذه الهضبة باسمها والتي تعرف باللغة الفارسية. ويعد اليونان أول من أطلـق هذا الاسم على الهضبة الإيرانية وهو بإسـم هـذه الولايـة فسـميت بــ ( پرسيس *Persis* ) حيث نقلت أوربا عنهم هـذه التسـمية وظلـت سـائدة حتى أمر شاه إيران السابق (رضا بهلوي) بتسميتها باسمها الواسـع وهـو (ايران). وكانت شعوب هذه المنطقة يطلقون على أنفسهم اسم (أرياس – أرناس) أي (الآريون)، والتي تعني (سيد أو نبيل)، كما أن كلمـة (إيـرام) مشتقة من (أريانام) وتعني بلاد (الاريانس) والذين شكلوا وحدة وطنيـة على الرغم من اختلاف لهجاتهم إذ أنهم كانوا يشعرون بأنهم كيـان واحـد ومن أصل عرقي واحد وكـانوا حريصـين عـلى تمييـز أنفسـهم عـن الــ( *Anaras*) أي الشعوب غير الإيرانية.

وجاء في الكتاب المقدس لزرادشـت أو ( زورا اسـتر *Zoroaster* )، إن الزرادشتيين أطلقوا على هذه الهضبة إسم (*Airyana Vaejah* ) والتي تعني (حظيرة الآريين أو الإيرانيين) أو بلاد الآريين، ومنها جاءت تسمية هذه المنطقة بـ (إيران) أو (آريون) نسبة إلى جنسهم الآري. وكانت تسمى في العهد الساساني وحتى الفتح الإسلامي باسم ( إيران زمـين) أو (إيرانشهر) أي بلاد ايران.

تكلم الفرس عدة لغات عبر تـاريخهم الطويـل، فكانـت الفارسـية القديمة هي لغة البلاط الملكي وأعيان البلاد، وكـان ذلـك في عهـد (دارا الأول) ، وهي لغة ترتبط كثـيراً باللغـة السنسـكريتية حتـى ليعتقـد أنهـما (الفارسية القديمة والسنسكريتية) فضلاً عن الانكليزية فروع مـن أصـل واحد. **والجدول التالي يمثل مقارنـة لـبعض الكلـمات في اللغـات الثلاثة ومعناها بالعربية:**

| فارسية قديمة | السنسكريتية | الانكليزية | المعنى العربي لها |
|---|---|---|---|
| Nama | Nama | Name | اسم |
| Bratar | Bahratar | brother | أخ |
| Cat | Stha | Stand | الجناح |
| Pitar | Piter | Pather | من الأسماء |
| Napat | Nap | Nephew | ابن الأخ |

"ولما مارس الفرس الكتابة استخدموا في نقوشهم الخـط المسـماري واستخدموا الحروف الهجائية الآريـة لكتابـة وثـائقهم. وقـاموا بتبسـيط مقاطع اللغة البابلية الثقيلة والصعبة ، فأنقصوها من ثلاثمئة رمز إلى ست وثلاثين علامة، تبدلت شيئاً فشيئاً من مقاطع إلى حـروف حتـى صـارت حروفاً هجائية مسمارية". فاللغة المسـمارية هـي اللغـة السـائدة في إيـران والتي تكتـب مـن اليسـار إلى اليمـين، وكانـت اللغـة الرسـمية للدولـة الأخمينية ( هخامنشيان ) ( ٥٥٨ – ٣٣١ ق.م ) والتي أسسها القائد

(كورش الكبير)، إذ لا تزال بعض الآثار المنقوشة على الصخور والأعمدة الحجرية في منطقة (بيستون) ( *Bisoutoun*) بالقرب من مدينة (كرمنشاه) غربي إيران وكذلك في منطقة (جمشيد) جنوباً قرب ( شيراز) وفي أماكن مختلفة من إيران، وتشير المصادر إلى أن هذه النقوش المسمارية هي في غالبيتها مراسيم وتصريحات ملكية وإلتماسات، وان من أهم النقوش المكتشفة هي منحوتات (بيستون) في المناطق الجبلية لإيران، وضمت هذه المنحوتات ثلاث لغات هي (بابلية بالخط المسماري وفارسية قديمة وعيلامية) وترجع أهميتها إلى أنها السبب في فك رموز اللغة المسمارية في وادي الرافدين، حيث قام كل من (كروتفند ورولنسن) بدراسة هذه المنحوتات وترجمتها وصارت الكتابة البابلية المسمارية مفهومة بدلالة الكتابة الفارسية، كان ذلك في عام ١٨٥٠م.

وكانتْ هناك العديد من اللغات الأخرى والمنتشرة في مناطق إيران المختلفة ، إذْ عبَّرت عن آداب وديانات مجموعات معينة من الناس، فقد عثرت البعثات الآثارية على نصوص "مأخوذة من الآداب البوذية والمانوية والمسيحية باللغات السنسكريتية والصينية والتبتية والإيغورية والبهلوية والصغدية والطخارية".

## ثانياً– اللغة الفارسية الوسطى:

تمتد هذه المرحلة من القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد حتى القرنين الثامن والتاسع بعد الميلاد، إذ سادت في إيران العديد من اللغات الإيرانية المتطورة على اللغات القديمة، التي إمتازت بعدة ميزات، كان

أهمها بساطة قواعدها وصورها و وضوح شخصيتها. **ومـن أبـرز هذه اللغات:**

**١-اللـغـة البـهـلـويـة (Pehlevi) أو (الـفـهـلـويـة):**

(البهلوي) في اللغة تعني (المنسوب إلى الشجاعة) و(أسـم مدينـة) و(بهلة) اسم كان يطلق على مدن (الري و همدان و أصفهان و نهاوند).أما أصل الكلمة فهو (پرهو، وپلهو، و پهلو) والرسم العربي لهذه الكلمة فهو (فهلو) وقد عربها (ياقوت الحموي) وأطلق عليها أسم (الفهلوية) فقال : "فأما الفهلوية فكان يجري بها كلام الملوك في مجالسهم وهي لغـة منسـوبة إلى فهلة، وهو إسم يقع على خمسة بلدان: أصبهان، والري، وهمذان، وماه نهاوند، وآذربيجان ".

وظهرت هذه اللغة بعد حدوث تطورات كبيرة على اللغة الفارسية القديمـة وتفرعـت إلى فـرعين همـا : الزنديـة – لغـة الزنـد – أبسـتاق، والبهلوية التي هي من اللغـات الهنديـة واشـتقت منهـا اللغـة الفارسـية الوسطى، هنالك لهجتان للغة البهلويـة والتـي عرفـت في مرحلـة اللغـة الإيرانيـة الوسـطى وهمـا البهلويـة الساسـانية ( *Pahlevi Sassanid* ) والتي كانت سائدة في منطقة الجنوب الغربي لإيران وفي الوقت نفسِهِ تعـد اللغـة الرسـمية للدولـة الساسـانية. أمـا اللهجـة الثانيـة فهـي البهلويـة الاشكانية (*Pahlevi Arsacid* ) التي كتبتْ بها بعضُ النقوش المـأثورة عن أوائل الملوك الساسانيين بصفتها اللغة الرسمية للملوك الإشـكانيين، وكانت قد سميت بتسمية لا تلائمها ( الكلدانية البهلوية).

واللهجتان (البهلوية الساسانية والبهلوية الاشكانية) قد أخذت حروف هجائهما من الهجاء الآرامي، ولكن باختلاف شكل الحروف، إذ إن حروف هجائها مكونة من (٢٥) حرفاً صائتاً وصامتاً واشتق خط كتابتها من الخط الآرامي، نقل المترجمون عن اللغة البهلوية الساسانية العديد من آثارها إلى العربية وأبرزها (كليلة ودمنة، كتاب التاج، الأدب الكبير، الأدب الصغير، اليتيمة، إلخ). وقد كتبت التعاليم الدينية والآداب الدينية الزرادشتية في أيام الساسانيين باللغة البهلوية الساسانية،وما بقي من هذه التعاليم قد كتبت بعد الساسانيين بصورة غير سليمة، وذلك لأن كثيراً من علامات الهجاء البهلوية يمكن أن تقرأ بعدة أشكال، مما أدى الى الوقوع في أخطاء وريب في الكتابة. وفضلاً عن ذلك فقد عثر الآثاريون على نصوص مانوية مكتوبة باللهجتين البهلويتين (الساسانية والاشكانية).

وبالمعرفة الدقيقة لقواعد ونحو وصرف هاتين اللهجتين الأدبيتين اللتان كانتا تسميان باسمي لهجة الشمال الغربي ولهجة الجنوب الغربي، قد أتاحتا للباحثين معرفة مدى تأثير اللهجة الاشكانية في اللهجة الساسانية وهو أنما يدل على ما للمدنية الإشكانية من أثر على مدنية العصر الذي تلاها. فنلاحظ أن العديد من الكلمات والمصطلحات المتعلقة بالحياة الدينية والسياسية والاجتماعية وكثيراً من الجمل في الحياة العامة والمصطلحات الطبية والعسكرية، بل الأفعال العادية التي تستعمل استعمالاً عاماً في البهلوية الساسانية، وفي اللغة الفارسية الحديثة كل ذلك

أحتفظ بشكله الاشـكاني، وكـذلك الكثـير مـن الشـواذ في النطـق الفارسي هي نتيجة لتسرب لهجة الشمال إلى لهجـة الجنـوب الغـربي التـي كانت اللسان الرسمي للدولة الساسانية. واللهجة الاشكانية يمثلها اليوم مجموعة من لهجات إيران الوسطى وهي اللهجات العامية لولايات بحـر الخزر، والسمنانية واللهجات العامية لإقاليم كاشان وأصفهان وجرجـان وغيرها.

**٢- اللغة الآرامية:**

وهي من اللغات السامية، وكانت لغة عامـة الاسـتعمال في أجـزاء آسيا الصغرى كلها ،واستعملها الاخمينيون في كتابة دواوينهم، ولما كانـت اللغة المسمارية غير عملية فقد استعملت الكتابة الآرامية بدلاً عنهـا حتـى في الوثائق المكتوبة باللغة الفارسـية، وكـان هـذا أصـل الكتابـة البهلويـة وأيضاً استعملت الألفاظ الآرامية في النصوص البهلوية.

**٣-اللغة الصغدية:**

يعود تاريخ هذه اللغة الى بدايات العصر المسيحي، وكانت تمتد من سور الصين وحتـى سـمرقند، وهـي لغـة دوليـة لآسـيا الوسـطى، وقـد وجدت نصوص في العهد الجديد مترجمة إليها، مما يدل على استعمالها أثناء مرحلة الفارسية الوسطى. وهي اليوم تعدُّ العامية التـي يـتكلم بهـا أهـل وادي (يغنوب) في (بامير).

**٤-اللغة الساجية:**

لغة الهندو سيث وهي من مجموعة اللغات الإيرانية الشرقية، ويمثلها اليوم اللغة الأفغانية وبعض اللهجات (الباميرية) مثل: الساريكولية، والشغونية، والواضية وغيرها.

**٥-اللغة السريانية:**

وهي لغة المسيحيين الذين يقيمون في إيران في العهد الساساني، وهم من أصل سامي، وأصلها مدينة (أدسا).

- **ثالثاً- اللغة الفارسية الحديثة:**

اللغة الفارسية الحديثة هي إمتداد للغة الفارسية القديمة واللغة البهلوية على مدى تاريخها أي من بداية الدولة الاشكانية (٢٥٠ ق.م ) وحتى إنهيار الدولة الساسانية ودخول الدين الإسلامي الى بلاد فارس، وعلى أثر إنهزام الملك الإيراني (يزد جرد الثالث) وبشكل نهائي وكان ذلك في معركة (نهاوند) والتي عرفت عند المسلمين بـ (فتح الفتوح ) سنة ( ٢١هـ - ٦٤٢م).

وبعد الفتح العربي الإسلامي لإيران ظلت اللغة البهلوية هي اللغة الرائجة والسائدة في بلاد فارس فهي اللغة الرسمية والأدبية والسياسية والدينية في ايران.

وبما أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وهي اللغة التي جاء بها الدين الإسلامي ، فكان لزاماً على من يدخل هذا الدين أن يتعلم اللغة العربية وأن يجيدها لفهم تعاليم هذا الدين الجديد. لذلك كان على

الإيرانيين أن يتعلموا اللغة العربية فقد أقبلوا عليها إقبالاً شديداً لتعلمها وتعلم الكتابة بها. **ولم يكن هذا الإقبال من أجل الدين فقط ولكن لعدة أسباب أخرى من أهمها:**

١- لم تكن الكتابة البهلوية شائعة بين الفرس فقد كانت محصورة بين طبقة الكتاب (دبيران) وحدهم. الأمر الذي دعا الإيرانيين الى تركها والبحث عن لغة أخرى.

٢- لم تعد اللغة البهلوية صالحة لأن تكون لغة الفرس بعد اعتناقهم الإسلام وذلك لأنها ارتبطت في أذهانهم بالديانة الزرادشتية المجوسية فنفروا منها.

٣- امتازت اللغة البهلوية بحروفها المعقدة والتي تحتاج الى وقت طويل لتعلمها وتعلم رسم حروفها، ولم يكن الفارسي المسلم مستعداً لتعلمها وأن يبذل مجهوداً كبيراً لذلك، على حين أن أمامه الحروف العربية سهلة مستساغة وهي نفس الحروف التي كتبت بها لغة القرآن الكريم .

٤- بما أن اللغة العربية هي لغة الحُكم والإدارة في الدولة الإسلامية الجديدة لذلك كان واجباً على كل من يرغب بالدخول في الجهاز الإداري أن يتعلم العربية وأن يحسن قراءتها وكتابتها.

٥- أن هجرة العديد من القبائل العربية إلى إيران وانتشارهم في أنحاء مختلفة منها واستقرارهم فيها ساعد ذلك على سرعة انتشار اللغة العربي في إيران.

أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في إيران ، بل واللغة الأدبية والعلمية في إيران، إذ أنها أصبحت لغة مفهومة لدى معظم أفراد الشعب الإيراني، إلاّ أنّها لم تصل إلى حد أن تكون اللغة المحكية ولغة المخاطبة، لذلك ظلت اللغة البهلوية سائدة لدى فئات الشعب، وأن تسربت إليها مفردات ومصطلحات عربية، وخصوصاً في المسائل الدينية والفقهية وكذلك في الشؤون الإدارية والسياسية وفي القضايا الأدبية والعلمية.

ونشأت عن تفاعل اللغة البهلوية واللغة العربية لغة جديدة عرفت بـ (الفارسية الدرية) أو (الفارسية الإسلامية) والتي تمثل اللغة الفارسية الحديثة التي تطورت إلى اللغة الفارسية المعروفة اليوم. وكانت اللغة الدرية من اللغات المستخدمة بنطاق ضيق في إيران فقد كان يتحدث بها في بلاط الساسانيين، كما كان يتحدث بها أيضاً أهل المدائن (طيسفون) عاصمة إقليم فارس ومقر حكم الساسانيين.

ويعود سبب تسميتها بالدرية إلى أنها اللغة التي كان يتحدث بها في البلاط الملكي الخراساني، و (در) أو (دربار) تأتي بمعنى البلاط أو الباب الملكي، حيث أنها كانت لغة الصفوة من الحاشية، وحين قامت أول حكومة قومية فارسية في ظل الخلافة العباسية وبرئاسة (يعقوب بن ليث الصفار) في خراسان، دأبت بالعمل على نشر اللغة الفارسية الدرية وخاصةً أن يعقوب نفسه لم يكن يجيد العربية. وقد أخذت بالانتشار في

كافة أقاليم إيران، وكتبت بالخط العربي، مما شكل ذلك ضربة كبيرة للغة البهلوية.

استعانت الفارسية (الدرية) في مراحل تكونها الأولى بكافة اللهجات الإيرانية الأخرى فأغنتها، وفي الوقت نفسه كان دور اللغة العربية كبيراً في رفد هذه اللغة الجديدة بالعديد من المفردات والمصطلحات في مجالات الأدب والفن والدين والإدارة والعلم والفلسفة وكذلك المصطلحات العسكرية وغيرها، حتى بدأت تنافس اللغة العربية، إلاّ أنها وجدت صعوبة كبيرة في أنْ تحل محل اللغة العربية في إيران وكان ذلك قد حدث بعد عدة قرون من الفتح الإسلامي، بسبب قداسة اللغة العربية عند المسلمين من الشعب الإيراني.

عمل السامانيون الذين حكموا في خراسان وما وراء النهر على تشجيع اللغة الفارسية الدرية وساندها أيضا كل الدول الإيرانية التي قامت تحت ظلال الخلافة العباسية كالصفاريين والغزنويين.

وبذلك فإن اللغة الدرية تعد من بواكير اللغة الفارسية الحديثة فالفارسية الحديثة هي نتاج ما مرت به هذه اللغة عبر القرون الطويلة من تهذيب وإضافة وحذف ووضع قواعد لهذه اللغة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن.

**المحور الثاني – تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية:**

اللغة العربية هي من اللغات السامية أما اللغة الفارسية فهي لغة آرية، إذاً ليس هناك أي رابط بين هاتين اللغتين العربية والفارسية، لا في الأصل ولا في الإشتقاق، ولكن وصل بينهما التاريخ وربطت بينهما الحضارة فكان بينهما من الصلات ما لم يكن بين اللغات التي هي من أصل واحد ونسب واحد.

فبعد دخول إيران في الدين الإسلامي، والتداخل الحضاري الكبير الذي حدث بين الحضارتين العربية الاسلامية والحضارة الفارسية، أدى ذلك إلى كسر كافة الحدود والعوارض بين هاتين الحضارتين، مما دعا الى التأثير المتبادل بين لغتيهما.

فكان تأثير اللغة العربية على اللغة الفارسية هو الأقوى والأوضح وذلك لرصانة اللغة العربية وقوة أسسها البنيوية، فجاء القرآن الكريم بعد ذلك ليقوي دعائم هذه اللغة وليزيد من رصانتها ويحافظ عليها وليكون السبب الرئيس في التأثير على لغات البلدان التي أنظوت تحت لواء الإسلام .

ومن خلال ما جاء في المحور الأول حول أصل اللغة الفارسية الحديثة نلاحظ أن تأثير اللغة العربية على اللغة الفارسية كبير جداً ولا يمكن أن يلخص هذا التأثير بكل جوانبه ، لذلك لا بد لنا أن ننتقي بعض هذه الجوانب، ليسعنا أن ندرك مدى التأثير الكبير للغة العربية على اللغة الفارسية، فكان أبرز ملامح هذا التأثير هو استعمال الفرس للحرف

العربي في الكتابـة و أهـم الخطـوط التـي اسـتعملت للكتابـة، أمـا الجانب المؤثر الآخر هو استعمال الألفاظ والمصطلحات العربيـة في اللغـة الفارسية وعلى نطاق واسع جداً وبكافة مجالات الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية والعلميـة والعسـكرية وغيرهـا . **وكـما يلي:-**

- **أولاً: استخدام الحرف العربي في الكتابة:**

استخدم الفرس الحرف العربي في الكتابة وذلـك لصـعوبة الكتابـة بالحروف البهلوية ولما فيها من تعقيد في رسم الحرف عند الكتابـة لـذلك كان الإيراني غير مستعد لتعلمها وهو يجد ضالته في الحرف العربي لسهولة الكتابة به.

ومن هنا جاء فضل العربية عـلى الفارسـية في إتمـام الـنقص وسـد الحاجة من المفردات والإصطلاحات المنتشرـة في اللغـة الفارسـية مـع إنتشار الإسلام والعربية في بلاد الشرق المسلم، وبحلول الخط العربي محل الخط البهلوي فكان لزاماً أن يرسموا أبجديتهم كرسم الأبجديـة العربيـة واخترعوا رسماً لأربعة من الحروف لا وجود لها في العربية وهي (پ، ژ، چ، گ) فرسموها هكذا لقربها من نطق الحروف (ب، ز، ج، ك).

تتكون الألف بـاء الفارسـية مـن (٣٣) حرفـاً، وهـي الألـف بـاء العربية ويزاد عليهـا أربعـة أحـرف وهـي (پ، چ، ژ، گ) بالإضـافة إلى الهمزة. **أما الحروف الأربعة المزادة فتلفظ كالآتي:**

١. حرف الـ (پ): فيلفظ مثل (P) في اللغة الإنكليزية مثـال ذلـك: پدر: أب، پسر: أبن، پا: قدم، پاك: طاهر.

٢. حرف الـ (چ) : يلفظ مثل (CH) في اللغة الانكليزية مثال ذلك: چاي: شاي، چادر: خيمة، چراغ: مصباح، چهار: أربعة، چپ: شمال أو أيسر.

٣. حرف الـ (ژ) : يلفـظ مثـل (J) الانكليزيـة أو الجـيم المعطشـة. مثال ذلك: رژيم: نظام، ژرف : عميـق، مـژده، بشـارة، نـژاد: أصل تقابلها في العربية كلمة (نجار) ولها نفس المعنى .

٤. حرف الـ (گ) : ويلفظ مثـل الـ (G) الانكليزيـة أو الجـيم في اللهجة المصرية. مثال ذلـك: گل: ورد ، بـزرگ: كبـير، گوهر: جوهر، گرگان: مدينة وقـد عربـت إلى (جرجـان) ، گاو: بقـرة ، گناه: أثم.

وهنالـك ثمانيـة حـروف خاصـة بـالكلمات العربيـة الأصـل والمستعملة في اللغة الفارسية وهذه الحروف هـي: ث، ح، ص، ض، ط، ظ، ع، ق.

وإن هذه الحروف الثمانية لاتنطق في اللغة الفارسية بالمخارج العربية بل تنطق على النحو التالي وكما في الجدول أدناه:

| ت | الحرف | اللفظ الفارسي | الأمثلة |
|---|---|---|---|
| ١ | ث ، ص | س | ثروت – سروت ، صبر – سبر |
| ٢ | ح | هـ | صبح – سبح ، حسن – هسن ، حيف – هيف |
| ٣ | ض ، ظ | ز | شاه رضا – شاه رزا ، ظاهر – زاهر ، ظهر – زهر |
| ٤ | ط | ت | طرف– ترف ، طهران – تهران ، طهمورث – تهمورث ، طاهر– تاهر |
| ٥ | ع | الهمزة | علم – إلم ، علي – ألي ، عمو – أمو ، طعام – تآم |
| ٦ | ق | تنطق مابين( ق) و(ع) | آقا – آغا ، أطاق – أتاغ |

أما حرف الواو فإنه إذا كان متحركاً فينطق (V) في اللغات الأوربية، فنقول : ديو - شيطان ، ميوه – فاكهة، نوشتن – الكتابة، ديوار – حائط .

وإذا كان الواو حرف مدّ، فانه ينطق مثل النطق العربي تقريباً فنقول : زور – قوة، دور – بعيد، مور - نملة ، پول – نقود .

✍ **أما لفظ الهمزة والألف فهي على النحو الآتي:**

١. إذا كان الألف متحركاً فهو الهمزة مثل: أميد – أمل، اِمروز – اليوم، اِمشب – الليلة.

٢. إذا كان الألف ساكناً فهو الألف مثل: ما – نحن، خدا – الله، شما – انتم، جداً – منفصل، كتابخانه – مكتبة، نـان – خـبر (وتلفـظ نون في العامية). وتلفظ الألف مفخمة بخلاف نطقهـا في اللغـة العربية.

وإن الهمزة في اللغة الفارسية تقع في أول الكلمة فقط، فإذا جـاءت الهمزة في وسط الكلمة أو آخرها نفهم مـن ذلـك أن أصـل هـذه الكلمـة عربية دخلت على اللغة الفارسية. ويلاحظ في كلمة (مؤبد) وهي بمعنـى (موبد) أو الكاهن من الديانة الزرادشتية، فالفارسية (مُوبد) بدون همزة.

لم يكتف الفرس باستخدام الحروف العربية في الكتابـة بـل أخـذوا عن العرب أيضاً طرق الخط والتهذيب ، فابتكروا نوعاً جديداً من أنـواع الخط الكوفي الذي تظهر فيه مدات الحـروف أكثـر وضـوحاً، وسـمي بـــ (الكوفي الإيراني) الذي يـرى في المصـاحف السـلجوقية خـلال القـرنين الخامس والسادس الهجريين، كما أوجدوا خطاً آخر وهو (خـط التعليـق) خلال القرن السادس الهجري ، وهو من الخطوط الصعبة لايعرفه إلا من تعلمه ومارسه من خطـاطي إيـران، ويمتـاز بميـل حروفـه ومـن خـلال تسميته يبدو أن حروفه قد علقت بعضها ببعض، ويتصف كذلك بالتباين الواضح في شكل الحروف ومساحتها، ويعود السبب في ذلـك إلى كتابتـه بقلمين مختلفي العرض، إذ يبلغ عرض احدهما ثلث عرض القلم الآخـر، فلا يكاد يستقر القلم في عرضه حتى يتغير بشكل مفاجئ إلى ثلث عرضه،

وكذلك يحتاج إلى رسم الكثير من أجزاء الحروف بواسطة رأس القلم حتى يكتمل شكلها. ويغلب على أشكال حروفه استدارات بيضوية الشكل ومفتوحة ليتولد عنها فراغات واسعة وهي ذات أهمية كبيرة في إبراز شكلها المميز.

وهنالك خط آخر وهو خط (النستعليق) الذي أسس على يد (مير علي تبريزي) أعظم أساتذة الخط في القرن السادس الهجري وأبرزهم، ويتصف هذا الخط بأنه أكثر رشاقة من باقي الخطوط اللينة، ويتكون هذا الخط من خطي (النسخ) و(التعليق)، ويحتفظ في ذات الوقت بصفات كل من خط النسخ وخط التعليق، واصبح فيما بعد من أكثر الخطوط شيوعاً. ونتج عن خلط كل من خطي ( الكوفي ) و (النستعليق) خط ثالث يسمى بـ (شكسته) .

- **ثانياً- استخدام المصطلحات العربية وإدخالها الى ثنايا القاموس الفارسي:**

أدى الانتقال الكبير من استخدام اللغة البهلوية الى اللغة العربية واستعمال الحرف العربي للكتابة بعد الفتح الإسلامي لإيران ومن ثم استعمال لغة جديدة وهي اللغة الدرية، أدى كل ذلك إلى الإستعانة باللغة العربية لتكون المنهل الرئيس للغة الفارسية الجديدة والمورد الذي تستقي منه اللغة الفارسية كل ما يلزمها من كلمات ومصطلحات لتغني بذلك قاموسها خصوصاً في نهضتها الفتية، فقد استعارت هذه اللغة من العربية الكثير من المعاني والمصطلحات بشكل عام والدينية والفقهية بشكل خاص. وإذا ما أردنا البحث عنها فإننا سنجد أن هناك سيل فياض منها

وسنلاحظ أن القاموس العربي قد دخل في ثنايا القاموس الفـارسي وبشكل واسع جداً.

ما تزال اللغة الفارسـية ومنـذ نشـأتها الأولى حتـى وقتنـا الحـاضر تستعمل المصطلحات العربية وبكافة مجالات الحياة وفي شـتى الأغـراض العلمية والفنية، ويلاحظ الدارسون والمهتمون باللغة الفارسية هذا الكـم الهائـل مـن المصـطلحات والمعـاني في كتـب الفقـه والتفسـير والتـاريخ والفلسـفة والشـعر والتصـوف والطـب والرياضـيات، وإن الكثـير مـن الكتب الفارسية قد عُنوِنت بأسماء عربية، وتبدو بأنها مؤلفات عربية، على حين إنها مؤلفة باللغة الفارسية، ولا يفهمها إلا دارسي هذه اللغـة بشـكل جيـد، ومنـه عـلى سـبيل المثـال: التوسـل الى الترسـل، مجمـع التـواريخ والقصـص، مجمـع الفصـحاء، حبيـب السـير، لبـاب الألبـاب، جوامـع الحكايات، تذكرة الشعراء،...الخ.

بدأ علماء الفارسية خلال القرن الخامس الهجـري بتـأليف ووضـع كتب عن لغتهم على غرار الكتب التي ألفـت في العربيـة، وكـان أقـدمها كتاب (لغة الفرس) لـ (عـلي بـن أحمـد الأسـدي الطـوسي) المتـوفي سـنة ٤٦٥هـ، ووضعت كذلك كتب لتعلم العربية لغير العـرب مثـل (مقدمـة الأدب) لــ (جـار الله الزمخشريـ). وإن المطلعـين عـلى الكتـب اللغويـة الفارسية يلاحظون أنها وضعت باسلوب الكتب العربية ومنها (صـحاح العجم) لـ (هندوشاه النخجواني) المتوفي سنة ٧٣٠ هـ وهذا الكتاب

معارض لكتاب (صحاح العرب) للجوهري. إستعارت اللغة الفارسية من العربية أيضاً مصطلحات النحو والصرف العربية لبناء قواعد لغتها، فالأفعال ومشتقاتها وكذلك الأسماء وأقسامها والمبتدأ والخبر والفاعل والمفعول وغيرها، إذ استعملت في الفارسية بدون أي تغير. واستغني في الوقت نفسه عن بعض المصطلحات التي لا تحتاجها وزيدت لها أُخر أقتضاها التصريف الفارسي مثل الماضي القريب والبعيد والشكي والالتزامي.

بعد مجيء السلاجقة الى الحكم ، أصبحت اللغة الفارسية لغة البلاط والأدب، مما أدى ذلك الى إضعاف نفوذ اللغة العربية، لكنها لم تفقد مركزيتها لأنها إستمرت لغة العبادة والفقه، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قيام المدارس النظامية التي أنشئت في هذا العهد وبرعاية وإهتمام عربي وذلك تطبيقاً لسياسة السلاجقة الدينية المحافظة، مما دفع ذلك الى زيادة دخول المفردات والمصطلحات العربية إلى اللغة الفارسية، فظلت اللغة العربية بذلك اللغة الرئيسية للتعبير عن مظاهر الحضارة الإسلامية من طب وعلوم وفلسفة وغيرها. وهنا لابد من الإشارة إلى أن مشاهير الفلاسفة والعلماء من أمثال: الغزالي وابن سينا و الرازي كتبوا معظم مؤلفاتهم بالعربية مع قدرتهم العالية في الكتابة باللغة الفارسية، وما هذا إلاَ لأن اللغة العربية هي لغة الحضارة الإسلامية، بالإضافة الى طواعية اللغة العربية في الإشتقاق والتعبير عن كافة الأفكار المستجدة.

من كل ذلك نلاحظ الفضل الكبير للغة العربية على اللغة الفارسية وعلى سكان هذه البلاد إذ أعانتهم اللغة العربية في التخلص من اللغات القديمة والصعبة والتي عانى منها سكان هذه المنطقة لصعوبة الكتابة بها وتعلمها ولكثرة حروفها وتغيرها المستمر على مر العصور، وهذا لا يعني أن اللغة الفارسية لم تكن مؤثرة على اللغة العربية وخاصة قبل إنتشار الإسلام ودخول ايران في الدين الاسلامي، فقد اخذت اللغة العربية من اللغة الفارسية العديد من المفردات وبالإمكان تصفح المعاجم العربية وملاحظة هذا الشيء وقد كتب المؤلف إلى جوارها بأنها أعجمية أو فارسية أو معربة.

وجدير بالذكر أن العرب لم يقتبسوا الأفعال أو الحروف ولكن كانت حاجتهم إلى الأسماء فاقتبسوا هذه الأسماء وقاموا بتغيير شكلها بحرية بما يتلاءم مع نطقها العربي فأبدلوا حرفاً بحرف يدنو من مخرجه إن لم يكن عنده هذا الحرف أو لأن نطقه في الفارسية لا يوازن نطقه في العربية وبذلك يكون العربي قد حور في الشكل ولاءم في المخرج، وإن السبب الرئيس في هذا الإقتباس هو التجاور العربي الفارسي وهو نفس السبب الذي أثر على اللغة الفارسية، وإن الكثير من الكلمات الفارسية التي دخلت في العربية قد نقلها من كان على صلة وثيقة بالفرس وكان الأكثر صلة في هذا الأثر هو المناذرة – اللخميين – وكان آخرهم النعمان ابن المنذر، الذين كانوا يحكمون الحيرة وهي على بعد فرسخ جنوبي الكوفة، وفي أبيات شعراء ذلك العهد يلاحظ الكثير من هذه الكلمات، ومنهم

الشاعر العربي الكبير الأعشى ميمون بن قيس فقد أورد العديد من هذه الاقتباسات و في أدناه نموذجاً منها، **إذ يقول:**

**لنـــا جُلســـــانٌ عنـــدها　　وسيسنبـــــر والمرزجـــوش**
**و آس و خــــيريٌ و مــــروٌ　　إذا كـــان هِنـــزَ مـــنٌ ورحـــت**
**وشاهســـفرم والياســـمين　　يصبّحنـــا فـــي كـــل دَجـــنِ**

فهو بذلك قد أورد في هذه الأبيات كلـمات (گلسـتان ) و(بنفشـه) و(سوسن بر) و(مرزجوش) و(شاه اسپرم) و(ياسمين) و( نرگس) وهي فارسية وغيرها. وهناك العديـد مـن الأمثلـة والشـواهد عـلى الإقتبـاس العربي للكلمات الفارسية والمجال لا يسع لذكرها.

في ختام هذا البحث نلاحظ أن العوامل المـؤثرة عـلى تطـور اللغـة الفارسية ووصولها إلى ما هي عليه الآن كثيرة ومتداخلة ولا يمكن المـرور على إحداها　إلا أوجبت علينا الإسهاب فيها والغـوص في أغوارهـا، وإن التداخل والتلاقح اللغوي بين العربية والفارسية عميق عمق التاريخ ولا يزال هذا التأثير المتبادل بينهما مستمراَ حتى يومنا هذا، ولن ينقطـع أو يزول مادام هذا التجاور موجوداً.

## الاستنتاجات:

✍ **خلص الباحث في بحثه هذا إلى عدة إستنتاجات يمكن حصرها فيما يأتي:**

١- كان للغة الفارسية القديمة الفضل الكبير في حل رموز اللغة المسمارية البابلية والتعرف من خلالها على أولى الحضارات في العالم.

٢- كان للغة الفارسية الأثر الكبير في نقل حضارات البلدان الآسيوية إلى الحضارة العربية والإسلامية.

٣- كان للحرف العربي الأثر الكبير في رسم شخصية اللغة الفارسية الحديثة ، من خلال استخدام الحروف العربية في الكتابة والإستغناء عن الحروف الفارسية (البهلويه) القديمة المستخدمة قبل دخول إيران في الدين الإسلامي.

٤- إن اللغة الفارسية من اللغات التي لها القابلية على الإستعانة باللغات الأُخر في رفد قاموسها اللغوي بالعديد من المصطلحات والمعاني الجديدة وبسهولة كبيرة.

٥- يمكن عدَ اللغة الفارسية من الروافد الرئيسة للحضارة العربية الإسلامية لما قدمته من نتاج علمي وأدبي.

٦- لم يكن الفارسي مقتبس أعمى بل استطاع أن يطور ما يقتبسه من لغة أو أدب أو علوم أخر.

٧- إن التجاور العربي الفارسي وإنعدام الحدود المانعة بينهما أدى الى التأثير المتبادل بينهما وفي كل مجالات الحياة.

# الفصل الثامن عشر
# الأخمينيون

## التاريخ والحضارة:

الأخمينيون أو الأخمينيـديون (*Achaemenides*) هـم أسرة ملكيـة فارسية كونت لها إمبراطورية في فارس عـام ٥٥٩ ق.م. واسـتولت عـلي ليديا (غرب الأناضول) وبابل وإيران وفلسطين ومصـر، التي امتـدت في أوجها إلى جميع أرجاء الشرق الأدنى، من وادي السـند إلى ليبيـا، وشـمالاً حتى مقدونيا. وهكذا فقد تمكنوا من السيطرة على جميع الطـرق التجاريـة المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط عبر البر والبحر؛ وقام ملوك الأخمينيـين بإعادة بناء الطريق مـن منطقـة السـوس *Susa* في عربسـتان إلى سـارديز *Sardis* بالقرب من أفسس وسميرنا. أشهر ملوكها دارا (داريوس) الذي حـاول غـزو أثينـا باليونـان فهـزم. وأسـقط الإسـكندر الأكـبر هــذه الإمبراطورية عام ٣٣١ ق.م. ومن ملوكها قمبيـز وقـورش (سـيروس). وتعتبر فترة حكم هذه الإمبراطورية هي فترة الحضارة الفارسية.

استقرت قبائل الفـرس البدويـة في الجنـوب عنـد منطقـة سـموها "فارس" (معناها السائب والغازي) قرب شيراز اليوم. ولا تكـاد توجـد أي نقوش تتكلم عن الفرس قبل قوروش الأكبر (الثاني). تصفهم التوراة بأنهم "أناس برابرة جداً وسفاحون لا يرحمون أحداً". جاء اليهود المنفيين ببابل بقورش الأخمني ونصـبوه عـلى شـعوب المنطقـة عنـوة حيـث دمـر حضارتهم واستعبدهم وأزالهم عن الوجود عن بكرة أبيهم. قام قوروش

باحتلال مملكة مديا أولاً، عن طريق تأليب المعارضين لها وإثارة الفتن. وبعدما استولى عليها، قام بالهجوم على بابل مركز حضارة العالم القديم. ثم توسع إلى بلاد الشام، وكذلك إلى غرب الأناضول إلى بحر إيجة. وتوسع شمالاً إلى جبال القوقاز. كما توسع شرقاً في آسيا الوسطى إلى أقصى ما وصلت إليه الحضارة (يعتقد بوصوله إلى حدود قرقيزستان). وقام ابنه من بعده باحتلال مصر، ثم انشغل أحفاده بحروب ضد اليونان وشعوب البحر الأسود.

مات قورش عام ٥٣٠ ق.م. وتولي إبنه قمبيز الثاني الذي إستولي علي مصر عام ٥٢٥ ق.م. وأصبحت إمبراطوريته تمتد من نهر السند حتي نهر النيل وفي أوربا حتي مقدونيا التي كانت تعترف بالسيادة الفارسية. وبعد إنتحاره عام ٥٣٣ ق.م. تولي إبنه داريوس (دارا) الأول (الأكبر) وأخمد الحروب وحكم الإمبراطورية الفارسية حكماً مطلقاً لأنه يتمتع بالحق الإلهي وكانت البلدان التابعة له تتمتع بحكم ذاتي وكان الحكام بها أقوياء يتجسستون لحسابه. وأنشأت هذه الإمبراطورية الطرق المتفرعة والتي كانت توصل مدبنة سوس العاصمة بالخليج جنوباً وبالبحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه. وظل داريوس في حرب مع الإغريق حتي وفاته عام ٤٨٦ ق.م. وكان قد أخضع المدن الإغريقية في آسيا الصغرى.

وبعده تولي إبنه إجزركسيس الذي أخمد ثورة المصريين علي حكم الفرس. وأراد أن ينتقم من أثينا واليونانيين بعد تمرد الأيونيين أيام أبيه.

فتواصلت مسيرة جيشه حتي بلغت الأكروبول علي مشارف أثينـا. لكنه إنهـزم أمـام صـمود الأثينيـين عـام ٤٩٧ ق.م.وأغرقـوا الأسـطول الفارسي في مياه ميكال. وفي القرن الرابـع ق.م. ضـعفت دولـة الفـرس. وكانـت فريسـة سـهلة للإسـكندر الأكـبر ودارت بينـه وبينهـا حـروب إستمرت منذ عام ٣٣٤ ق.م. وحتي ٣٣٠ ق.م.

يـرى الباحـث الفـارسي نـاصر بـوربيرار في كتابـه ١٢ قرنـاً مـن السـكوت، أن تلـك السـلالات الثلاثـة (الأخمينيـين والأشـكانيين والساسانيين): غريبة عن محيطها الجغـرافي وعـن السـكان الاصـليين في هضبة إيران، إذ لم يبق لهـم أثـر في هـذه الأرض بعـد هـزائمهم النهائيـة. ويقول: "لم يبق من هذه السلالات الثلاث التي حكمت بالقوة والسـيف والاستبداد على الشعوب القاطنة في نجد إيران (الهضبة الإيرانية)، لم يبـق منها أي أثر حضاري هام يُذكَر قياساً باليونانيين والرومان وحتى العـرب الجاهليين. ما عدا أنها كانت تتقن استخدام الرمح الفارسي لمحو الشعوب التي سبقتها في نجد إيران وفتح أراضي الغير وإغراق الشـعوب الأخـرى -ومنهم اليونانيون والمصريون والهنود- ببحور من الدم". وأنهـم جـاءوا متأخرين قياساً لشعوب عاشت قبلهم بـآلاف السـنين. وقـد قـام علـماء الآثار والمستشرقون اليهود بتهويل منزلتهم وسمعتهم خلافاً لحقيقتهم في التاريخ. ويرى كذلك "أنهم لم يتمتعوا لا بثقافة ولا بفن ولا باقتصـاد ولا بسياسة" حيث عاشت المنطقة بفترة ظلام إلى مجئ الفتح الإسلامي.

ويتحدث پورپيرار عن دور إسرائيل في إعلاء الحضارة الايرانية الساطعة قبل الإسلام لتعميق الهوة بين الايرانيين والعرب. فالتاريخ الإيراني يستند في كتابته إلي بحوث قام بها اليهود. إذ بذلوا جهدا لإعلاء شأن الاخمينيين كمحررين لهم وكمدمرين لحضارة بين النهرين. فاليهود يسعون ان يقدموا الاخمينيين كمبدعين للثقافة والحضارة أو أي شيء يرغبونه وذلك بسبب الخدمة التي قدمها لهم الأخمينيون بتحريرهم من سبي نبوخذ نصر ـ ملك بابل. فخذ علي سبيل المثال علماء الآثار والمؤرخون اليهود كـ غيريشمن و داريشتيد و اشكولر، كما أن ٩٠٪ من مؤرخي التاريخ الإيراني هم من اليهود. أي أن اليهود قاموا بتهويل تاريخ الأخمينيين، فهؤلاء حاولوا خلال المئة سنة الماضية أن يصوروا قورش في التاريخ الإيراني بشكل يتطابق وصورته في التورات حيث تقدمه كصورة نبي، وقد نجحوا في ذلك. **إذ لم يُعرف قورش في إيران حتي قبل ١٠٠عام.**

## تأسيس المملكة الأخمينية:

تنتمي الأسرة الأخمينية إلى الفرس، أحد الشعوب الإيرانية القديمة، الذي كان الموجة الأخيرة من موجات الشعوب الهندية – الأوربية (الآرية) التي اجتاحت أراضي إيران في مطلع الألف الأول ق.م.ظهرت الأسرة الأخمينية، التي لايعرف أصلها، في مطلع القرن السابع ق.م.وبدأ نفوذ الأسرة يقوى بعد أن تخلصت تدريجياً من تبعيتها للعيلاميين واستقلت بإمارة أنشان التي كشفت آثارها في تل مليان والممتدة إلى الجنوب الشرقي من سوسة، ثم استولى أمير أنشان المدعو

تشاهبيش (٦٧٥-٦٤٥ق.م) على بلاد بارسا في إقليم شيراز اليوم، وانقسمت الأسرة على نفسها بعد ذلك فكان لفرع منها حكم فارس ولفرع ثان حكم أنشان. وكانت الغلبة لهذا الفرع بعد أن تزوج قمبير الأول (٦٠٠-٥٥٦ق.م) الأميرة ماندان ابنة أَستياج ملك الميديين، وكان من ثمار هذا الزواج قوروش (الثاني) الذي كان حكمه انعطافاً وتحولاً حاسماً في دور الأسرة الأخمينية في تاريخ إيران القديم.

## التوسع شرقاً وغرباً:

استطاع قوروش إعادة وحدة الأسرة الأخمينية وتطلع إلى السيطرة على ميدية وتمكن بذلك من توحيد البلاد الإيرانية ثم انتقل إلى بسط سيطرته المطلقة على عواصم الشرق مستفيداً من الأوضاع الدولية واضطراب الأحوال الداخلية في الدول القديمة. وفي ٥٣٨ ق.م. دخل قوروش بابل فكان ذلك مؤشراً على تغير كبير في «عالم بلغ الشيخوخة، والأهم من ذلك أن العالم القديم كان مدركاً لشيخوخته» كما قال أولمستد. وكان يُظن لفداحة الأحداث والتغيرات المتلاحقة، بعد اجتياح الفرس [مملكة ليديا] في غربي آسيا الصغرى على بحر إيجه وبعد توغلهم في بلاد الشرق، أن تاريخ الشرق القديم كان يتجه إلى نهايته، لكن المفارقة كانت في تجديد العالم القديم ضمن وحدة سياسية - اقتصادية امتدت من بلاد الهند إلى ليبية وحوض بحر إيجه. وهكذا قامت إمبراطورية جديدة في المشرق على أنقاض الإمبراطوريات والممالك القديمة، اجتمعت فيها شعوب وتلاقت ثقافات ولغات وصنائع وعقائد وعادات. ولكن

قوروش سقط في ميدان القتال بعد أن توغل في أعماق السهوب الشمالية الشرقية من آسيا الوسطى. ثم خلفه بعد مرحلة انتقالية مضطربة ابنه قمبير الثاني (٥٢٩-٥٢٢ ق.م.) الذي قاد حملة على مصر (٥٢٥ق.م) وأسقط عرش الفراعنة ولكنه أثار المصريين بتصرفاته وبفرض ضرائب مرهقة وبالتعرض للتقاليد الدينية. ثم عمل داريوس الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م.) على التوسع باتجاه الشرق إلى حوض نهر السند وغرباً إلى ضفاف نهر الدانوب. وتمكن من وضع حد للمنازعات الداخلية التي أثارها الأرستقراطيون والكهان المجوس. أما أكبر منجزاته فهو استكمال بناء الجهاز الإداري للدولة.

لكن المبالغة في فرض الضرائب والتدابير القاسية على السكان الإغريق المقيمين على الساحل الإيوني، في غربي آسيا الصغرى، أدت إلى اندلاع ثورة لاهبة بين ٤٩٩-٤٩٣ق.م كانت الشرارة التي أوقدت نار الحروب الميدية التي اجتاحت العالم الهليني بين الفرس من جهة والمدن الإغريقية من جهة أخرى. كانت هذه الحرب عند الهلينيين مسألة حياة أو موت، فقد سجل المؤرخون (هيرودوت وتوقيديدس وكزينوفون) دفاعهم عن بلادهم وانتصاراتهم على جيوش الإمبراطورية الفارسية عند ماراثون (٤٩٠ ق.م) ثم في معركة *سلاميس* *Salamis* *البحرية* (٤٨٠ ق.م.). وبعدها بعام واحد في معركة پلاتايا (٤٧٩ق.م *Plataia*. (وفيها استطاع الهلينيون أن يقيموا بينهم بزعامة أثينة تحالفاً قاد الحرب إلى الساحل الأيوني الآسيوي اشتد أوار الأزمات الطاحنة في داخل

الإمبراطورية الفارسية. فانـدلعت الثـورات في مصرـ (٤٨٦-٤٨٥ق.م) وفي بابـل (٤٨٢-٤٧٩ق.م) وتوالـت تحركـات الأمـراء الإقطاعيين الساعين إلى الانفصال والاستقلال والمؤامرات والاغتيالات في داخل القصر الإمبراطوري.

## انتقال الشعوب الإيرانية إلى فارس:

على الرغم من أن الفرس كانوا أشهر أعداء اليونانيين خلال العصور القديمة، إلا أنهم في الحقيقة يشتركون في نفس الأصل. كل من اليونانيين والفرس ينحدرون من مهاجرين ذي أصول هندو-أوروبية، قدموا من شمال بلدانهم. جاء الفرع الإيراني من الهندو-أوروبيين إلى بلاد فارس حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد، في نفس الوقت تقريبا الذي قدمت فيه الشعوب الناطقة باليونانية إلى اليونان.ومن بين أهم القبائل الإيرانية هناك الميديون الذين استقروا في ميديا والفارسيون الذين استقروا في فارس. ومن بين هذين القبيلتين، كان الميديون أول من ينجح في تأسيس إمبراطورية كبيرة، حيث قاموا بفرض سيطرتهم على جميع الشعوب المجاورة بها في ذالك الفارسيون.

## تأسيس الإمبراطورية الفارسية:

في عام ٥٥٢ قبل الميلاد، انتفض الفارسيون على الحكم الميدي، مكونين بذلك دولة مستقلة ستقوم بمواجهة ميديا. حيث قام الملك الفارسي كورش الكبير بالزحف على الإمبراطورية الميدية واحتلال عاصمتها إكباتانا في العام ٥٤٩ قبل الميلاد. وقام كورش بعد ذلك بغزو

كل من الإمبراطورية الليدية في الأناضول والإمبراطوريـة البابليـة الحديثة في بلاد الرافدين وأعلن نفسه ملكاً لــ "الجهـات الأربـع للعـالم" وكان مؤسس أولى الإمبراطوريات العظمى التي سـتعرفها بـلاد فـارس. ويسمي المؤرخون هاته الإمبراطورية الأولى التي أنشـأها كـورش الكبـير بـــالإمبراطورية الأخمينيــة، للتفريــق بينهــا و بــين بــاقي الإمبراطوريـات الفارسية اللاحقة. والأخمينيون هم العائلة الحاكمة والتي تنحدر من ملك شبه أسطوري يدعى أخيمينيس منذ حوالي ٥ أجيال قبل كورش الكبير.

## وفاة كورش الكبير:

بعد التغلب على كل القوى العظمى التي كانت موجودة آنـذاك في الشرق الأوسط، شـن كـورش حروبـا ضـد الشـعوب البدويـة في آسـيا الوسطى، في نفس المكـان الـذي قـدم منـه أسـلافه قبـل مئـات السـنين. وحسب هيرودوت، فإن كورش قام بغزو أراضي قبيلة ماسّاجيتاي الذين لم يكونوا يعرفون ما هو الكحول. وبإدراكه لهـذا، اسـتغل كـورش الأمـر لوضع فخ. حيث قام بترك مجموعة صغيرة من جنـوده في معسـكر مـليء بالطعام و الكحول، ولم تحـتج قبيلـة ماسّـاجيتاي إلى الكثـير مـن الوقـت للاستيلاء على المعسكر وإقامة وليمة بالطعام و الشـراب الذي وجـدوه، مما جعلهم ثملين و أصبح معه التغلب عليهم أمراً سهلاً بالنسبة لكـورش الذي عاد مع بقية جيشه. عندما سمعت ملكـة الماسّـاجيتاي، تـوميريس، عن هذه الخطة الماكرة، أقسمت على الثأر من كـوروش وأرسـلت جيشـاً كبيراً لذلك، حيث تم قتل كورش وقدم رأسه إلى الملكـة تـوميريس عـلى طبق.

## غزو مصر:

تولى قمبيز الثاني الحكم بعد كورش، و قام بتوسيع المجال الجغرافي للإمبراطورية الفارسية بضم مصر في العام ٥٢٥ قبل الميلاد. و يقول هيرودوت أنه بعد احتلال مصر، أرسل قمبيز الثاني جيشه إلى الصحراء الغربية و الذي لم ير له آثر بعد ذلك. كانت الإمبراطورية الفارسية تتحكم في معظم الشرق الأوسط.

## الديانة والثقافة الفارسية:

كان الفارسيون خلال العهد الأخميني يعبدون ثلاثة آلهة رئيسية: اهورا مازدا، والذي كان يعتبر ملك الآلهة، مثل زيوس لدى اليونانيين و الذي سوف يتحول إلى آلهة العقيدة الزرادشتية التي سوف تغلب على الديانة الفارسية في القرون اللاحقة؛ ميثرا: و هو إله شمس مثل أبولو لدى اليونان والذي سيصبح بدوره إلى إله العقيدة الميثرائية، و الذي كانت من بين منافسي المسيحية في عصر الرومان؛ ثم اناهيتا: و هي آلهة أنثى للماء والخصوبة، تشبه أرتميس لدى اليونان. و مثل أغلب الحكام في العصور القديمة، كان الحكام الفارسيون متسامحين مع جميع الديانات المتواجدة في إمبراطوريتهم الكبيرة، حيث استمرت كل من الديانات اليونانية، المصرية و اليهودية دون تغيير في المناطق التي كانت توجد فيها.

في خطـوة تسـعى لإضـفاء الشـرعية عـلى حكمـه، قـام الملـك المغتصب، داريوس العظـيم، بتأييـد أهـورا مـزدا ليكـون الإلـه الواحـد الأسمى، و نصب نفسه ممثل الإلـه الوحيـد عـلى الأرض. وكانـت هـذه خطوة كبيرة في تطور الديانة الزردشتية، والتي بدورها كان لها آثار عميقة عـلى تطـور الـديانات التوحيديـة الرسـمية في الدولـة مثـل المسـيحية والإسلام. في كتاب النـار الفارسـية، يـذكر تـوم هولانـد بـأن داريـوس العظيم مهد الطريق للأفكار التي تجيز سحق الأعـداء الأجانـب لكـونهم كفاراً، وأنه يمكن وعد المقاتلين بالجنة في الآخرة، وأن الغزو باسم الـرب يمكن اعتباره واجباً أخلاقياً.

كان الملوك الأخمينيون يرعون الفنون. حيث قاموا ببناء عدة قصور فخمة و حـدائق مليئـة بـالنحوت الفنيـة. و أكثـر الآثـار الفارسـية التـي لازالـت موجـودة إذهـالا يوجـد تحـت أنقـاض عاصـمتهم القديمـة: برسبوليس. حيث قام داريوس العظيم هناك ببناء قصر-آبـادان، و الـذي توجد على جدرانه نقوش تصور أناس مختلفين من منـاطق الإمبراطوريـة الشاسعة و هو يبدون الولاء للملك الفارسي.

## الاصطدام مع اليونانيين:

في عهـد داريـوس العظـيم بلغـت الإمبراطوريـة الفارسـية أوج امتدادها الجغرافي. حيث قام داريوس بغزو أوروبا واحـتلال تراقيـا، ثـم زحف على اليونان وسيطر على مختلف الإمارات المستقلة هناك. بعد

مشاهدة جيوش الغزو الفارسي، قام العداء فيدييبيديس بـالجري إلى مدن مختلفة لإخطارها بالغزو، ولكي يتمكن اليونان من تجميع جيشـهم. وتغلب اليونان على الفرس في معركة ماراثون فقام فيدييبيديس بجري ٢٦ إلى أثينا لإعلامهم بخبر هزيمة الفرس.

ويعتبر هذا الحدث منشأ فكـرة المـاراتون الحـالي. لكـن الفارسـيين سيعودون من جديد و يشنون مجموعة مـن الحـروب ضـد اليونـان، تعرف بالحروب الفارسيةاليونانية.

ورغم ذلك، لم تتمكن الإمبراطوريـة الفارسـية أبـداً مـن إخضـاع اليونانيين، وسيكون إغريقي مـن مقـدونيا يـدعى الاسـكندر الأكبرهـو مـن سـيقوم بغـزو واحـتلال معظـم الإمبراطوريـة الفارسـية في القـرن اللاحق.

# المراجع

**المراجع العربية:**


١. كتاب البدو، ج: ٣ ، ص: ٥٩٨ – ٥٩٩ ، ماكس فرايهير أوبنهايم.

٢. دليل الخليج، ج: ٤ ، ص: ١٨٦٥ – ١٨٧٩ ، ج ج لوريمر.

٣. أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص: ٢٢٨ – ٢٣٣، ستيفن همسلي لونكريك.

٤. التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، قسم الحوادث في امارة الشيخ ثويني.

٥. امارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة الأقليمية ١٥٤٦م -١٩١٨م، ص: ١١٧ – ١٣١ .

٦. البصرة .. ولاتها ومتسلموها من تأسيسها حتى نهاية الحكم العثماني ، ص: ٧٨ ، ابن الغملاس.

٧. تاريخ الدول الفارسية بالعراق، ص: ١١٥-١١٦، علي ظريف الأعظمي.

٨. مختصر تاريخ البصرة، ص: ١٥٩ – ١٦١ .

٩. مطالع السعود بأخبار الوالي داود ، ص: ٢٥٧ – ٢٥٩، الجزء المقتطع من كتاب خزانة التواريخ النجدية ، الشيخ عثمان بن سند البصري.

١٠. إنتصار الحضارة: جيمس هنري برستد - ترجمة دكتور أحمد فخري - مكتبة الإنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٢.
١١. المعارك الفاصلة في التاريخ: حنا خبّاز - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٥٩.
١٢. الفكر العسكري: مجلة تصدر عن: الأكاديمية العسكرية العليا - دمشق العدد الثالث ١٩٧٨ والعدد الرابع ١٩٧٩.
١٣. بطاقات تدريب التاريخ العسكري: المدرسة الحربية - السنة الثانية - إعداد العميد الركن فرنسوا جينادري - الجهاز العسكري الإغريقي في الحقبة الهلينية والهيلينستية.
١٤. بهار، محمد تقي: سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي، جلد ٣، چاب ٤ (تهران: مؤسسة انتشارات أمير كبير، ١٣٢١ هـ.ش) .
١٥. صفا، ذبيح الله: تاريخ ادبيات ايران، ج١، ط٢ ( تهران: مؤسسة انتشارات وجاب دانشكاه ، ١٣٥٢هـ) .
١٦. محمد التونجي: التسرب اللغوي بين العربية والفارسية ، مجلة الدراسات الأدبية: الجامعة اللبنانية، السنة السابعة ، العددان ١ و ٢، ١٩٦٥.
١٧. د. محقق، مهدي: صور من التعريب ونقل المعاني من الفارسية الى العربية ، مجلة الدراسات الادبية : الجامعة اللبنانية، السنة الثانية، العدد الرابع، ١٩٦١.

١٨. ابن رزيق ـ حميد بن محمد ـ الشعاع الشائع بالمعان في ذكر أئمة عمان ـ تحقيق عبد المنعم عامر (١٩٧٨).
١٩. ابن رزيق ـ حميد بن محمد ـ الفتح المبين بأخبار السادة البوسعيديين تحقيق عبد المنعم عامر و د.محمد مرسي عبد الله (١٩٧٧).
٢٠. الأزكوي ـ سعيد بن سرحان ـ كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ـ تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي (دار الدراسات الخليجية) أبو ظبي ـ ١٩٧٦).
٢١. أمين ـ د. عبد الأمير محمد ـ القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر (بغداد ـ ١٩٦٦).
٢٢. شركة الزيت العربية الأمريكية ـ عمان والساحل الجنوبي للخليج (القاهرة ١٩٥٢).
٢٣. العابد ـ صالح محمد ـ دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ ـ ١٨٢٠ (بغداد ـ ١٩٧٦).
٢٤. عمر ـ فاروق ـ مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني ( بغداد ـ ١٩٧٩ ) لاندن ـ روبرت جيراث عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً ترجمة محمد أمين عبد الله (١٩٧٠).
٢٥. لوريمر ـ ج.ج. ـ دليل الخليج ـ القسم التاريخي ( قطر ـ الدوحة ـ بدون تاريخ ) لوكهارت ـ د.لورنس ـ "التهديد العماني ونتائجه في أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر "

٢٦. ترجمة علاء الدين أحمد حسين ـ الخليج العربي " البصـرة " " أيلول ـ ١٩٦٨ " ص ٨٩ – ٩٨

٢٧. المعولي ـ أبو سليمان محمد بن عامر بن رشيد ـ قصص وأخبار جرت بعمان (مخطوط ) ـ ( نشر ـ الجزء الخاص بأحداث الغزو الإيراني لعمان ملحقاً بكتاب " كشف الغمة " ص ١٣٥ – ١٤٨ (


**المراجع الأجنبية:**

١- A guide to the study and use of military history u.s. government printing office, washington D.C. ١٩٨٢.
-The general ship of Alexander the great: J.F.C fuller new
٢- york - Minerva press ١٩٦٨.
٣- The greek and Macedonian art of war: F.E. adcock university of California press ١٩٦٢.
٤- ww.wikipedia.org-Battle of gaugamela.
٥- Google image Result for http://all empires.com/articles/ Gaugamela/ gaugamelad.gif
٦- Bertram, Thomas, Arab rule under the AI-Bu Said dynasty of Oman ١٧٤١-٩٣٧, (London,١٩٣٨).
٧- Hamilton, Captain Alexander, A new account of the East Indies (London, ١٧٤٤), ٢ Vols.
٨- Hawley, Donald, The Trucial states (London, ١٩٧٠).
٩- Kelly, J.B., Sultanate and Imamate in Oman (Oxford, ١٩٦٥).
١٠- Lockhart, Laurance, Nadir Shah's Campaigns in Oman, ١٧٣٧-١٧٤٤, B.S.O.A.S., Vol. VIII, pt. ١, (١٩٣٦), pp. ١٥٧-٧١.
١١- Idem, The Fall of the Safari dynasty (Cambridge, ١٩٥٨).

١٢- Lockyer, Charles, An account of the trade in India (London, ١٧١١).

١٣- Miles. S.B., The countries and tribes of the Gulf (London, ١٩٦٦).

١٤- Niebuhr, M., Travels through Arabia (Edinburg, ١٧٩٢).

١٥- Saldanha, J.A., Selections from state papers, Bombay, Regarding the East India Company's connection with the Gulf; with a summary of events, ١٦٠٠-١٨٠٠ (Calcutta, ١٩٠٨).